verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



المملكة العربية السعودية وزارة التعليم العالى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



بحوث المؤتمر الجغرافي الاسلامي الأول

المجلد الرابع

أشينت على طباعة ونشره : إدارة الثقافة والنشر بالجامعية

٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤م

271-015447.76.01.46781s



المملكة العربية السعودية وزارة التعليم العالى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



مركسز السيسحسوث

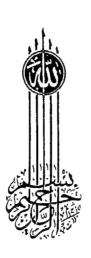
بحسوث المؤتسمر الجغرافى الاسلامى الأول

المجلد الرابع

أشفتعلى طباعترونشره :إدارة الثقافة والنشربالجامعة

3 - 31 4-31919





راجع وصحح التجارب الطباعية

د. محمود توفيق محمود مركز البحوث

مركز البحوث

راجع الخرائط واعاد رسمها نعمان محمد صيام كلية العلوم الاجتباعية

المحــتويات

	•
لصفحة	الموضوع
٥	بحوث في انتشار الإسلام
٧.	شرقى افريقيا: دراسة في جغرافية الإسلام
۳۱ .	مسالك انتشار الإسلام
٤٩ .	د. يوسف ابو الحجاج أثر الضوابط الجغرافيه في انتشار الإسلام وتوزيع اقلياته
۸۳ .	د. سليمان خاطر المسالك والدروب التى انتشر عليها الاسلام
110	بحوث في الجغرافيا التربوية
117 .	الأرض في القرآن
۲۷۳ .	دور الجغرافيا في تعضيد التضامن الإسلامي
YAY .	محمد الرابع الحسنى دور المجموعـة الإسماء الجغرافية .
Y99 .	د. عبدالهادي التازي
777 . 771 .	بحوث في الجغرافيا السياسية
	د. محمد الفرا

رقم الصفحة	الموضوع
۳۰۰	ما طرأ على حدود فلسطين منذ الحرب العالمية الثانيه
	د. عبدالرحمن الشريف
چيوبولتيك التطبيقية ٣٨٩	التحشيد الفكــرى والعسكـرى الصهيوني تعبير عن ال
	نافع قصاب
£ •V	قضية فلسطين وابعادها السياسية والجغرافية
	بدر الحسن القاسمي
ئيل	عروية الاماكن والبقاع في فلسطين قبل دخول بني اسرا
	محمود العابدي
٤٥٩	المشكلة الفلسطينية مشكلة دينيه عنصريه أم اقتصادية
	د. فوزی الاسدی
197	أصول المشكلة الأريتريه ومستقبلها
	د. محمد سعید
وقت الحاضر ٧٤٥	مشكلة مسلمي الفلبين منذ الاحتلال الاسباني حتى الو
	د. محمد شتا



onverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بحوث في انتشار الاسلام



onverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

شرقي أفريقيا: دراسة فى جغرافية الإسلام

دکتور / دولت صادق



إن موضوع انتسار الإسلام في شرف إفريقيا ينبغى أن يحتل المكان الرئيسي في التاريخ الإفريقي، لأسباب عديدة من بينها: ارتباط العالم العربي بالقارة الإفريقية في عصور مختلفة من التاريخ، وامتزاج الحضارة العربية بالحضارات المتعددة للشعوب الإفريقية، مما جعل العالم العربي وإفريقيا بحكم التخوم الجغرافية، وسرعة الاندماج بين شعوبها، وتاريخها الحافيل بالكفاح المسترك، أقرب إلى التضامن والتفاهم. ومع ذلك فإن إبراز طبيعة العلاقات العربية الإفريقية لاتزال تكتنفها صعوبات عديدة، من بينها فقدان الكتير من السجلات العربية، وغلبة المصادر الأجنبية التي كان قصدها التسويه المتعمد لتاريخ العرب في إفريقيا.

انتقلت المؤثرات العربية إلى السعوب الإفريقية، وقد نتج عنها ظهور حضارة عربية إفريقية واضحة المعالم، بعد أن وجدت كثير من الشعوب الإفريقيه في الحضارة العربية والدين الإسلامي أساسا لبناء مستفبلها السياسي والاجتاعي، وتطبعت كثير من هذه الشعوب بالروح والنقافة العربية الإسلامية طوعا لا قسرا، وذلك قبل أن يعمل الاستعار الأوربي على فرض نظامه ونفوذه.

ظهرت كثير من المعلومات الخاصة بإفريقيا في المصنفات العربية ابتداء من القرن التاسع الميلادي، ومن أبرز المصنفات التي كتبت عن ضرق إفريقيا ما كتبه أبوالحسن المسعودي الذي تردد على شرق إفريقيا في الفترة ما بين 917 - 917م، إذ كانت له أكنر من رحلة قام بها في تلك المنطفة، ولكن للأسف فإننا لا نملك من آثار المسعودي إلا كتابين: أحدها كتاب «مروب الذهب ومعادن الجوهر» (١). وعلى الرغم من أن القرن العاشر الميلادي شهد تأسيس كنير من المدن والإمارات العربية والإسلامية في ساحل شرق إفريقيا فإن المسعودي لا يحدتنا عنها، وإنما اقتصر في وصفه على الزنوج.

وقد جاء بعد المسعودي الإصطخري، وأبوالقاسم محمد بن حوقل، والمقدسي الذي قدم لنا كتابه «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم»، وهو من أعظم الجغرافيين العرب في القرن العاشر الميلادي، وقد افتصر في كتاباته على وصف الأقاليم الإسلاميه، ولم تعرض لوصف الأقاليم التي يسكنها غير المسلمين، إلا أننا لا نجد في مصنفاته ما يمكن أن نضيفه إلى معلوماتنا عن شرق إفريقيا خلال هذه الفترة. وفي القرن الحادي عسر الميلادي، وقبل أن نصل إلى مصنفات الإدريسي، وهي من المصنفات العربية الهامة التي عنيت بإفريقيا، لا نجد سوى البير وني، ونلحظ في كتاباته اهتامات واضحة بالساحل السرقي لإفريقيا. وقد استفاد الإدريسي من جميع المعلومات التي أوردها المصنفون العرب والمسلمون، سواء من وصلت إلينا كتاباتهم أو من ففدت مدوناتهم، واعتمد عليها في وضع كتابه وخريطته المعروفة (٢).

وعلى الرغم من أهمية ما كتبه الإدريسي إلا أن المعلومات التي أوردها ليست وافية، هذا فضلا عن أنه أخطأ عندما أسار إلى مدينة براوه، فذكر أنها لاتزال على وتنيتها، إذ قال: إنها واقعة بطرف بلاد الكفرة. ولكن من المعروف أن الإسلام كان قد انتقل إليها في زمن أسبى بكتير من كتابات الإدريسي.

ويهمنا رحلات ابن بطوطة ، فهناك رحلة قام بها في عام ١٣٣١م من زيلع إلى مقديسو وممبسة وكلوه ، ولعله يكون أول المصنفين العرب الذبن حدونا عن الإمارات الإسلامية الهامة في شرف إفريقيا (٢). وهد حدثنا عن مدينة ممبسة ، وأنها شافعية المذهب وأن مساجدها مبنية من الخشب، كذلك وصف كلوة . وقد أشار إلى إسلام كثير من الزنوج ، وأن هؤلاء كان يغلب عليهم الدين الإسلامي ، وينتمون إلى المذهب الشافعي .

ومنذ النصف الأول من القرن الخامس عسر الميلادى تجدب المصنفات العربية العامة التي تعرضب لإفريقيا. وفد أمدتنا هذه المصنفات بمعلومات عن بعض أجزاء الفارة الإفريقية منذ القرن المامن حتى القرن الخامس عسر الميلادي، وهي الفترة التي يمكن أن نسميها بالعهد الإسلامي الذي كان المسلمون خلاله على اتصال دون غيرهم بتلك المناطق التي كان لهم فيها النفوذ والسيادة عليها، والسيطرة على تجارتها. وفي الوقت الذي بدأت فيه المصنفات العربية في التلاشي تبدأ المصادر البرتغالية في الظهور، نم تتوالى بعد ذلك المصادر الأوربية عن إفريقيا. وقد حاول بعض الكتاب الأوربيين تجاهل المؤبرات العربية، بل منهم من حاول

النيل من الحضاره الإسلامية في إفريقيا. وتجدر الإشارة إلى دور جرنفيل فريمان أحد المعنيين بتاريخ شرق إفريقيا فبل العصر البرتغالي، كذلك مجهودات كل من ستيجاند Stigand، ومتشنز Huchens، في دراسة وتطور الإمارات العربية والإسلامية في شرق إفريقيا⁽¹⁾.

وقد نجحت مدن شرق إفريقيا نجاحا كبيرا، ووصلت إلى درجة كبيرة من التحضر والازدهار، ولكن افتقرت إلى التنظيات العسكرية. وربما يرجع السبب إلى أنه قد أسسها تجار أو مهاجرون أو مضطهدون سياسيون أو دينيون، وهؤلاء جميعا كانوا مضطربن بحكم ذلك أن تكون علاقاتهم سليمة إلى حد كبير مع الأهالى الذين استقروا في أوطانهم. وما كاد القرن العاشر بولي حتى كانت هذه المدن قد استكملت مقوماتها وسهاتها العربية، إذ ساعدت الهجرات العربية المتوالية على طمس معالمها الفارسية، واستحالت إلى مدن عربية صرفة. وهذه المدن من الشهال إلى الجنوب هي: مقديسيو - براوة - سبوة - بان - لامو - زنجبار - كلوة، وفي خلال القرن العاشر الميلادي كان الإسلام عد انتشر في تلك المراكز، وأصبح لكل مدينة مسجدها الخاص.

ويمكننا أن نقسم المراحل الرئيسية التي مر بها تاريخ العرب في ساحل ضرق إفريقيا إلى المراحل الآتية:

الرحلة الأولى: وتتميز بظهور المراكز التجارية. وليست لدبنا معلومات وافية عن حالة العرب في ساحل شرق إفريقيا في الفترة السابقة لظهور الإسلام، ولكن الأمر الذي لاشك فيه أن الصلات كانت قائمة لا تنقطع، إلى أن بدأ الإسلام يحدت انقلابا خطيرا في حالة العرب بوجه عام، وتاريخ الساحل السرقي لإفريقيا بوجه خاص. ولم يكن للعرب قبل الإسلام اتصالات دائمة بشرق إفريقيا، وإلها كانت الصلات تقتصر على عمليات التبادل التجاري، وما يتبع ذلك في بعض الأحيان من استقرار مؤقف في المراكز التجارية. على أن الأمور قد تغيرت تماما بظهور الإسلام، إذ ظهر عامل آخر غير العامل التجاري، نتج عنه محاولة العرب الاستقرار الدائم، وإقامة كيانيات سياسية عربية السلامية، ولذلك شهد الساحل الشرقي لإفريقيا قيام الكنير من الإمارات والمدن العربية الإسلامية.

- ٢ المرحلة الثانية: ويمتد من القرن السابع الميلادي إلى نهاية القرن الخامس عشر، وتتميز هذه المرحلة بسيطرة المسلمين على تجارة المحيط الهندي، كما شهدت هذه المرحلة أيضا استقرار العرب والمسلمين في ساحل شرق إفريقيا من الحزيرة العربية والخليج العربي وفارس والهند.
- المرحلة الثالثة: وصول البرتغاليين إلى الساحل ، وسيطرتهم على تجارة الميحط الهندي ،
 وانتزاعهم هذه السيطرة من العرب والهنود.
- ٤ المرحلة الرابعة: وتتميز بالثورات والحروب المتتالية التي قامت ضد البرتغاليين حتى خلص الساحل الشرقي لعرب عهان، وبذلك وضع الأساس لتكوين سلطنة زنجبار الحديثة.

اختار الله سبحانه الجزيرة العربية موطناً لبيته الكريم، ومبعثا للصفوة من رسله وأنبيائه، ومهبطاً للأديان الساوية الئلانة الكبرى: اليهودية، والمسيحية، والإسلام. وكان لذلك دلالته وحكمته من الناحية الجغرافية، فهذا الجزء يتوسط العالم، حيث يسهل الانتسار في كل اتجاه، وعنده تتقارب البحار، ومن هنا فقد كان على العابر أن يغير وسيلة النقل، وأن يفف عند الموانى ليلتمس وساطة حداة الإبل وربابنة القوافل، فضلا عن أن سكان سواطئ سبه الجزيرة العربية كانوا أصحاب سفن ونقل بحري إلى ماوراء بحارهم، استغلوا بالتجارة ينقلون المسلع بين أهل المشارق وأهل المغارب، وبين الجنوب وبحاره الدفيئة وسكان السال وبحاره السلع بين أهل المشارق وأهل المغارب، وبين الجنوب وبحاره الدفيئة وسكان السال وبحاره المعتدلة أو الباردة، وكانت رحلات الشتاء والصيف التي ذكرها القرآن الكريم يحملون فيها المتاجر والسلع. ومع تبادل السلع ونقلها كان تفاعل الأفكار بل والمعاني والقيم الإنسانية على نحو انفرد به هذا الإقليم ببن أقاليم الأرض جميعا. قال الله تعالى في محكم آياته:

إن بلاد العرب تعتبر في موقع منالي، له منافذه التي تطل على كل اتجاه، وله مسالكه التي

تسمح بعبور كل شيء مادي أو معنوي، وله سكانه الذين عرفوا شعوب الأرض وماوراء البحار، وألفوا التجارة والتبادل، بل ألفوا العطاء والأخذ، وأحسوا دائها بأنهم أصحاب رسالة، لأنهم كانوا بحكم موقع وطنهم وطبيعته مؤهلين لأن يحملوا عبئ تلك الرسالة. فلها أذن الله، وجاءت الرسالة المحمدية، وتوطدت أركانها في الجزيرة العربية، كان أهلها معدين لنشرها في كل اتجاه مع قوافل التجارة وسفن البحار وكتائب الفتح.

سارت كتائب الفتح تغزو أكبر دولتبن وأعرقها في العالم القديم: الفرس والروم، تزلزل أركانها، وتمحو وجودها، وتنسر العدالة والتسامح والرفق والمساواة في ظل الدين الجديد الذي عرض اختيارا بغير عنف ولا اكراه.

وسارت قوافل التجارة وسفن البحار التي تتبادل السلع، وتبسر بالدبن الجديد، وتعرض فيه على الناس متلا عليا، وتجارة ما يحملون، تجارة لن تبور ولا يختسون كسادها، تجارة تنجيهم من عذاب أليم، وتضمن لهم ربحا أكيدا، ذلك هو الإسلام.

ودخل الإسلام إفريقيا من الجزيرة العربيه المجاوره لها، من أرض الرسالة مباشرة، واتبع أكثر من مدخل وأهم هذه المداخل المدخل الشهالي الشرقي، والمدخل البحرى الشرقي، أو كها يطلق عليهها أحيانا تميزا لوسيلة المواصلات الأساسية: الإسلام البرى، والإسلام البحرى.

أما الإسلام البري ففد دخل من الشهال إلى مصر مع جيس الفتح العربي الذى غزا مصر بقيادة عمرو بن العاص سنة ٦٤٠م ٢٠١ هـ)، استجابة لدعوة أهل الأرض من المسيحيين الذين عانوا من الإدارة الظالمة للبيزنطيين، والمعاملة المجحفة من إخوانهم في الدين، والتعذيب والتفريق بين أصحاب المذاهب المسيحية المختلفة، وما جعلهم يحقدون على حكم الرومان المسيحيين أمنالهم، ويودون الخلاص منه، ويرحبون بالعرب المسلمين المختلفين معهم دينا المتفقين معهم إنسانية، ويرون في الفتح العربى الإسلامي أمل الحياة العزيزة، والمارسة الحرة للشعائر الدبنية دون ضغط أو إرهاب.

وبهذه المبادئ السامية وما تحمله من حرية وكرامة تابع الإسلام كفاحه ضد الرومان، واستطاع أن يمد ظلاله على مناطق لم يصل إليها نفوذ الرومان، وتتابعت الهجرات العربية، واندمجت في السكان، وأصبح المسلمون دعاة لدينهم، يستوي في هذا المهاجرون وأهل الأرض

ينشرونه عبر الصحراء إلى النطاق الرعوي، ويحاولون التوغل به في الغابة الأستوائية، ويتخذون طرسقهم تجاه منابع النيل، وأقاموا باسم الإسلام دولاً ومعالم وحياة جديدة، لها مقوماتها الحضارية المتكاملة المتميزة عن الأوضاع التقليدية السابقة. ومع أن هذا الوطن الإسلامي الكبير، وهو أكبر كتلة متجانسة في إفريقيا، لم يخضع لسيادة سياسة واحدة، إلا أن المصدر الفكري الأصيل لهذه الدول، وهو الإسلام، جعل من أجزاء هذا الوطن قطاعات من حضارة عالمية واحدة، تشعر بالانتاء إلى منبع روحي واحد هو الإسلام.

وفي إفريقيا استطاع السلام الإسلامي أن يحل محل السلام الروماني، وأخذت الامبراطورية الرومانية في التدهور تحت وطأة الانحلال الداخلي والضغط الخارجي، وخفتت مشاعل الحضارة في روما، وغرقت وراءها أوربا في ظلام نقيل.

لم ينتشى الإسلام في شرق وشهال شرق إفريقيا بنفس السرعة، ولـم تكن له نفس النتائج التي حققتها في مصر وشهال إفريقيا.

وبقدر وفرة المراجع والكتابات التي تحدتت عن الفتوح الإسلامية ومسيرتها الظافرة، سواء ما امند منها سرقا في آسيا متتبعا الدولة الفارسية، وقاضيا عليها، وناشرا الإسلام في ربوعها، أو تلك الفتوحات التي امتدت غربا في إفريقيا الشهالية، ممتدة من مصر غربا إلى الميحط الأطلسي فأوربا، متعقبة الدولة الرومانية، قاضية على ظلمها، ومجيبة لدعوة أهلها، وناشرة راية الإسلام الذي سرعان ما استجاب له أهل الأرض، وانفتحت له قلوبهم وعقولهم، فاعتنقوه وتعلموا لغته، وأصبحت الدولة سرفا وغربا تدمن بالإسلام، وتتكلم بلغة القرآن في سرعة أدهشت العالم، ووقف أمامها التاريخ، وهي البلاد التي كانب لها لغاتها العريقة، والتي استعصت على لغذ الرومان، وقد خضت لهم زمنا طويلا، مما يشير إلى أن الإسلام غزا العقول والقلوب قبل أن يغزو الأرض ويفتح المدن، ويحمل السيف.

أقول: بقدر وفرة المراجع والكتابات عن هذه الفتوحات الظافرة، نجد علة وندرة في المراجع والكتابات، بل تكاد تكون معدومة تلك الكتابات التي تؤرخ للإسلام الذي لم يسبفه أو يعقبه فتح للبلاد، ولم تعلن أرضه أرضا للجهاد، بل سار الإسلام إليها في صحبه التجار أصحاب القوافل والسفن، ومع الدعاة المجاهدين، حملوه فرادى وجماعات في فترات متقاربة أو

متباعدة، فد تصحب ظهور الإسلام نفسه، أو بعده بقليل أو كنير، يعززها ويدعمها معرفة سابقة وطيدة أو خفيفة بأصحاب تلك الأراضي عن طريق تجارة وتبادل سبق ظهور الإسلام بكنير أو قليل.

لم تترك تلك الجهود سوى كتابات قليلة متناثرة، نجدها في تنايا كتب الرحالة المسلمين أو الغربيين، وقد نجدها في حوزة عائلات إسلامية، استوطنت تلك البلاد، وهي تعتز وتحرص على تلك الكتابات، ولكنه اعتزاز وحرص على التراث العائلي، الذي لا يخرج عن ملك العائلة الضيق المحدود إلى أفق التاريخ الواسع المترامي، إلى ملك البشرية أجمع، وملك التاريخ الإسلامي العربق. وإن كانت جهود تلك العائلات والجهود الفردية أو الجهاعية تحتسب جهادا في سبيل نشر دين الله بنشرها وإلقاء الأضواء عليها، بجعلها نبراسا ومثلا لجهود رائعة، قدمت في صمت وخفاء في سبيل الله وإعلاء كلمة الحق.

ولاريب أن هذه الرحلات المنفردة كانت كها قلنا موجودة قبل الإسلام، فقد كانت هناك من الدلائل والمؤثرات ما بسير إلى أن العرب كانوا على صلة ونيقة بسرق إفريقيا وسهالها الشرقي الذي كان يمنل الضفة الغربية للبحر الأحمر، فهم جيران العرب لا يفصلهم عنهم سوى هذا السريط البحري الضيق، بل إن الدلائل تسير إلى أن هناك من السفن العربية ماكان يدور حول الجزيرة، ويأتي من أقصى السرق من الخليج العربي إلى الساحل الإفريقي، حاملا المتاجر والسلع إلى جانب الدعوات الروحية والدين.

وإلى جانب ذلك كانت إفريقيا قبل ظهور الإسلام من أول مصادر جلب الرقيق الأسود، وهو جزء من الرقيق الذي نزلت فيه الكتير من آيات القرآن الكريم، تحث على إطلاق سراحه وإعطائه حريته، وجعل ذلك من أحسن ما يتقرب به الإنسان إلى الله تعالى.

ومن هذا الوطن الإفريقي ظهر الكتير من أبطال العرب ذوي الأصول الإفريقية، أمثال عنترة الأسطورة العربية في السجاعة، وظهر الكثير من المجاهدين العرب الأوائل، من أمثال بلال بن رباح رضي الله عنه. كل ذلك يدعم الصلة الكبيرة التي كانت بين الجزيرة العربية وذلك الشرق الإفريقي المجاور، مما كان له أبعد الأثر في تاريخ البلدين.

ولكن رغم هذه الصلات القديمة لم ينتشر الإسلام في شرق وشيال شرق إفريقيا بنفس

السرعة، ولم يكن له نفس النتائج التي حققها في مصر وسهال إفريقية، وحتى أكسوم تلك المملكة المسيحية الحبسية التي كانت كثيرا ما تغير على جنوب سبه الجزيرة العربية حتى ميلاد الرسول قد تركت في أمان عدة قرون أعفبت الإسلام. ولقد استفاد العرب االمسلمون في القرن السابع من ضعف هذه المملكة المسيحية المؤقت، فاستولوا على ميناء مصوع وجزر دهلك المجاورة. وتروي لنا كتابات العرب في القرن التاسع والعاشر على لسان اليعقوبي وابن حوقل أنه في هذه الفترة كانت الحبسة ومازالت تسيطر على معظم ساحل البحر الأحمر المقابل لليمن، ولفد امتد هذا التأتير حتى سواطئ خليج عدن، وقد تمكنت جماعة من التجار المسلمين من أن تستقر في الأجزاء الساحلية خاصة الموانيُّ، ولكنهم كانوا بدفعون الجزية لملك الحبسة. ولم يعتبر العالم الإسلامي الحبشة أرضا للجهاد، لما يربطها به من صلات روحيه امتدت جذورها إلى أيام البعثة المحمدية حين ضاقت بالمسلمين الأرض، واستد بهم أذى الكفار، واحتاروا إلى اين يتوجهون؟ فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالهجره، ولم يجد أمامه غير الحبسة مهجرا لرجاله، فهي بلاد مجاورة، يحكمها النجاسي صديق العرب الذي يدين بالمسيحية الدين الكتابي. فلما هاجروا إليها تلقاهم النجاسي لقاء رحيا وأمنهم وآواهم وحماهم، بعد أن سألهم عن دينهم، ووجد فيه الملامح الأصيلة للأديان السهاوية. ولما تعقبهم الكفار إلى أرضه بسط عليهم حمايته، ورد عليهم كيد الكفار. ولم ينس المسلمون له هذا الصنيع الذي أنقذ بعض المسلمين المجاهدين الأوائل، وشد من أزر الإسلام في أيامه الأولى، واعتبـرت الحبسة صديقة الإسلام، ولم تعلن أرضا للجهاد.

ولكن رغم ذلك فقد كان ظهور الإسلام في الواقع نقطة نحول في تاريخ الحبسة إذ فكك وحدتها وتجانسها وارتباطها السابق بعالم البحر المتوسط، مما ترتب عليه استبدالهم بتجارة العرب المسلمين في موانى البحر المتوسط المصريين واليونانيين واليهود الذبن كانوا هناك من فبل.

ولم تقم أية مساحنات ببن المسلمين والمسيحيين زهاء ستة أو سبعة قرون تعريبا، إذ لم يكن هناك ما يدعو لمنل ذلك، كما كان مع الصليبيين الذبن سكلوا تاريخ البحر المتوسط الأوسط. وربما كان سبب ذلك هو أن كنيسة الحبسة كانت تتبع الكنيسة المصرية والسورية التي ندين بالمذهب اليعقوبي، وبذلك استفادوا من التسوية التي عفدها الفبط مع العرب في مصر. وقد

كان الأساقفة الأحباس خلال العصور الوسطى وحتى خلال الحروب الصليبية موجودبن بالهاهرة، كما كان الآلاف من الحجيج الأحباش وكانوا بتوقفون للاحتفال بالصلاة والعبادة. والواقع أن صلاح الدين الذي عمل العدو اللدود للصليبين المسيحيين هو الذي أهدى كنيسة القدس للحبشة، لتكون قبلة المسيحيين ومركزهم الدبني.

ولم يكن الخطر الحقيقي على الحبسة الوسطى ليأتي إليها من مسلمي السهال، وإنما من وننيي الجنوب، ولا نستطيع سرد تفاصيل ذلك الخطر الذي أحدق بهم، لعدم وقوفنا على تفاصيل الأزمة التي حدتت هناك، ولم يكن نمة ما يشير إلى حدوث كارتة سوى رسالة خطها ملك الحبسة في أواخر القرن العاسر إلى أخيه الملك جورج ملك النوبة، يروى له فيها كارثة خطيرة حلت بالبلاد، فدمرتها وتركتها خاوية على عروشها، بعد أن تعرضت لغزوات من جانب دولة وتنية مجاورة. ومن المحتمل أن تكون هذه الدولة هى دولة «آجاو» في منطقة داموت على النيل الأزرق. وتعتبر فترة استرداد المملكة المسيحية في الحبشة أكبر فترة بطولية في تاريخ الحبشة في خلال قرنين ونصف، استطاعت هذه الأسرة البطركية أن تمد حدود الدولة السياسية والدينية سهالا لتسمل مقاطعات أمهرة ـ لاسا ـ جوجام ـ وداموت، وأصبحت أمهرة ـ وليست مقاطعة تيجرة الشهالية ـ مركزا لهذه المملكة. وكان هذا الامتداد الجنوبي الذي كان ردا على تهديدات الونيين هو الذي سمح بتوسع الإسلام من ساحل البحر الأحمر إلى الداخل على طول الحدود الشرقية للملكة المبشية.

ويبدوأن تيار الهجرة العربية لم يتجاوز البحر الأحمر الذى كانت سواحله تكون جزءًا من عملكة الحبشة إلا بعد ظهور الإسلام بقرون.

وحتى القرن العاشر لم تكن هناك إلا أسر إسلامية قليلة العدد تقيم في مدن الحبشة الساحلية، إلا أنه في نهاية القرن الثاني عسر أدى تأسيس دولة عربية إلى فصل بعض الأراضي الساحلية عن مملكة الحبشة.

ومنذ بداية القرن العاشر نمت عدة دول إسلامية ابتداء من ميناء زيلع وفي اتجاه النسال مع طريق التجارة الطبيعي نهر هواش، متتبعة إلى حد كبير طريق الخط الحديدي الحديث إلى أديس أبابا. وكان يقوم بحكم هذه الدول سلالة صومالية الأصل تعمل في تجارة الرقيق والعاج

والذهب مع الوتنيين والدول المسيحية. وكان من الطبيعى أن يمتد نشاط التبادل التجارى ليسمل سودان وادى النيل، وربما أوغندا أو سال كينيا وكانت وظيفة هذه المالك الرئيسية هى التجارة، وبذلك حلت فى القرون الوسطى محل نشاط مروى مم أكسوم القديمة، كدول تجارية فى وسط إفريفيا. ولم يكن كل هذا يهدد مركز المملكة المسيحية هناك..

وحدث سنة ١٣٠٠ أن شق أحد الدعاة ويدعى أبا عبدالله محمدا، طريقه إلى بلاد الحبسة داعيا أهلها إلى الإسلام ولما تمكن من أن يجمع ماثتى ألف شخص هجم بهم في السنة التالية على حاكم أمهرة واشتبك معه في معارك كبيرة. وقد اتخذ الملك سيف أرعد (١٣٤٢ ـ ١٣٧٠) تدابير صارمة في مملكته ضد المسلمين، تقضى بإعدام كل من بأبي دخول المسيحية أو نفيه من البلاد.

وفى نهابة القرن نفسه عمت البلاد حالة قلق واضطراب لانشغالها بالحروب الداخلية مما مهد للقبائل العربية المختلفة التى استقرت على طول الساحل لأن يجعلوا من أنفسهم سادة على المنطقة الساحلية بأجمعها وطردوا الأحباس إلى الداخل (٥)

ولكن كل هذا لم يكن يهدد المملكة المسيحية هناك، وبدأت المملكة المسيحية الجديدة بعد أن استردت سلطتها ومركزها في المنطقة في أواخر القرن التالث عشر، وبعد أن آلت إلى مجموعة الملوك الأول من أسرة سولومبيك بدأت التحرش بالمسلمين، ونجحت في خلال القرن الرابع عشر في أخذ الجزية منهم. وكان كل هذا في الوقت الذي لم يصل فيه العداء بين المسلمين والأحباش المسيحيين إلى حرب دينية سافرة. وفي القرن الخامس عشر قوي حكم الحبشة، وفكر سكان المنطقة كمسلمين لا كتجار في تنظيم النورات في سبيل الانتصار أو الاستشهاد.

وكانت نتيجة التورة الأولى زوال أكنر الدول الإسلامية وتحطيمها، منل إيفات التي طورد حاكمها حتى زيلع حيث قتل عام ١٤٦٥، وسقط شال إيفات تحت حكم الحبشة المباشر. وقد قيل: إن الملك بنيد ماربام (١٤٦٨ ـ ١٤٧٨) قضى الجزء الأكبر من حكمه في محاربة المسلمين المقيمين على الحدود القريبة من مملكته (٢٥).

إلا أن قادة المسلمين وأفراد الأسرة الملكية استطاعوا، بعد أن تراجعوا إلى اليمن، تجميع

ستاتهم، واسترداد بعض قواتهم، فعادوا إلى الجزء الشرقي العصى من الساحل الصومالي، ليبدأوا في إنساء أول دولة إسلامية بين الحبسة والأطراف الجنوبية أطلق عليها «دولة عدل»، معلنة الجهاد ضد الحبسة جهادا على أيدى قوة حقيقية منظمة.

وفي أوائل القرن السادس عشر كان الأنراك العثمانيون قد وصلوا إلى مصر، ومعهم الأسلحة النارية المختلفة، واستطاعوا أن يصلوا بها إلى موانى البحر الأحمر في الجنوب وفي بلاد العرب أيضا، ووجدوا في «دوله عدل» مجمعا إسلاميا مترابطا، يستطيع استخدام هذه الأسلحة ضد الأحباش المسيحيين. وهذا ما فعله أحمد القرين أمبر عدل المسلم المستقل الذي يروى عن نفسه أنه كان ابن أحد قساوسة إيجو المسيحيين، وكان قد ترك موطنه، وهداه الله إلى الإسلام في عدل، فقد غزا أحمد القرين بلاد الحبشة من ١٥٢١ ـ ١٥٤٣، وانضم إلى جيشه الظافر كتير من زعاء الأحباش مع أتباعهم وأصبحوا مسلمين. وفضل بعض أهالي بعض المقاطعات أداء الجزية، إلا أن التحول الواسع النطاق إلى الإسلام يوحي بأن المركة بعض المقاطعات أداء الجزية، إلا أن التحول الواسع النطاق إلى الإسلام من جيوشهم لقيت تأييدا من العامة، وقد طلب الزعاء المسيحيون الذين تحولوا إلى الإسلام من جيوشهم الاقتداء بهم ففعلوا، ومنهم كنير من الزعاء المبيعيون الذين تحولوا إلى الإسلام من جيوشهم عدل بقيادة أحمد القرين تقضي على الدولة الحبشية لولا تدخل البرتغاليين في آخر لحظة عدل بقيادة أحمد القرين تقضي على الدولة الحبشية لولا تدخل البرتغاليين في آخر لحظة نفسه ١٥٤٢، إذ استطاع الأحباش بمساعدة البرتغاليين إيفاف الغزو الإسلامي وقتل أحمد الفرين نفسه نفسه نفسه ١٥٤٢.

ومع ذلك فقد استقرت دعائم الإسلام في تلك البلاد، وبقرر بعض المؤرخين ذلك الاستقرار إلى حالة القلق التي سادت الحبشة بقية القرن السادس عشر وما يليه، وكانت الكنائس المسيحية مشغولة بالتنازع فيا بينها انسغالا لم يمكنها من التفرغ للعدو المسترك، حتى أعلن بعض القواد صراحة: إنه من الخير أن يخضعوا للحاكم المسلم من أن يظلوا على مخالفة البرتغاليين.

وقد اختلطت الحركة الدينية بالحركة الوطنية، واتخذت خطوات واسعة، أدت إلى طرد البرتغاليين حوالي عام ١٦٣٢، وإخراج كل المسيحيين الأجانب من البلاد. وأصيبت الحبسة إذ ذاك بضرب من الفوضى وسوء النظام، وقد استغلت بعض قبائل الجلاهذه الفرصة، فشقت طريقها إلى تقلب البلاد، حيث لاتزال أماكن استيطانها باقية إلى الآن.

ويبدوأن الإسلام أحرز تقدما في خلال هذه الفترة، إذ ذكر بعض رحالة القرن السابع عشر أن معتنقي الدين الإسلامي كانوا في ذلك الوقت منتشرين في جميع أنحاء الحبشة، وأنهم يؤلفون ثلث السكان. وفي القرن التالي زاد الإسلام انتشارا بفضل أفراد كانوا يعيسون في عزلة هنا وهناك، وساعد على ذلك ظهور أمراء مستقلين، كانوا كتيرى العطف على الإسلام، رغم أن كل أمراء الحبشة كانوا _ وفقا لفوانين البلاد _ من المسيحيين، وكذلك الطبقة الأرستقراطية، بل وبعض كبار المسلمين تظاهروا بالتحول إلى المسيحية جريا وراء مظاهر العظمة المادية التي يوفرها لهم اعتاق هذا الدين، ولكنهم رغم ذلك كانوا يستخدمون كل ما لهم من نفوذ في نشر الإسلام (٧).

ورغم ما كانت توفره المسيحية لمعتنقيها من التفوق المادي والجاه والمنصب إلا أن الإسلام كان يوفر لمعتنقيه من التفوق الأدبي والخلقي ما يهيئ لهم النجاح في حياتهم وفي نشر دينهم وجذب الناس إليه، حتى إن الاختيار في الحبسة كان بفع على الشخص المسلم لسغل المناصب التي تتطلب الأمانة والثقة والحيوية والنشاط والعلم.

إن الإسلام أحرز في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر تقدما كبيرا، وإن كان بطيئا، ساعد عليه انحطاط رجال الكنيسة، وما شجر بين زعاء الحبسة من منازعات. وبدأ نساط التجار المسلمين واضحا في نشر الإسلام، حتى قيل: إنه اعتنق الإسلام في خلال المائة عام الأخيرة من هذا القرن كل قبايل الحباب القاطنة بين خطى عرض ١٦، و ١٧ إلى السال الغربي من مصوع، وكانوا يحملون أسهاء مسيحية إلا أن قلوبهم كانت عامرة بالإيمان والإسلام. وساعد على انتشار الإسلام أن الإسلام لم يكن يعرف التعصب أو العداء للمسيحية، كما أشيع عنه أنه يورث طول العمر وحسن الحظ.

ولعل نور الإيمان الذي كان يشرق في وجوه المسلمين السود فيضفي عليها النضارة، كما أن النظافة التي تصاحب الإسلام، وتتجلى في طلب الطهارة دائها، والإكتبار من الوضوء، ومظاهر الصلاة وما فيها من خشوع في القيام والركوع والسجود وقراءة القرآن بترتيل جميل، كل ذلك كان يلفت النظر في هذه البلاد، فيحيط الإسلام والمسلمين بهذه الهالاب الطيبة والشائعات الساذجة، فالنظافة طريق الصحة، والإيمان يفتح أمام الإنسان طريق التفاؤل والأبواب المغلقة للنجاح.

وقد أصبح الدين الإسلامي الآن راسخا بعيد الغور في الحبسة، وأصبح المسلمون يملكون ناصية التجاره كلها، كها بملكون المهن الصغيرة بأنواعها في البلاد، ولهم أملاك واسعة، وهم بسيطرون على الكنير من المدن والأسواق الهامة، ولهم نفوذ قوى في السعب.

ويرجع الفضل في ذلك إلى الدعاة المسلمين وحماسهم وإخلاصهم، وقد لخص أحد المبشرين المسيحيين ذلك، فقال: لو أن هناك أحمد قرين آخر يقوم وينشر راية النبي لصارت بلاد الحبشة مسلمة بأسرها.

ولكن حدتت نكسة في هذا النجاح عندما وقع الشقاق بين الحبشة والحكومة المصرية المهم على إخوانهم في الوطن، وتطورت الأمور إلى المناداة بالاقتصار على دين واحد هو المسيحية، وسادت وسائل القهر والتعميد الإجباري، ولكن ذلك لم يوهن عزم المسلمين أو إيمانهم، بل زادتهم تمسكا بالدين الإسلامي سرا وعلنا كها قامت السيدات الحبشيات المسلمات بدور خطير في تلك الفترة الحرجة مما ساعد على تثبيت دعائم الدين الإسلامي.

وقد اغتنم ملك كافا ، الولاية الصغيرة التي كانت تعترف بالسيادة الحبسية، فرصة تهديد الإيطاليين وأتباع المهدى للملك جون، وأعلن استقلاله وإسلامه، وظل إلى أن غزاه وأسره الملك منليك، وأعاد كافا تحت سيطرته.

ولكن كل وسائل القهر والقمع لم تمنع الدين الإسلامي من النمو والانتشار خلال القرن التاسع عشر في الحبشة، حتى لقد أسلمت قبائل بأجمعها كانت تدين بالمسيحية، ومازالت للآن تحمل أسهاء مسيحية وقلوبا مسلمة، منل قبيلة تاكلبة وغيرها، مما يرجع إلى جهود الدعاة المخلصين.

إن تاريخ الحضارة الإسلامية في الساحل الإفريقي المُرقي ازدهر في القرن التالث عسر في الساحل الشرقي لإفريقيا لأنه وثبق الصلة بأرض الإسلام، وعلاقته بها كبيرة وعميقة، ولكن الحقائق المعروفة عن الوطن الأول لاستقرار العرب على الساحلُ السرقي ضئيلة جدا، منها أحد الكتب التاريخية العربية، وجده البرتغاليون في مدينة كلوة، فيه أحاديث عن أول من هاجر من العرب إما نفيا أو هربا، وهم جماعة من الشيعة الزيديين نجحوا في الاستقرار في هذه

البلاد، وتبعهم جموع من أهل السنة قدموا من الشاطئ العربى للخليج الفارسي من موطن لا يبعد عن البحرين، وأنهم بنوا مدينة مقديشيو التي أصبحت فيا بعد سيدة على كل عرب الساحل، يسودها العرب المسلمون. ويحكي الكتاب أن هؤلاء العرب المسلمين اختلطوا بأهل البلاد الأصليين، ومنهم من توغل في الداخل، وتطبعوا بطباع السكان الأصليين وأخلاقهم.

وقد اتسعت مقديشيو المسلمة حول منتصف القرن العاشر، وظلت أقوى مدينة على الساحل زهاء سبعين عاما، إلى أن جاء مسلمون آخرون من جنوب الخليج ينسب زعيمهم إلى أحد ملوك شيراز، ورسوا على ساحل زنجبار هربا من اضطهاد الفرس أيضا وأنهم أسسوا مدينة كلوة التى أصبحت تنافس مقديشيو بمركزها المستقل.

وبهذه الطريقة ظهر عدد من المدن العربية الإسلامية على طول الساحل الشرقي، من خليج عدن حتى مدار الجدي على حافة المنطقة التي كان جغرافيو العرب في العصور الوسطى يطلقون عليها اسم بر الزنج، ولابد أنه كانت هناك جهود كبيرة للدعوة إلى الإسلام، ولكن الكتابات عنها _كم قلنا _ قليلة أو مختفية عند الأسر المسلمة، أما القصص التي تصحبها فكنيرة مئيرة، وكلها تتبلور في علاقات تجارية عريقة بين هذه البلاد والعرب المسلمين، وأن تعرف هؤلاء الزنج على الإسلام كان يفتح قلوب أهل البلاد للمسلمين، ويرغبهم في اعتناق تعرف هؤلاء الزنج على الإسلام كان يفتح قلوب أهل البلاد للمسلمين، ويرغبهم في اعتناق الإسلام، والعمل بتعاليمه، والرغبة في التعرف على مواطن الإسلام في مكة والمدبنة، بل والتفقه في الدين والتمسك بآدابه.

إن تاريخ الحضارة الإسلامية في الساحل الإفريقي السرقي ازدهر في القرن الثالث عشر، وكان العرب _ كها قلنا _ بساركون في التجارة الواسعة في المحيط الهندي، وأسسوا حوالي أربعين مدينة مسيدة بالأحجار، وبعيدة على الساحل الشرقي الإفريقي، كها أن هناك مسجدا في جزيرة زنجبار يرجع إليهم. وتشير الاكتشافات الحديثة في خرائب أحد القصور بمنطقة حصن كبوا في جزيرة كلوة إلى وجود آثار الفن الفارسي الذي ينسب إلى الفترة من القرن العاشر إلى القرن الثاني عشر.

وتروى آثار المنطقة أنه في منتصف القرن النالث عشر وحتى وصول البرتغاليين في نهاية القرن الخامس عشر كان يخيم على ساحل شرق إفريقيا هدوء وسلام شاملان، وقد استقرت

جماعات إسلامية متحضرة على طول الساحل الصومالي الكيني التنجانيفي، وأخذوا يشيدون بيوتهم من الكتل الصخرية كما استوردوا الفخار من سيام والخزف الصيني القديم ومعادن الصين، وقد صك سلاطين كلوة نقودهم النحاسية في هذه الفترة في دور سك النقود، ليمكن تدولها في أي مكان من إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى.

وكانت كلوة تعيش على تجارة أوديسيا وربما كاتنجا أيضا، وعرفت ماليندي وبمبسة منذ القرن الثاني عشر بمناجمها الغنية بالذهب الذي كان يصدر إلى الهند، وكذلك مصانع الصلب لعمل السيوف وغيرها. وكان يوجد في مقديشيو مصنع للنسيج، ينتج الأقطان والملابس المصنوعة من وبر الجمال لتباع في أسواق مضر. وقد كان التقدم االمادي واضحا في القرن النالث عسر، وتبع هذا أيضا التقدم في الناحية النقافية والفنية التي انعكست على رخاء المناطقة، وقد امتد أتر المسلمين في المحيط الهندي على الجانب الآخر من مجال توسعهم.

سهد القرن الثالت عسر بداية توغل المسلمين في الهند وأندونيسيا توغلا كبيرا، كما شهد أيضا إسلام الهندوس وبناء حضارتهم في مدن الملايو وجاوة وسومطرة، ومن المحتمل أن تكون هذه العناصر اندبجت مع عناصر إسلامية أخرى في منطقة الساحل. وفي بداية القرن النالث عشر كانت معظم تجارة المحيط الهندي تمر عبر الأراضي الإسلامية. وفي هذه الفترة ظهر الأراض الديني واضحا، فانعكس على المساجد والمقابر الإسلامية على الساحل الشرقي وبين الداخل الإفريقي من الشرق أيضا، ففي بيئة البانتو تعيش العناص الصومالية ـ السواحلية التي عملت في التجارة بعد دخولها الإسلام، فتبادلوا التجارة برا مع الجالا الوننيين في جنوب مملكة المبشة، كما حدث اتصال بحري مع جماعات جنوب كلوة. وأمضا نرى آخر في مناطق الذهب على الساحل وفي روديسيا ومناجم النحاس في كانتيا ولم يكن هناك أي اتصال يذكر بين ساحل زنجبار ومنطقة البحيرات التي كانت منطقة ازدحام سكاني في شرق إفريقية، وتشير ساحل زنجبار ومنطقة البحيرات التي كانت منطقة ازدحام شكاني في شرق إفريقية، وتشير الدلائل الأنرية إلى قيام ممالك منظمة ظهرت في القرنين التالت عشر والرابع عشر على الأقل، عشر عن وجود أي أتر مها كان ضئيلا في المناطق البعيدة عن الساحل، والسبب في ذلك وجود عشر عن وجود أي أتر مها كان ضئيلا في المناطق البعيدة عن الساحل، والسبب في ذلك وجود الإفريقي الذي يعمل على وجود فاصل كبير بين الساحل وبين منطقة البحيرات، يتمتل في أراضي غير صالحة للزراعة متميزة بجفافها، وكانت تعتلها جماعات من الحاميين يتمتل في أراضي غير صالحة للزراعة متميزة بجفافها، وكانت تعتلها جماعات من الحاميين منطقة المعربة عن متميزة بمنافها، وكانت عتلها جماعات من الحاميين

النيلين وكانت لهم مثل وعادات تتعلق بمساعدة وحماية القوافل. وظل الحال كذلك حتى القرن التانى عشر عندما تدفق البانتو من تنجانيقا إلى جنوب البحيرات للزراعة، وفي نفس الوقت فتحوا طريق التجارة بين الساحل وداخل افريقية.

وفي النصف الثاني من القرن الثالث عشر كانت مملكة أوغندا على سواحل بحيرة فكته ربا الشيالية العربية تستورد الأفسمة القطنية وسلعا أخرى من العالم الخارجي. وفي هذه الفترة كان الاحتلال البرتغالي قد سيطر على ساحل زنجبار. ولم يكن لهذا الاحتلال أتار عميقة في الساحل بل إنه انعدم تماما في الداخل إذ كانت أهداف البرتغاليين على شواطئ موزمبيق وزنجبار وبمبا وممباسا ومجموعة جزر لامو. وقد اقتصرت أهدافهم الأساسية في المنطقة على الحصول على ذهب الزمبيري وقاعدة موزمبيق البحرية التي تتجر فيها السفن من شرق الهند إلى جوا رأسا. ولقد حدث أن تحولت تجارة الذهب فأخذت طريقها إلى أوربا وذلك بعد سنوات قليلة من الاحتلال البرتغالي هناك وأصبحت مدينة كلوة قليلة الأهمية واستقر العرب في المناطق الواقعة إلى شهالها لتندمج مع البانتو السواحليين الذين كانوا على علاقات مع العرب والخليج العربي. وفي عام ١٥٩٣ سعى البرتغاليون للسيطرة على الساحل فبنوا الحصون التي فيها تلك القلعة للسيطرة على الساحل فبنوا الحصون المساة بحصن يسوع في عباسا حدث ذلك في الوقت الذي خرجت الأجزاء الشهالية الشرقية من المحيط الهندي من قبضتهم وفي ١٦٢٢ طردوا من الخليج العربي، وفي منتصف ذلك القرن شهد الملاحسون العنمانيون هجوما على جنوب زنجبار، وفي ١٧٠٠ طردوا البرتغاليين من حصن يسوع وفي القرن التامن عسر كان الساحل الشرقي لإفريقية شبال رأس ويلكادو قد اسنرد علاقاته واتصالاته بالعالم الخارجي، وخرج الساحل وزنجبار نهائيا من قبضة الاحتلال البرتغالي، وبذلك عادت العلاقات التقافية والتجارية مع المراكز الإسلامية الرئيسية، وشهد القرن الىامن عشر مولد مدن وممالك سواحلية معظمها تحت الحكم العربي، وقد اندمجت هذه المالك تحت زعامة أئمة عمان. ومن هذه القواعد العربية بدأ التوغل الجدي من الساحل إلى داخل القارة.

ولكن تأثر أهل البلاد داخل القارة بالإسلام كان قليلا قلة ملحوظة، وحتى قبل الفتوحات البرتغالية تحولت قلة إلى الإسلام وكانت في الحدود الساحلية وكذلك بعد تدهور النفوذ البرتغالي في هذا الجزء من العالم.

وإلى أن جاء القرن العشرون كان من العسير أن تبذل جهود في نشر معارف الإسلام بين قبائل الجهات الداخلية فيا عدا الجلا والصومال، ولم يكن الإسلام قوة حقيقية في شرقي إفريقية، تصبغ أهل البلاد بصبغة الحضارة والمدنية. ومها تكن القوة الروحية والمعنوية في الدين الإسلامي فإنها ظلت مستكنة وسار الإسلام في بطه في هذه البلاد بصورة أدهشت المؤرخين الذين أرجعوه إلى عدم قابلية الأهالي هناك للحضارة، بدليل أنهم اتصلوا زهاء خمسة قرون بشعب نصف متحضر، فلم يترك فيهم ذلك أقل أنر للصفات الحضارية التي كان يتصف بها جيرانهم، وأصبح الفارق بين إفريقيا الداخل والخارج كبيرا. أما أوغندا فإن نشاط التجار بها جاء بالتمرة المرجوة، ويرجع بعض المؤرخين ذلك إلى ما يتصف به أهل أوغندا من روح الحرية والعزة مما يتفق وتعاليم الإسلام، فوجدوا فيه ضالتهم، وأقبلوا عليه، وأسلم كثير منهم في عهد الملك مونرا. ولكن دخول إرساليات مسيحية سنة ١٨٧٥ جعلت النشاط الديني منهم في عهد الملك مونرا. ولكن دخول إرساليات مسيحية سنة ١٨٧٥ جعلت النشاط الديني يشغلون مراكز هامة، ويقال: إن عددا كبيرا من بلاد يوسوجا الواقعة في شهال أوغندا والتي يتضع للنفوذ البرتغالي قد دخل الإسلام سنة ١٩٠١، وذكر أن عدد المسلمين بها بلغ تخضع للنفوذ البرتغالي قد دخل الإسلام سنة ١٩٠١، وذكر أن عدد المسلمين بها بلغ تخضع للنفوذ البرتغالي قد دخل الإسلام سنة ١٩٠١، وذكر أن عدد المسلمين بها بلغ

وباستثناء أوغندا كان الإسلام حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر منحصرا في البلاد الساحلية وما يتاخها، وقد سجل الإسلام نجاحا كبيرا بين قبائل الجلا والصومال. وقصة دخول الجلا في الإسلام يكتنفها الغموض، ولكن معظمهم الآن مسلمون في تعصب وحماس، وبعضهم مازال وننيا. ويكنر المسلمون في السهول، ويقلون في الجبال، مما يوضح أتر الدعاة المسلمين والتجار الذين كانوا يجدون متسعا من الوقت لنشر الدين بما توفر لهم من إيمان وحب للدعوة ولباقة ومال وقكن من اللغة، أما الصومال فقد كان القرب الشديد بينهم وبين موطن الإسلام في الجزيرة العربية سيجعل هذه البلاد مسرحا لنشاط الدعوة الإسلامية في أبامها الأولى، ولكن للأسف الأخبار قليلة، وقد ذكر ابن حوقل أن أهالي زيلغ كانوا مسيحيين في النصف الناني من القرن التاسع الميلادي، وذكر أبوالفدا أنهم مسلمون في القرن الرابع عشر الميلادي.

وهناك الكثير من القصص التي تحوط بالدعاة الأوائل للإسلام في الصومال، ومنهم النسيخ إبراهيم أبو رزباي، الذي شق طريقه إلى مدينة هرر، وتحول على يديه الكثير إلى

الإسلام، ومازال ذكره موضع التكريم، كما أن هناك بالقرب من بربرة جبل يسمى جبل الأولياء، نسبة إلى هؤلاء الدعاة الأوائل الذين كانوا يعيشون في خلوة مفدسة، يدعون إلى الدين الإسلامي الحنيف. وقد ساد الإسلام شيئا فشيئا جميع أنحاء إفريقيا السالية الشرقية، ولكن تزايد نفوذ الإمبراطور متلتيك واحتلاله هرر عام ١٨٨٦ أدى إلى تحول عدد معين إلى المسحمة.

وهكذا نرى الدعوة الإسلامية في شرق إفريقيا تلقى نجاحا كبيرا أحيانا وتعنرا أحيانا أخرى، وقد يحدث ذلك لأسباب كثيرة، منها ما يرجع إلى أهل البلاد أنفسهم ومدى تقبلهم لدعوات الروح والمدنية، كما في قبائل الداخل من إفريقيا، وقد ترجع إلى أحداث تاريخية، كما رأينا في الحبشة، وقد ترجع إلى النشاط التبشيري المسيحي الذي بمتاز بالسعار والخبث - حتى إن أحد المبشرين المسيحيين اعترف لطبيبة مصرية عالمة من المهتات بالشئون الإسلامية، ولم يكن يعرف دينها، أنهم يذيعون بيانات خاطئة عن فشل ألتبشير المسيحي في إفريقيا ونجاح الدعوة الإسلامية، وذلك ذرا للرماد، وليطمئن المسلمون فلا بنشرون دعاتهم. ولكن علي أي حال ليس صحيحا ما يدعيه بعض الكتاب الغربيين من أن السبب في عدم نشر الدين الإسلامي بين قبائل الداخل في إفريقيا أن المسلمين يجلبون من هناك الرقيق، فليس في صالحهم نشر الدين بينهم، وليس صحيحا أن السبب في انتشار الدين أي دين هو النفوذ الأوروبي الذي منع الرقيق، وأعطى الحرية، السبب في انتشار الدين أي دين هو النفوذ الأوروبي الذي منع الرقيق، وأعطى الحرية، فالعكس هو الصحيح، فالإسلام دين الحرية، والنفوذ الأوروبي عبودية.

وفي القرن التاسع عشر كانت الحضارة الأوربية قد استوت على سوقها، وتقدمت تقدما واسعا في الميدان العلمي والتكنولوجي، وسادت العالم صناعيا، والصناعة في حاجة إلى خامات وأسواق ومجالات لتوظيف رؤوس الأموال، وبلغ التكالب على القارة ذروته في أواخر القرن التاسع عشر، وأخذ صورته الدولية في مؤتمر برلين عام ١٨٨٥، وكابدت القارة هذا السعار المحموم على الموارد، وانعكس ذلك على رسم الحدود السياسية لإفريقيا في ضوء معرفة محدودة ومطامع واسعة، دون مراعاة لأبسط قواعد التخطيط. ولا نكاد نجد في أية قارة اضطرابا في الحدود يشبه ما في إفريقيا.

وفي أوائل القرن العشرين كانت القارة كلها، إلاني أجزاء محدودة، قد أصبحت في فبضة الاستعمار.

وعندما بدأت الشعوب الإفريقية تفيق لنفسها، وتشعر بكيانها ، وتطالب بحريتها، وتصمم على نيل استقلالها، بدأت قبضة الاستعار تتراخى مرغمة من إفريفيا. وفي سرعة لا نظير لها، وفي مورات متتابعة، استقلت معظم أقطارها بحدودها السياسية المضطربة وما تحمل من مشكلات اقتصادية وقبائلية وثقافية، وأخذت الدول الاستعارية القديمة والدول الطامعة الجديدة والقوى العالمية تبحث لنفسها عن وضع جديد في القارة، يكنها من إعادة السيطرة عليها.

وزى اليوم الدول الاستعارية، وقد جاءت من جديد تتحدث في إشفاق مصطنع عن التخلف الإفريقي، وقد صنعته بأساليبها، وتنادي بالقضاء عليه في صورة جديدة، تسميها رسالة الرجل الأبيض، ويكن أن نطلق عليها استعارا جديدا واستعارا مقنعا، ولكن بعض الدول الإفريقية تنبهت إلى هذا اللون الجديد من الاستعار، وهي تحاول الاحتفاظ باستقلالها الذي حصلت عليه، فلا تخدعها هذه الصيحات الزائفة.

ونختتم البحث بقول هسلتين: «إن الإسلام عمل إلى إفريقيا الكرامة والمساواة لمن اعتنقوه، وأدى امتزاج السلالات إلى انعدام الحاجز اللوني... وأنتج هذا الامتزاج شعوبا لها منزلتها كالشعوب السودانية وشعوب شرق إفريقيا، قامت دون شك بدور كبير في بناء إفريقيا الحدينة. وقد عمل الأوربيون المسيحية إلى إفريقيا حملها المبشرون الكانوليك من البرتغاليين والفرنسيين وغيرهم، ثم جاء البروتستانت بعد ذلك. ومع هجرة الأوربيين قامت الفرقة بين الماكمينوالمحكومين على أساس عنصري، ومارس الأوربيون التفرقة العنصرية، وحملوا معهم دينا يبشر بالإخاء بينا احتفظوا لأنفسهم بحقوق شخصية، كانوا يبشرون بالمساواة بين البسر أمام الله ويمارسون أشد أنواع التفرقة، وكان المبشرون من جنس غير جنس رعايا الكنيسة، وكانوا على ارتباط بالإدارة الاستعارية» (٨).

ويتابع هسلتين دراسة لهذا الموقف ، ويبين أثر الفروق بين المذاهب المسيحية الدينية على بلبلة أذهان الإفريقيين، وكيف أنه في ظل الإسلام كانت الفرص متاحة لأي إفريقي لأن يصبح من الهيئة الحاكمة، بخلاف ما حدث في ظل الاستعار المسيحي (١) ومما يجدر ذكره أن العلاقات العربية الإفريقية كان لها أثر كبير في نشر الإسلام في إفريقيا، وإدخال الحضارة إلى شعوبها. ويعتقد كثير من الباحثين أنه لو أتبح وقت أطول أمام تيارات الإسلام والعروبة لكان

onverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered versi

مصير إفريقيا اليوم مصيرا آخر، إذ إن الاستعار الأوربي عمل على إضعاف المقومات العربية والإسلامية في المناطق التي يسيطر عليها. حقيقة إن القرن التاسع عشر شهد حركات إحياء استمدت على إنعاش الثقافة العربية ونشر الإسلام بين القبائل الوئنية، إلا أن ذلك القرن أيضا كان عصر الصدام بين القوى الإسلامية من ناحية والاستعار الأوربي من ناحية أخرى، ولكن القوى الإسلامية افتقرت إلى القوة المادية التي تعينها على مواصلة هذا الصراع، وكانت النتيجة الحتمية هي استسلام المسلمين ونشر الاستعار نفوذه بين الشعوب الإفريقية.

000

الحواشي

- (١) المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ـ ص : ٨٩
 - (٢) انظر كتاب
- Freeman-Grenuille, The Medieval of History of the Coast of Tanganika, Berlin 1962.
 - (٣) ابن بطوطة في دائرة المعارف الإسلامية.
- 4 ~ Pins A., The Swahili Speaking peoples of Zenzibar and the East African Coast (Arab-Shiraz and Swahili) London 1961 and Freeman Grenuille, The East African Coast, Selected Documents from the First to Earlier 19 th Century, London 1962.
- (٥) المتفق عليه تاريخيا أن العرب كانوا أول من توغلوا في هضاب الحبشة لمسافات بعيدة وقد اتخذوا من مجارى بعض الأنهار وسيلتهم إلى ذلك غير أن مما يؤسف له أن معظم سجلات العرب قد مستها يد الضياع أو على الأقل لم تصل إلى أيدينا باستثناء بعض المصنفات العامة والخاصة التي تعرضت للمالك المسيحية وللمهالك الإسلامية.
- (٦) انظر نوثروب ستودارد: حاضر العالم الإسلامي ـ ترجمة عجاج نويهض، وتعليق شكيب أرسلان ـ المجلد الأول.
 عبدالمجيد عابدين ـ بين الحبشة والعرب من ص: ٨١ ـ ٩٢. يوسف أحمد ـ الإسلام في الحبشة ص: ٣٩.
- (٧) لقد كان الغموض يكتنف الحبشة لقرون عديدة، إذ لا تكاد تطالع أحدا من الرحالة العرب أو المسلمين كتب عن التوغل في هذه البلاد. ولعل هذا هو السبب في أن جغرافيي العرب لم يتعرضوا لذكر شي* له عيمة عن بلاد الحبشة. على أنه بتقدم الزمن نجد بعض المصنفات تشير إلى أقاليم الحبشة ومدنها، وإن كانت تفتقر في أحيان كثيرة إلى الدقة والصحة. حتى إذا وصلنا إلى القرنين: الثالث عشر، والرابع عسر الميلاديين نرى ذكرا لأسهاء بعض القبائل والأقاليم الحبشية، مثل أمهرة وسهرت، ودامسوت.
- 8-Heseltine, M. Remarking Africa, 1961, P. P. 148-149.
- 9- Ibid.

nverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered vers

المصادر

- الدكتور عبدالعزيز كامل _ نحو تخطيط علمي لدراساتنا الإفريقية _ الموسم النقافي ١٩٦٢. الجمعية الجغرافية _ القاهرة.
- ٢ _ توماس أرنولد _ الدعوة إلى الإسلام، نقله للعربية حسن إبراهيم _ مكتبة النهضة _ القاهرة
 ١٩٤٧
- ٣ ـ روستو ـ مراحل النمو الاقتصادي ـ نقله إلى العربية برهان دهاني ـ المكتبة الأهلية ـ بيروت
 ١٩٦٠.
- عمد أسد الطريق إلى مكة نقله إلى العربية عفيفي البعكيكي دار العلم للملايين. بير وت
 ١٩٥٦.
 - ٥ _ موجز تاريخ إفريقية _ ترجمه الدكتورة دولت أحمد صادق _ الدار المصرية للتأليف والترجمه.
- ٦ المشرق العربي بين الماضي والحاضر ـ دراسة في الجغرافيا الحضارية. للأستاذ الدكتور سليان
 حزين ـ المجلة العربية الجغرافية ـ ١٩٦٨.
- (7) Worthington G. B. Connaissance Scienhihique de L'Afrique, Berger. Levrault, Paris 1960.
- (8) Huzayyin, S.A., Arabia and the Far East, Soc. Roy. de Creog. d'Egypte, Le Caire, 1942.
- (9) Heseltine N. Remaking Amica, 1961.
- (10) Coupland, East Africa and Is invaders, Oxford, 1938.
- (11) Spencer, Trimingham, Islam in East Africa, Oxford, 1964.

nverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مسالكانتشار الإسلام

دكتور / يوسف ابو الحجاج



حتميات جغرافية بالية:

لا مناص من الاعتراف في البدء بأنني أطرق هنا موضوعا واسعا، لا يتيسر الإلمام بكل أطرافه في بحت أو حتى في عدة بحوث.

فالعالم الإسلامي دنيا فسيحة الأرجاء، حتى لو قصرنا هذا التعريف على الوحدات السياسية التي يؤلف المسلمون أكثر من نصف سكانها بإجماع التقديرات.

فهو يمتد نحو ١٤٠ درجة طولية: من درجة ١٢٠ السرقية، شرقي أندونيسيا حتى درجة ١٨ الغربية حيث سواحل السنغال التي هي أقصى أفطار العالم الإسلامي في الإتجاه الغربي.

وهو يمتد نحو ٧٠ درجة عرضية: من أعالي نهر الفولجا عند درجة عرض ٦٠ السمالية حتى درجة عرض ٦٠ السمالية حتى درجة عرض ٦ جنوب خط الاستواء حيت جزيرة زنجبار،

وتلك مساحة هائلة، أكبر منلا من مساحة كل القارة الإفريقية، وأكبر من مساحة قارتي أوربا وأمريكا الجنوبية مجتمعتين، فهي تبلغ نحو الني عشر مليونا من الأميال المربعة، ولعلها تصل إلى نحو أربعة عشر مليونا إذا أضفنا إليها المساحة التي تشغلها الأقليات المسلمة في الدول غير الإسلامية.

وفي هذه المساحة يعيش نحو ٨٠٠ مليون مسلم أو يزيدون، مما بجعل الإسلام يحتل المركز النانى بعد المسيحية من حيث عدد معتنقى الأديان السهاوية (١).

ويزيد من صعوبة الأمر في هذا البحث، أن يكون الباحث جغرافيا قد اختار «الظروف الجغرافية» محورا لبحثه، فأصبح من المفروض والمتوقع أن يبرز أئر العوامل الجغرافية في تحديد معالم خريطة الإسلام، وأن يتفنن في التدليل على قوة هذه العوامل وفي أعماق نفسه ميل جياس إلى إبراز أهمية تخصصه، أقول: إن ذلك يزبد من صعوبة الأمر بالنسبة لي في هذا البحث، لأن إطالة التأمل في شأن هذه الظروف الجغرافية، والإمعان في نحليلها، قد أقنعني بنتيجة _ أستأذن في أن أقفز إليها في صدر البحث _ ألا وهي: أن هذه الظروف لم تلعب في

الحقيقة إلا دورا ثانويا باهتا، وأن انتسار الإسلام إنما تم في الأغلب الأعم رغم أنف الظروف الجغرافية.

وقد كانت بواكير هذا الاستنتاج آراء قرأناها أو درسناها ضمن منهج الجغرافيا الاجتاعية، ونحن طلاب ناسئون، تبهرنا «الحتميات» الجغرافية التي تؤكد دور المكان أي البيئة الطبيعية، وتمعن في هذا التوكيد، إلى الحد الذي يستفز التفكير في الشك فيها، والرغبة في تمحيصها.

حتمية من هذه الحتميات التي لا تصمد في الواقع أمام التمحيص من الفول بأن خريطة الإسلام ترتبط إلى حد كبير بالمناطق الجافة، أى بالجهات الصحراوية. ويشفع أصحاب هذه الحتمية دعواهم بخريطة توضح حدود المناطق الجافة، (أي التي يفل مجموع مطرها السنوي عن ٢٥ سنتيمترا) موقعه على خريطة الإسلام.

والخريطة بهذا التصوير قد تغري القارى فعلا بقبول هذه الحتمية المحبوكة، ولكن قدرا يسيرا من التمحيص ينبت فورا أن مثل هذه الخريطة لا تعني خريطة الإسلام بالمعنى الجوهري للكلمة، ذلك أن العبرة في تحديد المقصود بالإسلام في هذا المجال هي بعدد المسلمين، وتوزيع هذا العدد في تلك المساحة الكبيرة التي نسلم بالطبع بأن نسبة الصحراء ترتفع فيها عما عداها من أقاليم المناخ، والتركيز على عدد المسلمين وتوزيعهم يبرز على الفور أن الجزء الأكبر من المسلمين إنما يعيشون اليوم في أقطار مطيرة، لا في أقطار جافة أو شبه جافة. فالواقع المستقى من الإحصائيات _ هوأن نسبة مسلمي الجهات المطيرة تصل إلى نحو ٢٦٪ من جملة المستقى من الإحصائيات _ هوأن نسبة العالية في أندونيسيا الاستوائية، وفي آسيا الموسمية، وفي إقليم البحر المتوسط، وفي إفريقيا خارج الصحراء، وفي بعض أجزاء اليمن المطيرة.

ويرتبط بهذه الحتمية رأي آخر يبدبه بعض الكتاب، ولا يقل سطحية عن سابقه، ألا وهو تعليل هؤلاء البعض لتراجع الإسلام عن الشواطئ الأوربية للبحر المتوسط. فهم يقولون: إن الإسلام الذي ظهر في بيئة صحراوية تغلب عليها البداوة ينظرون للزراعة نظرة احتقار، ولما كانت هذه الشواطئ الأوربية من المناطق التي تسود فيها الزراعة والكنير منها زراعة في مناطق جبلية، فإن المسلمين فيها كان نصيبهم الفشل، وبذلك تراجع الإسلام إلى الشواطئ الإفريقية لذلك البحر، حيث الزراعة _ إن وجدت _ لا تحتاج إلى مجهود كبير، وحيث تمتد

الصحراء حتى الساحل في بعض الجهات، ووراءه _ غير بعيد منه _ في جهات أخرى، مما يعنى بيئة قريبة من بيئة مهد الإسلام.

ومن الغريب أن بتواتر هذا الرأي في كتب الجغرافية الدينية في إلحاح يلفت النظر، رغم أنه لا يصمد أمام أي تمحيص ولو كان سريعا. فالحقيفة أن العرب في سبه الجزيرة العربية أهل واحات وزراعة، كما هم أهل ارتحال وبداوة، وزراعة المدرجات الجبلية معروفة منذ القدم في اليمن وعسير، والإسلام نشر لواءه راسخا ومكينا في وداي النيل رغم أنه بيئة زراعية بكل معاني الكلمة، والزراعة فيه تحتاج إلى الكئير من الجهد والمسقة. كما توطد الإسلام في الساطئ الشرقي للبحر المتوسط، أي في بلاد السام، حيث لا تختلف ظروف الزراعة في جوهرها عنها في السواطئ الأوربية. وفوق ذلك كله فقد ببت أن الزراعة في تلك السواطئ الأوربية قد أضمحلت بعد خروج المسلمين، (وقد ارتفع شأنها بعد ذلك في العصر الحديث بعد الثورة الزراعية والصناعية التي شهدتها أوربا، ولكن هذا موضوع آخر). أما الأسباب الحقيقية لتراجع الإسلام من تلك البلاد فلا ترتبط بهذه الحتمية الجغرافيه السطحية التي تنتهي إلى احتقار الإسلام المزعوم للزراعة، ولكن لها أسسها التاريخية والسياسية التي لا تمت بأي صلة لم يزعم هؤلاء الزاعمون.

وحتمية تالئة ذات طابع نصفة جغرافي ونصفه تاريخي: هي أن انتسار الإسلام لم يكن إلا نتيجة لتذبذب في المناخ، شأنه في ذلك كشأن الهجرات التي خرجت من شبه الجزيرة، كالهجرات الأكادية والكنعانية والآرامية. وهو زعم غير صحيح، لأن هذه الهجرات كانت هجرات عامة، يشترك فيها الرجال والنساء والأطفال، انتفلوا بحيوانهم ومتاعهم، بينا الفتح الإسلامي لم يشترك فيه غالبا إلا الرجال القادرون على الجهاد. وهذا الزعم غير صحيح أيضا في ضوء ما قررته بعض الدراسات الحديثة من أن الجفاف كان قد حل في بلاد العرب قبل ظهور الإسلام بقرن من الزمان، كها أن الأمطار قبل حلول هذا الجفاف لم تكن على كل حال بالأمطار الغزيرة بحيت تسمح بزيادة كبيرة في السكان، وبالتالي لم بكن هناك سبب يبرد الهجرة بعد حلول الجفاف هروبا من وطأته، مع فرض الصحة في توقيت هذا الجفاف. وفوق ذلك فإن العرب المسلمين لم يستوطنوا البلاد المفتوحة على أي نطاق واسع، ولم بحدت متل هذا

الاستيطان إلا بعد الفتح بوقت غير قصير. ولسنا إذن إزاء هجرة نسأت عن ضيق الموارد في شبه الجزيرة، والرغبة في احتلال أقطار جديدة بغرض الاستيطان.

تلك هي بعض الحتميات الجغرافية التي وردت في كتير من كتب الجغرافية الدينية، ولكن هذا ليس هو الموضوع الأصيل لهذا البحث، وإنما أورد هنا تقيها لمدى أتر الظروف الجغرافية في عملية انتشار الإسلام. ما هو النمط الذي اتخذته هذه العملية؟ وهل كان لهذه الظروف فعلا ذلك الأتر الذي نجد إبرازا له حتى فها يكتبه الجغرافيون المسلمون اليوم؟

في الجزيرة العربية:

لنبدأ بمهد الإسلام، بسبه الجزيرة العربية، فهنا منطقة هائلة المساحة، تتنوع فيها الأقاليم الطبيعية، فهي ليست مجرد بادية واسعة الأرجاء، سهلة التضاريس، كما فد توحي بذلك الخرائط العامة، ولكنها تتوزع بين السهول، وبين الهضاب والجبال الوعرة ممثلة في الغرب والجنوب، وفيها البحار الرملية الهائلة، والحرات البركانية المتضرسة. وفيها إلى جانب هذا التباين في ظروف السطح قدر من التباين في الظروف المناخية، وكان فيها وقت ظهور الإسلام ذلك التنافر والتناحر بين السكان، والتعدد في المعتقدات والاتجاهات. ومع كل ذلك فقد كتب للإسلام أن يكتسح هذه المنطقة الفسيحة التي تصل مساحتها إلى مليون ميل مربع بحلول العام العاشر للهجرة، وبذلك اكتسبت شبه الجزيرة وحدة دينية وسياسية لأول مرة، نم أخذن على عاتقها حمل الدعوة إلى ما جاورها من أقطار.

وهكذا بدأت الفتوح الإسلامية المعروفة. والذي ينبغي أن نبرزه أن المسلمين الأوائل قد انتقلوا بهذه الفتوح إلى بيئات جغرافية مختلفة وجديدة عليهم، ولكن النصر كان حليفهم في كل حال. ومن الصحيح أن من بين هذه الأقطار ما كان أرضا تمتاز باستواء السطح، أي بالخلو من العقبات الجبلية الكأداء، ومثل ذلك السهل العراقي، وإن كان هذا السهل لا يخلو من عقبات جغرافية من نوع آخر، تتمتل في كثرة ما به من مستنقعات أو أهوار، وكترة ما به من فروع للأنهار وقنوات للري. ولم يكن انتصار المسلمين في موقعة «القادسية» متلا بالأمر الذي يكن أن يسند فيه الفضل أو جزء من الفضل إلى الظروف الجغرافية، فقد كانت القادسية يومذاك يحف بها من ناحية الشرق نهر الفرات، وهو نهر كبير لابد من عبوره، ويحف بها من

جانب ميمنة جيس المسلمين مستنقع كبير لا يسهل اجتيازه، وإنما كان نجاح جيس سعد بن أبي وقاص في عبور الفرات والانطلاق شرقا حتى نهر دجلة أمرا يحسب ضد الظروف الجغرافية ولا يحسب نتيجة لها. وكان الأمر كذلك، وبصورة أسد جلاء، في المرحلة التالية حين أصبح نهر دجلة هو الفاصل بين المسلمين والفرس، حين خاطب سعد بن أبي وقاص جنده قائلا: «إن عدوكم قد اعتصم منكم بهذا البحر، فلا تخلصون إليه معه، ويخلصون إليكم إذا نساؤوا في سفنهم، وليس وراءكم شي مخافون أن تؤتوا منه، إلا أني قد عزمت على قطع هذا البحر إليهم». وكان أن عبر جيسه دجله، واستولى على بقية المدائن، وبسط المسلمون نفوذهم على المنطقة الوافعة شرقى النهر حتى بلغوا سفوح جبال زاجروس.

في بلاد الشام:

وكانت الظروف الجغرافية أشد عسرا في النسام. فهنا مناطق جبلية وعرة معقدة التضاريس تخترقها أودية عميقة، ومناخها غير المناخ الذي ألفه العرب في شبه الجزيرة، فهذا مناخ إقليم البحر المتوسط بخصائصه المعينة، ومركبه المحصولي المختلف، وغط زراعته الخاص. وكان من وراء الروم في هذا الفطر البحر المتوسط أو بحر الروم الذي كان لهم فيه أسطول كبير، مصلهم بموارد العتاد والتموين من بلادهم، ولنذكر أيضا أن هؤلاء الروم كانوا أكشر عددا، وأحسن عتادا من المسلمين. ورغم كل ذلك كتب النصر لجيوس المسلمين.

والواقع أن التحليل الجغرافي لموقعة اليرموك بظهر كيف أن ذلك النصر المبين الذي تحقق في نلك المعركة إنما تم رغم الظروف الجغرافية، وبكل جلاء ووضوح. فاليرموك رافد سرقي لنهر الأردن، ينبع من مرتفع في حوران، ويشق لنفسه خانقا ضيقا شديد التعرج في هضبة كلسية يغطيها البازلت، وقبل التقائه بنهر الأردن بنحو ٣٠ كيلو مترا بدور في شكل تنية نهرية، تلتف حول منطقة سهلية ليس لها سوى باب واحد من الجنوب. والمعروف عند الجغرافيين أنه في كل ننية نهرية يشتد النحت النهري في جانبها الخارجي، بحيت يصبح هذا الجانب شديد الانحدار، على حين يتركز الترسيب وينبسط السطح في الجانب الآخر، وقد عسكر الروم عند حافة الجانب الخارجي ذي الجرف المنحدر نحو النهر، أي نحو الجنوب، فكانوا بذلك في موقع يسهل عليهم منه أن يرموا جيس المسلمين المعسكر في الجنوب، في قلب تلك الننية النهرية،

ويسهل عليهم الهبوط من ذلك المنحدر، ولكن يشق على المسلمين. ومع ذلك فقد كتب النصر المؤزر للمسلمين، إذ ألهم الله المجاهدين أن تدور جمهرة جيسهم من وراء الروم حتى أحاطوا بهم بحيث يتعذر عليهم التقهقر نحو الشهال، واندفع المسلمون نحوهم فلم يكن أمامه إلا أن يتجهوا نحوخانق اليرموك العميق، نحو جرف النئية النهرية المنحدر، وحاولت خيولهم الإفلات من رقبة الثنية، أي بهابها، وألهم المسلمون أن يتركوهم يفعلون ذلك، أى أن يفسحوا لهم مجال الفرار، وبذلك تشتت فرسانهم في الفلاة، وعند ذلك انقض العرب على مساة الروم، فهوى أكثرهم في خانق اليرموك.

هذا إذن مثل لظروف جغرافية كانت مواتية لأعداء المسلمين، لا العكس، مثل للقوة الجبارة التي منحتها للمسلمين عقيدتهم المتوقدة.

في إيران وأفغانستان :

وسنجد الصورة أكثر جلاء وأعظم بهاء في ظروف إيران وأفغانستان ، وفي ظروف بلاد ما وراء النهر. فإيران وأفغانستان تمتاز كلتاهما بوعورة شديدة في السطح، وحدة بالغة في المناخ، والفتح الإسلامي الذي تم فيهما بسرعة مذهلة، إنما تم إذن رغم هذه الظروف.

فإيران تضم طائفة من السلاسل الجبلية الوعرة، منها جبال البرز التي تمتد نحو ١٠٠٠ ك. م، وتكنر بها الخوانق العميقة والتي قد يصل ارتفاعها إلى نحو ٢٠٠٠ متر فوق سطحالبحر، ومنها جبال زاجروس التي عبرها المسلمون، والتي تمنل حاجزا جبليا هائلا يتألف في الواقع من عدة سلاسل متعاقبة، ويصل عرضها إلى ١٥٠ ـ ٣٠٠ ك م، وتمتد من حدود الأناضول في الشيال حتى منطقة مكران وحدود باكستان، أي ما يزيد على ٢٠٠٠ ك م. وهي في جانبها المطل على العراق تزخر بالخوانق العميفة والسفوح الصخرية الوعرة. نم هناك المرتفعات السرقية على الحدود مع أفغانستان. وبين كل هذه الجبال يقع قلب إيران الذي يتألف من هضبة شديدة الجفاف، تتكون من العديد من الأحواض المتفرقة التي يغلب أن يتوسط الواحد منها مستنقع ملحي.

ولا تفل ظروف أفغانستان صعوبه وقسوة، فهناك جبال هندكوس والسلاسل المتفرعة منها، وهي نلي جبال الهيالايا في الارتفاع، وقد يصل ارتفاع فعمها إلى أكبر من ٨٠٠٠ متر فوق سطح البحر، وتستهر بإقفارها ووحستها ووعورة ممراتها، وهناك جبال سليان التي تؤلف في معظم أجزائها الحدود بين أفغانستان وباكستان، وبخترقها ممر خيبر السهير. وهناك هضبة البامير التي تتوزع اليوم بين أفغانستان وباكستان والصين، والتي تسمى «سقف العالم» لسدة ارتفاعها. وإلى جانب السهول الخصيبة التي يتركز فيها السكان، مل وادي «كابول»، ووادي «هرى رود»، ووادي «هلمند»، تتمثل في أفغانستان الهضاب المقفرة والسهول الصحراوية شديدة الجفاف، متل صحراء سيستان التي تسمى «صحراء الموت» لسدة جفافها ومسقة عبورها، والتي قال عنها أحد الرحالة الأوربيين: «لم أشهد في حياتي مكانا أكثر إففارا من عفره البادية، لا شي فيها على قيد الحياة، لا دبار ولا نافخ نار، ولا عودا من الخسب، ولا حتى عظمة جافة تدل على كائن حي فارق الحياة».

هكذا فإن جيوس المسلمين التي فتحت فارس وأفغانستان قادمة من العراق إنما واجهت ظروفا جغرافية معاكسة بكل المقاييس، خاصة وأن ذلك كان أول عهد المسلمين بحرب الجبال. والواقع أنه بعد أن عبر جيس سعد بن أبي وقاص نهر دجلة، ووصل إلى سفوح جبال زاجروس، ساور سيدنا عمر بن الخطاب شي من الخوف إن عبر المسلمون هذه الجبال، فقال رضي الله عنه: «وددت لو أن بيننا وبين العجم سدا، لا يخلصون إلينا ولا نخلص إليهم، حسبنا من الريف السواد».

ولكن الله تعالى شاء غير ما شاء عمر، والذي حدت هو أن الفرس حسدوا جيوشهم في تلك الجبال، وبخاصة في وادي نهر ديالي الذي يهبط نحو العراف عند حصن منيع هو حصن جلولاء، على طريق القوافل ببن العراق وكرمنشاه، وأخذ الفرس بنهضون على العرب من هذا الموقع المنيع، وكان قتال شديد رميا بالنبل وطعنا بالرماح حتى تقصفت، كما جاء في فتوح البلدان، ولكن المعركة انتهت بانتصار المسلمبن. ووقف لهم الفرس مرة أخرى في قلب جبال زاجروس، وأشد أجزائها وعورة، وفي موقع أكر منعة من جلولاء، هو (نهاوند). وهنا التقى العرب بالطبيعة الإيرانية الخالصة، طبيعة جبال شاهقة تزخر بالخوانق السحيقة، وتسودها ظروف مناخية جد مختلفة عما ألفوه في بلادهم، ولكن الله تعالى قيض النصر للمسلمين في هذه الموفعة

التي سموا انتصارهم فيها «فتح الفتوح» لعظم أهميتها. كذلك كتب لهم النصر في اختراقهم هذه الجبال في الجنوب عن طريق وادي نهر قارون نحو الأهواز، وانتهى الأمر، بأن تم فتح فارس للمسلمين.

ومن إيران تقدم المجاهدون إلى أفغانستان، وعبر ظروف جغرافية بالغة الصعوبة، فوصلوا إلى قلب أفغانستان في عهد سيدنا عنهان بن عفان، حيث استولوا على كابل وهرات وبلخ، واستكمل فتح القطرين بعد حوالي ٣٠ عاما فقط من الهجرة، وإن كانت المناطق الواقعة في جنوب جبال هندكوش لم يصلها الإسلام إلا بعد ذلك بنحو قرنين من الزمان.

في بلاد ما وراء النهر:

وقد يطول بنا الأمر لو حاولنا مزيدا من التفصيل في وصف المسرح الجغرافي الطبيعي للمحمة الفتح الإسلامي لإبران وأفغانستان، أو لانتشار الإسلام في إقليم ما وراء النهر، نهر جيحون «أموداريا» الذي يكون اليوم خط الحدود بين أفغانستان والاتحاد السوفيتي مسافة طويلة.

وهو إقليم فسيح يمتد من بحر قزوين ونهر الفولجا في الغرب إلى حدود منغوليا والصين الغربية في الشرق، ويضم بذلك التركستان بقسميها: الغربي الذي يضم اليوم الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفيتي، والشرقي الذي يشمل بوجه خاص ولاية سيكيانج في الصين، وهي مساحة هائلة تكاد تبلغ ثلاثة أمثال مساحة إيران وأفغانستان وباكستان (الغربية) مجتمعة. وعلى الرغم من بعد هذا الإقليم بعدا شديدا عن مهد الإسلام (نحو نلانة آلاف كيلو مترا)، وعلى الرغم من صعوبة ظروفه الطبيعية، فإنه قد شهد الفتح الإسلامي في وقت مبكر من ظهور الإسلام، مما مهد السبيل لانتشار الدين الحنيف بين الناس حتى إنه ماكاد القرن الثاني للهجرة أن ينتهى حتى اكتسب إقليم ماوراء النهر طابعا إسلاميا غاية في الوضوح.

لا مراء إذن في أننا إزاء معجزات ساوية لا ظروف جغرافية، إنما هو حماس الجهاد الصادق . في سبيل الله، هو الذي حقق للمجاهدين هذا الإيداع الذي أبدعوه في فن الحرب والقال، غير هيابين ولا وجلين، وعبر السهل وفوق الجبل، وفي القيظ وفي الزمهرير، وفي التربة الغبراء

وفي الأرض الخضراء على حد سواء. ولا مندوحة إذن من أن نرفض قولا كالقول مثلا بأن الإسلام وقف عند الغابة الاستوائية في إفريقية، أو حالت دونه ودن بلاد «برما» الجبال الساهقة الواقعة في غربيها، أى جبال «أركان يوما»، أو أنه لم يتغلغل في كل أنحاء الحبشة بسبب وعورة سطحها أو غير هذا وذاك من أفوال تفوح منها رائحة الحتميات الجغرافية، تلك الحتميات التي إذا جازت في معرض الحديث عن النشاط البسري بمعناه العادي العام، فإنها تقصر حتا عن تقديم العلة الصحيحة في انتشار الإسلام هنا وتوقفه عن الانتشار هناك، وإنما تلتمس العلة كل العلة، في الإرادة الإلهية وحدها دون غيرها من أسباب.

(هَمَن يُرِدِ آللَهُ أَن يَهْدِيهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَمِ وَمَن يُرِدِ آللَهُ أَن يَهْدِيهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَعْدُ فِي ٱلسَّمَآء)
(الأنعام: ١٢٥)

لا إكراه في الدين:

بلى ، ولم تكن الفتوح الإسلامية تعني فرض الإسلام على سعوب جديدة، كما فعلت روسيا في أوربا الشرقية حين فرضت عليها الشيوعية، فلا إكراه في الدين. وإنما كان دورها دور البلاغ الذي جاء اعتناق الدين من بعده بزمن لم يكن قصيرا في كل الأحوال. بل إنه حتى في الشرق الأوسط العربي نفسه لم تصبح غالبية السكان من المسلمين إلا بعد ظهور الإسلام بأكثر من قرنين من الزمان.

وعلى الرغم من أن الكثيرين ممن كتبوا في الجغرافية الدينية من بين الغربيين لا يفطنون إلى حقيقة الأسلوب الذي انتسر به الإسلام، فيتخبطون في هذا المجال أسد التخبط، فإن منهم من يقترب من هذه الحقيقة أسد الاقتراب، ومن هؤلاء منلا الدكتور «دافيد صوفر» مؤلف كتاب «جغرافية الأدبان»، الذي كان أستاذ الجغرافيا بجامعة «سيراكيوز» في الولايات المتحدة، والذي قام في السنين الحديثة بعدد من الدراسات في الجغرافية الحضاريه للهند وباكستان وسلون.

فهو يوضح في معرض كلامه عن توزيع الدبانات وطرق انتسارها كيف أن هناك فارقا واضحا بين وسائل انتسار المسيحية ووسائل انتسار الإسلام، إذ يقول: «إن انتسار المسيحية قد اعتمد اعتمادا أساسيا على منظات التبسير، الذي يعتبر نساطا رئيسيا من أنسطة الكنيسة، والذي يمتاز بالدأب والإلحاح، وبأنه يخضع لتنظيم مركزي محكم». كما أنه بوضح دور السيطرة الاستعمارية الأوربية في الفرن التاسع عسر في إناحة الفرصة للتبسير المسيحي لمارسة نساطه في المستعمرات على نحو لم سبق له مثيل.

أما بالنسبة للإسلام فإن المؤلف ببرزأن العامل الأول في انتساره كان الاتصال العادي بين المسلمين وغير المسلمين، أو ما يسميه (Contact Conversion)، بعنى التحويل للعهيدة عن طربق الاتصال والاختلاط. وفي ذلك بقول الدكتور صوفر: «في الإسلام لم بكن للتنظيم التبسيري دور نسائع، وإنما الذي كان يجدت هو أن معتنقي هذا الدىن يحاولون نشر عقيدتهم كأفراد، وذلك بالقدوة الحسنة والانتقال... وقد كسب الإسلام مناطق فسيحة كنيفة السكان بهذه المخالطة الفردية. بهذه الوسيلة انتشر بحرا إلى الأقطار التي تحف بالمحيط الهندي: استقرت أعداد صغيرة من التجار المسلمين في الموانى التجارية على السواحل غير الإسلامية، وتزاوجوا مع أهل هذه الأقطار، ومضى الزمن، ووسعوا مجال نشاطهم التجاري ومجال الإسلام في الداخل. ومعظم المسلمين في أندونيسيا والملايو وجنوب الفلبين، بالإضافة إلى المجموعات الأصغر في جنوب الهند وسيلان، وفي جزر المالديف، إنما هم من نتاج هذه العملية، عملية التحويل للعقيده بالمخالطة».

وهو يبرز في مواضع أخرى دور أهل الورع والتقوى من المسلمين في نشر الدين في البنغال وجاوة وغيرها، كما أنه ينبه إلى الخطأ الذي يقع فيه بعض المؤلفين، وهو أن الجهاد يعني الدعوة للإسلام بحد السيف، «بمعنى الخيار بين الإسلام أو الفتل»، موضحا أن القرآن نص بصراحة على ألا إكراه في الدين ٢٠).

ولا أعتزم هنا أن أستعرض ما قاله أمثال هذا الأستاذ من المؤلفين غير المسلمين الذين بعدوا عن التعصب الأعمى وتشويه الحقائق، كالأستاذ «هستون سمت» في كتابه «ديانات الإنسان» حيث يجاول مخلصا شرح الإسلام وغط انتشاره بين العالمين، أو الأسناذ «بيير دفونتين» في كتابه «الجغرافيا والدين»، أو الأستاذ «فرناو» في كتابه «مسيرة المسلمين» أو غير

هؤلاء من الباحثين. ولكني أود أن أختم هذا البحث بإبراز ملامح ثلانة أخرى في نمط انتشار الإسلام، وهي ملامح لم تجد ما تستحقه من إبراز وتوكيد عند الجغرافيين، مسلمين وغيير مسلمين.

أولا _ حملة الدعوة عرب وغير عرب :

من هذه الملامح أن نسر الإسلام لم يكن حكرا للعرب ، فقد أسهم في نسره أقوام عديدة من المسلمين الجدد، أسهم الفرس في نقله إلى أفغانستان، وأسهم الفرس والأفغان في نقله إلى بلاد ما وراء النهر، وحمل أهل تركستان أنفسهم راية الدعوة، بل إن منهم من اشتركوا في عملية الفتح، سواء كانوا من أهل بخارى أو خوارزم، أو غيرهم ممن اشتركوا مثلا في جيس قتيبة بن مسلم. وبعد أن تم إسلام الأتراك الغربيين تبنوا حركة الجهاد بين جيرانهم من العناصر التركية السرقية. وبعد أن أسلم هؤلاء أتيح لهم فيا بعد أن يحملوا الإسلام بدورهم إلى بلاد الأناضول. وتتكرر القصة بعد ذلك فيحمل أهل الأناضول الإسلام إلى البلقان حتى الدانواب، كها تتكرر في إفريقيا وفي السرق الأقصى. الكل يتسابقون في حمل راية الدين، في «سباق تتابع» رائع إن صم التمثيل.

وما أكنر الحتميات الجغرافية التي تسقط عند إبراز هذه الحقيقة الأصيلة في غط انتشار الإسلام، ما أسخف الربط مثلا بين البيئة الجغرافية للجزيرة العربية وبين خريطة الإسلام، ذلك الربط السطحي الذي بنطوي على افتراض ساذج وخبيث في الوقت نفسه، وهو أن رسم تلك الخريطة كان من صنع المسلمين العرب وحدهم، مع تجاهل مقصود لدور سائر المسلمين من فرس وأفغان وترك وبربر وسودان وغير هؤلاء وهؤلاء من دعاة، ابتغوا وجه الله ونشر نور الدين بين العالمين.

ثانيا: للناس كافة:

والملمح التاني هو أن الإسلام حيث ساد في إفريقيا أو في آسيا إنما انتشر بين شعوب ستى في سلالاتها، وفي لغاتها، وفي تقاليدها وعاداتها، فضلا عن معتقداتها.

فإيران منلا تجمع ببن الفرس والأكراد والبالوخيين والأرمن. وفي السال، في جبال زاجروس، جماعات تتكلم أشكالا من اللغة التركية منل الأذربيجانيين والإيرانيين والتركان والقاشقي، تم هناك الآسوريون الذين يتكلمون الآرامية تم البراهوي وغيرهم. وفي أفغانستان لا تقل الصورة تعقيدا عن ذلك، فهناك البشتون (٢٠٪) والتاجيك والأوزبك والهزارة والتركيان والقرخيز والبلوتشي أو البلوخي وغيرهم. ويكفي أن نذكر أن أفغانستان اليوم بها نحو ٢٠ لغة. ومنل ذلك يقال عن إقليم ما وراء النهر وعن الهند وأندونيسيا، كما يفال عن أقطار إفريقيا. وقد وجد الإسلام طريقه بين كل هذه الشعوب المختلفة، لم يقف دونه حائل من سلالة أو لغة أو تقاليد موروتة أو تراث حضاري قديم، وانصهرت جميعها في بوتقة الإسلام والحضارة الإسلامية. وذلك في كل نظرة علمية حقة عنصر أساسي من عناصر نمط انشار وبخض النظر عن اصطدامه «بالظروف الجغرافية».

ثالثا: اقتناع لا انبهار:

أما الملمح التالك الذي نرى أنه جدير بأن تسلط عليه أضواء الباحثين، فهو أن اعتناق الإسلام إنما نتيجة الاقتناع ووليد المقارنة، لا نتيجة للانبهار بتي جديد. ومن الخطأ أن نعتقد ـ كما يريد بعض المؤلفين لحاجة في أنفسهم ـ أن الإسلام حين وصل إلى إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى مثلا وجد قوما من البسطاء البدائيين، يعيشون في عزلة لا بدرون من أمر الدنيا من حولهم نسيئا، يذكرهم، وأنهم كانوا بذلك «لقمة» ميسورة للإسلام، فأهل إفريقيا الغربية كانت مم ممالك ونظم حكم قبل العهد الإسلامي مثل مملكة «الماندنجو» الكبيرة التي كانت تمتد في سيراليون وما والاها شرقا، ومثل مملكة «السونفاي» التي كانت أول من أسلم من أهل النطاق السوداني (في فجر القرن الخامس الهجري). وكانت هذه الجهات على اتصال من أهل النطاق السوداني (في فجر القرن الخامس الهجري). وكانت هذه الجهات على اتصال وصلت إلى سواحل شبال إفريقيا، وعرف عنها هؤلاء السود، ومع ذلك فإنه لم تجد أي استجابة في نفوسهم. وكان للفرس حضارتهم القديمة، وأفغانستان كانت مهدا لحضارة قديمة أيضا عاصرت الحضارة الفرعونية، حيث كانت أفغانستان تسمى «أريانا» وكلتاها عرفتا العديد من عاصرت الحضارة الفرعونية، حيث كانت أفغانستان تسمى «أريانا» وكلتاها عرفتا العديد من الثقافات الأجنبية: الثقافة الإغريقية بعد الإسكندر، والنقافة الهندية قبل الميلاد أيضا، نم

التقافة الصينية ومعها عقيدتها البوذية. والإسلام هنا دخل إذن القلوب والعفول عن طواعية وافتناع، وفي ضوء مفارنة بينه وبين معتفدات أخرى متنوعة، استبدل فيها الناس الذي هو خبر بالذي هو أدنى، ولم يكن نجاحه أبدا وليد مجرد الانبهار بالجديد، كما أنه بالقطع لم بكن وليد سيطرة سياسية أو رهبة عسكربة. ومنل ذلك مفال عن آسيا الوسطى، أي بلاد ماوراء النهر، فقد تعرض هذا الإفليم فبل الإسلام لتيارات نقافية واردة من إيران أو من الصين، وسادت بذلك الزردستية والبوذية، كما عرفت المسيحية عن طريق المبسرين بها في ذلك الحين، وسرعان ما أدرك الناس الفارق بين مبادئ الإسلام الحنيف وبين تلك الزردستية التي أحلت الزواج بالمحارم، وجعلت المرأة في منزلة الرقيق، أو بينه وبين البوذية أو بينه وبين المسيحية. ولم يلبن أهل الإفليم و والذبن اعتبروا مواطنين في الدولة الإسلامية غنجهم كل النقة، ونوليهم الوظائف، ولا تفرق بينهم وبين العرب في ذلك له ملبتوا أن حملوا راية الدعوة في حماس لا يقل عن حماس غيرهم من الدعاة، سواء كان هؤلاء الدعاة من الولاة والموظفين، أو من الأسرية التربية التي استوطنت الإقليم وإخلطت بأهل البلاد، أو من الفقهاء والمتصوفين العرب.

ونحن إذن _ كتابا ومفكربن _ مطالبون بألا نبالغ في وصف الكفار قبل الإسلام بضيق الأفق وضحولة النقافة، ناهيك بالبدائية، والأجدى أن نبرز ما كانوا فد بلغوه من تقدم في المجال الحضاري، وبالتالي ما بلغوه من مقدرة على التفهم وحسن الإدراك، والمقدرة على التمييز بين الطيب والخبيث.

ولكن لعلي هنا قد بعدت عن مجال تخصصي المحدود، وتطرقت إلى ميدان الدعوة والدعاة، فلأعد إلى بينى الذي ألم به، ولأخاطب زملائي من الجغرافيين، مختبًا بقولي: إننا مطالبون بأن نبرز حقيقة لا مراء فيها، هي أن الظروف الجغرافية - رغم أصالة دورها في التحكم في نساط البسر - يتضاءل قدرها كل التضاؤل في تفسير خريطة الأسلام. بل إننا مطالبون - على العكس - بأن نبرز كيف أن هذا الدين الحنيف يسع ضياؤه حيب ينسع رغم الظروف الجغرافية.

onverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الحواشي

- (١) وإن كان هذا الترتيب حديث العهد نسبيا، فلم يتحقق المركز الأول للمسيحية إلا بعد توسع أوربا في العالمين الجديد والقديم، وخاصة بعد الثورة الصناعية التي ارتبطبها ثورة سكانية في أوربا، أي زيادة في عدد المسيحيين، زيادة طبيعية في المقام الأول، وليست وليدة انتشار المسيحية بين الناس.
 - (٢) يترجم الأستاذ صوفر هذا المعنى كالآتي: Let there be no compulsion in religion.

000

المصادر

- ١ _ البلاذري ، أحمد بن بحيي بن جابر، فتوح البلدان، القاهرة ١٣١٨ هـ .
 - ٢ .. جمال حمدان ، العالم الإسلامي المعاصر، الهاهرة ١٩٧١ .
- حسن أحمد محمود، الإسلام والحضارة العربية في آسيا الوسطى بين الفتحبن العربي والتركي، دار
 النهضة العربية، ١٩٦٨.
 - ٤ _ عباس محمود العفاد، الإسلام دعوة عالمية ، القاهره ١٩٧٠.
 - ٥ _ محمد أحمد حسونه ، أبر العوامل الجغرافية في الفتوح الإسلامية ، القاهره ١٩٦٠.
- بوسف أبو الحجاج ، العالم الإسلامي: مكانته في الافتصاد العالمي وارتباطها بالأطاع
 الاستعارب، حوليات كلية الآداب بجامعة عبن سمس، المجلد الخامس ١٩٥٩ ص ٥٩ ـ ١١٧.
- 7 David Sepher, Geography of Religions, 1967.
- 8 Deffontaine, P. Geographie et Religion, Paris, 1948.
- 9 Fernau, W., Molems on the Marsh, London, 1955.
- 10 Sazard, H. W., Atlas of Islam History, N. Y. 1951.
- 11 Pierre Rondot, I'Islam et les Musulmans d'Aujourd'bui, Paris, 1960.
- 12 Xavier de Planhol, Le Monde Islamique, Paris, 1957.



اثر الضوابطالجغرافية فى انتشار الإسلام وتوزيع أقلياته

دکتور / سلیمان خاطر

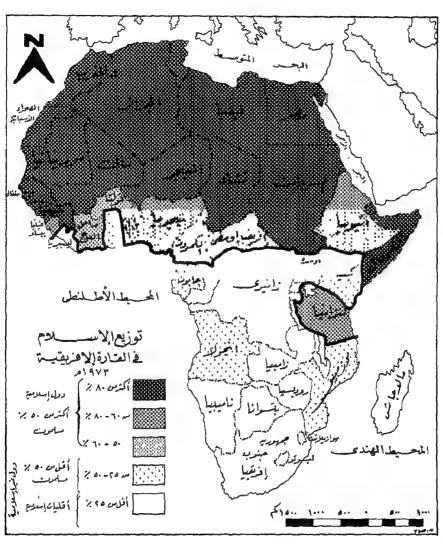


«تحديد وتعريف»:

تعتل القارة الإفريقية مكانة بين قارات العالم من حيث مساحتها، وعدد سكانها، ونرواتها الطبيعية، وإمكانياتها الاقتصادية، بالإضافة إلى موقعها الاستراتيجي. فتعد إفريقيا نانية قارات العالم مساحة، إذ تزيد مساحتها على ٢٢٪ من مساحة اليابس، فتبلغ ٣٩٣ مليون ك. م مربع (١٩٧٧ مليون مربع)، وهي بذلك تعادل مساحة القارتين الجنوبيتين الأخريين: أستراليا، وأمريكا الجنوبية (١). ويقتسم مساحة الفارة عدد من الوحدات السياسية الإسلامية وغير الإسلامية وغير الإسلامية (٢)، تشغل الدول الإسلامية _ عام ١٩٧٣ _ (إفريقيا الإسلامية) ٥,٥٥٪ من مساحة الدول التي تكون العالم الإسلامي (٣)، وتحتل مجموعة دول إفريقيا الإسلامية جزءا من الكتلة الإسلامية المتصلة بالبنيان عبر قارتي إفريقيا وآسيا _ التي تشغل الغالبية العظمي من العالم الإسلامية في النصف النبالي المحيط الإطلنطي غربا إلى باكستان شرقا. ومن م غند إفريقيا الإسلامية في النصف النبالي من القارة من المحيط الإطلنطي غربا إلى البحر الأحمر شرقا ومن البحر المتوسط شالاحتى من العادود الجنوبية للدول الإسلامية والنبالية للدول غير الإسلامية في إفريفيا بما يطلق عليه خط حدود أرض الإسلام في القارة سنة ١٩٧٣م.

إفريقيا هي القارة التي تلي آسيا مباشرة في كنرة السكان المسلمين. ففي عام ١٩٥٠م بلغ سكان القارة ١٩٨ مليون نسمة، من بينهم ٤٢ مليون مسلم حسب تقدير «وسترمان» (۵۰ مليون القارة القارة القارة الإحصاءات أن بها نحوا من وحم من المسلمين، يمثلون ٣٠٣٪ من جملة سكان القارة الذين وصلوا إلى ٢٤٠ مليونا عام ١٩٦٠، من بينهم ١١٥ مليون مسلم، يمتلون ٤٥٪ من جملة سكانها، وإلى ٢٤٥ مليونا عام ١٩٦٠، في حين قدر أن بها ١٥٥ مليونا من المسلمين عام ١٩٦٨، يمتلون ٥٧٪ من سكانها (٥٠). وتقدر الأمم المتحدة أن سكان إفريقيا وصلوا إلى ٣٠٣ مليون نسمة (تقريبا) عام ١٩٧٣، يشكلون ٨٪ من مجموع سكان العالم، وتقدر المصادر أن من بينهم ٢٣٩ مليون مسلم، يشكلون ٥٠٠٪ من سكانها القارة، ويمنلون ٥٠٠٪ من جملة مسلمي العالم (٢٠). ومن نم





شکل (۱)

بتضح أن هناك زبادة مطردة في أعداد المسلمين بالفارة ونسبتهم من جملة سكانها مع زيادة عدد السكان. أما عن التوزيع فيسبه نمط توزيع السكان في إفريقيا معظم القارات الأخرى، إذ يتركز معظم السكان على الأطراف، مم يقل في الداخل. والصورة الواضحه هي عدد السكان في الوحدات السياسية، فإفريقيا هي قارة الدول الصغيرة بل القزمية، ويتضح ذلك جليا إذا استعرضنا عدد السكان في كل وحده مقارنا بالمساحة داخل إطار حدودها السياسية.

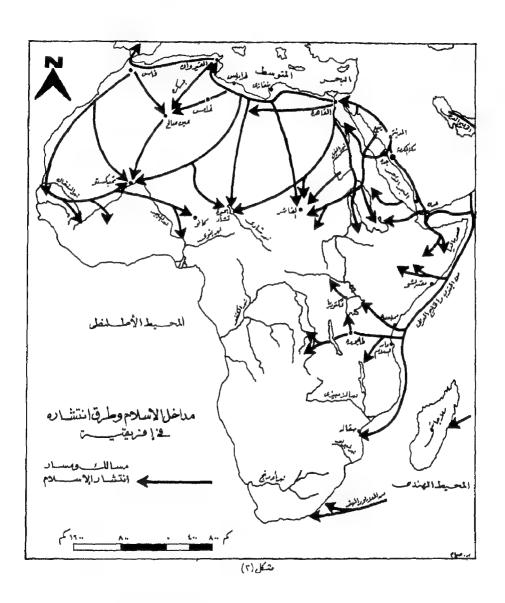
مداخل الإسلام ومسالك انتشاره في إفريقيا:

قبل دراسة الأقليات الإسلامية في إفريفيا لابد من إلقاء نظرة سريعة على المداخل التي عبرها الإسلام وطرق انتساره التي سلكها إلى داخل القارة حتى وصل إلى الحدود الحالية، وهنا لابد من الرجوع إلى العمن الزماني الذي يصل إلى أكتر من أربعة عشر قرنا، وإلى المجال المكاني الذي يتخطى القارة ليربطها بهد الإسلام الأول في الجزيرة العربية. فلقد نشأت الصلات بين سبه الجزيرة العربية وشرق إفريفيا منذ قبل الإسلام، وقامت معظم تلك العلاقات على تبادل التجارة (٧). وهناك أكبر من دليل على قدم الإسلام في غانا بغرب إفريقيا في زمن مبكر قبل دور المرابطين (القرن ١١م)، من بينها الصلة التجارية القديمة بين بلاد السودان والبحر المتوسط، واحتكار التجار المسلمين لها (٨).

دخل الإسلام القارة الإفريقية قبل أن يعرف العالم الغربي أو الشرقي كيف يدخل هذه القارة، وقام الإسلام فيها بدوره الحضاري في أقطارها المختلفه الموقع. وأن الدبانة الكبرى اليوم السائدة في إفريقيا هي «الإسلام» (٩) ومع ذلك فإن إفريقيا المسلمة لاتزال مجهولة لدى العالم العربي والإسلامي (١٠)، وبخاصة من الناحية الإحصائية البحتة، ومن ناحية التوزيع والانتشار. وهكذا دخل الإسلام في عصوره الأولى هذه القارة الجبارة، فهو أول دين يدخلها، والعرب المسلمون أول الأقوام التي فتحتها وحملت إليها الحضارة الإنسانية (١١).

هذا عن الجانب الزماني، أما عن المجال المكاني فمن الجزيرة العربية القلب والنواة المركزية للإسعاع في العالم خرجت محاور إسعاع الإسلام الرئيسيه في كل الاتجاهات إلى العالم، والتي بلغت بانية، منها ثلاتة إلى إفر بقيا (١٢)، ولكل منها محاور فرعية تانوبة، وبالبة غلأ الفراغات البيضية، وتسد التغرات الجانبية.

nverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



لقد كان دخول الإسلام لإفريقيا - من الجزيرة العربية - على طول جهة نمتد من ساحل البحر المتوسط سها لا حتى خط عرض ٢٠° جنوبا في موزمبيق الحالية، كها ارتبط هذا الامتداد بعوامل جغرافية عديدة (١٣). ولقد نفذ من هذه الجهة إلى قلب الفاره عبر مداخل نلائة، سلكها العرب في هجراتهم إليها، منها مدخل بري يتمتل في سبه جزيرة سيناء (١٤)، تلك الصلة البرية الوحيدة بين شبه الجزيرة العربية والفارة، ومدخلان بحريان: أحدهها عبر البحر الأحر وباب المندب أقرب نقطتين بين شاطئيهها، والناني الساحل السرقي الإفريقي عبر المحيط الهندي.

ولم تتوقف حركة الإسلام في إفريقيا عند هذه المداخل، كما لم ينحسر زحفه منذ دخوله حتى الآن. ولذا يمكن القول بأن إفريقيا لازالت من المناطق التي يتقدم فيها الإسلام، بل هي في الواقع أهم مجالات انتشار الإسلام رغم ما يلقى فيها من عقبات.

وقد أخذ الإسلام في انتشاره داخل القارة طرقا ومسالك مختلفة، تبدأ من المداخل البلانه السالفة، ويمكن تتبعها في داخل الفارة زمنيا (١٥) ومكانيا (١٦) وجغرافيا. نوجزها جميعا في يلي:

أخذ الإسلام _ زمنيا _ ينتشر في إفريقيا منذ الفرن السابع الميلادي، فقد دخل مصر نم المغرب مع الفتح العربي، نم انتشر انتسارا عظيا منذ القرن التاسع الميلادي (النالث الهجري). وقد ذكر «ترمنجهام» بأن انتسار الإسلام في القارة الإفريقيه تميز بأربع فترات زمنية أو مراحل تاريخية متتابعة (١٧) تمتل مدى عمق انتشاره في القارة، كما أنها تمثل مراحل مختلفة من الإسلام في حياة شعوب القارة.

أما مكانيا وجغرافيا فيمكن تتبع طرق الانتشار في القارة إذا قسمت إلى مناطق تعد محاور انتشار الإسلام فيها.

- شهال شرق إفريقيا أو حوض وادي النيل: وهو ما يسمى بالمحور النيلى، الذي يبدأ من مصر - أهم المناطق المؤنرة في انتشار الإسلام في الفارة - عبر الصحراء السرفية إلى بلاد النوبة، ومنها إلى الجنوب، حيث غطى السودان التسالي، لينفذ إلى قلب السودان، حيث اندفع التيار الإسلامي نحو الغرب إلى كردفان ودار فور في غربي السودان، ومنها إلى ما جاورها غربا في سودان السافانا حتى منطقة بحيرة تساد، حيث النطاق الرعوي الكبير المتصل بغرب إفريقيا.

ولقد استفاد الإسلام من موقع سودان وادي النيل في إفريقيا الإسلامية، فهو بحكم امتداده السياسي إلى خط عرض ٣٥٥° شهالا يملك _ عمليا _ أكبر عمق إسلامي في قلب القارة. ولازالت الرحلة بين غرب إفريقيا والأراضي المقدسة بالحجاز عن طريقه من الظاهرات الرئيسية لحركة السكان في القارة حتى الوقت الحاضر(١٨٠).

لكن وقف المد الجنوبي للإسلام عن التقدم عند بحر العرب، ولم يصل إلى المنابع الاستوائية من هذا الاتجاه الشهالي الجنوبي، ويرجع ذلك إلى عامل جغراني يتمنل في وجود المستنقعات في منطقة السدود ـ في السودان الجنوبي ـ التي حالت دون انتساره.

- شيال غرب إفريقيا: وهو ما يطلق عليه المحور الساحلي أو المحور الغربي، الذي يبدأ من مصر إلى المغرب على طول ساحل البحر المتوسط، حتى وصل إلى المغرب ومنها إلى غرب القارة، ليغطي كل شيال إفريقيا بالإسلام في غضون القرن العاشر الميلادي.

فمن المغرب _ التي كان لها دور كبير في نشر الإسلام بإفريفيا وخاصة انتشار الإسلام في الصحراء وفي حوض السنغال _ اتخذ الإسلام خطوط انتشار رئيسية، كان أهمها نحو الجنوب في الصحراء وما وراءها جنوبا في غرب إفريقيا، حتى بلغ أطراف الغابة في غرب ووسط القارة. واتخذ الإسلام في اختراقه وتوغله القارة أكثر من طريق، من بينها: من طرابلس جنوبا إلى بحيرة تشاد، ومن جنوب تونس إلى «كانو» وتشاد، ومن جنوب الجزائر إلى بلاد «الهوسا» وشهال نيجيريا، ومن جنوب مراكش إلى مصب نهر السنغال وثنية النيجر حيث قامت مدبنة «تمبكتو» (١٩٠). فالإسلام لم يقف عند حدود الصحراء الكبرى، وإنما تعداها إلى إقامة عشر دول إسلامية خلف هذه الصحراء في وقت مبكر (٢٠٠). وهنا نجد أن طرق التجارة التي تبدأ من إفريقيا الشالية متجهة صوب الجنوب عبر واحات الصحراء إلى المدن الكبرى في النطاق السوداني قد لعبت دورا كبير في نشر الإسلام من مراكزه في شهال إفريقيا إلى غرب القادة (٢٠).

ولقد استدار المحور الغربي من المغرب جنوبا مع ساحل المحيط الإطلنطي على حواف الصحراء الكبرى (ق/١٠ ـ ١١م) ليصل إلى حوض السنغال وسافانا السودان الغربي المتداء من القرن ١١ ـ ١٣م، حتى تغلغل في حوض نهر النيجر وبلاد غربي إفريقيا. وكان هذا

أهم الطرق، إذ به تمم الاسلام دورته عكس عفارب الساعة على طول محور السافانا الرئيسي ليلتقي في النهاية بالمحور النيلي السابق عند بحيرة تشاد حوالي القرن ١٣م.

وبهذا كان للمؤنرات الإسلامية في غرب إفريقيا أربع اتجاهات رئيسية: اتجاه شهالي يربطه بالمغرب، واتجاه سُرقي يربطه بالسودان، واتجاه سَهالي سُرقي يربطه بمصر، تم اتجاه جنوبي سرقي يربطه بشرق إفربقيا.

- شرق ووسط إفريقيا: وهو محور شرق إفريقيا ابتداء من القرن الإفريقى - بل السودان - سالا حتى مدينة «الرأس» جنوبا. وهنا ثمة فترتان لانتشار الإسلام (٢٢): الأولى هي فترة قيام مجتمع إسلامي إفريقي جديد على الساحل والجزر المقابلة في شكل المراكز التجارية في المدن، والثانية فترة انتشار الإسلام من الساحل وتلك الجزر إلى الداخل. كما نشأت في وداي النيل مراكز للتجارة كان لها شأن عظيم في نشر الإسلام في شرق إفريقيا على الخصوص عبر الطرق التجارية التي تصل وادي النيل بشرق القارة. ويذكر «يوسف فضل» أن الإسلام دخل إلى السودان من الشرق، وأن المسلمين استطاعوا دخول السودان عبر بلامة طرق رئيسية (٢٣).

لقد عبر عرب الجنوب إلى شرق السودان والقرن الإفريقي والصومال، نم منه إلى زنجبار (ساحل الزنج)، ومنه جنوبا على طول الساحل الشرقى الإفريقي في الزمبيزي ومدغشقر منذ القرن العاشر الميلادي، ولم يتقدم جنوبا بعد هذا إلا حديبا في القرن الماضى (١٩م) على أيدى الهنود المسلمين المهجرين إلى جنوب القارة، حيث وصلوا به إلى مدينة «الرأس». وعندما وفد البرتغاليون إلى شرق إفريقيا في أواخر القرن ١٥م وجدوا المسلمين متمركزين في المدن الساحلية وفي كل مكان من الساحل، وفي الداخل من الساحل الشرفي للقارة (١٤٠)، تم ازداد نشاطهم التجاري واتسع بين الساحل والداخل في القرن ١٧م، وبخاصة في القرن ١٩م.

وتجدر الإشارة إلى أن مراكز شرق إفريقيا - بعامة - كانت على صلة بالمراكز الحضارية الإسلامية في غرب إفريقيا عن طريق وسط القارة (٢٥). وقد ضعف هذا المد الإسلامي بعد سيطرة الاستعار البريطاني على شرق إفريقيا.

والخلاصة : أننا نجد أن المحورين النيلي والغربي يرسمان قوسا كبيرا يحيط بالصحراء

الكبرى بعد أن انتشر الإسلام في غرب إفريقيا، ولكن هذا الامتداد وقف عند حدود العقبات الجغرافية الطبيعية كمنطقة السدود في جنوب السودان ونطاق الغابات في وسط وغرب القارة، وهذه وقفت في وجه استمرار امتداد طريق ومسالك الإسلام في القارة تجاه جنوبها. أما المحور الشرقي فقد امتد من الساحل ليصل إلى قلب القارة دون أن تواجهه عقبات طبيعية جغرافية تعوق تقدمه، ولذا التقى مع المحاور السالفة لكن لم يمتد إلى جنوب القارة في داخلها، وإنما على ساحلها الشرفي، ومن نم ظل جنوب القارة يجيط به مجموعة من العقبات الطبيعية الجغرافية والتاريخية والسياسية، حالت دون تقدم طرق انتشار الإسلام إلى جنوب القارة.

الأقليات الإسلامية في إفريقيا:

. توجد الغالبية العظمى من المسلمين في قارات العالم الفديم (آسيا، إفريقيا، أوربا)، وبخاصة قارتي آسيا وإفريقيا، حيث تسمل الأولى وحدها نحو ٧٠٪ (تقريبا) من عدد المسلمين في العالم، بينا تضم التانية أكثر من ربع مسلمي العالم، وذلك حسب تفدير عام ١٩٧٣م.

ويقدر بأن عدد المسلمين قد تضاعف في إفريقيا في مدى عشرين عاما (بين عام ١٩٣١، ١٩٥٥م)، وجزء كبير من هذا النمو يرجع بلا نمك إلى الزيادة الطبيعية للسكان، ولكن هذا وحده لا يمكن أن يفسره كله، فهى طفرة لا تفسرها الزيادة الطبيعية وحدها.

كما يقدر عدد المسلمين في إفريقيا _ في الوقت الحاض _ بأكثر من ضعف عدد سكان الدول العربية في مجموعهم (تقريبا)، وهذا يجعل إفريقيا أكثر القارات نسبة في عدد مسلميها إلى جملة سكانها، وإن كانت أعداده المطلقة لا تزيد عن منطقة كإندونيسيا مثلا(٢٦). لكنا نجد أن الكثرة العددية لاتزال للإسلام، وأن القارة إسلامية. أفلا يحق لنا أن نطلق عليها القارة المسلمة..؟؟ وأن المستقبل للإسلام في هذه القارة...؟؟ ومن نم تقرر في مؤتمر «مقدينسيو» أن إفريقيا القارة المسلمة (٢٧).

مساحة الدول الإسلامية : لدراسة الأقليات الإسلامية بالقارة الإفريقية لابد أولا أن نحدد رقعة الإسلام بها، ونقصد به تحديد أرض الإسلام مساحة وموقعها من القارة وتوزيع

الدول داخل حدودها وأعدادها وتغيرها على مدى فترة من الزمن ـ في ضوء التواريخ الإحصائية المستخدمة للدول الإسلامية وأعداد المسلمين بها ـ وأيضا إلقاء نظرة إلى توسع الإسلام جنوب الصحراء.

وذلك لنستخلص منها موقع الأقليات الإسلامية وأعدادهم ونسبتهم إلى جملة سكان الدول التي يقيمون فيها ومن مجموع مسلمي القارة.

إن الدول الإسلامية في إفريقيا تشكل كتلة متصلة البنيان في النصف النهالي من الفارة، كما تعد الدول الإسلامية في إفريقيا سطحا حضاريا عظيم الامتداد فوق هذه الكتلة من اليابس، بشمل الكئير من الوحدات السياسية التي يدين معظم سكانها أو بعضهم بالدين الإسلامي، كما تغطي ٥ر٥٥٪ من جملة مساحة القارة (تقدير عام ١٩٧٣م). وبمراجعة حدود أرض الإسلام في القارة نجد أن الحد الجنوبي أو بمعنى آخر الجبهة القارية لأرض الإسلام في إفريقيا هي المجال الرئيسي المتبقي الذي ينتسر فيه الإسلام. ولذا يمكن القول بأن «كتلة الإسلام» في إفريقيا تتحرك نحو الجنوب، ومن هذه الزاوبة تبدو حيوية إفريقية المدارية (جنوب الصحراء) بالنسبة للإسلام.

وهناك عوامل كثيرة طبيعية وبشرية وتاريخية واقتصادية ساعدت على اتصال أجزاء الكتلة الإسلامية الإفريقية بعضها ببعض، فالنيل عامل ربط بين أفصى شهال القارة وقلبها الاستوائي، وبلاد المغرب تتصل بغرب إفريفيا منذ القدم عبر الصحراء ونقط الواحات (٢٨).

وتجمع المصادر في هذا النان على أنه من النمط التوزيعي للدول الإسلامية وخط تحديد أرض الإسلام بالقارة، ويمكننا أن نميز بين نطاقين زمنيين للإسلام: الأول نطاق الإسلام القديم، وهو بتفق تقريبا مع دول العالم العربي، والثاني يسمل الإسلام جنوب الصحراء أو الإسلام المداري، كما يطلق عليه البعض، نطاق السافانا، وهو لازال يتوسع في هذا الاتجاه. بل إن إفريقيا هي القارة الوحيدة التي يزحف فيها الإسلام اليوم بعد أن فقد أرضا في أوربا، وتوقف أو كاد في آسيا. وهو بهذا يستبدل بعروض سهالية عليا عروضا جنوبية سفلى في حركة انتقال طفيفة غير منظورة (٢٩)، فالإسلام جبهة زاحفة في إفريقيا لا يعرفها في أية قارة أخرى، كما لا يمارسها أي دين آخر سواه في الوقت الحالي أو في أي مكان، وهو كفيل أن يجعل منها «قارة الإسلام» بالضرورة، لأن الإسلام لا يصل إلى نسبتها (٥٠٠٦٪) في أية قارة سواها.

أبعد من هذا، تعد إفريفيا أكثر من أية قارة أخرى جبهة زيادة في أعداده، وزحف في رقعته، واحتياطي توسعه في المستقبل. ويشير كل الكتاب والمبشرين الغربيين قبل سواهم إلى أن دبن المستقبل في قارة المستقبل في قارة المستقبل إنما هو الإسلام (٣٠).

ويؤكد «عبدالعزيز كامل» أن نطاق السافانا - جنوب الصحراء - في إفريقيا هو دائها نطاق الكسب للإسلام، ليعوض الفقدان أو النقص في مناطق أخرى من العالم، حيث يتزايد المسلمون فيه بطريقتين: الزيادة الطبيعية، وبمعتنقين جدد للإسلام المسلمون فيه بطريقتين، بل هناك موجة عارمة ورجعة كبيرة من أولئك الذين نصرهم رجال التبسير ورسل الاستعار (۲۳). ويؤكد «ماك كاي» (۷. Mckay) فيقول: «.... وهنا نقدم الإيضاحات والأسباب على نجاح الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء، لأن التحول من الوثنية إلى الإسلام أمر سهل وميسور، ..، فليس من السهل أن يتبع المرء تعاليم الإسلام كلها مباشرة، لكن كل ما نرجوه هو أن يرسل الطفل إلى مدرسة القرآن... (۲۳).

إن العناصر العربية التي تدفقت إلى غرب إفريقيا إنما جاءت من بلاد المغرب منطلقة إلى مصب السنغال، ثم متجهة صوب النرق عبر نطاق السافانا، فد كانت بيئة السافانا هذه على حد تعبير «ترمنجهام» بيئة تسهل الهجرات وتتيح الاحتكاك الثقافي، وتمهد لتكوين الوحدات الاجتاعية والسياسية (37) أما الصواف (٣٥) فيذكر أن النطاق جنوب الصحراء هو المكسب الحقيقي لاكتساب أعداد متزايدة وسريعة للمسلمين في القارة، وضرب لذلك مثلين، وها: فولتا العليا، وجمهورية سيراليون، حيث كانت نسبة المسلمين قبل استقلالها (سنة ١٩٦٠م) لا تزيد عن ٢٥٪ فقط، لكن ارتفعت فيها في الوقت الحاضر (سنة ١٩٧٣م) إلى ٥٦٪ للأولى، وقفزت إلى ٥٦٪ في النانية.

ويؤيد خلاصة الآراء السالفة تتبع أعداد الدول الإسلامية ومواقعها من إفريقيا لتبيان كثرتها العددية المطردة في إفريقيا المدارية جنوب الصحراء. فبالنظر إلى جدول (١) نجد أن عدد الدول الإسلامية سنة ١٩٦١م بلغ ٢٢ دولة، ارتفع إلى ٢٦ دولة عام ١٩٧٣م، أي بزيادة خس وحدات سياسية، هي: بنين _ توجو _ ساحل العاج _ إفريقيا الوسطى _ الكمرون (٢٦). هذا بالإضافة إلى الحبسة (+ إريتريا)، وتنزانيا (تنجانيقا + زنجبار + ببا) التي أحصيت سنة ١٩٧٣م ضمن الدول الإسلامية مع أوضاعها السياسية الحالية، بعد أن كانت دولا غير

إسلامية. والملاحظ أن هذه الدول الإسلاميه المضافة كلها تقع جنوب الصحراء في إقليم السافانا، وإفريقيا المدارية.

تحديد الدول الإسلامية وتوزيعها: لانك أن هناك معايير موضوعة تستخدم عند التطبيق لتحديد إطلاق التسمية على الوحدة السياسية ما إذا كانت إسلامية أو غير إسلامية (٣٧). وهناك معياران وضعا لتحديد الدول الإسلامية، تستخدمها للتطبيق على القارة الإفريقية، وها:

«المعيار الأول»: وهو «المعيار الرسمي»: وهي الدول التي ينص في دساتيرها على أن الدين الإسلامي هو الدين الرسمي لأهل البلاد. وهذا المعيار لاجدال فيه من أن الدولة في هذا النسأن وتحت هذا المعيار دولة إسلامية، غالبية مسملة بالطبع، وأقلية أو لا شيم من الدبانات الأخرى.

وبتطبيق هذا المعيار على الدول والوحدات السياسية في العارة الإفريقية نجد أن نسبة ضئيلة من الدول الإفريقية هي التي تدخل نحت مضار هذا المعيار. وهي فقط مجموعة دول العالم العربي في سهال وشهال سرف إفريقية (جمهرية مصر العربية الجمهورية العربية الليبية على جمهورية تونس عجمهورية الجزائر المملكة المغربية عمهورية السودان الديمقراطية)، بالإضافة إلى عدد ضئيل من الدول الأخرى: (موريتانيا الصومال) التي ينص في دساتيرها الرسمية على أن الدين الإسلامي هو الدين الرسمي أو الرئيسي للدولة. وفي كل هذه الوحدات نجد أن نسبة المسلمين فيها لا تزيد على ٥٠٪ من مجموع سكانها فحسب، بل تصل هذه النسبة إلى أكثر من ٩٠٪ في كل هذه الوحدات السياسية فيا عدا السودان بل عام ١٩٧٣م).

«أما المعيار الثاني»: فهو «المعيار العددي أو الإحصائي»: وهو أوفق معيار لتحديد الدول الإسلامية. ويتطلب العمل لتطبيق هذا المعيار الحصول على عدد من البيانات الإحصائية، تتلخص في: كم عدد المسلمين في كل دولة على حدة مقارنا بعدد السكان الكلي في نفس سنة التقدير أو الإحصاء ونسبتهم من الدولة؟؟ وضع جدول نسبي بالأرقام لتصنيف

الدول الإسلامية وغير الإسلامية، هذا بالإضافة إلى إجراء مقارنة بين هذا الجدول الحالي بجداول أخرى سالفة حسب الأرقام الممكن الحصول عليها والمونوق بها. وأخيرا استخلاص الأقليات الإسلامية عددا وموقعا في القارة. وكان خلاصة هذه الدراسة بتطبيق هذا المعيار والإجابة على كل الأسئلة السالفة كلها الجداول (١)، (١)، (٣) بما فيها من أرقام بحتة ونسب مئوية ومصادر.

وهناك ملاحظة يجدر أخذها بعين الاعتبار عند تطبيق المعيار العددي على الدول الإفريقية، وهي أنه على الرغم من النقص الكبير الذي نجده في المصادر الإحصائية الخاصة بالدول الإسلامية، إلا أن في دراسة كهذه تعتمد في الأساس على الحقائق العلمية الدقيقة والأرقام الصحيحة الموثوق بها من مصادرها وصدى نوايا ناشريها، نجد أن هناك مراجع ومصادر عديدة تحاول الإجابة على هذه الأسئلة. لكن الأرقام المتاحة كنيرا ما تختلف أحيانا إلى حد التضارب (٢٨).

كما أن من الواجب العلمي هنا أن نقرر أنه بقدر ما نجنح التقديرات الغربية إلى التقليل من حجم الإسلام، بقدر ما تندفع بعض الكتابات العربية إلى التضخم، ولذا اختلف المصدران في تقدير عدد المسلمين نتيجة اختلاف وجهات النظر في تقدير عدد المسلمين في الدول والأقاليم المختلفة. إننا نفتقر كل الافتقار إلى البيانات التي تخول لنا صدق الحكم في هذا الموضوع، لأن التقديرات التي وضعت عن عدد المسلمين في إفريقيا بما في ذلك أحدتها عهدا قدرت أعداد المسلمين تفديرات متباينة. وهناك جانب كبير من السك يحيط بكل تقدير، لأن كثيرا من الأقطار التي يكثر فيها المسلمون لم يعمل لها إحصاء ديني قط، ولهذا فإنه يعوزنا فيها الإحصاء الدقيق، وحتى المصادر العربية الإسلامية تذكر «أن العالم الإسلامي يعتمد في مصادره عن نفسه على أعمال غير المسلمين وعلى كتير من المصادر الأولية» (٣٩).

وترجع عدم دقة الإحصاءات في إفريقيا إلى الأسباب التالية :

أ _ معظم هذه إلدول _ إن لم يكن كلها _ دول نامية ، وليس لها إحصاءات حيوية. ب _ معظم الدول الحديثة لا تتضمن جداولها الإحصائية أو تعداداتها السكانية التركيب الديني.

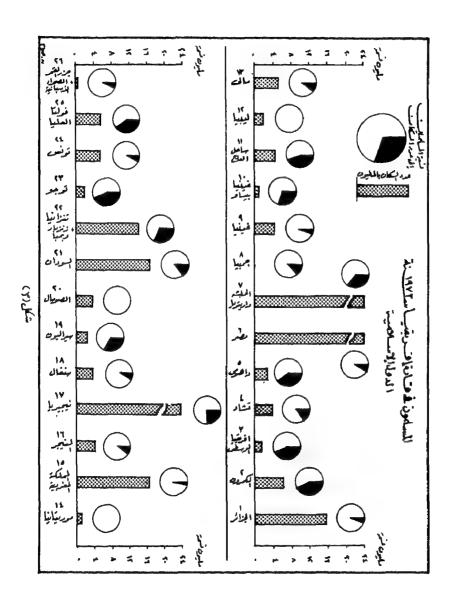
- جـ ـ تعمدت الفوى الاستعاريه عدم إعطاء معلومات صحيحة مضبوطة عن مستعمراتها، ولذا جاءت كل أرقامها التفديرية المقبولة بعد الاستقلال فقط لا تقبل المفارنة بما سبفها، سواء بالنسبة للدولة ذاتها أو لأن العديد من الوحدات السياسية الحالية كان مندمحا في اطار وحدات استعارية كبرة.
- د _ يميل المستعمرون الأوربيون إلى خفض عدد المسلمين في الأقطار التي لايزال لهم نفوذ فيها. وهم معروفون بموقفهم بالنسبة للإسلام وبخاصة في إفريقيا قارة المستعمرات.
- هـ _ إطلاق حرية العقيدة الدينية تجعل الإحصاءات لا تعطى بالنسبة للمعتقدات الدينية عامة والمسلمين على وجه الخصوص. وأخيرا نجد أنه في كثير من الدول اضطرابات يعمد معها المسلمون إلى إخفاء أو عدم الإعلان عن عقائدهم وسعائرهم الدينية لظروف تضطرهم إلى ذلك داخل دولهم لدواعى الأمن.

ونتيجة لكل هذه الأسباب السالفة مصبح مدى الاختلاف (Range of Variation) كبيرا وبخاصة إذا فورنت الأرقام الحالية بالتقديرات السالفة المبكرة.

لذا اعتمد الباحت في تطبيق المعيار الإحصائي على ما أتيح من أرقام منسورة مع الأخذ في الاعتبار أمورا عديدة، وبخاصة الأرفام ألتي صدرت بعد استقلال القارة، حيت ظهر عدد كبير من الدول في الخريطة السياسية للقارة والتي كانت أجزاء من وحدات سياسية استعارية كبيرة، حتى نسهل المقارنة فيا بينها. وهنا اعتمد الباحت على تقديرات سنوات ١٩٦١م، المنابرة، وفي حالة السنتين الأخيرتين اعتمد على المصادر مباشرة. أما بالنسبة للتاريخ الأول فقد أخذ متوسط العدبد من الجداول للوصول إلى أرقام أفرب إلى الحقيقة ومقبولة محاولا التوفيق فيا بينها واستخدام أفربها إلى المنطى، لأن هناك بعض الافتراضات بعيدة عن الحقيفة والواقع (١٠٠).

تحديد الأقليات الإسلامية وتوزيعها :

اتفق الكنيرون عند تطبيق المعيار العددي على الوحدات السياسية في إفريقيا، من حيث عدد المسلمين ونسبتهم من المجموع الكلي للسكان على اعتبار كل دولة يزيد عدد المسلمين فيها على ٥٠٪ من مجموع عدد سكانها «دولة إسلامية»، بصرف النظر عما إذا كان دستورهذه



الدولة تقرر دين الدولة الرسمي أو لا بقرره، أما إذا لم يتجاوز عدد المسلمين هذه مئل هذه النسبة في سكان الدولة، فالمسلمون في هذه الحالة «أقلية دينية» في متل هذه الدولة، وتعتبر «دولة غير إسلامية» حتى ولو كانت هذه الأقلية الإسلامية كبيرة من حيب النسبة مئل الجابون (٤٥٪ مسلمون)، ومالاوي (٣٥٪)، وأوغندة (٣٦٪) طبقا لتقديرات ١٩٧٣م، (جدول (٣٠)).

لكن أضاف الباحت عند التطبيق أن الدولة تعتبر إسلامية إذا زادت نسبة المسلمين بها على ٥٥٪ من جملة سكانها (باعتبار أن هناك احتالاً للخطأ بمفدار + أو _ ٥٪). فحتى إذا نقصت نسبة الخطأ المحتمل كلها من التقدير هبطت نسبة المسلمين في الدولة إلى حد النسبة العامة وهي ٥٠٪. وبتطبيق ذلك وجد أن هناك ٢٦ دولة إسلامية و ٢٠ دولة غير إسلامية، أو بمعنى آخر دول بها أقليات إسلامية ظهرت في جدول (٣).

- ومها بكن من أمر فإن تقدير عدد السكان والمساحات في الدول الإفريقية المختلفة، والتي ظهرت أرقامها في جدول (٣)، يوضح الدول الإسلامية وغير الإسلامية في إفريقيا، على أساس تفديرات الأمم المتحده عام ١٩٧٣م. أما عن تقدير عدد المسلمين من سكان هذه الدول فهي من مصدر واحد (٤١)، ولنفس العام (١٩٧٣)، لكن النسب المنوبة الأخرى للمسلمين في الدول التي ظهرت في الجدول (٢)، فهي من مصادر مختلفة وضعت أسفله، أخذت بسي من الحذر والتحفظ في الاعتاد عليها، في بعض الدول الإفريقية في غربي ووسط أخذت بسي مراعاة المبالغة من ناحية، والتقديرات المغرضة من ناحية أخرى.

وبناء على المعيار العددي وتقديرات عام ١٩٧٣م يمكن تقسيم القارة إلى ملات مجموعات، وهي:

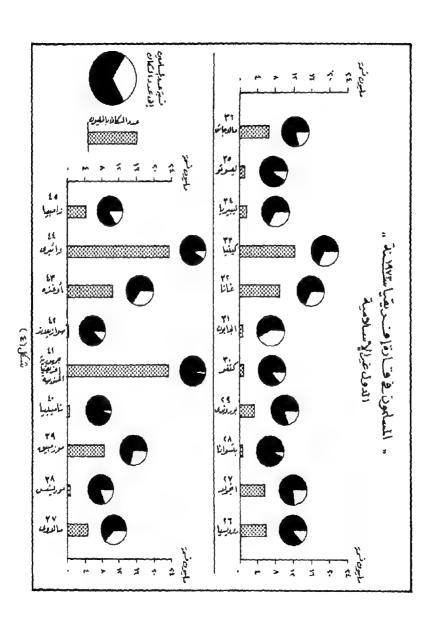
- المجموعة الأولى: وهي الوحدات التي يطلق عليها - طبقا للمعيار العددي - دولا إسلامية، حبث تزيد نسبة المسلمين فيها على ٥٠٪ من مجموع سكانها، بل تصل هذه النسبة في عدد كبير منها إلى أكثر من ٨٠٪ من مجموع السكان (٢٠٠). ويتضح أن هناك ٢٦ وحدة سياسية إفريقية تعد دولا إسلامية، منها ٢٥ دولة مستقلة، بالإضافة إلى وحدتين سياسيتين صغيرتين غير مستقلين، وهذه الأخيرة تساهم بنسب ضئيلة جدا في العدد الكلي لسكان الدول الإسلامية في إفريقيا، وبالتالي في عدد أو نسبة المسلمين بها.

في القارة الإفريقية _ عام ١٩٧٣م _ ٢٦ دولة إسلامية، تبلغ مساحتها ١٨٥٧ مليون ك. م مربع، أي ما يعادل ٥٥٥٪ من مساحة القارة، وعدد سكانها ٢٦٨ مليون نسمة، من بينهم ٢رو٢٠ مليونا من المسلمين، أي بنسبة ٥٥٠٪ من جملة عدد سكانها، يمنلون ٥٥٪ من مجموع عدد سكان إفريقيا، ونحو ٩٠٪ من مجموع عدد المسلمين في القارة، وحوالي ٢٤٪ من مجموع عدد المسلمين في العالم.

ويلاحظ من الجدول (٣) أيضا أن حجم السكان في معظم هذه الدول صغير بسكل محسوس، إذ لا يزيد عدد السكان في أية دولة من هذه الدول على ١٥ مليون نسمة فيا عدا مصر، ونيجبريا، والحبسة (+ أريتريا) والمملكة المغربيذ، والسودان، وأن النسبة العامة للمسلمين في هذه المجموعة الأخيرة يزيد على ٨٠٪ من مجموع سكانها، وإن كانت نسبة المسلمين تزبد على ٩٠٪ في كل الدول العربية الإفريقية (فيا عدا السودان) وكذلك الصومال وموربتانيا، بالإضافة إلى غينيا، مالي، النيجر، والسنغال.

أما عن الوحدات السياسية الإسلامية غير المستقلة بالقارة فتتمل في إريتريا التي ضمتها الحبسة إلى أراضيها، وأصبحت إفليا من الحبسة، وهي إقليم يسود فيه المسلمون تماما. وعلى هذا ارتفع عدد المسلمين بالحبسة عن ذي قبل، كما ارتفعت نسبتهم داخل الدولة، وظهرت إحصاءاتها في الوقت الحاضر بنسبة 35% للمسلمين عام ١٩٧٣م من مجموع السكان، مقارنا بـ ٤٩٪ عام ١٩٦٨ و ٣٠٪ عام ١٩٦١م، وبذلك أصبحت دولة إسلامية الآن بعد أن كانت تحصى مع الدول غير الإسلامية من قبل، وذلك بفضل ضم أريتريا إلى إحصاءاتها. وقد كتب «جون جنر» (Gunther, J.) «أن الفكرة السائدة بأن الحبشة دولة الوتنية... تم يعود ويقرر بأن المسلمين في إثيوبيا قوة كبيرة، فمقاطعة هرر - التي نشأ فيها الوتنية... تم يعود ويقرر بأن المسلمين في إثيوبيا قوة كبيرة، فمقاطعة هرر - التي نشأ فيها المسلمين. بينا تنتشر في جميع أنحاء الحبشة جنوب المجمعات الزراعية التي يملكها المسلمين. بينا تنتشر في جميع أنحاء الحبشة جنوب المجمعات الزراعية التي يملكها المسلمين وتبلغ نسبتهم أكثر من ٥٠٪ إذا أضيفت إليها أربتريا (١٤٤). فإذا كان هذا ما قره بعض الكتاب عام ١٩٥٥م، فها بالنا بإضافة أريتريا - وكلها مسلمون - إلى نسبتها المئوية في بعض الكتاب عام ١٩٥٥م، فها بالنا بإضافة أريتريا - وكلها مسلمون - إلى نسبتها المئوية في بعض الكتاب عام ١٩٥٥م، فها بالنا بإضافة أريتريا - وكلها مسلمون - إلى نسبتها المئوية في الوقت الحال؟

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



أما الصحراء الإسبانية فقد تم تفسيمها بين المغرب وموريتانيا، وعدد سكانها ٧٦ ألف نسمة، منهم ٧٣ ألف نسمة من المسلمين، أي بنسبة ٩٥٪ (عام ١٩٧٣م) من مجموع السكان.

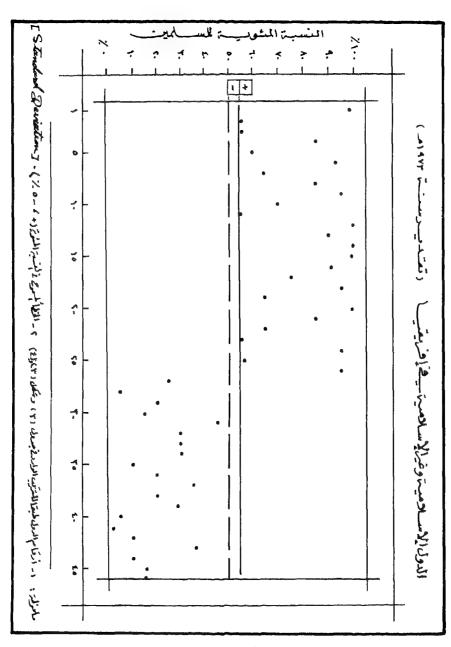
- المجموعة الثانية: هي الوحدات السياسية غير الإسلامية أو دول الأقليات الإسلامية. وفيها يقل عدد المسلمين عن ٥٠٪ من مجموع السكان. ويكن أن نقسم دول هذه المجموعة إلى مجموعتين فرعيتين: أطلق على أولها «دول غير إسلامية» يتراوح نسبة عدد المسلمين بها ما بين ٢٥ - ٥٠٪ من جملة عدد سكانها، وهذه عددها نهانية، في حين أطلق على الثانية «دول غير إسلامية» ذات أقليات إسلامية صغيرة، وهي التي تقل نسبة المسلمين بها عن ٢٥٪ من عدد سكانها، وهذه بلغ عددها ١٢ دولة.

فغي القارة الإفريقية ٢٠ وحدة سياسية غير إسلامية عام ١٩٧٣م ـ طبقا للمعيار الإحصائي أو العددي ـ تبلغ مساحتها ٢٠١٦ مليون ك. م مربع، أي ما يعادل ٥ر٣٤٪ من مساحة القارة، وعدد سكانها ٥ر١٢٧ مليون نسمة، من بينهم ٣٣٤ مليونا من المسلمين، أي بنسبة ١٨٪ من جملة عدد سكانها. ويمنلون أقليات إسلامية كبيرة أو صغيرة في هذه الدول، ويشكلون في مجموعهم نحو ٢٪ من مجموع سكان إفريقيا، و ١٠٪ من مجموع عدد المسلمين في القارة، وحوالي ٥ر٧٪ من مجموع عدد المسلمين في العالم. ومن م نجد أن النسبة المئوية لمسلمي القارة من جملة سكانها ٥ر٠٠٪ (٥ر٣٩٪ لغير المسلمين) (٥٤٠).

وهنا نجد كنيرا من الوحدات السياسية التي تسمل أقليات إسلامية، بسكل بعضها نسبة كبيرة من مجموع سكان هذه الدول (الجابون، مالاوي، أوغنده)، إنما لا يصل إلى ٥٠٪ من مجموع السكان (٤٦٠)، كما يلاحظ من دراسة الجدول أيضا أن سكان عدد كبير من هذه الدول صغير للغاية (بتسوانا ـ الجابون ـ ناميبيا ـ سوازيلاند)، وبالتالي لا يتجاوز عدد المسلمين بها مليونين في ١٥ دولة منها، ويصل العدد إلى أكثر من ٢ مليون مسلم في خمس دول فقط ، كما يلاحظ أن كلها دول مستقلة، فيها عدا أربعة منها مازالت تحن الحكم أو الوصايات الأحنبية.

التغاير العددي والنسبي للدول الإسلامية والمسلمين في إفريقيا: ٠

تبين من الدراسة العددية للدول الإسلامية ونسبة المسلمين بالدول الإفريقية أنه حدت تغير فيها على مدى فترة ١٢ عاما (١٩٦١ ـ ١٩٧٣م) طبقا للجدولين (١)، (٢).... واتضح مايلي:



شكل(۵)

_ ارتفع عدد الدول الإسلامية في القارة من ٢٢ عاما ١٩٦١م إلى ٢٦ عام ١٩٧٣م _ طبقا للمعيار الإحصائي _، في حين انخفض عدد الدول غير الإسلامية من ٢٨ عام ١٩٦١م إلى ٢٠ في عام ١٩٧٣م.

- إجمالي عدد المسلمين في القارة في زيادة مطردة وأبضا نسبتهم من جملة سكانها، فقد بلغ إجمالي عدد المسلمين بالقارة ٢ر٥١٥ مليون عام ١٩٦٣م، مقابل ١٥٤٥٤ مليون عام ١٩٦٨م، ارتفع إلى ١ر٢٣٩ مليون في عام ١٩٧٣م، في حين بلغت نسبة المسلمين من جملة سكان الفارة ٤ر٥٤٪، ٥٠،٦ للسنوات ١٩٦٣م، ١٩٩٨م، ١٩٧٣م على التوالي.

_ من الدراسة التفصيلية لنسبة المسلمين على مستوى الدول من إجمالي عدد سكانها (جدول (٢)) أمكن تقسيمهم إلى مجموعات اتضح منها مايلي:

أ _ دول بلغت نسبة المسلمين بها أكتر من ٨٠٪، واستمرت في هذا الارتفاع حتى ١٩٧٣م (مصر _ ليبيا _ تونس _ الجزائر _ المغرب)، لكن يلاحظ أن الجزائر هي أكبر نسبة في التغير ما بين ١٩٦١، ١٩٧٣ (+ ١٧٪)، ويرجع ذلك إلى هجرة الأجانب المستعمرين من غير المسلمين من هذه الدولة بعد الاستقلال مباسرة، وفد اتضح هذا جليا من تغير نسبة المسلمين في المدن بسيال إفريقيا بعامة والجزائر بخاصة بعد الاستقلال، إذ ارتفعت من أقل ٢٪ إلى أكثر من ٩٠٪ من سكان المدن (٤٠٪).

ب _ هناك دول كانت نسبة المسلمين بها مرتفعة، واسنمرت في الزيادة حتى الآن. وكانت هذه بنسبة مرتفعة (السودان، ونيجيريا)، وأخرى كانت غير إسلامية في عامي ١٩٦١م، ١٩٦٨م أصبح بعضها إسلاميا عام ١٩٧٣م بحكم ارتفاع نسبة المسلمين، مشل سيراليون (+ ٤٧٪)، أما بقية الدول فقد ارتفعت فيها نسبة المسلمين، لكن ظلن أقل من ٥٠٪ في عام ١٩٧٣م، ولذا ظلت دولا غير إسلامية، كها هي: (كينيا _ أوغندة). أما غانا وماولاي وروديسيا فكانت غير إسلامية (ـ ٥٠٪)، لكن ظهرت نسبة التغير فيها بالسالب، إذ انخفضت في غانا إلى ٢٠٪ وفي مالاوي ٥٪، وفي روديسيا ١٩٪، وإن كان هذا النقص لم يؤثر في بقائها دولا غير إسلامية، لأنها رغم هذه الخسارة ظلت كها هي إسلامية بأقل من ٥٠٪ من مجموع سكانها.

ج ـ دول كانت ضمن وحدات سياسية استعارية كبيرة قبل التقسيم والاستقلال (إفريقيا الغربية الفرنسية) ظهرت بعد التقسيم دولا إسلامية، وظلت على إسلاميتها حتى عام ١٩٧٣، ولكنها كسبت الكنير في زبادة نسبة المسلمين في هذه الفترة.

د ـ دول كانت ضمن وحدات سياسيه استعاربه كبيرة فبل التقسيم والاستقلال (إفريقيا الاستوائية الفرنسية) وكانت غير إسلامية عام ١٩٦١م، بم كسبت الكنير فأصبحت إسلامية عام ١٩٦٧م، بحكم أن نسبة المسلمين بها بلغت ٥٥٪ فأكنر من جملة سكانها (داهومي ـ توجو ـ ساحل العاج ـ إفريقيا الوسطى ـ الكمرون). وهذه هي مناطق كسب الجديده وانتشار الإسلام عددا ومساحة في إفريفيا جنوب الصحراء. يضاف إلى هذه المجموعة الحبشة (بما فيها أريتريا) وتنزانيا (تنجانيقا + زنجبار + ممبسا) على أنها كانتا. غير إسلاميتين، وأصبحتا وحدات سياسيه عام ١٩٧٣م، بحكم أوضاعها السياسية الحالية وضم مناطق إسلامية لكل منها.

والخلاصة : أنه اتضح من دراسة الجداول ككل أن الإسلام كسب في كل الدول الإفريقية بعامة، ويسير باطراد بدليل ظهور نسبة التغير كلها بالإيجاب، ولم تظهر بالسالب إلا في حالات قليلة. ومن تم يكن أن نقررأن الإسلام آخذ في الكثرة عددا، والانتشار مساحة في القارة الإفريفية، وأن هذه الزيادة لا يكن إرجاعها إلى الزيادة الطبيعية فقط في السكان، ولكن أيضا إلى زيادة عدد المسلمين بالدول، وهذا على حساب النقص في نسبة غير المسلمين بها على مستوى القارة بعامة والدول بخاصة.

نظرة إلى المستقبل:

لقد ذهب بعض الباحئين إلى القول ـ بعد دراسة عرض توزيعات الأديان في إفريقيا ـ بأن مصير القارة كلها يتوفف على نتيجة اللفاء بين زحف الإسلام من السال والشرق والمسيحية من الجنوب. ولعل الدراسة السالفة لتوزيع الإسلام في القارة الإفريقية قد بينت لنا سعة انتشاره بها إلى أبعد الحدود، ففد تحرك الإسلام نحو قلب الفارة، واخترق نطاق الغابات، كما انتشر على طول الساحل في غربي القارة، ودخل مع بعض المهاجرين إلى الكنغو، أما في شرق القارة فقد نفذ الإسلام إلى جنوب السودان وهضبة البحيرات، وتدفق إلى قلب هضبة شرق القارة فقد نفذ الإسلام إلى جنوب السودان وهضبة البحيرات، وتدفق إلى قلب هضبة

الحبسة، وتخطى ساحل شرق القارة إلى المناطق الداخلية إلى كينيا وتنزانيا. ودخل الإسلام جنوب القارة مع المهاجرين المسلمين من سكان الهند، ولازال ينتشر حتى اليوم إلى آفاق جديدة.

وقد حاول الجغرافيون المسلمون وصف العالم الإسلامي وتحديده في القرن العاشر المياشر المياشري. وقد اتسعت رقعة الإسلام كثيرا منذ هذا القرن، وانتشر في مناطق كثيرة لم يكن يعرفها الجغرافيون المسلمون في القرون الوسطى. كما حاول بعض الجغرافيين في العالم الغربي التقليل من شأن العالم الإسلامي أثناء الحرب العالمية التانيذ، ووصفه بأنه نطاق صحراوي فقير في موارده الطبيعية، وسكانه متخلفون، ولا خطر منهم على جيوش الحلفاء المحاربة (٤٨) ولعل دراسة وجوه النشاط الافتصادي المختلفة في العالم الإسلامي ـ وخاصة في سنوات العصر الحديث ـ تثبت عكس ذلك.

وبعد الحرب العالمية الثانية حصلت كل الدول الإسلامية في شال غرب إفريقيا وجمهورية السودان على استقلالها، ثم حدىت موجة الاستقلال على المسلمين جنوب الصحراء تجاه الجنوب في إفريقيا، حيث حصلت معظم الدول الإسلامية على استقلالها خلال العقد السابق (بعد عام ١٩٦٠م). وهذا هو نطاق السافانا الإفريقي الذي يمتد عرضيا في القارة إلى الجنوب من الدول الإفريقية الإسلامية (المجموعة الأولى)، وهو النطاق الذي أخذ الإسلام ينتشر فيه انتشارا حضاربا خلال صلات الشهال الإسلامي بالمجتمعات الوتنية في الدول الحديثة الاستقلال في غرب إفريقيا ووسطها. ولاشك أن الإسلام في القارة يكسب المزيد من أفراد هذا النطاق باطراد، الأمر الذي يعوض ما يخسره العالم الإسلامي كميا في نطافات أخرى من العالم أو في بعض الدول الإفريقية، ففي كل دول النطاق الأوسط من إفريقيا من أخرى من العالم أو في بعض الدول الإفريقية، ففي كل دول النطاق الأوسط من إفريقيا من الصومال شرقا إلى السنغال غربا بالإضافة إلى الدول العربية في الشهال، توجد حياة إسلامية تجمع بين كل شعوب القارة، رغم اختلاف لغاتهم ولهجاتهم ولونهم. ومن الطبيعي بعد الاستقلال أن تحاول هذه الدول الإسلامية في تقوية علاقاتها، وتزيد من روابطها.

ولا يفوتنا هنا أن نقدر عدد المسلمين بالقارة الإفريقية في نهاية القرن الحالي (عام ٢٠٠٠). فالمسلمون ٢٣٩ مليون نسمة (عام ١٩٧٣م)، يمثلون ٥٠٠٠٪ من جملة سكان القارة. وبناء على معدلات الزيادة الطبيعية لسكان العالم في بين ١٩٥٠ ـ ١٩٦١م البالغة ٨ر١٪،

وبافتراض أن المسلمين سيتزايدون بنفس المعدل، رغم أن معدل الزيادة السنوي في آسيا وإفريقيا حيث يوجد أكبر نسبة من السكان المسلمين في العالم يرتفع عن المعدل العالمي ككل (٤١)، سيصبح عدد المسلمين في إفريقيا ٣٥٥ مليون نسمة عام ٢٠٠٠م، يمثلون ٣٣٪ تقريبا من جملة سكان القارة في ذلك الوقت، والحقيقة الهامة التي لا يمكن أن نغفل عنها هي أن الإسلام له رصيد كبير في إفريقيا.

فالإسلام في إفريقيا قوة كبرى في هذه الفارة الناهضة، قارة المستقبل، ليس فقط من حيث العدد _ كما سبق _ بل من حيث أثر المسلمين البالغ في النشاط الثقافي والاقتصادي والاجتاعى في شعوب القارة.

جدول (١) نسبة التغاير للدول الإسلامية والمسلمين في إفريقيا

ەر، ۲۹٪ مى جىلة سكان القارة	۰ <i>۰۰</i> -۱۸-	٪ من حملة سكامها تقريسا)	
ارو۲۳۹ = (مليون سمة)	۲۱۰۵۸ ۲۳٫۶	عدد المسلمين بها (مليون سمه)	4461(4)
إحمالي عدد المسلمين بالقمارة	۲۱ – إسلامية ۲۰ – غير إسلامية کر۲۲	عند الدول	
ــر۰۷٪ س جملة سكان القارة	-c. ₁	٪ من جملة سكامها (تقريبا)	1
۱۵۲٫۹ - + ۵٫۷ ⁽⁺⁾ غرمه ۱ (ملیون سمة)		عدد المسلمين بها (مليون سمة)	YL blan
إجال عدد الملمين بالقمارة	۱۷ - إسلامية ۱۹ - غير إسلامية ۲۱٫۳	عدد الدول	
دره نا٪ من جملة سكان القارة	17,	از من جملة سكانها (تقريبا)	(1797(1)
_ ۷٫۵۱۷ = (ملیون نسمة)	15.7 15.1	عدد السلمين يها (مليون نسمة)	
إجمال عد السلمين بالقسارة	۲۲ _ إسلامية ۲۸ _ غير إسلامية (ارا)	عدد الدول	

المصدر: الجدول من المصادر التالية:

(1) Proctor, J H., (1965), Table, pp. 192-193. and & – حسن إبراهيم حسن ، (١٩٦٤) . جلول ص ص ٢١٨ _ ٢١٢

Atter: - Ready Intormation About Airica (Mission Information Centre, St. Edward's College, London, 1962). 2 - Ready Information About Airica and Airica AND Airica Report, Vol. 6,

(استفرح أوقام ١٩٦١ من متوسط الجداول بالمصدرين)
 (۲) تقويم العالم الإسلامي، (۱۹۷۰)، ص ص ۲۷ _ ۲۸ _
 (۲) تقويم العالم الإسلامي، (۱۹۷۰)، ص ص ۲۷ _ ۲۸ _

(3) World Muslim Gazitteer , 1975 Edinon, &-U N Demongraphic Yearbook, 1973, N Y., 1974.

(*) ﴿ ذَكُو المصدر أنه يجيب أن مضيف ٥را ملبون مسلم يمتلون أقلباب إسلامية صغيرة في دول إفريقية أحرى عير إسلامية، وهي ١٣ وحدة سياسية، معظمها دول عير مستقلة لم نرد في الجدول.

- Y£ -

جدول (٢) نسبة التغاير للمسلمين ببعض دول إفريقيا

نغاير ٪	نسبةاك	لسكان	ة للمسلمين من جملة ا	النسبة المئويا	الدولــة		
(-)	+	1977	1978	1171		,	٢
	`	98	9.4	17		مصر	١
	٤	99,0	90	90	1	ليبيا	۲
	٤	40	94	41	(1)	توئىس	٣
	17	٩٨	44	٨١		الجزائر	٤
	٥	44	9 £	41		المفسرب	اه
	11	٨٥	AY	٧٤	(Y) J	السودان	ا ٦
	١٣	٧٥	٥٢	77	$\frac{r}{r}$	نيجير يا	V
	٤٢	٦٥	٧,	77	1	سيراليون	٨
۲٠		۳.	٦	۰۰	(r)	غانا	٩
	77	۳۰	77	٧	[ټ	كينيا	1.
	٣٥	77	14	١ ١) l	أوغندة	11
	\	1	٩.	44	l r	موريتانيا	17
	47	4.	٦٥	YŁ		مالىي	15
	۱۱	11	٨٢	٨٠]]	النيجر	12
1	77	90	٦٠	٧٣	(m)	السنغال	١٥
	•	٦٥	٤٠	۱۵	1 1	فولتا العليا	17
	17	٨٥	٦٠	79		تشاد	۱۷
••	٤٩	٦٠	١٥	11		داهومي	14
1	۵۱	٥٥	١٠	٤	1 1	توجمو	19
…	٣٤.	٥٥	٣٥	11	(٤)	ساحل العاج	Y•
	٤٨	٥٥	٧٠	٧	(2)	إفريقيا الوسطى	11
••	12	٥٥	٣٥	۳٦		الكمرون	77
}	11	٤٥	لم ترد في الجداول	37	ì	الجابون	77
ه		٣٥	1.	لم ترد في الجداول	<u>(£)</u>	مالاوي	45
••	١٣	٣٠	47	۱۷	ا پ	ليبير ياً	10
···	٣٤	71	٤٩	۳۰ ا	Ìř	الحبشه + أريتريا	177
	14	70	٤٠	Y . Y.	(0)	تنجا نبقا	
!	l	l	l	[[44		تنزائيا + زنجيار	144
19	••	10.	لم ترد ني الجداول	٣٤	(T) ξ	روديسيا	۸۲

المصدر: الجدول من مصادر الجدول السابق مع تعديلات.

جدول (٣) «المسلمون واللا مسلمون في دول إفريقيا» (تقدير سنة ١٩٧٣)

				10 11			
تاريخ عضوية	النسبة	المسلمون	تاريخ تقدير	السكان	المساحة		
الأمم المتحدة	المنوية	ألف نسمة	الأمم المتحدة	ألف نسمة	(ألف)	الدولة	r
					(ك.م)		
							7
					ļ	(١)الدول الإسلامية	
						المستقلة	
1977	//\A	۲۸۳٫۵۱	1477	۲۰۷٫۵۰	۱۰۰ هرا	الجزائر	\
141.	٥٥	٥٣٦٥	1177	₹,	٤٧٧	الكمرون	۲
117.	٥٥	٧٠٧	1177	1,72.	114	حمهورية إهريقيا	٣
						الوسطى	ļ
1970	۸٥	۲٫٤۰۰	1977	75111	1747	تشاد	٤
147.	٦٠	7376	1174	7,9.9	110	داهوسي	٥
1920	17	٧٨٣٫٣٨٧	1177	۹۰۰ره۳	<i>\</i> 2000	حمهورية مصر العربية	Y
1910	٦٤	۱۷٫۲۸۹	1977	47,041	1781	الحمشة + أويتريا	٧
1970	٨٥	777	تقدير الحكومة	445	١٠.	حميا	٨
			1177	1			
1904	40	٤٠٤٧	1177	٤٥٢ر٤	727	عينيا	4
١٩٧٤	٧٠	٧٢٥	1177	۸۱۰	77	غييا سار	1.
197.	٥٥	3,1,4	1977	٥١٥ر٤	777	ساحل العاح	11
1900	١٠٠	۸۷۸٫۲	1177	۸۷۲۷	1,Y01	ليبيا	14
197.	٩٠	۳۵۸ر٤	1177	۲۹۱ره	1,525	مالــي	14
1971	١٠٠	۱۶۲۲ <i>۷</i>	1177	1744	7.46	موريتاسا	18
1907	11	ነጌለየገ	1177	17,110	227	المملكة المعربية	10
197+	11	5175	1177	٥٣٣ر٤	744	اليجسر	17
147+	٧٥	۲۰۸ر۹ه	تعداد سنة ١٩٧٣	۲۹ _۷ ۷۹	417	نيجيريسا	14
147-	90	۲۸۱۹ر۳	1477	٤٠٢٠ر٤	117	ستغال	38
1971	٦٥	۱۰۸۰۰	1177	7,774	٧٣	سيراليون	11
147+	1	۳,۹۵۰	تقدير الحكومة	۱۹۵۰ر۳	٧٠٢	حمهورية الصومال	۲٠.
			1477			الديمقراطية	ļ.
1907	٨٥	۵۲۷ر۱۶	تعداد سنة ١٩٧٣	12111	7010	السبودان	41
						جمهورية تنزانيا	11
]				ł	1	الاتحادية (زيزبار	-
1971	٥٦	4,724	1177	۱٤٫٣٨٠	417	السد	
147.	٥٥	1,177	1177	7,14.	٥Υ	توجسو	77
1907	10	٥٤٢ره	1177	۲۱ دره	170	توسس	41
197.	٥٦	۳٫۸۷۹	1177	۱٤ مره	440	موثتا العليا	۲۵
	1					(٢) الدول الإسلامية	
						تحت حکم عیر	ì
			1			إسبلامي)	1
يحب القرنسي	10	7.47	-	111	۲	جرر القمر	177
تحت الإسباني	90	٧٣	-	77	YYE	- الصحراء الإسانية	
تحت أنيوسيا	Yo	7,700	-	۳,۰۰۰	111	أريتريا	-
	 	V	 	V2, V4.	۱۸٫۷۲۰	7 N NI 1 31 91	
	ەر٠٨٪	۲۱۷ره۲۱	-	አላን _ረ ላዶን	1,77,41,	حملة الدول الإسلامية	

ملاحظة : قسمت الصحراء الإسانية بين المغرب وبوريتانيا.

تابع / جدول (٣)

							_
تاريخ عضوية الأمم المتحدة	النسبة المثوية	المسلمون ألف نسمة	تاريخ تقدير الأمم المتحدة نسمة		المساحة ألف كم ^ا	الدولة	۴
						(٣) الدول غير	
		ļ				الإسلاميه	
(برتغالية)	Ya	٠٥٤ر١	1975	۰۰۸ره	۱۵۲۰۱	أنجولا	۲۷
1977	۵	71	1977	٦٧٠	۵۷۱	بتسواما	۲A
1977	۲.	٧٢٠	1977	۳٫٦۰۰	4.4	ىوروند ي	79
197.	۱۵	١٥٠	1477	١,٠٠٠	727	کعبو	۳.
197.	٤٥	١٣٤	1977	٥٢٠	777	الجابون	[41]
117-	۳.	۸۰۸ر۲	1977	9,87.	444	ال	٣٢
1975	۳.	۲۸۲٫۳	1447	۱۲٫٤۸۰	٥٨٥	كبيا	44
NAEY	٣.	£9.A	1977	777.	111	ليبير يا	48
1977	١.	14.	1977	۱٫۲۰۰	٣٠	اليسوتو	80
197.	۲.	۱٫۳۵۰	1977	۱۵۷٫۲۵۰	٥٩٣	مالاجاشىي	٣٦
1978	٣٥	١٦١١٧	1977	۰ ۲۹ر۱	92	سالاوي	۳۷
بريطائية	۲.	181	1977	۸۳۰	۲	مورشيس	۳۸
رتفالية	74	7,700	1477	۲۰۸٫۸	377	موزمبيــق	٣٩
197-	۵	72	1177	٦٧٠	AYY	زامبيسا	٤٠
	1471	۲	٤٧٤	1977	<i>1</i> ,777	جموب إفريفيا	٤١
ىرىطانية	١.	٤٦	1977	٤٦٠	۱۷	سوازيلاند	٤٢
ļ ļ	1975	۳٦	1977	۱۰۸۸۰۰	1337	أوعشده	٤٣
1505	١٠	۲۸۳۸٤	1977	۲۳٫۸۳٦	۵۳۲ر۱	رائيسري	٤٤
1971	١٥	147	1977	٠ ١٤٠ر٤	٥٥٢	رامبيا	٤٥
ويطانية	١٥	٨٨٥	1977	۰۰۹ره	441	رردىسيا	٤٦
	%\ A	۲۳٫٤٦٩	-	۱۲۷۵۱۲	۱۰۵۹۸	الدول عبر الإسلامية	جمله

إجالىي:

	في العالم		السنة المثوية من العالم
_ جمله المسلمين في الدول الإسلاميه _ حمله المسلمين في الدول عبر الإسلامية	l · ·	۲۱۵٫۷۰۷٫۰۰۰ ۲۳٫٤٦٩٫۰۰۰	%r't %1 •
_ جله ایسلمس	4-1/414/	17°4,177,000	ሃ ፖЪኔ

ــ النسبه المئونة لمسلمى العاره من جمله سكامها ٥٠٠٪ (١٩٥٩٪ لغير المسلمين) ــ السنة المئونة لمساحة إفريقيا الإسلامية من حملة مساحة القارة ١٥٥٥٪ (١٩٥٥٪ للدول عير الإسلامية)

⁻ World Mus.im Gazetteer , 1975 , Edition

[~]U N. Demographic Yearbook, 1979, N. Y., 1974

الحواشسي

- (1) Jarrett , H. R. , (1970) , P. 7.
- (٢) لغ عند الدول ٤٦ (٢٦ إسلامية + ٢٠ غير إسلامية)، يدون الجزر الصغيرة المحيطة بالقارة فيا عدا مالاجاش.
 - (٣) مساحة العالم الإسلامي ٢ ر٣ مليون ك. م مربع (١٢ ميل مربع)، إقريقيا الإسلامية ١٨/٧ مليون ك. م مربع.
 - عن / دائرة المعارف الإسلامية / مجلد ٢ ، ص ٦٤٩ .
 - (٥) جدول (١) _ عن/ تقويم العالم الإسلامي ، القاهرة ، ١٩٧٠ .
- (6) World Muslim Gazetteer , 1975 .

- (Y) عبدالرجمن زكى ، (١٩٦٥)، ص ٧٦.
- (٨) إبراهيم طرخان ، (١٩٧٠) ، ص ٤٣ .
- (٩) هو الاسم الذي يطلقه المسلمون في كل قطر على عقيدتهم، ومعنى هذه الكلمة هو الخضوع أو الاستسلام لله، وقد وردت في القرآن ثباني مرات. عن/ دائرة المعارف الإسلامية، ص ص ١٤٩.
 - (۱۰) عمد الصواف ، (۱۹۷۵) ، ص ۳۷ .
- (۱۱) غزيت إفريقيا ثلاث غزوان: سنة ٣٤ هـ، سنة ٤٥ هـ، والنالثة سنة ٥٠ هـ على يد عقبة بن نافع، الذي دفع بالإسلام إلى غرب المقارة وأوروبا _ عن/ الصواف، (١٩٧٥)، ص ٤٠.
 - (۱۲) انظر: جال حدان ، (۱۹۷۱) ، ص ۵۲ ـ ۵۸ .
 - (١٣) محمود أبو العلا ، (١٩٦٨)، ص ص ٣١ ــ ٣٣، عبدالعزيز كامل، (١٩٦٦م)، ص ص ٩٥ ـ ٩٧.
- (١٤) انظر: أحمد فخري، تاريخ شبه جزيرة سيناء، ص ٦٧، من/ موسوعة سيناء التي أصدرها المجلس الأعلى للعولم في عام ١٩٦٠، القاهرة، وبها أربع عشرة دراسة عن شبه الجزيرة.
- (15) Trimingham, J. S. in: Lewis, I. M., (ed.), (1960), PP. 127-130.
- (۱۳) راجع ما يلي : عبدالعزيز كامل، (۱۹۹۹)، ص ص ص ۹۹ ـ ۱۰۲، عبدالرجن زكي، (۱۹۹۵)، ص ص ۲ ـ ۱۹۰، حسين إبراهيم، (۱۹۹۵)، ص ص ص ۹ ـ ۱۵، جال حمدان، (۱۹۷۱)، ص ص ۵۵ ـ ۵۵، ترمنجهام، ترجمة النوارى، (۱۹۷۳)، ص ص ص ۱۰۹ ـ ۱۰۰.
- (17) Trimingham, op. cit.

- (۱۸) عبدالعزيز كامل ، (۱۹۹۹) ، ص ۲۰۰ .
- (19) Bovill, E. W., The Golden Trade of The Moors, O. U. P., 1961, P. 234.
 - عن / ـ عبدالعزيز كامل ، المرجع السابق ، ص ١٠١ .
 - عبدالرجن زکی ، (۱۹۹۵) ، ص ۱۷ .
 - (۲۰) عبده بدوی ، (۱۹۷۰) ، ص ۸ .
 - (٢١) انظر: حسن إيراهيم ، (١٩٦٤) ، ص ٩ .

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- (۲۲) ترمنجهام : ترجمة النواوي ، (۱۹۷۳) ، ص ص ۱۰۹ ـ ۱۱۰ .
- (23) Yusuf Fadl, in: Lewis, I. M., (1960), PP. 145-146.
- (24) Davidson, B., Old Africa Rediscovered, London, 1961, p. 63.

عن / عبدالعزيز كامل ، (١٩٦٦) ، ص ١٠٢ .

(25) World Muslim Gazetteer, 1975, P. 25.

(٢٦) انظر: جدول (٣).

(27) (Africa, The Muslim Centinent.) Dvidson, Op. Cit., P. 165.

- (٢٨) انظر: خريطة «لابلاش» (La Blach) الشهيرة عن طرق القوافل وموانئ الصحراء في العالم العربي. عن / جمال حمدان ، جغرافية المدن، القاهرة، ١٩٧٧، ص ٣٠٨.
 - (۲۹) جال حدان ، (۱۹۲۹) ، ص ۲٦٨ .
 - (۳۰) جال حدان ، (۱۹۷۱) ، ص ص ۱۷ ـ ۱۸) .
- (31) Kamel, A.A., (1965), P. 142.

- (٣٢) عبد الصواف ، (١٩٧٥) ، ص ٤٥ .
- (33) V. McKay, in: Proctor, J. Marns, (Ed.), 1965, P. 161.
- (34) Fage, J.D., (1955), PP. 10-16.

- (٣٥) محمد الصواف ، (١٩٧٥) ، ص 20 .
 - (٣٦) انظر: الجداول / ٢ .. ٢ .. ٣ / ٠
- (٣٧) تقويم العالم الإسلامي ، ص ص ٢٠ .. ٢٦ .
- (38) World Muslim Gazetteer, 1975, P.7.
- مثال عن التضارب وعدم الثقة بالأرقام: قدر عدد المسلمين في العالم في بداية القرن العشرين سنة ١٩٠٧ بـ ٣٠٠ مليون نسمة، وهو نفس الرقم الذي قدروا به في منتصف القرن. كما لو أن السكان ظلوا ثابتي العدد دون زيادة لفترة ٥٠ عاما، في حين أن «الهاشمي» فد قدرهم في كتابه بـ ٥٥٠ مليون نسمة سنة ١٩٥٧، وليس من المعقول أن يزداد المسلمون ٢٠٠ مليون نسمة في فترة ٧ سنواب بالنسبة إلى تقدير عددهم هذا.
 - (٤٠) انظر: الجداول (١) ، (٢) ، (٣) .

- (41) World Muslim Gazetteer , 1975 .
- (٤٢) يوضعها جدول (٣) ، فقرة (١) ، (٢) .
- (43) Gunther, J. (1955), P. 150 & P. 249.
- (44) Trimingham, S., (1952), P. 15.

- (٤٥) انظر جدول (٣) .
- (٤٦) جدول (٣) ، (الدول : الجابون ، مالاوى ، أوغنده) .
- (٤٧) أنظر: سلمان خاطر، مدن شهال إفريقيا، دراسة تحليلية.
- ـ مجلة البحوث والدراسات العربية _ معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، العدد الثامن.
- (48) Bowman, I., (1944), PP. 164-165.
- (49) Demographic Yearbook, 1962, Table 2, P. 124.

أولا: المصادر العربية:

- إبراهيم علي طرخان: إمبراطوية غانة الإسلامية، الهاهرة، ١٩٧٠، الفصل التاني، ص ص ٤١ «غانة الاسلامية».
 - ٢ _ إبراهيم على طرخان: دولة مالى الإسلامية، القاهرة ١٩٦٩.
 - ٣ _ جمال حمدان: إفريفيا الجديدة، القاهرة ، ١٩٦٦.
 - ٤ ... جال حمدان : العالم الإسلامي المعاصر، القاهرة ،١٩٧١ .
 - ٥ _ جمعية الدراسات الإسلامية: تقويم العالم الإسلامي ، الهاهرة ١٩٧٠.
 - ٦ _ حامد عهار: علاقات الدولة المملوكية بالدول الإفريقية، (رساله غير مطبوعة).
 - ٧ ... حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام في القارة الإفريقية، القاهرة ١٩٦٤، (الطبعه النانية).
- ٨ _ حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام والعربية فيا يلي الصحراء الكبرى وشرقي القارة الإفريقية
 بغربها، القاهرة ١٩٥٧.
- ٩ حسن أحمد محمود: الاوسلام والثقافة العربية في إفريقية ، القاهرة ، ١٩٦٣، (الجزء الأول ـ الطبعة الثانية).
- ١٠ «دائرة المعارف الإسلامية»: الترجمة العربية عن الأصل الإنجليزي، نقلها إلى العربية: (محمد بابت الفندى ـ أحمد السنتناوى ـ إبراهيم زكى خورشيد ـ عبدالحميد يونس).

(The Encyclopedia of Islam, Leiden, 1960)

(Vol, I & II, London, 1969, (Luzac & Co.)

(Vol. III, Paris, 1971.)

- ١١ _ زاهر رياض : الإسلام في إنيوبيا ، القاهرة ، ١٩٦٤.
- ١٢ ـ سبنسر ترمنجهام : الإسلام في شرق إفريقيا ، ترجمة وتعليق: محمد عاطف النواوي، القاهرة،
 ١٩٧٣.
- ١٣ _ سليان خاطر: مدن شيال إفريقيا ، دراسة تحليلية . مجلة البحوث والدراسات العربية _ معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، العدد الثامن.
- ١٤ _ سليان خاطر: إفريقيا الإسلامية، دراسة للدول الإسلامية والمسلمون أفريفيا. «إفريقيا». مجلة معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، ١٩٧٦.

- ١٥ .. صابر طعيمه : الإسلام ومسكلات السياسة، بيروت، ١٩٧٤.
- 17 _ عبدالرجمن زكي: الإسلام والمسلمون في سرى إفرىفيا ، القاهرة، ١٩٦٥ (محموعه محاضرات ألفيت في معهد الدراسات الإسلاميه).
 - ١٧ _ عبدالرحمن زكى : المسلمون في العالم اليوم، (خمسة أجزاء)، القاهرة ، ١٩٥٨ _ ١٩٦٠ .
- ١٨ _ عبدالعزيز كامل : «وجهة الإسلام في القاره الإفريهية»، السياسية الدولية، يناير ١٩٦٦، السنه النانية ص ص ٩٤ _ ١١١.
- ١٩ عبده بدوي : مع حركة الإسلام في إفريفا، «دراسه من خلال الدول التي قامت قبل الاستعار،
 الفاهرة، ١٩٧٠.
 - ٢٠ _ فتحى غيب : الإسلام والحبسة عبر التاريخ، الفاهره، ١٩٦٠.
- ٢١ _ محمد صبحي عبدالحكيم: «خريطة إفريفيا السياسيه في السنموات العسر الأخبرة (١٩٥١ ـ ١٩٥١)» الجمعية الجغرافية المصر به/ المحاضرات العامة _ الموسم المقافي لسنة ١٩٦١.
- ٢٢ م محمد محمود الصواف: رحلاتي إلى الدبار الإسلامية، الفسم الأول: إفريقيا المسلمة، ببروت،
 - ۲۳ _ محمد وطه أبو العلا: جغرافية العالم الإسلامي، القاهرة، ١٩٦٨، (الطبعة الرابعة): (الفصل الأول: العالم الإسلامي ، ص ص ١ _ ١٢). الفصل الناني: القارة الافريقية، ص ص ٣١ _ ٣٩).
- ٢٤ _ مصطفى محمد مسعد: الإسلام والنوبة في العصور الوسطى، القاهرة، ١٩٦٠، (الفصل السابع: انتشار الإسلام والنقافة العربية في النوبة، ص ص ١٤٢ _ ١٨٣).
 - ٢٥ _ هو بير دسان : الديانات في إفريقيا السوداء ، القاهره ، ١٩٣٥.
 - ٢٦ _ يوسف أحمد: الإسلام في الحبسة ، الفاهرة ، ١٩٣٥ .

ثانيا: المصادر الأجنبية:

- 1 Baulin, J., The Arab Role in Atrica, Penguin Atrican Library, 1962.
- 2 Boyd, Andrew, An Atlas of World Affairs, New York, 1962, (4th. Ed.).
- 3 Boeman, I., "The Mohammedan World", The Geographical Review, Jan, 1944, PP. 164-65.
- 4 Fage, J.D., An Atlas of Atrican History, London, 1958.
- 5 Fage, J. D., An Introduction to the History of West Africa, Cambridge, 1955.
- 6 Gunther, J., inside Africa, London 1955.
- 7 Hazard, H. W., Atlas of Islamic History, U.S. A., 1954.
- 8 Hashmi, A. A., Muslems in the World, Begun Aisha Bawamy, Educational Trust, Karachi, 1957.
- 9 Horrabin, J. F., An Atlas of Africa, New, 1961, (2nd. & Rev. Edition).
- 10 Jarrett, H. R., Africa, London, 1970.
- 11 Kamel, A. A., "The Face of The Moslem World", Bul. Soc. De. Geog. d'Egypte, 38, 1965. PP. 129-153.
- 12 Lewis, I. M., (Ed.), Islam In Tropical Atrica, London, 1960.
 - A) Trimingham, J. S., The Phases of Islamic Expansion and Islamic Culture Zones in Atrica, PP. 127-143.
 - B) Yusuf Fadl Hasan, The Penetration of Islam in the Eastern Sudan, PP. 144-159.
 - C) Stevenson, R. C., Some Aspects of the Spread of Islam in Nuba Mountains, PP. 208-232.
- 13 Proctor, J. Harris, Islam and International Relations, London, 1965.
 - A) Majid Khadduri, The Islamic Theory of International Relations, PP. 24-39.
 - B) Vernon McKay, The Impact of Islam on Relations Among the New African States, PP. 158-193.
- 14 Prothero, R. M., (Ed.), A Geography of Africa, London, 1973.
- 15 Trimingham, J. Spencer, A History of Islam in West Africa, London, 1970.
- 16 Trimingham, J., A History oi Islam In East Africa, Oxford, 1964.
 - Trimingham, J., A History of Islam in Ethiopia, London, 1952.
 - Spencer, Islam in The Sudan, London, 1949.
- 17 "World Muslim Gazter", 1975 Edition.
 (Khalid ikramullah Khan, Editor, Umma publishing House, Karachi, Pakistan.) (Al-Karimi Press)
- 18 Worldmark Encyclopaedia of the Nations, New York, 1963.
- 19 United Nations, Demographic Yearbook, New York, 1962, & 1973.

onverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المسالكوالدروب التى انتشر عليما الإسلام

امين النفورس



مقدمــة:

إن تناول أى موضوع وفهمه وتقديمه يختلف ونظرة كل باحث إلى الموضوع نفسه تبعا للجانب الذي يرى المبحث فيه مفيدا، وعلى هذا فإن فهمنا الذاتي وإدراكنا لهذا الجانب من المبحث أو ذاك بنطلق من الأوليات الأساسية التالية في نظرنا مع عدم المغالاة في العوامل الاقتصادية التي دفعت العرب إلى الانسياح في البلدان المجاورة والمالك حسبها تراه بعض المدارس التاريخية في البلاد الغربية، والتي لا تريد أن تعطي للانتشار الإسلامي في تلك الرقع المجزافية المتادبة البعد الروحي الصحيح، والمدى الإيماني ـ التوحيدي الذي قامت عليه الدعق الإسلامية في نفوس معتنفي الدين الجديد.

إن هذه الأوليات الأساسية هي :

١ ـ العقيدة الإسلامية: أبرها ومستلزماتها الإيمانية والجهادية من المسلمين لنشر الدين الجديد وفق السنة والتنزيل.

Y معنى الهجرة، وتأسيس دار إسلام مكينة، والاستعداد لمجابهة دار حرب مجاورة، وتبليغ الدعوة، وتوجيه الكتب والوفود إلى قيصر وكسرى والمقوقس وغيرهم من الحكام، مما يعتبر دليلا لمن خلف النبي صلى الله عليه وسلم لإتمام الدعوة وتبليغ الرسالة على هذه الاتجاهات الجغرافية والدولية. فلم يكن على من أتى من بعده من الخلفاء إلا نشر الإسلام على هذه الاتجاهات التي حددتها رسائل النبي إلى الملوك. فكان لكل خليفة أسلوب للوصول إلى هذه الغاية.

٣ ـ الثوابت والمهيمنات في نشر الإسلام:

الدعوة لعبادة الله الواحد القهار، ونبذ الشرك والوثنية والدنيوية، وإخراج الناس من عبودية العبد، ونشر هذه الدعوة وتبليغها إلى الناس كافة بالحكمة والأسوة والموعظة الحسنة ولا انقطاع في تبليغ الدعوة.

٤ - أثر التنظيم الإجناعي للجماعة الإسلامية في السلم والحرب: ومفاهيمها الدينية والحياتية المترسخة في نفوسها وعقولها وممارستها، وانقطاع المسلمين في أول الأمر في مهاجرهم وأمصارهم البعيدة إلى الجهاد دون الانصراف إلى الاقتناء أو العمل في الزراعة والتجارة وإشادة البنيان.

٥ ـ الوسائل لنشر الإسلام وأهمها: الجهاد بأنواعه، ويتوخى في النهاية الحسم الحضاري اجتاعيا وروحيا ولغويا بحكم اتباع كتاب الله.

آ - المتغيرات: قوة الحكم الإسلامي وطاقاته، وما يطرأ عليها من عوامل القوة والضعف في الزمان والمكان باعتبارها المنفذ لغرض الجهاد وفق الوسائل السلمية والحربية المتوفرة لدى الحكم للاستمرار في الدعوة، وحسب طبيعة العدو ومجتمعه ونظامه السياسي ووسائطه المقابلة يتطلب الحسم الحضاري خوض الصراع المسلح الفاصل مع خصوم الدعوة ومعانديها وما نعي انتشارها، وذلك على الاتجاه الرئيسي الفاصل، وذلك بعد الإعذار والإنذار لهم ودعوتهم لشر وط الإسلام.

يتولى ذلك أمرة واعية وقيادة مدبرة من أهل الحل والعقد، والذين يصدرون في آرائهم عن مشورة عامة فيا بينهم، ومداولة حرة في أمورهم وشؤونهم، حيث تنفذ متطلبات الدعوة وأغراضها تبعا لظروف الزمان والمكان وأحوالها، ويطبق أوامر ونواهي الدعوة المبينة في السنة والكتاب. رجال مؤمنون أقبوياء بطاقاتهم البروحية والنفسية، وأسلحتهم المادية الفردية والجاعية، راجلين وراكبين، ينتظمون في القتال، ويقفون على مراتبهم في الصفوف أثناء الحرب حسب ترتيبهم في الديوان، ووفق نظام مواضعهم في القبائل، ولكل منهم ما يكفيه من العطاء، وما يصيبه الجميع من الغنائم والفي في المعارك.

٧ ـ لقد كان للعوامل الجغرافية، وطبيعة الأقاليم التي انتشر عليها الإسلام ومناخها، ونوعية الأقوام والشعوب والأمم، ودياناتها المتوضعة على تلك الدروب والمسالك التي انتشر عليها الإسلام في الشهال والشرق والغرب حول الجزيرة العربية أثر كبير في تيسير نفوذ الدعوة أو تأخر دخولها إلى تلك المناطق والأصقاع حسب طبيعة الأرض وسكانها.

٨ _ ولابد أن نذكر أثر القوى الدولية والعالمية في تلك الفترة، والتي وقفت على طريق الإسلام تصده وتمنعه كالروم والفرس والترك والبربر وغيرهم.

9 _ وأخيرا لا معدى لنا من أن نبين الأثر الكبير في نقل القبائل العربية وتوطينها الأمصار البعيدة لترسيخ الدين في تلك الأفاليم حسبها بدر من تلك القبائل من سلوكية أخلاقية ودينية واجتاعية وفدوة، إن عدلا وتسامحا ومساواة أو جورا واستعلاء وعصبية تبعا لسلوكية الولاة والعمال في تلك الأقاليم.

«تحديد اتجاه نشر الدعوة»

١ _ في العهد النبوي :

بعد أن أذن للرسول صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى يثرب عزم على إقامة دار إسلام في المدينة، يمتنع بها المؤمنون عن طغيان المشركين وبغي الكفار بالهجرة إليها، ونشر الإسلام في المدينة وما حولها من القبائل المجاورة، وعقد المحالفات والموادعات مع القبائل الضاربة ما بين مكة والمدينة على طريق قوافل قريش، ومنابذة المشركين وقتالهم، وتوجيه الرسل لدعوة ملوك الدول والأمم المجاورة إلى الدخول في الإسلام بعد أن يتم التمكين بصورة نهائية للإسلام في الجزيرة العربية، وإرسال السرايا والحملات لنشر الدعوة على الحدود السالية للجزيرة، ورد العدوان البيزنطي عن الحدود الإسلامية لإعاقتهم سير الدعوة الإسلامية.

وكان النبي في كل ذلك هو الذي يعين اتجاه السرايا والحملات للدعوة إلى الإسلام والتوحيد، بدءا من بدر وفتح مكة وحنين وانتهاء بتبوك ووادي القرى ومؤتة.

٢ _ في عهد الخلفاء الراشدين :

كان الخليفة وكبار الصحابة يقررون في المسجد الاتجاه الذي تسير عليه الحملات لنشر الدعوة، ويعين الخليفة الوجه الذي يسير إليه المسلمون. وبعد وفاة الرسول الكريم كان الهدف الرئيسي للخليفة الحفاظ على وحدة العقيدة الإسلامية وسلامتها في الجزيرة العربية

بالقضاء على المرتدين أولا، تم التصميم على نشر الدعوة باتجاه الشرق نحو فارس وباتجاه النسال صوب الروم انطلاقا من ينرب قاعدة العمليات الأولى نحو الإمبراطوريتين الكبيرتين.

كان المحور المبدئي لغزو فارس المدينة ـ العراق مع البدء بأخذ نغر الهند وهي الأيلة، وتألف أهل فارس ومن كان في ملكهم من الأمم، وتعويد العرب المسلمين على مناجزة الفرس، ـ وقد كان أكره وجه وأثقله على العرب ـ وضعضعة مسالح فارس في العراق التي دون الفرات حتى الطف، واستالة العرب المقيمين في الحيرة وضواحيها، تم التوجه على الأراضي ما دون دجلة إلى البادية، والإقامة في الحيرة بعد تدمير كل هذه المسالح والمناظر الفارسية والسيطرة عليها، وإسكان العرب المسلمين فيها، نم عبور الدجلة والاتجاه نحو قلب السواد لحيازة محاصيله، وزعزعة النظام الإداري والجباية الفارسية، وإخضاع الدهاقين في الرساتيق في قرى السواد للشروط الإسلامية.

ولابد لفهم هذه الفترة وما تلاها وللتعرف على الطرق والاتجاهات التي انتشر عليها الإسلام في فارس ذكر نبذة مختصرة عن تنظيم الثغور الفارسية في تلك الفترة، لأنها كانت الطريق الذي اتبعه المسلمون في فتوحاتهم.

«النظام الحربي الفارسي»:

لقد أنسأت مملكة الفرس خلال قرون متعاقبة سلسلة من الثغور، أقيمت فيها الروابط والمدن المحصنة من حدود الصين والهند وما وراء النهر إلى الديلم وطبرستان والأبواب والبحر الأسود، حتى الجزيرة الشامية والأبلة والبحرين وعمان.

وأقام الفرس إزاء القبائل العربية التي كانت تغير على أرض السواد بين الفينة والفينة خندقا كبيرا، يمتد حتى حدود البادية، وقد حفر منذ زمن الملك سابور، ابتدأ من هيت وعانات على الفرات إلى كاظمة مما يلى الأبلة والبصرة.

وكان لشق هذا الخندق طف البادية وعليه المسالح والمناظر ليكون مانعا لأهل البادية من العارة على السواد.

وكان حول المدائن محلة الملوك في كوتي وسورا ودير المسالح.

أما المسالح التي كانت بإزاء الجزيرة العربية فهي:

- ١ _ تغر الهند وفيه أكنر من خمس مسالح ، أسهرها الأبلة.
- ٢ ــ مسالح الحيرة ومنها خندن سابور، وفيها عدد كبير من المسالح ، ورابطة كثيفة من
 الحيل في ألف رجل. تسرف على المسالح بين فارس وبين العرب.
 - ٣ _ عدد من الأديره المحصنة، يبلغ عددها أكنر من سبعة أديرة.
 - ٤ _ عدد من القصور المحصنة، يبلغ عددها أكنر من ستة قصور.
 - ٥ _ مناظر الطف ، وأكترها حصون وأديرة.
- ٦ مسالح كربلاء والأنبار، وأهمها حصن عبن التمر، وكان بها مسلحة عظيمة، ورابطة خمل كنيفة.
 - ٧ _ مسالح كوتي والعذيب في البربة، وتسرف على الأرض ما بين القادسية والعزيب.
 - ٨ _ امغيشيا، ومن مسالحها أليس .
- و تغر السيب. وكان بالفرات عسكر للأعاجم ، بالموصل رابطة من الجند الهمزانيين. ومع أن ثقل الجهاد الإسلامي كان يتجه إلى النبرق صوب فارس وإلى الشيال نحو الروم إلا أن مركز الثقل الرئيسي كان يميل دوما نحو الفرس، لأنهم شعب شرقي يخيم على تخوم الجزيرة العربية، وفي جوارها في عمان والبحرين وهجر واليمن، ولاسبا وأن المجوسية والماثوية كانت فاسية في فارس وتلك الأصقاع، مما يهدد بالخطر الدين الإسلامي، ولأن مادة الفرس في العراق وفي أقاليم فارس القريبة من العراق.

أما الروم فهم شعب عارض لا جذور لهم في المنسرق، وأكنر ما حولهم في الشام من القبائل العربية التي تؤول في آخر الأمر إلى المدخول في الإسلام، ولأن مادة الروم فيا وراء خليج القسطنطينية.

فكان الجهد الأساسي منصبا على تخليص بلاد الشام من الروم وحفظها وجمايتها، بالوصول إلى الدروب والمعابر فيا وراء جبال طوروس، دون الطمع أول الأمر في القضاء على بيت ملكهم ودولتهم في القسطنطينية. وعندما وجد الخليفة أبو بكر رضي الله عنه الجيوس إلى السام من معسكر الجرف حول المدينة عين لكل أمير اتجاها يصل إليه، ومدينة يتمركز فيها ويفطنها بعد الفتح مع عسكره وعيالاتهم، إذ إن القبائل العربية كانت تنتقل في مسبرها نحو فارس والروم بأتقالهم وذراريها.

وكما يذكر التاريخ في صفحاته فقد وجه الخليفة عمرو بن العاص إلى فلسطبن على طريق المعرفة، ويزيد بن أبي سفيان إلى دمشق على طريق التبوكية، وسرحبيل بن حسنة إلى الأردن، وأبا عبيدة بن الجراح إلى حمص، على أن يحمي هذه الأرتال السائرة ردي " يتمركز في تياء.

وهكذا كان انتشار الإسلام على الطرق البرية المفضية إلى السام ، وفي قسمها الصحراوي الداخلي.

وكانت وقعة أجنادين ودخول دمشق، مم معركة اليرموك للسيطرة على مناطق السام الداخلية، تمهيدا لنشر الدعوة في شهال الشام وسواحلها فيا بعد انطلاقا من القاعدة العسكرية الكبيرة في الجابية على بعد ٩٠ كيلو مترا جنوب دمشق.

وفي عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه استمرت تقوية جبهة العراق وجبهة الشام، غير أن السام في تلك الفترة أصبحت مسرح الحرب الرئيسي، حيث ركز العرب جهودهم الحربية فيها، ولاسيا بعد انهزام الروم في اليرموك.

فطلب الخليفة من أبي عبيدة أن يتوجه إلى دمشق، لأنها حصن السام وبيت مملكة الروم فيها، وأن يتم قبل كل شيء فتح الشام الداخلية، نم تتوجه الجيوش إلى سال الشام إلى أن تصل إلى الدروب لمنع الروم من دخول الشام وحفظ تخومها الشهالية. وبعد ذلك تعطف الجيوش إلى فلسطين والساحل ولاسيا القدس.

ولم يدع الخليفة للروم فرصة لالتقاط أنفاسهم، فوجه حملة لمصر لقطع المادة عن الروم في القسطنطينية، لكيلا يتقووا على حرب المسلمين في الشام. ولما فتح عمرو بن العاص مصر أوصاه الخليفة أن يقف عند حد إفريقيا في برقة، وأن يتخذ منزل جهاد ودار هجرة في الفسطاط، يقطن فيها المسلمون بقبائلهم وذراريهم، وسارت بعض السرابا باتجاه النوبة منطلقة من الفسطاط والفيوم. ولكي يتوطد سلطان الإسلام في الشام كان لابد من عزل الروم

عن الوصول إليها، وذلك بتنظيم الأجناد فيها، وإقامة الروابط في الحدود، وتحصين السواحل والنغور بالمسالح، ونقل الحرب إلى الروم والجهاد فيهم خارج الحدود بالصوائف والسواتي المتوغلة في بلادهم من الجزيرة وأنطاكية لتنبيت دار الإسلام في سورية، بفضل تلك الحرب الوقائية الدائمة التي استمرت حتى أواخر العهد الأموى وتتابعت في العصر العباسي.

ولم تتبدد جهود الإسلام وتضعف قوة اندفاعه على الرغم من انسغاله في مسرحي حرب متباعدين في العراق والسام، بل كان التنسيق تاما بين أعمال الجهاد في الجبهتين، وانتقل مركز التقل من اليرموك إلى القادسية بعد أن توطدت السلطة الإسلامية على طول مجرى الفرات الأعلى والأدنى خلال «الأيام» والوقائع في الجسر والبويب والأبلة، فكانت القادسية وجلولاء تتويجا للجهاد الطويل الذي عاناه العرب وقبائلهم خلال عدة سنوات في صراعهم مع الفرس على تخوم الجزيرة السرقية.

وكان عبور الدجلة إلى المدائن والأبواب بيت ملك الفرس والأكاسرة المرحلة الأولى الحاسمة لبسط الإسلام في تلك الربوع، ولاسيا بعد أن أمر الخليفة بأن يتخذ المسلمون في الحالق دار هجرة ومنزل جهاد للقبائل المتوافدة في الجزيرة العربية.

فكانت البصرة والكوفة التي وصفها الخليفة عمر بأنها رمح الله وقبة الإسلام وجمجمة العرب، لكئرة من فيها من القبائل العربية العزيزة الجانب من أهل البأس والنجدة والحجى ومن أعلام العرب.

ورأى الخليفة عمر بعد القادسية أن يتريت المسلمون في الفتح رينها يستقرون فيا فتح الله عليهم من الأرضين، وأن يحكموا أمرها، وأن تقام رابطة في جلولاء تكون بإزاء العجم، لتدفع عن المسلمين المقيمين بالكوفة، وأن يتم فتح أعلى وادي الفرات حتى يصل إلى الجزيرة السامية. وكانت الكوفة قاعدة عمليات ومنطلق جهاد نحو الموصل والجزيرة وأذربيجان والباب، وكانت منطقة فارس تشكل الأقليم الجنوبي من مملكة الأكاسرة، وتعد أعظم الأقاليم أهمية وخطرا في المملكة، ففيها كرمان وكورها، تم فارس وكورها، وأشهرها:

إصطخر، جنديسابور، سيراز، الرجان، جور، الأهواز ــ السوس، نهر تيرى، مناذر، تستر، إيذج، رام هرمز، وكان ملك الفرس يزدجرد مايزال يبعث في كل عام حربا على المسلمين، ولاسيا بعد تجمع الفرس وتكتيف حسودهم في نهاوند، فاستفر رأي الخليفة بعد مساورة الصحابة أن يأذن للمسلمين بالانسياح في أرض العجم حتى يغلبوا يزدجرد على ما كان في أيدي كسرى من الأراضي ويخرجه من مملكته لكى ينفطع رجاء أهل فارس.

فجعلت رابطة من قبل المسلمين على حدود فارس والأهواز، ورابطة أخسرى في نخوم أصبهان وفارس، لتقطع هذه الروابط إمداد أهل فارس عن عسكر العجم في نهاوند، وكانت معركة نهاوند أو فتح الفتوح المعركة الفاصلة مع العجم. انطلق منها العرب لتوطيد سلطان الإسلام في كل إقليم فارس وفي إقليم الشيال وكوره؛ طبرستان، الري، قزوين، رنجان، تم أصفهان، همدان، نهاوند، الدينور، حلوان، ماسبازان، شهر زور، الصامغان، أذربيجان. تم في أجزاء متعددة من إقليم المشرق العظيم المتمثل في خراسان وكوره الكنيرة والبعيدة، وانفتح بذلك طريق الإسلام نحو حدود السند وسجستان وإلى أقصى خراسان، وطبرستان والديلم وخورازم شيالا، وإلى إرمينه وأذربيجان والأبواب وبلنجر غربا.كان الخليفة عمر يهتم بالحفاظ على الأقاليم المفتوحة وحيطتها من بغتات العدو ومفاجآت غاراته على المغور، ولاسيا على الطرق النافذة إلى دار الإسلام، فقد اهتم بإقامة الروابط من الخيل لهذا الغرض، فاتخذ في كل مصر خيولا لتكون عدة لمجابهة الطوارى المباغتة، فكان بالكوفة أربعة آلاف فرس وبالبصرة نحو منها، وفي كل من الأمصار الثانية على قدرها، فإن نابتهم نائبة ركب قوم وتفدموا إلى أن نحو منها، وفي كل من الأمصار الثانية على قدرها، فإن نابتهم نائبة ركب قوم وتفدموا إلى أن يستعد الناس لمجابهة الأحداث.

وكانت ثغور الكوفة قبل نهاوند حلوان، ماسبازان، الموصل، قرقيسيا.

لقد كان لطبيعة الأراضي في فارس وغيرها أنر كبير في إعاقة الفتح بصورة تامة، مع الجهل بجغرافية تلك المناطق الوعرة وصعوبة الحياة في بعضها.

ولا أدل على ذلك مما تذكره كتب التاريخ لتلك الفترة بعد أن فتح الحكم بن عمرو التغلبي مكران على ساحل بحر الهند في خلافة عمر بن الخطاب، فبعت صحارا العبدي إلى عمر بالخبر والمغانم والفيله، فسأله الخليفة عن الوجه الذي جاء منه، فقال صحار؛ يا أمير المؤمنين، أرض سهلها جبل، وماؤها وشل، وثمرها دقل، وعدوها بطل، وخيرها قليل، وشرها

طوبل، والكنير فيها فليل، والفليل صنائع، ما وراءها ضر منها. فقال عمر: أسجاع أنت أم مخبر؟ فال: لا بل مخبر. في سنه ٢٢ هـ توجه أهل الكوفة إلى الري وقومس وجرجان وطبرستان وأذربيجان والباب وبلنجر، وتوجه أهل البصرة إلى توج وإصطخر وهمذان وكرمان وسجستان ومكران، وخرج أهل البصرة مع الأحنف بن قيس إلى أصبهان وهراة ونيسابور وسرخس ومرو، بينا قدم أهل الكوفة وسارو إلى بلخ، وعلى المصربن الأحنف بن فيس، فاستعان بزدجرد بالترك وأهل الصفد، فعبروا النهر إلى بلخ، وعاد المسلمون مع الأحنف إلى مروحيت ابتدأ الصراع الطوبل الدموى بين العرب والترك فيا وراء النهر، واستمر بعد سقوط الدولة الأموبة.

وفي عهد الخليفة عيان تابع المسلمون توطيد سلطانهم في أرض فارس وسجستان وبعض أقاليم خراسان والديلم وطبرستان، ومعالجة الانتفاضات الموضعية فيها دون أن سجاوروا نهر الساس، وسهطوا في أذربيجان وأرمينية للصوائف والسواتي التي كانت تنطلق من الكوف والموصل والجزيرة الساميذ باتجاه هذبن الإهليمين، وبلغوا باب الأبواب (الدربند) وبلنجر وما وراءها، وكانت فاليقالا في الأناضول قاعدة لغزو الأبواب، وبعد أن كان نفوذ الإسلام إلى دار الحرب بالطرق البرية أصبح طريق البحر وركوب الأساطيل من المسالك الجديدة لنشر راية الإسلام وحماية السواحل السامية والمصر مة والإفريقية من غارات الأسطول البيزنطي. ونسأ أسطول قوي في عكا والإسكندرية، أشرف عليه الوالي معاوية بن أبي سفيان، مم الخليفة بعد ذلك.

فكانت الصوائف والسواتي البربه والبحربة الأداه الحربية لمجابهة مقاومي الدعوة الإسلامية باتجاه القسطنطينية وجزر البحر المتوسط.

وقد سمح الخليفة باجتياز حد برقة والتوغل في إفريقيا على الطربق الوحيد المفضي إلى مدن محصنة وحولها بقاما الروم وقبائل البربر الكنيرة العدد، وقد لافى العرب من البربر مقاومة شدبدة، فكان في إفريقيا قبائل كبيره، أشهرها: لواقة في أجدابية من جبال برقه، والمصالون في طرابلس، وهيلة غربي طرابلس، وبرفشانة في القبروان، وكتامة في تاهيرت، ونفوسة في سجلهاسة، ومكناسة في طنجة.

وكانت درا مملكة زناقة في المغرب الأوسط وقاعدتها تلمسان، وفيها أكنر من تلابين بطنا، متل كتامة، مصحودة، هوارة. وبعد مقتل عنهان ركدت الهمم في التوجه إلى العدو الخارجي، ووجه العرب شوكتهم فيا بينهم في فتنة دامت زمنا، وانتهت بإقامة ملك سيده معاوبة، قامت على أنره الدوله الأموبة.

كانت خطة معاوبة استئناف الفتح بعد إبعاد خطر الروم عن أرض المسلمين، فباشر بتحصين السواحل الشامية والمصربة وتدبير التغور والمرابطة فيها، وإعداد أسطول ما بين عكا والإسكندرية، وفزو أرمينيه، وإقامة قاعدة فيها تغطي بجنبة الصوائف والحملات باتجاه القسطنطينية، والغزو على الدروب من الثغور السامية الشهالية عبر الدروب باتجاه القسطنطينية، وفتح الجزر باتجاه السواحل الشامية، وإشغال الروم في إفريقيا، وفتح جربة وتونس.

وقد اهتم معاوية بالنغور السامية في أنطاكية والجزيرة، لأنها كانت طريق الصوائف والسواتي إلى بلاد الروم وأرمينيه وأذربيجان والأبواب.

فكان جند قنسرين يتولى حماية هذه النغور الني ننطلق منها الصوائف والسواتي البربة إلى الروم عبر دروب بفراس ودرب الحدث، وكان لأنطاكية مسلحة قورس وطرسوس، وكانت دابق قاعدة الغزو إلى الروم بعد أن انتقلت الفاعدة من الجابية، وكان ينطلق للصوائف أيضا من الكوفة وقرقيسية والجزيرة والرها.

وكانت قواعد الغزو للروم في الجزيرة السامية نتمنل في بالس على الفران والرقة وملطية ومرعض الحدث وسمساط، كما توجه الحملات من الجزيرة أيضا باتجاه أرزن وبدليس وخلاط وأرمينيه. ومنذ سنة ٣٢ هـ فتح عبدالله بن عامر والي الكوفة والبصرة أجزاء كبيرة من خراسان: مرو الروذ، الطالقان، الفرياب، الجوزجان، طخارستان، ونيسابور، وطوس حنى بلغ سرخس.

فقد انطلق ابن عامر من البصرة إلى كرمان، نم إلى الطبس ونيسابور وطوس وأبيورد ونساو وبيهق وهراه.

وكنرت ساحات الجهاد على العرب والمسلمين، وأصبحت دمسق عاصمة الدولة الأمونة، فكانت الأجناد تستنفر في الأمصار لتوجيهها إلى التغور من السند وسجستان وخراسان نسرقا إلى أرمينه وأذربيجان والأبواب وبلنجر والقسطنطينية شهالا، وإلى إفريقيا وجزائر المتوسط غربا، وإلى النوبه والبجة جنوبا. فكان محسد المسلمون باستنفارهم كافة أول الأمر، أو بندبهم، أو بضرب البعوت علبهم وقطعها، أو بانتخابهم من بنن الناس في الأمصار، أو بإخراجهم وحسرهم للجهاد، أو بالفرض لهم وتعيين جعائة تكفيهم للسبر إلى عدو الإسلام وذلك بأمر الخليفة أو العامل.

فكان الخلفاء بضربون البعوت على الأمصار وعلى الأجناد لتتوجه إلى أرض العدو.

وكانت مغازى كل مصر واتجاه جهاد وتحرك الأجناد في كل قطر والجهة التي سبغي أن يسيروا إليها معروفة تماما في العهد الأموي.

فكان أهل الكوفة والبصرة يوجهون إلى خراسان وسجستان وأذربيجان وأرمينيذ.

وأهل السام إلى بلاد الروم وأرمينيه وأذربيجان وإفريقيا والأندلس، وبدعمون أمصار العراق وأجنادها في غزوهم للمسرى من السند إلى خراسان، وكان مغزى أهل الحجاز إلى ملاد الروم وإفريقيا، ومغزى أهل مصر إلى إفريقيا وبلاد الروم، وقد عبر المسلمون إلى ما وراء النهر.

وكان المسلمون في مسيرهم نحو دار الحرب بلاقون بلادا ومناطق جبلية وبوادي وصحاري، ففي الطرق الجبلية السديدة الوعورة مل سجستان والأبواب وجبال فارس وبلاد الروم كانوا سير ون على البغال والبراذبن ويجنبون الخيل، أما في القفار والمفاوز والجبال الجرد والأقاليم الحارة المائطة في سجستان وما وراء النهر وإفريقيا فكانوا يستقلون الإبل والنواضح لفوة تحملها العطس ويحملون الماء، ومعهم أحيانا الحيول التي تحمل الدروع، وتحميهم من مفاجآت العدو في سعاب الجبال، الخيول المدرعة والمساة الدراجة.

وكانوا سنون الإبوان والآبار والمصانع لحفظ المياه في المفاوز التي تفع على طريق مسير الجيس من دار الإسلام وإلى دار الحرب.

وعلى الرغم من المسافات الساسعة التي كانت تجري فيها ساحاب العمليات وبعدها عن مقر الخلافة في دمسق فإن الاتصال كان يجرى بالبرىد وبالرسل على النجائب، فكانت المسافات في نلك الأبام كما يلي:

دمنىق _ الكوفة : ٧ أيام .

المدينة _ سبيطلة (فتح المغرب) : ٢٠ بوما.

المدينة _ دمسق (اليرموك) : ١٢ بوما.

المدينة _ الكوفة (الفادسية) : ٧ أيام .

الكوفه ... سمرقند (الحجاج) : ٢٠ بوما .

المغرب الأفصى _ الأندلس _ دمشق: ٣ أشهر.

دايق (حلب) القسطنطينية : ١٠ أيام .

وأبناء حكم معاوبة نقل الربيع بن زياد الحاربي العرب وعائلانهم إلى خراسان، ووطنوا بها عام ٥١ هـ ، وفتحت بلخ بعد ما صالحهم الأحنف بن قيس.

ووصلت طلائع المسلمين من مرو باتجاه نهر بلخ في ىلك السنة.

وفي عام ٦٦ هـ سكن المسلمون وعائلاتهم فبا وراء النهر، وتوطنوا بليخ، الترمذ، سمرقند، خوارزم بأعداد قليلة.

ووجه معاوية جهده السياسي والعسكري إلى بلاد الشام، وقال كلمته المشهورة: شدوا خناق الروم فيها تضبطوا بقية الأمم.

فكنرت الصوائف والسواتي على درب القسطنطينية والسواحل الجنوبية من بيزنطة وبلاد سواحل البحر الأسود وحول القسطنطينية نفسها، ولاسيا بعد السيطرة على فبرص وقوص وجزر رودس على مداخل خليج القسطنطينية.

وكان الجهد الرئيسي على محور / الطوانية _ أقبرت _ درولية _ عمبورية _ برجملة _ القسطنطينية. وبليه المحوران النانيان:

_ عهاسة (ماسة) _ هرقلة تيسارية _ سوسنة _ سبطية سهالا.

ـ طرسوس ـ أنطاكية المحترقة على الساحل الجنوبي.

مع عزل الروم من النسرق بإشغالهم في إرمينية بالصوائف والسواتي المنطلقة من الجزيرة السامية. وكان المسجد رمز توطد الإسلام في التغور وفي دار الحرب، فكانت منازل الجهاد ودور

الهجرة في الأمصار ننتظم في بنائها وفي أسوافها وفي منازل قبائلها حول المسجد الجامع الذي كان يتوسطها.

وبنى أبو أبوب الأنصاري مسجده بالقرب من سور الفسطنطينية، وبقي على حاله حتى بعد عودة العرب عن حصارها.

وبعد وفاة معاوية وتولي يزيد الخلافة مدة قصبره بدأت الفتن الداخلية، حتى تولى الحلافة عبدالملك بن مروان الدي وطد حكمه بعد القضاء على عدد من الانتفاضان والنوران في الحجاز والعراق ومصر وخراسان مع تفسي العصبية القبليه في بعض تلك الأمصار، واستؤنف الجهاد بابجاه بلاد الروم في البر والبحر وفي السند والهند وما وراء النهر في عهد عبدالملك والوليد وسلمان وعمر بن عبدالعزيز ويزيد وهسام، ولاسيا في الأندلس بعد أن أذعنت افريقيا ودانت بالإسلام.

وبرز في نلك الفترة أمراء عظام، قادوا جيوس المسلمين شرقا حتى الصبن، وغربا حتى أفصى المغرب والأندلس وأواسط بلاد الفرنجة، وسهالا حتى الباب والأبواب وبلنجير وبرجان (بلغاربا)، وأصبحت المغور الإسلامية في المشرق والشهال عزيزة الجانب بهابها العدو، فكان المسلمون بسكنون المغور، ويتخذون معهم النساء والذراري، لأنهم إذا أقاموا في ذلك الموضع كنروا بمرور الزمن حتى مصير وا ذلك الموضع مصرا من أمصار المسلمين، مم يتخذ المسلمون وراء ذلك نغرا جديدا بالقرب من العدو، تنطلق منه الصوائف والنسواتي التي كان أميرها لا يكن أحداأن بتساغل بمجارة أو زراعة لصرفه الاهتام بها عن مصابرة العدو وصدق الجهاد، فكانت تلبى الحاجات المطلوبة بخروج التجار والأسواق مع الصوائف والسواتي إلى دار الحرب، وأصبحت المرابطة في النغور تقليدا وجهادا ينصرف له التابعون وكتير ون من الناس احتسابا لله، وينطلقون منها إلى دار الحرب.

وقد فسمت التغور في زمن الأمويين، وتوزعت كما يلي :

في السهال : مغر الروم ، مغر إرمينيه، أذربيجان، الأبواب، والبحر الأسود.

في المشرق : نغر خراسان، وسجستان، ونغر السند والهند.

في المغرب: نغر مصر وإفريقيا والمغرب الأوسط والأقصى، ونغور الأندلس البربة والبحرية.

في الجنوب: مغر النوبة والبجة.

وقد تفرد المسلمون في الفوه البحربه في المتوسط ففتحوا إفريطس (كربب) وصفلية وأجزاء كثيرة من جزائر المتوسط الغربي، منل سردينية وميتو رفة وميورقة، منطلفين من جربة وتونس وسبتة.

ومع اتساع الفتوحات كانت الحاجة إلى الأجناد والإمداد للغور وللحملات إلى دار الحرب، وللمحافظة على الأمن في دار الإسلام، تستدعي وجود احتياط من الجند لتعزيز الأمصار المهددة بخطر مفاجئ.

ففي الشام كانت روابط الخيل متأهبة دوما في أنطاكية ومرعس والنغور السامية حتى عفول الجيش ورجوعه إلى دار الإسلام من الصوائف والسواتي، وكانت روابط الجزيره في خيولها الكنيفة متأهبة في الرفة وحران وسمساط، وكان يدعم ثغر الإسكندربة رابطة من الخيل في الرمله في أرض فلسطبن فضلا عن رابطة في الإسكندرية ذاتها، وكان ينجد طرابلس إذا طرفها الأسطول البيزنطي رابطة في حمص، ورابطة أخرى في بيروت.

كان بتراوح عدد هذه الروابط ما بين ألف فارس وأربعة آلاف فارس، وفي أواخر الدولة الأموية بلغت روابط الجزيرة أكنر من أربعين ألف فارس.

أما في فارس فكان نمة رابطة من الخيل في حلوان والمدائن وفي الري، فضلا عن خيل المناظر في الأماكن المرتفعة.

وكان في كرمان رابطة في أربعة آلاف فارس لإنجاد نغري السند والهند وتغر سجستان.

وكان روابط من الخيل في الري وقزوين والموصل توجه إلى إرمينبة وأذربيجان والديلم عندما يقوم أهل الكوفة بالغزو في تلك المناطق.

وكانت هناك رابطة عظيمة تتمركز بخراسان ما بين بلخ ومرو تحوطا للأخطار التي كانت كتيرة فيا وراء النهر. وكان في سجستان روابط في بعض السعاب الجبلية تكون ردءا لجيوس المسلمين الغازية، وتبقى في أماكنها حتى قفول الجيس من مغزاه.

وعلى العموم كان خط توضع الإسلام وانتشاره والمسالك التي عبرها وسار عليها يقع على محور عمليات الجهاد المتمنل في أماكن العمران المعادية؛ وفي مراكز تجمع جيوش الخصم. وكانت المروج ومنابع المياه والوديان المعسوسبة تحدد وتعين تقريبا خط مسير الحملات والصوائف والشواتي في مختلف مسارح عمليات الجيوش الإسلامية في الشرق والنيال والغرب.

«ثغر الأندلس والغزو فيه»

لما فتح موسى بن نصير المغرب الأقصى أرسل مولاه طارق بن زياد في السفن من سبتة، ودخل الأندلس باتجاه طليطلة، وعطف منها إلى سرقسطة بأجناد النسام والبربر، وأصبحت قاعدة الملك إسبيلية ونغورها برسلونة وسرفسطة، وأوغل موسى في للاء الفرنجة، ووصل إلى «لوطون» ليون متجها إليها عبر المحور الجنوبي على ساحل البحر، وعاد إلى برسلونة، مم استمرت الغزوات الإسلامية عبر جبال البرنس باتجاه نهر دوفة (الرون) ومرسيليا. وتوجمه السمح بن مالك الخولاني سنة ١٠٢هـ إلى طرسوفة (طولوز)، ووصل عبدالرحمن الغافقي إلى بواتيه، وتوغلت بعض طلائع العرب والمسلمين حتى بلغت ضواحى بارين

وفي عام ١١٦ هـ فتح عقبة بن الحجاج السلولي نربونة NARBONNE، وأسكنها اللخميين، كما فتح بتبلوقة فصارا بغرين عظيمين للصوائف والسواتي التي كانت تعبر المحور الساحلي الجنوبي من ممرات جبال البرانس BYRENEES باتجاه ساحل المتوسط، وتخترق المحور الساحلي الشهالي نحوشهال غربي فرنسا عبر ممرات جبال البرانس أيضا على سُواطئ المحيط الأطلسي من بلاد الباسك.

المعسكرات وأماكن التجمع للنفير ومنازل الجهاد ودار الهجرة في صدر الإسلام

كان المسلمون ينطلقون فى جهادهم العدو من معسكرات وأماكن تجمع يستنفرون إليها، وكانوا يتخذون في الأقاليم المفتوحة بعد تمصيرها «منازل جهاد» أو قاعدة العمليات منطلقا لهم في جهادهم.

وكانت دار الهجرة المدن التي اتخذها المسلمون منزلا دائها ونهائيا للإقامة فيها والهجرة إليها والاستيطان فيها.

إن أهم هذه المواضع والتي كان ينطلق منها المسلمون للجهاد هي.

١ ــ «في العهد النبوي» :

المدينة : لجميع غزوات الرسول وسراياه وحملاته.

الجرف : معسكر لغزو حدود الشام وأطرافه ووادى القرى وتبوك ومؤتة.

۲ _ «في عهد أبي بكر»:

الجرف: معسكر لغزو السام.

ذو القصة : معسكر للتحشد لحروب الردة.

الأنبار، الحيرة، ذو قار: معسكرات لأهل الأيام في العراق (المنني وخالد بن الوليد).

٣ ـ «في عهد عمر»:

الجرف : معسكر لغزو الشام .

ذو القصة، صرار: معسكران على طريق العراق لحرب الفرس. الأبلة، الأنبار، الحبرة، ذو قار: قواعد تحشد لمعركة القادسية.

الجابيــة : منزل جهاد في حوران لفتح السام ومصر، وبعد معركة اليرموك أصبحت مراكز الأجناد في الشام.

دمشق، حمص، قنسرين، الجزيرة، فلسطين، الأردن، قنسرين، والثغور في أنطاكية والجزيرة: لغزو الروم.

بعد القادسية:

المدائن : منزل جهاد لحرب فارس.

الكوفة والبصرة: دار هجرة ومنزل جهاد لغزو الجزيرة الشامية ولغزو إرمينيه وأذربيجان، وقاعدة جهاد لفتح فارس وجزء من خراسان وسجستان والديلم وطبرستان.

كرميان : منزل جهاد لغزو سجستان وخراسان.

مكيران : منزل جهاد لغزو بغر السند.

الحديثة والموصل: منازل جهاد ودار هجرة لغزو الجزيرة الشامية وإرمينية وأذربيجان.

تـــوج : منزل جهاد لغزو سجستان .

مرو الساهجان : منزل جهاد لغزو خراسان.

الفسطاط: دار هجرة لغزو إفريقيا.

٤ ـ «في عهد عشان» :

قنسرين والثغور: منازل جهاد لغزو بلاد الروم، ودار هجرة المسلمين . عكا والإسكندرية : منازل جهاد للغزو في البحر وفي إفريقيا .

الفسطاط: دار هجرة ومنزل جهاد لغزو إفريقيا.

 الـــــــري : منــزل جهــاد ودار هجــرة لغـــزو خراســـان وإرمينية وأذربيجان وطبرســتان والديلـم .

مــــــو : منزل جهاد لغزو خراسان .

بلـــــخ : منزل جهاد لغزو خراسان .

كرمــــان : منزل جهاد لغزو سجستان وخراسان .

مكـــــان : منزل جهاد لغزو السند .

٥ _ في عهد على (الكوفة) مقر الخلاقة:

الكوفة والبصرة : معسكر النخيلة لحرب صقين .

الموصل ، منزل جهاد لأذربيجان وإرمينية .

الرى، مُرُو: منازل جهاد لغزو خراسان وسجستان .

مكران وكرمان : منازل جهاد لغزو السند والهند وسجستان .

٦ _ في عهد الدولة الأموية (دمشق) مقر الخلافة:

مراكز أجناد دمشق : دار هجرة ومنازل جهاد لتـوجيه الجيوس إلى الشرق وإلى إفـريقيا والأندلس وبلاد الروم.

دابق ، بالس في قنسرين : منازل جهاد لغزو بلاد الروم .

الثغور الشامية (إنطاكية) : منازل جهاد لغزو بلاد الروم .

الثغور الجزرية (ملطية مرعش) : منازل جهاد لغزو بلاد الروم وأذربيجان وإرمينية .

عكا، طرابلس، الإسكندرية، جربة تونس: منازل جهاد وتغور في البحر باتجاه القسطنطينية والمتوسط المركزي والغربي وجزره: كريت، صقلية،

سردينية، ميورقة، ميندرقة.

الفسطاط: دار هجرة ومنزل جهاد للغزو في إفريقيا .

القيسروان : دار هجرة ومنزل جهاد للغزو في إفريقيا .

طليطله، صغور الأندلس الساحلية، ومداخل جبال البرانس: منازل جهاد وثغور لغزو بلاد إفرنجة (فرنسا).

الكوفة، البصرة، واسط: دار هجرة ومنازل جهاد لغزو خراسان وسجستان والسند وما وراء النهر.

قزوين _ جرجان : منازل جهاد لغزو طبرستان والديلم وخوارزم.

بسيت : منزل جهاد لغزو سجستان.

كرمــان : منزل جهاد لغزو سجستان وخراسان وإنجاد ىغر سجستان.

مكسران : منزل جهاد لغزو السند والهند.

المنصـــورة : دار هجرة ومنزل جهاد للغزو في السند والهند

المحفوظة (القصبة) : دار هجرة ومنزل جهاد في السند والهند.

مرو، بلخ، بخارى، سمرقند: دار هجرة ومنازل جهاد لغزو بلاد ما وراء النهر وخراسان والصفد والتمان والتمان والتمان وفرغانه وأشر وسنة.

الجرجانيــــة : منزل جهاد في خوارزم .

000

الأقاليم والمناطق والطرق والمسالك التي انتشر عليها الإسلام

١ ـ في العهد النبوي :

المدينة وما حولها: الحديبية (مكة).

المدينة ، وادي القرى : المدبنة، معان، مؤتة .

المدينة _ مكة (فتح مكة): عسفان، الكديد، أمج، مر الظهران، السقيا، قديد، ذي طوى، أذاخ.

حنيـــن: أوطاس، نخلة، فرن، بحرة الرغاء ، الصنيقة، نخب الطائف، الجعرانة، مر الظهران. المدينـــة: ذو خسب، المرّ، ذو المروة، وادي القرى، الحجر، الأقرع، تبوك، الحجر، جرباء، إذرح، دومة الجندل، بلاد طيّ، أيلة (العقبة).

المدينة ـ اليامة : صحراء الدهناء، دارين البحرين، عمان، دبا، مهرة، القطيف، هجر، صحار. المدينة ـ نجران، رمع، زبيد، همدان، صنعاء، مأرب، الجند.

٢ ـ طريق الرسول صلى الله عليه وسلم لما هاجر من مكة إلى المدينة:

عسفان، قديد، الخرّار، مدلجة، مجاج، مرحج، مجاج، ذات كشد، الأجرد، العنبانة، القاحمه، العرج، تنية الأعيار، رئم، قبا.

طريق المدينة مكة: الشجرة ملل، السيالة، السقيا، الأبواء، الجحفه، قديد، عسفان، بطن مرّ. مكة.

٣ مساجد النبي صلى الله عليه وسلم بين المدينة وتبوك، وهي تحدد الطريق ألذى اتبعه:

ذو خشب، الفيفاء، ذو المروة، الرقعة، وادي القرى، الصعيد، الحجر، صدر حوض، ذو

الجيفة، سُق تارا، ذنب كوكب، آلاء، ذات الخطمي الأخضر، ذات الزراب، ننيذ بدران، تبوك.

٤ ـ خلافة أبى بكر:

قتال المرتدين: ذي حسى، ذي القصة، الربذة، الأبرق سميراء، أجأ، الأنسر، بزاخة، البطاح. اليامة طريق الدهناء: دبا، صحار عمان، مهرة (جيروت)، النجدة، الروضة، الساحل، الجزائر، المبان، ظهور السحر، الصبرات، ينعب، ذات الخيم.

غزو العراق: اليامة، حفير كاظمة، الأبلذ، المذار، النني، العرلجة، أليس، أمغيشيا، المقر، الخورنق، القصر الأبيض، القدسيين، الحيرة، بانقيا، بسها، الفلاليج، البهقباذ، الأوسط والأسفل، العقر، السيّب، الأنبار، البوازيح، عين التمر، دومة الجندل. عين التمر، الخباب، البردان، الحني، المضيخ، الزميل، الثني (سرقي الرصافه)، الرضاب، الغراض، قرار، سوى، أرك، تدمر، القريتين، حوارين، مرج راهط، غوطة دمشق، مرج الصفر، بصرى.

غزو الشام: طريق المعرّفة، أيلة (العقبة) التبوكية البلقاء، مآب، الحربة، الدائنه، مرج الصقر، تياء، آبل، زيزاء، القسطل، أجنادين، فحل، دمشق، بلعبك، حمض، الجابية، العرموك، دمشق، جمص، قنسرين.

٥ _ خلافة عمر بن الخطاب :

العممسراف: الحيرة، خفان، النارق، بارق، درتا، السقاطية، كسكر، باروسها، الزوابي، زندرود، مرج السباخ، البويب، ساباط، ميسان، الخنافس، الكباث، صفين.

القادسية : المدينة ، صرار، الأعوص، زرود، شراف، العذيب، القادسية، بلبل، دير قرة، سورا، كوتي، ساباط، المدائن (بهرسير)، النهروان، جلولاء، نهاوند.

جلولاء ، حلوان، قصر شيرين، جلولاء _ خانقين، جلولاء، السيروان، ماسباذان، المدائن، تكريت، الموصل، هيت، قرقيسية (الجزيرة الشامية).

البصرة : الأهواز، رامهرمز، أرجان، إصطخر، السيرجان، كرمان.

البصـــرة : ميسان، دست ميسان، مناذر، نهر تيرى، سوق الأهواز، رامهرمز، إيذج، تستر، السوس، جندي سابور، مهرجا نقذف.

الكوفة _ قرقيسيه : الرفه، عصيبين، رأس العين، دارا، عين الوردة.

الكوفة _ الموصل : الرها ، حران.

تغور الكوفة: حلوان، الموصل، ماسباذان، قرقيسية.

انسياح المسلمين : مهرجا نقذف، الطبسين، هراة، مرو الساهجان، نيسابور، سرخس .

في فارس: البصرة، مرو الروذ، بلخ.

الكوفى ... أردشير خرة، سابور، إصطخر، دارا بجرد، كرمان، سجستان، مكران.

البصــرة : توج، جور، إصطخر، دارا بجرد، كرمان، جيرفت، مفازة شير ز، رنج، مكران.

بعد نهاوند : همزان ـ دستبي، الماهين، الري، قومس، دهستان، جرجان، دنباوند، الخوار، اللارز، الري: الرشت، فم، قاشان.

البصرة : كرمان ، أصبهان .

الكوفة : أصبهان، جي، همزان الري، جرجان، طبرستان، المري، الموصل، أذربيجان جرميذان، موقان، تفليس، الباب، اللان، بلنجر، حلوان، الموصل، أذربيجان.

٦ _ خلافة عشان :

البصرة : ميسان، سابور، إصطخر، كرمان، سجستان.

الكوفسة : سرخس، نيسابور، قوهستان، طوس، مرو، زربخ، كابل، هراة، بوشبخ، بادغيش، الكوفسة : الفارياب، الطالقان، الجوزجان، بلخ.

الجزيرة : الموصل، بلد، نصيبين، دارا، آمد (ديار بكر)، ميا فارقين، أرزن.

الجزيسرة : الرفة، حران، الرها، شمشاط، آمد.

الجزيرة: الرقة، سربوج، شميساط، ملطية، الحدث، مرعش.

إفريقيا: الفسطاط، الإسكندرية، برقة، سرت لبدة صبرة، طرابلس، جلولا، سبيطله، الجم، برقة، زويلة، ودان، فزان.

- الإسكندرية : صقيلية، الفسطاط ، الفيع ، البجة.

طريق المدينة: سالكوفة: الطرف، بطن نخل، العسيلة، الحاجر، سميراء، فيد، الأجفر، زرود (الحزيمية)، الثعلبية، البطان، الشقوق، زبالة، الحلجاء؛ القاع، واقصة، القرعاء، وادي السباع، المغيثة، ذات عرق، العذيب.

«الدولة الأموية»

١ _ فارس وخراسان : جلولاء، خانقين، قصر شيرين، حلوان، مرج قريسين، نهاوند.

الكوفة _ البصرة:

بعض أجناد الشام، همدان، الري، الخوار، قصر الملح، سمنان، الدامغان، آخرين، فومس، نيسابور، طوس، سرخس، مرو، آمل (نهر بلخ)، فرير (مفازة)، بيكند، بخارى، رينجن، سمرقند، «مفازة»، زامين، (مفازة)، الشاش، أسبيجاب (مفازة).

طريق فرغانه، زامين، ساباط، أشرو سنة، خجندة، فرغانة.

طريق الشاش، زامين (مفازة)، الساش، أسبيجاب (مفازة) .

مرور طخارستان: مرو، أرسكن، الطالقان، الفارياب، الجوزجان، الشبورقان، بلخ، (الترمذ)، خلم آمل، زم.

طريق الصغانيان: الترمز، الصغانيان، شومان، الراست، بلخ -طخارستان: بلخ، خلم، بهار، بغلان.

مرو_ الجرجانية (في خارزم) .

الطرق إلى السند: البصرة، الأهواز، كرمان، بم (مفازة) ، نهر مهران.

المعابر على نهر جيحون: زم ، الترمذ، أمل.

المفـــازات: مفازة ما بين الري، سمنان، مفازة ما بين مرو سرخس، مرو، بخارى، سمرقند،

زامين ــ مرو، الجرجانية، خوارزم.

مفازة ما بين كرمان وسجستان، مفازة ما بين نهر بلخ (أمل) (وبيكند).

مفازة بين كرمان ومكران والسند، مفازة ما بين مرو ـ نهر (بلخ).

مفازة بين أصبهان ونيسابور، مفازة ما خوط ، الفارياب (مفازة القاع).

مفازة قاين ـ طبس ، مفازة الجوزجان ما بين القاع والسبورقان حتى أول مدينة بلخ.

مفازة طبس ـ نیسابور ، مفازه بعد مدینة بلخ ما بین سیاکرد ونهر جیحون الترمذ. مفازة ما بین بلخ وشعب خلم وبهار.

الطرق إلى أذربيجان وإرمينية:

بلاد العجم، الدينور، رزنجان، الميانج، أردبيل، ورتان، البيلفـان، بردعـة. ــ الشهاخية، شروان، سمور، باب الأبواب.

بردعه _ شمكور _ خنان، تفليس .

من الجزيرة : الموصل، حران، ماردين، ديار بكر (آمد)، ميا قارقين أرزن، بدلين.الرقه ـ حران، خلاط، أرجيش، خوى، سلماس أرمية، المراغة، أردبيل.

من قاعدة المراغة إلى الخرقان: مرند، خوى، نسوى، دبيل.

الطريق إلى الروم: من الثغور السامية ، ملطية، مرعش، وعبر الدروب، باتجاه القسطنطينية وسط الأناضول.

أنطاكية، طرسوس، العليق، الرهوة، الجوزات، البندندون، لؤلوة، الصفصاف، أقرن، العلمين، عمورية، صاغرى، درولية، ملاحينة، الخليج فقيه، قسطنطينية.

البدندون، مرج الأسقف، درولية، الرنداق، أبدوس، الخليج، القسطنطينية.

في إفريقيا : برقة، زويلة، فزان، طرابلس، القيروان، جبال أوراس، تلمسان، الزاب.

تاهرت، طنجة، السوس، الزاب، تهوذة.

برقه، طرابلس، جربة، قابس، القير وان، الطريق الساحلي، حتى سبتة وطنجة.

الأندليس : الجزيرة الحضراء، جبل طارق، وادي لكة، شذونة، المدور «قرطبة»، قرمونية، الأندليس : اشبيلية، أكتبونة، شذونة، قرموقة.

إشبيلية، القنت، ماردة لبلة، استجه، إلبيرة، جيان، طليطلة.

ماردة، سلمنقة، تمامس، سرقسطة، وشقة لاردة، طركونة، برسلونة، أربونة (فرنسا)، أبينيون لوذون (ليون).

ـ باجه يابرة، ستنترين، قلمرية، إسترقة، تدمير، غرناطة، مالقة، ريا.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

_ طليطلة _ سرقسطة، تنيلونة، بلاد البسكنس (الباسك)، بورد، بواتيه، أوتان. (ضواحي بايز). _ طليطلة، سرفسطة، برسلونة، أربونة، طولوشة (تولوز)، أفينيون، آرل.

السند والهند: البصرة، الأهواز، كرمان، بم، نهر مهران، المنصورة، الديبل. صيعور ـ الدببل، المنتان، الديبل فندابيل.

جـــزر: مينورفة، ميورقة، صفلية، من مرافى بنزرت، جربة، تونس، ومرافى الأندلس. جـــزر: صقلية ، كريت، من مرافى الإسكندرية ، عكا.

000

الطبيعة الجغرافية للطرق والمسالك التي سار عليها الإسلام

١ _ ما بين المدينة والعراق :

صحراء وبوادي لا مياه فيها سوى بعض الشعاب القليلة والغدران في الستا، وتتصل الصحراء حتى الأبلة، والقادسية وهيت وعانة إلى أن تصل إلى ضفاف نهر الفرات، حيث يبدو سواد العراق وأرضه الزراعية وما يليها إلى الدجلة.

كان يتم عبور الفرات والدجلة على جسورها يعقدها أبناء القرى والمدن المفتوحة أو بالسفن، ما عدا فتح المدائن فقد عبر عنوة.

٢ _ بلاد العجم:

بلاد جبلية مشجرة، كان اللقاء في الميدان حول المدن المحصنة في ساحة المعركة، أو محاصرتها بحسم المعركة.

يقطع بلاد العجم من الشيال من حدود الري حتى الجنوب إلى حدود مكران وهرمز مفازات متصلة، تفصل بين فارس وخراسان وسجستان والسند في أرض جبلية باردة ستاء وحارة صيفا، أو ما كان يسمى بالصرود والجروم.

- ٣ ـ السند: والطريق إلى السند على خط مواز يبعد إلى السال في أرض جرداء سبه جبلية
 حارة، تتخللها مقاطع الوديان التي تتجه من السال إلى البحر.
- ٤ ـ سجستان : أرض جبلية وشعاب كثيرة باردة ستاء، يعترض الوصول إليها بعض
 المفازات التي تفصل بها عن مكران وكرمان من فارس وعن خراسان سهالا.

٥ ـ خراسان وماوراء النهر (الصفدفرغانة)، (نهر جيحون والشاس):

هذه الأراضي جبلية ذات شعاب وأودية سحيفة ومفازات متعددة على جانبي مجرى نهر جيحون، وتكنر المياه والمجاري الرافدة للنهرين الكبيرين والمنصبة عليها، مما يحدد العبور إليها من ممرات معينة هي «سرخس، الترمذ، زم، آمل».

تعد مدبنتا مرو وسعرقند قاعدتي العمليات الأرضية في تلك البقاع النائية المترامية الأطراف، الكتيرة السعوب، والمتعددة الأجناس في إقليم بارد شتاء وحار جدا صيفا، وتتصل المفازات ما بين مرو وخوارزم حتى بحر الخزر، حيث تجثم على خط مواز لقسمه الجنوبي المناطق الجبلية الوعرة الشديدة البرودة في طبرستان والديلم إلى أن تصل إلى حدود أذربيجان. وإرمينية والأبواب في أراضي جبلية وعرة شديدة البرودة شتاء مع ما فيها من أنهار كسيرة ومجارى مياه دائمة ومراع وفيرة.

٦ _ المدينة _ الشام :

تعد الأراضي ما بين المدينة والشام صحراوية ليس فيها إلا موارد مياه ضئيلة جدا حتى بلوغ حدود الأردن وفلسطبن، حيت تتغير المعالم الجغرافية من حيث طبيعتها البسرية والنباتية والمناخية، فتكثر أماكن العمران وموارد المياه، وتتنوع النباتات والأشجار، وتعترض طرق النفوذ الأماكن الجبلية وبمراتها، والسهول المعشوشية والمراعي وبجاري الأنهار حتى بلوغ جبل اللكام في الشيال والجزيرة في الشيال الشرقي من السام .

V ـ و يتم الدخول إلى بلاد الروم: ذات الأراضي الجبلية المسجرة، وبحاري المياه الكتيرة والمروج والسعاب المتعددة، والبحيرات والمراعي، من خلال الدروب المخترقة لجبال طوروس الساهقة الارتفاع. وبلاد الروم ذات مناخ قارص في الشتاء، تغطيها النلوج مثل مناطق إرمينية وأذربيجان وبعض مناطق إيران وخراسان. يتحدد المرور إلى القسطنطينية على الطرق الأرضية النافذة إلى العاصمة من الدروب (درب الحدث، درب بغراس) ومن النغور السامية والجزيرة، ومن الطريق الساحلي من طرسوس وأدنة حتى أنطاكية المحترقة، ملتفا إلى الشال حتى أبيدوس وخليج القسطنطينية.

وأما الطريق البحري في الأسطول بعد تأمين السيطرة البحرية فمن عكا وطرابلس وصور والإسكندرية إلى فيرص وسواحل بلاد الروم الجنوبية وجزبرة رودس وفوص حتى خليج القسطنطينية.

٨ ـ طريق مصر:

أما الطريق من فلسطين إلى الفسطاط فيسير غلى خط قرب من الساحل، وأهم مدنه غزة السهيرة في أرض صحراوية حتى بلوغ وادي النيل والفسطاط. ويمتد من الفسطاط إلى البجة والنوبة في الجنوب الطربق الوحيد الذي بساير مجرى النيل الأدنى، ولتوضع كتافة سكانية كبيرة على طول مجرى النيل حتى مصبه.

٩ - طريق إفريقيا:

وإذا سارت الجيوس من الإسكندرية إلى إفريقيا والمغرب الأدنى فإنها نساحل في أرض صحراوية رملية حارة جدا، يعترضها الجبل الأخضر في برفة وجبل نفوسة في طرابلس، وما يتوضع حولها من قبائل البربر.

تعد الكنافة البسرية ضئيلة جدا في المغرب الأدنى، ولاسبا في المناطق الداخلية البعيدة عن الساحل، وتبدأ هذه الكتافة بالتصاعد اعتبارا من منطقة تونس وضواحيها.

وإذا ما تابعت الجيوش توغلها إلى الغرب على الطريق الساحلي إلى المغرب الأوسط والأقصى فإنها تسير على مقربة من الساحل، حيث تكتر المدن، ويزداد العمران والسكان من الفبائل البربرية الكنيرة البطون والأفخاذ وتحف. بها من الجنوب المرتفعات الجبلية المشجرة والأودية المنصبة إلى البحر، ولاسيا جبال الأطلس المسجرة في المغرب الأقصى، حتى تصل إلى الميحط الأطلسي. إن هذا الإقليم معتدل، ماعدا المرتفعات الجبلية الباردة نستاء.

وتقل الكنافة السكانية في الأجزاء الداخلية من المغرب الأدنى والأوسط والأقصى، وتبدأ الهضاب والمرتفعات البدوية الطابع، والغرود الرملية بالانحدار تدريجيا حتى تصل إلى الصحراء، مع ازدياد شدة الحرارة تبعا للانحدار نحو الجنوب.

١٠ _ الأندلس :

تجتاز الجيوس العدوة الجنوبية من سبتة وطنجة على ساحل المغرب الأفصى إلى العدوة النسالية بالسفن، وتسلك الطرق الداخلية التي يزداد ارتفاعها عن سطح البحر كليا أمعنت في التوغل نحو الشال السرفي في إقليم تزداد برودته ستاء كلما اندفعت الجيوس إلى الشال النسرقي، ومتخلل هذه الأراضي السهول والجبال المرتفعة والشعاب ومجاري الوديان، وتزداد الكثافة السكانية في المناطق الساحلية والداخلية ويصطدم تقدم الجيوس نحو السرق إلى بلاد المرتبعة (فرنسا) بالمرتفعات الشاهقة لجبال البرانس ذات المناخ القارص شتاء، ولا يتم اجتيازها إلا من معبر بنبلونة في الشهال بالقرب من ساحل الأطلسي، نم من معبر (أربوفة: في الجنوب على ساحل المتوسط ، وعندئد تنفتح بلاد الإفرنجة نحو ساحل المتوسط شرقا حتى طولوتسة (تولوز) ومرسيليا و (أبينون) أفينيون على نهر الرون (ردونة)، وتسلك الجيوس المتجهة شهالا من بنبلونة على خط مواز قربب من الساحل حتى تبلغ بوردو وما وراءها إلى بواتيه بلاط الشهداء.

لقد رافقت الإبل وحملت المؤمنين لنشر رسالتهم للناس كافة في حلهم وترحالهم من المدينة وبوادي الجزيرة العربية إلى جبال فارس وهضاب السام وسعاب سجستان ومفازات خراسان وسلالها المرتفعة الوعره من جبال أذربيجان وإرمينية، وفي الحملات الصيفية عليها وعلى بلاد المروم وفي الأندلس، فكانب الإبل الواسطة الرئيسية لتحرك الإسلام سرقا وسهالا وغربا. أما الخيول فكانت الأداه الأساسية للحملة في ساحاب المعارك المتصلة لتبيت الإسلام وتوطيد أركانه في مختلف الأقطار والأمصار.





verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بحوث في الجغرافيا التربوية



onverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الارض في القرآن

دکتور / فتحی عثمان



«الأرض في القرآن الكريم»

« إِنَّ فِي السَّمَوْتِ وَالأَرْضِ لَا يَنْ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿
وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُ مِن دَآبَةٍ عَايَنَ لِقَوْمِ يُوقِنُونَ ﴿
وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُ مِن دَآبَةٍ عَايَنَ لِقَوْمِ يُوقِنُونَ ﴿
وَاخْتِلَافِ اللَّهُ مِن السَّمَاء مِن
وَاخْتِلَافِ اللَّهُ مِنَ السَّمَاء مِن
وَاخْتِلَافِ اللَّهُ مِنَ السَّمَاء مِن
وَاخْتِلَافِ اللَّهُ مِنَ السَّمَاء مِن
وَاخْتِلُافِ اللَّهُ مِنَ السَّمَاء مِن
وَاخْتِلُونَ اللَّهُ اللَّهُ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِيكِج
عَايَدَتُ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿
وَاللَّهُ عَايَلَتُ اللَّهُ وَعَايَلَتِهِ عَلَيْكُ عَلَيْكَ
عَلَيْكَ عَلَيْكَ عَايَلَتُهُ عَلَيْكَ عَلَيْكِ عَلَيْكَ عَلَيْكِ عَلَيْكَ عَلَيْكَ عَلَيْكُ فَلَيْكَ عَلَيْكَ عَلَيْكِ عَلَيْكِ عَلَيْكِ عَلَيْكِ عَلَيْكَ عَلَيْكِ عَلَيْكَ عَلَيْكَ عَلَيْكِ عَلَيْكُ عَلَيْكَ عَلَيْكَ عَلَيْكَ عَلَيْكَ عَلَيْكَ عَلَيْكَ عَلَيْكَ عَلَيْكُ عَلَيْكَ عَلَيْكُ عَلَيْكَ عَلَيْكُ عَلَيْكَ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكَ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ

« وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَكَ لِلْمُوقِنِينَ ﴿ وَفِي ٱللَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَفِي ٱلسَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَفِي ٱلسَّمَاءِ وِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿ وَفِي ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُ كُتَّ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿ وَفِي ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُ كُتَّ مَا تُوعَدُونَ ﴿ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿ وَمَا تُوعَدُونَ السَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُ كُتَّ مَنْ طَقُونَ ﴾ مَثْلَ مَآأَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ﴾

(الذاريات: ٢٠ - ٢٣)

« وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَاوَتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ». (يوسف: ١٠٥)

وردت كلمة «الأرض» في آيات القرآن الكريم زهاء ٤٦٦ مرة، ولا عجب فهي مقترنة بخلق الكون وخلق الإنسان :

« خَلَقَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّ يُشْرِكُونَ » (النحل: ٣)

« وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَكَ عِلَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَ وَيَشْفِكُ ٱلدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَيِّحُ بِجَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِي أَعْلَمُ مَالَا تَعْلَمُونَ » (البقرة: ٣١)

« وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرُّ وَمَنْكُمْ إِلَى حِينٍ » (البقرة: ٣٦)،

« وَمِنْ عَايَنتِهِ عَأَنْ خَلَقَكُمْ مِن تُرَابِ ثُمَّ إِذَا أَنْتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ »

(الروم ۲۰۰).

ولست أرمي هنا إلى ذكر آيات الله التى تضمنت «الأرض»، فذلك حديث يطول، وكل من يقرأ القرآن لا بخطى الآبات العديدة التي جاءت بها هذه الكلمة، وإنما أحاول أن أقدم في حديثي هذا تحليلا للمباحث الكبرى التي عرضت لها الآيات القرآنية الكريمة التي ذكرت فيها «الأرض»، وأهم الدلالات التي قصدت إلى بيانها تلك الآيات، مما يتعلق برسالة الدين فيها «الأرض»، وأهم الدلالات التي قصدت إلى بيانها تلك الآيات، مما يتعلق برسالة الدين في تقدير الحقيمة وإقرار الحق وهداية الإنسان إلى ذلك وتربيته عليه فكرا وخلقا وسلوكا.

أولا : الأرض في الكون ـ الكواكب والنجوم والمجرات ـ لمحات فلكية :

حرص القرآن الكريم على أن يقرر في وضوح وجلاء أن الأرض ذرة في محيط ضخم من الكون خلقه الله جميعا:

(مُحَمَّمُ السَّوَىُ الله عَلَيْهُ اللهُ عَليْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَليْهُ عَلَيْهُ اللهُ عَليْهُ عَليْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللهُ عَليْهُ عَلِيْهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلِيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلِيْهُ عَلَيْهُ عَلِيْهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلِيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلِيْهُ عَلَيْهُ عَالِمُ عَلَيْهُ عَلِيهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلِيهُ عَلَيْهُ عَلِيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلِيْهُ عَلِيْهُ عَلِيْهُ عَلَيْهُ عَلِيْهُ عَلِيْهُ عَلِيْهُ عَلِيْهُ عَلِيْ عَلِيْهُ عَلِيْهُ عَلِيْهُ عَلِيْهُ عَلِيهُ عَلِيْهُ عَلِيْهُ عَلِيْهُ عَلِيْهُ عَلِيْهُ عَلِي عَلِيْ عَلِيْهُ عَلِي عَلِمُ عَلِ

إِلَى السَّمَآءِ وَهِي دُخَانٌ فَقَالَ لَمَا وَلِلْأَرْضِ آئِتِيا طَوْعًا أَوْ كُلُّ السَّمَآءِ وَهِي دُخَانٌ فَقَالَ لَمَا وَلِلْأَرْضِ آئِتِيا طَوْعًا أَوْ كُلُ سَمَّ وَقَصْلُهُنَّ سَبْعَ سَمَنُواتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأُوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَا السَّمَآءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَالِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ السَّمَآءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَالِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ السَّمَآءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَالِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ (نصلت: ١١)

« وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَاوَتِ
وَ ٱلْأَرْضَ فِي سِنَّةِ أَيَّامِ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوكُمْ
وَ ٱلْأَرْضَ فِي سِنَّةٍ أَيَّامِ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوكُمْ
وَ الْمُودَ ٢)
أَيْكُمْ أَحْسَنُ عَمَالًا » (هود: ٧)

« أُولَرْ يَرَ الذِّينَ كَفَرُواْ أَنَّ السَّمَاوَتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَ رَتُقَدُّ فَفَتَقَنَاهُمَّ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ » (الأنبياء: ٣٠)

(الأنعام: ٥٥ _ ٧٩)

« إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَنَأْبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا

وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَلِجِدِينَ »

(يوسف : ٤)

« فَالِقُ ٱلْإِصْبَاجِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكُنَا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانَا ذَالِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿ وَهُو ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُرُ ٱلنَّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُسَتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَتِ لِقَوْمِ يَعْلَمُونَ » (الأنعام: ٩٦- ٩٧)

« يُغْشِى ٱلَّبْلُ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُ وَ يَغْشِى ٱلَّبْلُ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُ وَ حَثِيثُ وَٱلنَّجُومَ مُسَخِّرَاتٍ بِأَمْرِهِ مَ عَنْ حَثِيثُ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنَّجُومَ مُسَخِّرَاتٍ بِأَمْرِهِ مَ عَنْ اللَّهُ الْخَلَلِينَ » أَلَا لَهُ ٱلخَلْلِينَ » وَٱلْأَمْرُ تَبُارَكَ ٱللَّهُ رَبُ ٱلْعَلْلِينَ » (الأعراف: 30)

« وَسَخَّرَ لَكُرُ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالنَّمْسَ وَالْقَمَرُ وَالنَّجُومُ مُسَخَّرَتُ بِأَمْرِهِ تَ إِنَّ فِي ذَالِكَ لَا يَدْتِ لِقَوْرِ يَعْقِلُونَ » (النحل: ١٢)

« وَعَلَىْمَاتِ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ » (النحل: ١٦)

« فَلَا أَقْسِمُ بِمَوَقِعِ ٱلنَّجُومِ (١٠٥٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمُ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمُ » (الوافعة: ٧٥ ـ ٧١)

« فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشْنِرِقِ وَٱلْمَغَنْرِبِ »

(المعارج: ٤٠)

« إِنَّ إِلَنْهَكُرْ لَوَاحِدُ ﴿ رَبُّ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُ ٱلْمَشْرِقِ » (الصافات: ٤ - ٥)

وقد ميزت آيات القرآن بين الشمس باعتبارها مصدرا للضوء والحرارة بذاتها، وبين القمر المنير بغيره دون حرارة، فقال جل وعلا:

« هُوَ ٱلَّذِي

جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيآ وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحَسَابُ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَالِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحَسَابُ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَالِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ فَي عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحَسَابُ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَالِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ فَي عَلَمُونَ ،» ويسن ه) يُفَصِّلُ ٱلْآيَات لِقَوْمِ يَعْلَمُونَ ،» (يونس: ه)

« أَلَرْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَنُوْتِ طِبَاقًا (إِنَّ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا » (نوم: ١٥-١٦) وتعدد السموات قد يسير إلى تعدد المجموعات الشمسية وما فيها من مدارات أو تعدد المجرات، كما قد يسير تعدد الأرضين إلى تعدد الكواكب المائلة للأرض في وضعها أو وصفها، والتي توجد في مجموعات أخرى، فيعبر بالأرضين مثلما نعبر بالشموس والأقهار عن كواكب تفابل في مجموعات أخرى من الفلك ما يقابل في مجموعتنا الشمس والقمر، أو قد يشير إلى تعدد الطبقات الأرضية من القشرة إلى الأعهاق حتى مركز الأرض:

« اَللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتِ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءِ عَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْبُ » (الطلان: ١٢)

وقد يكون ذكر الرفم سبعة هو لبيان التعدد لا للحصر، والله أعلم بمراده، وإنما يحاول عباده فهم آياته في الكون والكتاب وتدبرها.

ولا يفتأ القرآن يسكب في حس المؤمن ووعيه أن الكون حافل بالكواكب والنجوم، وأن للأرض في هذا الكون العملان المعجز مكانها المعلوم، وذلك قبل قرون مما عبر عنه بالثورة في علم الفلك، التي كان من أقطابها كوبر نيكوس Copernicus - ١٤٧٣ م ١٤٥٣ م ١٤٥٣ م)، وجاليليو (١٤٥٤ - ١٦٤٢ م)، وهي التي وصفت بأنها أنزلت الأرض من عليائها، فلم تعد مركز الكون لمجرد أنها موطن الإنسان، بل سيقت البراهين على دوران الأرض حول الشمس فضلا عن دورانها حول ذاتها. والقرآن على تقريره لمنزلة الإنسان وكرامته بين المخلوقات يقرر حقيقة مكانه الصحيح في الكون الهائل المعجز، فيقول سبحانه:

« نَكَلُقُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ » (غافر: ٥٧)

والقرآن يشير إلى حركة الشمس، ويقرن ذلك في نفس الموضع بإشارة أخرى يفهم منها المستقر، فحركة السمس الحقيقية المقصودة ليست هي حركتها الظاهرية المظنونة سلفا حول الأرض:

« وَءَايَةٌ لَمْمُ الَّيْسُ الَّهُ النَّبُ الَ فَإِذَا هُم مَ مُظْلِمُونَ ﴿ وَالشَّمْسُ اللَّهُ مِنْهُ النَّبَ الْفَإِذَا هُم مَ مُظْلِمُونَ ﴿ وَالشَّمْسُ عَلَيْمِ النَّهُ مَنَاذِلَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿ وَالشَّمْسُ وَالْفَمَرَ قَدَّرَنَهُ مَنَاذِلَ حَتَى عَادَ كَا لَعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿ وَالشَّمْسُ يَنْبَغِي مَنَاذِلَ حَتَى عَادَ كَا لَعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿ وَالشَّمْسُ يَنْبَغِي مَنَاذِلَ حَتَى عَادَ كَا لَعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿ وَاللَّهُ مَنَاذِلَ حَتَى عَادَ كَا لَعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿ وَاللَّهُ مَنَاذِلَ حَتَى عَادَ كَا لَعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿ وَالشَّمْسُ يَنْبَغِي مَنَا إِلَى حَتَى عَادَ كَا لَعُرْجُونِ اللَّهُ مَنَاذِلَ سَابِقُ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَمَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا النَّيْلُ سَابِقُ اللَّهُ مَنَا فِي فَلَكِ يَسْبَحُونَ » (بس: ٣٧ ـ ٤٠)

فالقمر جرم سياوى تابع لكوكب الأرض، وله حول نفسه دورة، والأرض بنفسها جرم سياوي لها حول نفسها دورة، وللأرض وكواكبها لها حول نفسها دورة، وللشمس والأرض وكواكبها الأخرى الثبانية وما يتبعها من أقبار دورة كبرى فى المجرة، وللمجرة دورة وهكذا

والسمس التي يبلغ قطرها ٢٠٠٠ ١٥٣٩ كم، ويكبر حجمها الأرض مليونا وتلاياتة ألف مرة

قد لا يبدو دورانها حول نفسها بصوره محسوسة للإنسان على سطحها لأسباب معينة، وتتم الدوره عند خط استوائها خلال ٢٥ يوما، بينا تستغرق عند قطبيها ٣٣ يوما.

والآيات السابقة ناطفة مبينة أن لكل كوكب مدارا (وكل في فلك يسبحون)، وأن تعاقب الليل والنهار على الأرض مرتبط بالحركة في الفلك، وهو ما تبينه آيات متعددة من كتاب الله منها:

السَّمَوَّتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكُوِرُ الَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكُورُ الَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكُورُ النَّمْسَ وَالْقَمَرُ كُلُّ وَيَخَدَّرُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرُ كُلُّ يَجْرِى لِأَجَلِ مُسَمَّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْعَقْدُ » (الزمز: ٥) يَجْرِي لِأَجَلِ مُسَمَّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْعَقْدُ »

وأوردت المعاجم أن الأدحى والأدحوة والأدحية بيض النعام في الرمل... ويسير القرآن الكريم إلى انفصال الأجرام عن بعضها:

« أَوَلَرْ يَرَ ٱللَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّ ٱلسَّمَلُوَتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَ السَّمَلُوتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَ وَتَقَا فَفَتَقَنَّهُمَا » (الأنبياء: ٣٠)

كما يسير إلى اجتاعها بسبيل من سبل الاتصال وفق السنن والنواميس، ومنها ما قد نتوصل إليه طاقات الإنسان:

« وَمِنْ ءَايَنتِهِ عَلَقُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَ فِيهِ مَا مِنْ ءَايَنتِهِ عَلَقُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَ فِيهِ مَا مِن دَآبَةً وَهُو عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ » (السودى: ٢٩)

وقد أورد ابن جرير الطبري وابن كنير في تفسير قوله تعالى:

« فَلآ أَقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ رَثِي وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ رَثِي وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱلَّسَقَ رَثِي لَتَرَّكُبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ » (الانسقاق: ١٦ ـ ١٩)

رواية عن ابن مسعود والسعبي: (لتركبن يا محمد سهاء بعد سهاء). وقد قرئت: «لتركبن» بفتح الباء، في قراءة عمرو بن مسعود وابن عباس وعامة أهل مكة والكوفة. وعقب ابن كتير على ذلك التأويل طبقا لهذه القراءة بقوله «قلت: يعنون ليلة الإسراء». وواضح أن الأخذ بتأويل ركوب طبق عن طبق على أنه ركوب سهاء بعد سهاء مع قراءة «لتركبن» بفنح التاء بضم الباء يمكن أن يعطي دلالة تكون إنباء عها حدث في أيامنا. والقرآن الكريم يسير إلى تجاوز أقطار السموات والأرض بمقتضى سلطان فد يكون هو العلم بإحدى سنن الله الكونية:

« يَكُمُعْشَرَ ٱلِحِينِ وَٱلْإِنِسَ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُواْ مِنْ

أَقْطَارِ آلسَّ مَنَوْتِ وَآلاَّ رَضِ فَآنفُذُواْ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَ لِنِ شَفُدُونَ إِلَّا فِي اللَّهِ وَيَكُمَا نُكَذِّبَانِ ﴿ مَن اللَّهِ عَلَيْ اللَّهِ عَلْمَ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْ اللَهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ الْمُعَلِيْ عَلَيْ اللْمُعَالِمُ اللْمُعَلِيْ عَلَيْ الْمُعَلِيْ الْمُعَلِيْ عَلَيْ الْمُعَلِيْ عَلَيْ الْمُعَلِيْ الْمُعَلِيْ عَلَيْ الْمُعَلِيْ الْمُعَلِيْمِ الْمُعَلِيْمِ الْمُعَلِيْمُ الْمُ

ولفد أسار الفرآن إلى خصائص الزمن الفلكية مادام يترتب على حركات الأفلاك في أكثر من آية. بقول تفدست أسهاؤه:

« وَسَغَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلُّ يَجْرِى لِأَجَلِ مُسَمَّى »

(الرعد: ٢)، (لقيان: ٢٩)، (فاطر: ١٣)، (الزمر: ٥)

وقد جلى القرآن أن عدد السنين وحسابها على سطح أرضنا مترتب على العلاقة بين الأرض والشمس، أو بين الأرض والقمر، وعلى الوحدة الزمنية التي يملأها النهار والليل حتى يعفبها ضروف سمس يوم جديد تال:

« يُغْشِي آلَيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُ وَحَثِيثُ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمْرَ وَيُغُشِي آلَيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُ وَ حَثِيثُ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمْرَ وَالْأَعِرَافِ : ٤٥) وَٱلنَّجُومَ مُسَخِّرَتِ بِأَمْرِهِ قَ » (الأعراف : ٤٥)

« هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيآءَ وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَاذِلَ

لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ »

(يونس: ٥)

وَجَعَلْنَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَا عَايَةَ « اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا عَايَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَعُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِكُمْ « اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا عَايَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَعُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِكُمْ وَلَيْكُمْ وَلَيْسَنِينَ وَالْحُسَابَ وَكُلَّ شَيْءِ فَصَّلْنَاهُ وَلِيَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحُسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ وَلِيَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحُسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ وَلَيْسِاء: ١٢) تَفْصِيلًا » (الإسراء: ١٢)

« فَالِقُ ٱلْإِصْبَاجِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنَا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَالِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ » (الأنعام: ٩٦)

فالزمن حركة أو الحركة زمن، ودورة الأرض حول نفسها أمام السمس حركة لها زمن هو اليوم، ودورة الأرض حول الشمس حركة لها زمن يترتب علبها وعلى ميل محور الأرض، هو الفصول الأربعة التى تشغل العام، كذلك للقمر دورة حول نفسه وأخرى حول السمس، وكل منها حركة لها زمنها، وهكذا. ويبين الله لنا في كتابه المحكم نسبية الزمن في حساب عباده على الأرض والزمن عنده سبحانه:

« وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَّةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ » (الحج: ٤٧)

« يُدَيِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمِرُ كَانَ مِقْدَارُهُ وَأَلْفَ سَنَةٍ مِّنَا تَعُدُّونَ شَيْ ذَالِكَ عَلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَلَةِ فِي سَنَةٍ مِّنَا تَعُدُّونَ شَيْ ذَالِكَ عَلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَلَةِ فِي صَلَّمُ الْعَزِيزُ ٱلرِّحِيمُ » (السجدة: ٥ ـ ٦)،

« تَعْرُجُ ٱلْمَلَنَهِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمِرِكَانَ مِقْدَارُهُ بَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿ ﴾ » وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمِرِكَانَ مِقْدَارُهُ بَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿ ﴾ » (العارج: ٤)

وأوضح القرآن أيضا اختلاف الزمن النفسي عن الزمن المادي الوامعي:

« كَأَنَّهُ مَ يُومُ يُرُونَ

مَا يُوعَدُونَ لَرْ يَلْبَثُواْ إِلَّا سَاعَةً مِن نَهَارِ بَلَكُ فَهَلَ يُهَلَّكُ مَا يُعَلَّى مَلَكُ اللَّهُ الْفَلْسَقُونَ رَبِي »

(الأحفاف: ٣٥)

« قَالَ قَآيِلٌ مِنْهُمْ كُرْلَبِنْتُمْ قَالُواْلَبِنْنَا يَوْمًا أَوْبَعْضَ يَوْمِ (الكهف: ١٩) قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَالَبِنْتُمْ » (الكهف: ١٩)

« قَالَ كَرْ لَلِثُمُ فِي ٱلْأَرْضِ عَدَدَسِينَ ﴿ اللَّهُ مَ فِي ٱلْأَرْضِ عَدَدَسِينَ ﴿ اللَّهُ عَلَ إِن عَلْمَ الْوَرْمِ فَسْعَلِ ٱلْعَادِينَ ﴿ اللَّهُ عَلَ إِن عَلْمَ اللَّهُ اللَّهُ الْمَادِينَ ﴿ اللَّهُ عَلَ إِن اللَّهُ عَلَ إِن

لَّبِيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْأَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ،» (المؤمنون: ١١٢ _ ١١٤)

« وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ المُحْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَالِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ » المُحْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَالِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ »

(الروم: ٥٥)

وقد عبر القرآن عن أجزاء الزمن بالساعة واليوم والسهر والسنة والفترة والحين والدهر والقرون والأحقاب، كما عبر بلمح البصر أو ما هو أقرب وما فبل ارتداد الطرف، ولكل تعبير دلالته ومداه وحيزه الزمني، وعلى غرار نسبية الزمن يمكن أن تفهم من الإسارات القرآنية كدلك نسبية الحركة وسرعتها:

" وَتَرَى اللَّهِ اللْمَا اللَّهِ اللَّهِ اللْمَا اللَّهِ اللْمَا اللَّهِ اللْمَا اللْمَا الْمَالْمَا

(النمل: ۸۸)

والآية معبرة عن أهمية سرعة جسم ما بالنسبة للإحساس به وإدراك جرمه وهيئته، إلى جانب الأبعاد التقليدية من طول وعرض وارتفاع، وتأيير السرعة في إدراك الحركة والسكون، ودلاله الآية في ذلك فائمة، سواء كانت متصلة بما سبقها مباشرة من قول الله عن يوم الفيامة:

﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصَّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَاوَٰتِ وَمَن
 ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ ٱللَّهُ وَكُلُّ أَتَوْهُ دَانِحِ بِنَ »
 ﴿ النمل: ٨٧)

أو كانت منفصلة عن الآية التي قبلها، وقد أتت لتقرر سنة كونية تجري في الكون والوجود بإطلاق واطراد. وقد يلفت النظر أن الآية السابقة على آية النفخ في الصور والبعث تعرض لتعاقب الليل والنهار في الدنيا:

وهكذا قد تكون آية النفخ في الصور أتت في السياق للإبانة عن نهاية الزمان، وانقضاء ظاهرة الليل والنهار، وغيرهما من الظواهر الكونية بقيام القيامة، حين يوجد كون جديد بخصائص جديدة:

ويكون المعنى تاما بذلك، ثم تستأنف آية مرور الجبال مر السحاب بيان ظاهرة كونية أخرى، يجمعها إلى ظاهرة الليل والنهار بعد السرعة في الحركة وما يترتب عليه من آنار ونتائج، سواء في حالة حركة الشمس الظاهرية، أو حركة الجبال، فكلاهما يردان إلى حركة الأرض التي تبلغ سرعتها حدا يخيل للإنسان معه أنها لا تتحرك في الحالتين.

وإن العقل الإنساني ليشده حين يتصور رحلة الظواهر الفلكية إلى أرضنا، وما تستغرقه من السنين الضوئية. والسنة الضوئية نبي المسافة التي يجتازها شعاع من الضوء في سنة كاملة أي ٩٤٦٨ بليون (مليار) كيلومتر، إذ إن سرعة الضوء ثابتة دائمة، فإذا كانت المسافة بين القمر والأرض تصل إلى حوالي ٢٤٠ ألف ميل، فإن المسافات الكونية بوجه عام تعظم عن ذلك كثيرا، ولا تقاس عادة بالأميال وما إليها، إذ ستتصاعد الأرقام إلى حد يعسر معه تدوينها فضلا عن الإحاطة بها. فنحن فعلا على الأرض التي تقع على بعد ٣٠٠٠ سنة ضوئية من مركز المجرة، ويعني ذلك أننا إذا سرنا بسرعة ٣٠٠ كم في الساعة، فإنه يلزمنا ٢٣٣ مليون

سنة ضوئية لإتمام دورة واحدة حول الحقل المجرى. وتستخدم الثانية الضوئية أيضا لقياس الأبعاد الكونية، وهي المسافة التي يقطعها شعاع من الضوء في الفضاء خلال ثانية واحدة، وتبلغ هذه ١٨٦ ألف ميل. والضوء الذي يصلنا من النجوم والكواكب يتألف من موجات كهرمغناطيسية، وهو سيالة من جزيئات ذات طاقه هي الفوتونات Photons، وتبلغ سرعتها ٣٠٠ ألف كم في الثانية. والمسافة التي يجتازها سعاع صادر من القمر لا يصل إلى أرضنا تقدر بما يستغرقه ذلك من زمن وهو ثانية وثلث تقريبا من الثواني الضوئية، بينا تقدر المسافة بين أرضنا والسمس بخمسيائة نانية (حوالي ٨ دقائق)، والمسافة بين أرضنا وأقرب نجم إلينا بعد سمسنا المسمى Proxoma de Centature في حدود ١٤٠ مليون بائية ضوئية، (أو أربع سنوات ضوئية). والمجرة المسهاة أندروميد Andromede التي تعتبر من الأرض تفصلها ٢ مليون سنة ضوئية. والمجرة المعروفة بالطريق اللبني تضم ما بين مائة ومائتي مليار من النجوم، فهاذا تكون في هذا المحيط الفلكي الخضم مجموعتنا السمسية بكواكبها التسعة التي تطوف حولها ومنها أرضنا؟ وماذا تكون الأرض التي نعيش عليها؟ أما ما أمكن رصده من حافة الكون فيبعدنا ٤٠٠ مليون بليون(أو مليار) ثانية ضوئية، ومازالت هذه الحافة تجري مبتعدة في الفضاء الفسيح بسرعة يكفى لتخيلها القول بأن أجرامها تنطلق بسرعة تصل إلى ٥٠ ألف أو مائة ألف ميل في النانية الواحدة، وعلاوة على ذلك فإن الكون من حولنا حافل بالطاقة وما سخره الله للإنسان من إمكانيات ومن موجات الراديو الكامنة حولنا (الموجة الحاملة) التي تضمن الإشارات الصوتية والبصرية، وتنقلها بسرعة الضوء، وهبي التبي أتاحبت ظهور الراديو والتلفزيون.

فإذا انتقلنا من الأجرام الكبرى الفلكية إلى الأجرام الصغرى الذرية في المادة واجهتنا تلك الحركة المذهلة للإلكترونات داخل ذلك الحيز الدقيق غاية الدقة من المادة الذي هو الذرة، حتى إنه لو صفت عشرة ملايين ذرة لبلغ طولها ميليمترا واحدا. ويمكن مقارنة الذرة بالمجموعة السمسية، إذ تتألف الذرة من نواة مركزية ذات شحنة كهربية موجبة، تدور حولها الإلكترونات ذات الشحنة السالبة، كها تدور الكواكب حول الشمس. ومن الذرات ما هو بسيط يتألف من نواة واحدة وإلكترون واحد كالهيدروجين، ومنها ما هو معقد التركيب يضم عشرات الإلكترونات، وبين النواة والإلكترونات يقوم فراغ فضائي. وفي الطبيعة ملايين الأنواع من الذرات المختلفة، واختلاف التراكيب من هذه الذرات في جزي المادة يفسر اختلاف أنواع الذرات المختلفة، واختلاف التراكيب من هذه الذرات في جزي المادة يفسر اختلاف أنواع

المادة وأسكالها. وللذرات حركة ذاتية تتباين سرعتها حسب الحالة الفيزيائية للهادة صلبة كانت أو سائلة أو غازية. وقد أضاف علهاء الفيزياء إلى تلك الحالات النلابة حالة أخرى رابعة، أسميت الحالة البلاسمية التي تظهر عندما تبلغ درجة حرارة الغاز ١٢٥٥° مثوية، وفيها تسبح الإلكترونات على نحو مضطرب، ولكن تبقى مع ذلك خاضعة للحقول الكهربية والمغناطيسية.

وتعمل البلايين من الخلايا الحية في أي عضو أو جهاز أو نسيج محدود من جسم الإنسان في حركة مذهلة. وينبض القلب بمعدل ٨٠ مرة في الدقيقة، أو ما يعادل مائة ألف نبضة في اليوم، و ٣ بليون نبضة في السنة. ويضخ الفلب نحو ١٥ ألف لتر من الدم يوميا، أما بالنسبة للجهاز العصبي، وهو جهاز الاستقبال والانفعال، فإن فصي المخ على رأس هذا الجهاز يحويان أكثر من الا بليون خلية، تسجل ما يصل إليها من أحاسيس ومعلومات عن طريق نوافذ الجهاز العصبي: السمع، والبصر، والذوق، والشم، وأحاسيس الجلد المختلفة. وهناك تيارات كهربية في تصاعد وانخفاض خلال بلايين الخلايا الحية، ويتدفق الأكسوجين ليغذي هذه الخلايا. وكل حركة من الجهاز العصبي قد حسبت طاقاتها بدقة، وانسابت من مراكز المخ شرارات كهربية إلى عضلات الإنسان، لتقوم بعمل ما مناسب للأحاسيس التي أثارت الخلايا العصبية، فأنتجت في خلاياه الداخلية تيارات نتيجة الانفعال، وجرت في أعصابه شرارات إلى عضلاته تتير العمل، وكل هذه الحركة الدائبة في أجرام الفلك وفي ذرات المادة وفي خلايا الإنسان والكائن الحي بوجه عام تنطق بتسبيح البارئ الحكيم الذي أعطى كل شي خلقه ثم هدى:

> « أَلَدْ تَرَأَنَّ اللَّهُ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَتِ وَٱلْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَلَقَاتِ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ

وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ » (النون ٤١)

« وَٱلنَّجُمُ وَٱلشَّجُرُ يَسْجُدَانِ » (الرحن: ٦)

وَتُوثر عوامل متعددة منها الحركة للأرض وطبيعتها وباطنها الملتهب بحكم أصلها وانفصالها عن السمس على شكل الأرض وأطراقها ككل، كما تؤثر العوامل الجيولوجية الباطنية، وعوامل التعرية السطحية على وجد الأرض جزئيا، وتؤدي عوامل تتعلق بالتربة والمناخ إلى الجفاف والقحط أو امتداد الصحراء، كما تؤثر عوامل جغرافية ديموجرافية على توزيع البسر في أرجاء الأرض. وكل هذه العوامل الفلكية والجيولوجية والجغرافية والسكانية تجتمع دلالاتها في هذا القول الإلهى المجمئ المعجز:

« أُولَدُ يَرُوْاْ أَنَّا نَأْتِي ٱلأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَ ۖ وَٱللَّهُ يَحْكُرُ لَا مُعَقِّبَ لِحُصِّمِهِ ۚ وَهُوسَرِيعُ ٱلْحِسَابِ » (الرعد: ٤١)

« أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ اللهُ الْفَكُمُ الْفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ

كذلك أشارت آيات الكتاب الحكيم المحكم إلى انتظام سنن الكون واطرادها واستمرارها:

« لَا ٱلشَّمْسُ يَنْبَغِي لَمَا أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلُّ فِي فَلَكِ يَسْبَحُونَ » (يس: ٤٠) « وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلُّ فِي فَلَكِ يَسْبَحُونَ » (الأنبياء: ٣٣)

« وَسَخَّرَلَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَدَآبِيِينِ وَسَخَّرَلَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ » (إبراهيم: ٣٣)

وما أكثر الآيات التي أشارت إلى الاتساق والاتزان والانتظام في خلق الله بوجه عام:

« مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّمَٰ مِن تَفَوُّتِ فَارْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلُ
تَرَىٰ مِن فُطُورِ ﴿ ثَنِي نُمُّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ
إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِنًا وَهُوَ حَسِيرٌ » (الملك: ٣-٤)

« ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانِ » (الرحن: ٥)

« وَٱلسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلَّمِيزَانَ ،» (الرحمن: ٧)

« وَٱلْأَرْضَ مَدَدُنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَسِي وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ». (الحجر: ١٩)

وما أكثر الآيات التي أشارت إلى الاطراد والاستمرار في سنن الكون ونواميس الوجود المادي والبشري:

ولم يفت رسول الله صلوات الله عليه، وهو مخزون جريح القلب على فقد فلذة كبده إبراهيم، أن يعلم أمته نبات سنن الكون واطرادها، ويثبت في وعيها أن لكل ظاهرة سببا صحيحا ينبغي الجد في البحث عنه لتعليل الظاهرة، كما ينبغي حجز النفس عن الجري وراء الظنون والأوهام، ومن نم فإن الحسوف والكسوف آيتان من آيات الله في الكون الذي خلقه وفدر نواميسه تقديرا، وهذه لا ترتبط بموت إنسان أو حياته ولو كان فلذة كبد رسول الله، الحبيب إلى ربه القريب منه الذي أسرى به وعرج ليريه من آياته الكبرى.. يقول عليه الصلاة والسلام: «إن السمس والفمر آيتان من آيات الله لا يكسفان لموت أحد ولا لحياته». ويسن لأمته صلاة الخسوف والكسوف سبيلا لاتصال المؤمن برب الكون عند الانفعال بظواهر الكون ودلائل إعجاز خلق الله.

وقد بين القرآن في جلاء أن في سنن الله الكونية ونواميسه المطردة الثابتة معجزة دائمة للمتأملين المتدبرين من ذوى البصر والبصائر وأولى الألباب والرشد:

وأن هذه المعجزة الدائمة كافية للذين ينظرون ويتفكرون، وقد تكون لهم أشد غناء بحكم طوال بقائها واستمرار وجودها وإمكان تدبرها من المعجزة الموفوتة المفاجئة الصادعة القارعة:

« وَقَالُواْ لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَا يَةٌ مِن رَّبِهِ عَ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرُ عَلَيْهِ مَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ عَلَيْ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ عَلَيْهِ وَا يَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ عَلَيْهِ إِلَّا وَمَا مِن دَآبَة فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَنَيْرٍ يَطِيرُ بِعِنَاحَيْهِ إِلَّا وَمَا مِن دَآبَة فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَنَيْرٍ يَطِيرُ بِعِنَاحَيْهِ إِلَّا أَمُّ أَمْنَاكُمْ مَّا فَرَطْنَ فِي ٱلْكِتَابِ مِن شَيْءٌ مُمَّ إِلَى الْمَامُ اللَّهُمُ أَلِنَا مَا اللَّهُ اللَّهُ الْمَامُ اللَّهُ اللَّهُ الْمَامُ اللَّهُ مَا فَرَطْنَ فِي ٱلْكِتَابِ مِن شَيْءٌ مُمَّ إِلَى اللهِ عَلَيْ وَلَا طَنَامٍ مِن شَيْءً مُمَّ إِلَى اللهِ عَلَيْهِ وَلَا طَنَامُ اللهُ عَلَيْهِ اللهُ عَلَيْهِ مِن شَيْءً مُمَّ إِلَى اللهُ عَلَيْهِ فَي الْمُعَامِ وَلَا طَنَالِ مِن شَيْءً مُ مَا فَرَطْنَ فِي ٱلْكِتَابِ مِن شَيْءً مُمَّ إِلَى اللهُ عَلَيْهِ مِن شَيْءً مُ مُ اللهُ عَلَيْهِ وَالْمُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهِ مِن شَيْءً مُ مُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الل اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ

« وَلُوْ فَتُحَنَّا

عَلَيْهِم بَا بَا مِنَ السَّمَآءِ فَظُلُواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿ يَكُونُ فَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿ لَكَا لَقَالُواْ إِنِّمَا سُرِّرَتَ أَبْصَلُونَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿ لَكَا لَقَالُواْ إِنِّمَا لِلنَّنظِرِينَ ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَهَا لِلنَّنظِرِينَ ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَها لِلنَّنظِرِينَ ﴿ وَلَا مَنِ السَّرَقَ وَكُونُونِ ﴿ وَاللَّهُ مَنِ السَّرَقَ وَاللَّوْضَ مَدَدُنَها وَالشَّمَ لَهُ وَاللَّوْضَ مَدَدُنَها وَالْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِي وَأَنْبَتَنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوزُونِ ﴿ وَلَي وَاللَّهُ مِن السَّمَ لَهُ وَاللَّهُ مِن السَّمَ لَهُ وَاللَّوْفِينَ وَلَي وَاللَّهُ مَا لَكُو فِيهَا مَعْنِيشَ وَمَن لَسَّمَ لَهُ وَبِرَازِقِينَ فَي وَجَعَلْنَا لَكُو فِيهَا مَعْنِيشَ وَمَن لَسَمَّمُ لَهُ وَبِرَازِقِينَ فَي وَجَعَلْنَا لَكُو فِيهَا مَعْنِيشَ وَمَن لَسَّمَ لَهُ وَبُرَازِقِينَ فَي وَجَعَلْنَا لَكُو فِيهَا مَعْنِيشَ وَمَن لَسَمَّمُ لَهُ وَبِرَازِقِينَ فَي وَالْمَالِينَ وَهُمَا مَعْنِيشَ وَمَن لَسَمَّمُ لَهُ وَبِرَاقِينَ فَي اللَّهُ فِيهَا مَعْنِيشَ وَمَن لَسَمَّمُ لَهُ وَبُورُونِ فَيْ الْمَالَالُولُ وَلَا اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْنَ وَمِن لَسَامُ لَهُ اللَّهُ وَلَا لَكُولُ فَيهَا مَعْنِيشَ وَمَن لَسَمَّ لَهُ لَهُ وَلِي الْمَالَالُولُ اللَّهُ اللَّهُ الْمَالِقُونَ اللَّهُ الْمُعْلِيشَ وَمَن لَسَمَّ لَهُ وَاللَّهُ الْمُؤْمِنِ وَلَيْ اللَّهُ الْمُؤْمِنُ لَلْمُ اللَّهُ الْمُعْلَقِيشَ وَمَن لَسَمَّ اللَّهُ الْمُؤْمِن السَّالَ اللَّهُ الْمُؤْمِنُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِ اللَّهُ الْمُؤْمِنُ اللَّهُ الْمُؤْمِنُ الْمُؤْمِنُ الْمُؤْمِنُ اللَّهُ الْمُؤْمِنُ اللَّهُ الْمُؤْمِنُ اللَّهُ الْمُؤْمِنُ اللْمُؤْمِنُ السَّامُ اللَّهُ الْمُؤْمِنُ اللَّهُ الْمُؤْمِنُ الْمُؤْمِنُ الْمُؤْمِنُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْمِنُ الْمُؤْمِنُ الْمُؤْمِنُ الْمُؤْمِنُ اللْمُؤْمِنُ اللْمُؤْمِنُ الْمُؤْمِنُ الْمُؤْمِنُ الْمُؤْمِنُ الْمُؤْمِنُ الْمُؤْمِنُ اللَّهُ الْمُؤْمِنُ الْمُؤْمُ الْمُؤْمِنُ الْمُؤْمِنُ الْمُؤْمِنُ الْمُؤْ

وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا نَحْزَآ بِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ وَإِلَّا بِقَدَرِ مَعْلُومِ شَيْ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَحَ لَوَ قِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَا كُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُ بِخَارِنِينَ »

(الحجر: ١٤ - ٢٢)

« إِنَّ فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ لَآيَاتِ لِلْمُؤْمِنِينَ (١٠)

ولقد سمى الله في كتابه ظواهر الكون ونواميسه «آيات»، كما سمى المعجزات والخوارق «آيات» أيضا، وفي هذا ما فيه من دلالة:

« تُمَيلِ الظُرُواْ مَا ذَا فِي السَّمَلَوَتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي السَّمَلُوتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَوْمِنُونَ » الْآيَدُتُ وَالنَّذُرُ عَن قَوْمِ لَآيُؤْمِنُونَ »

(يونس: ١٠١)

« وَكَأْيِنْ مِنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَنُونِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ،». (يوسف: ١٠٥)

« وَجَعَلْنَ ٱلسَّمَآءَ سَقَفًا تَحَفُّوظًا وَهُمْ عَنْ ءَايَنتِهَا مُعْرِضُونَ » (الأنبياء: ٣٢)

وتتوالى الآيات في صدر سورة السعراء تستعمل «الآية» للخارقة الحسيد الموفوتـ وللظاهـرة الكونية الدائمة، فيقول تعالى:

بَلْخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلُ عَلَيْهِمْ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَاللَّهُ فَظَلَّتُ أَعْنَاقُهُمْ لَمَا خَلْضِعِينَ » عَلَيْهِمْ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَاللَّهُ فَظَلَّتُ أَعْنَاقُهُمْ لَمَا خَلْضِعِينَ » (السعراء: ٣-٤)

م يتوالى السياق بعد آيتين :

" أُولَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلْأَرْضِ كُمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ ذَوْجٍ كُوبِمٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ مِن كُلِّ ذَوْجٍ كُوبِمٍ ﴿ إِنَّ وَبِكَ لَمُو ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ » أَكْثَرُهُم مُؤْمِنِينَ ﴿ وَإِنَّ رَبِّكَ لَمُو ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ » (السعراء: ٧ ـ ٩)

كذلك فإن الفاصلة القرآنية من وحدات كتاب الإسلام المعجزهي أيضا آية، وكئيرا ما يقرن

الكتاب الكريم آيات الله في أفاق الكون بأيات الله في محكم تنزيله، ومن هذا القبيل ما ورد من ذكر النوعين من آبات الله متعافيين في هذا السياق المعبر:

« وَمِنْ ءَايَنته مَ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَلشعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَاءَ ٱهْ تَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ ٱلَّذِي أَحْيَاهَا لَمُعْي ٱلْمَوْكَنَ ۚ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ في وَاينتنا لَا يَخْفُونَ عَلَيْناً أَفَكَن يُلْقِي فِي ٱلنَّار خَيْرٌ أُم مَّن يَأْتِي وَامنُ يَوْمَ ٱلْقَيْكُمَةِ ٱعْمَلُواْ مَاشِئْتُمْ إِنَّهُ مِكَ تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَكُ عَنِيزٌ إِنَّ لَا يَأْتِيهِ ٱلْبَطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهُ وَلا مِنْ خَلْفِهُ ، تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدِ »

(فصلت: ٣٩ - ٤٤)

وهكذا تفترن آيات الله وتتضافر في الكون المشهود والكتاب المسطور المقروء .

والقرآن بفتح عين الإنسان وحسه ووعيه وفكره على ظواهر الكون ونواميسه في لمسات سريعة مجملة، محدودة معدودة، ويترك بعد ذلك لنفسه وإمكاناته وطافاته أن تتوسع في المعرفة وتتعمق في العلم. وإسارات القرآن مجملة خالية من زحام التفاصيل التي ترهق قارى سفر التكوين متلاكها ترهق عقله، إذ يحاول أن يوفق بينها وبين ما يكتسفه العلم بمناهجه وأدراته. فالقرآن لا يزاحم العقل في مجال يستطيع أن ينهض بالعب، فيه كاملا. والإسلام يستحث جهود الإنسان وطاقاته بأن يمررأن العلم بسنن الله في الكون، والكشف عن صنعه سبحانه،

وهو الذي أتقن كل شيء، والانتفاع بما أسبغه من نعم ظاهره وباطنة وأعمال ما منح الإنسان من فدران وطاقات هو عباده لله وإشاعة لفضله وتحدن بنعائه:

والقارى تنفاصيل قصة الكون في كتابات علياء الفلك من المحدين يزداد فلبه وفكره خسوعا لإسارات القرآن المجملة المحكمة المعبرة... وهذا هو السير جيمس جينز ملا: لنرجع إلى الوراء في الزمن ٣٠٠٠ مليون نسمة، نم لنسبح في الفضاء، ولنرقب السنين قر بنا، إن السنين في ذلك الوقت لم تكن موجودة على وجه التدقيق، لأن السنة هي الزمن الذي تستغرقه الأرض لإتمام دورة كاملة حول السمس، ولا أرض هناك في الوقت الذي قد صرنا إليه ففد عدنا إلى الوراء لا إلى ما قبل حلول الإنسان في الأرض فحسب، ولكن إلى ما قبل وجود أي أرض يصح أن يطأها إنسان... والآن ونحن نرقب أحدان هذه القصة العظيمة قد نلحظ نجها خاصا هو سمسنا تقع له حادتة غير عادية، يقترب منه نجم آخر اقترابا لم بسبق لأي نجم قط أن اقتربه، فينشى فيه مدوداً أعلى من أي مد أنشى فيه من قبل، مدودا كجبال عظيمة من غاز ناري تسير فوق سطح الشمس. وأخيرا يزداد اقتراب النجم الثاني من النسمس، وفيا هو وتنكاثف ذاتها قطرات، هذه القطرات هي السيارات، والأرض واحدة من أصغرها. وهي في أول الأمر تكون كنلة فوضى من غاز ناري، لكنها تأخذ تبرد فيستحيل وسطها إلى السائل، نم تصير بمرور الزمن إلى درجة من البرودة تتكون معها قشرة صلبة على سطحها. م بعد ذلك تصير بمرور الزمن إلى درجة من البرودة تتكون معها قشرة صلبة على سطحها. م بعد ذلك

إذا ما ازدادت برودتها يبدو على هذه القشرة الصلبة ظاهرة جديدة عجيبة: تأخذ طوائف من الذرات تتحد، فتكون هيئات منظمة متاسكة من النوع الذي لم نعرف سيئا عن طبيعته ولا عن الطريقة التي ظهر بها لأول مرة في الوجود بسمى الحياة.. ومها تكن هذه الحياة فإنه تبدي مقدرة غريبة على تكرار نفسها، وفيا هي تفعل ذلك نجدها تكون على الدوام هيئات تزداد في التعقيد على مر الزمن، وفي النهاية نرى أنفسنا واقفين عند أبعد نقطة بلغها الزمن في إماطة اللمام عن نفسه، إذ تمتل أعقد الكائنات الحية التي تولدت للآن على سطح الأرض. (النجوم في مسالكها ـ ترجمة د. أحمد عبدالسلام الكرداني ـ ط ٢ ـ لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ص: ٢٤٧، ١٤٢٠).

وهذه كلها تفاصيل لم يعرض لها القرآن بطبيعة الحال، وليس من سأنه أن يعرضها، إذ هو كتاب هداية للإنسان فيا معجز عنه عقله، وليس كتابا بختص بمباحث العلم التي يمكن لعقل الإنسان أن بضطلع بها وحده كما أشار حديث رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم: «أنتم أعلم بسئون دنياكم». ولكن بستطيع الذي يتعرف على الحقائق الفلكية التي توصل إليها العلماء بمناهجهم ووسائلهم، والتي أجمل عرض بعضها السير جيمس جينز فيا سلف أن يتدبر روعة الآيات المجملة المحكمة في الكتاب الحكيم التي تقرع الحس والفكر، إذ يفول سبحانه:

« أُمُّمَ أَسْتُوكَيْ

إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِي دُخَانٌ فَقَالَ لَمَ وَلِلْأَرْضِ ٱثْتِيَا طَوْعًا أَوْ كُلُّ السَّمَآءِ وَهِي دُخَانٌ فَقَالَ لَمَ وَلِلْأَرْضِ ٱثْتِيَا طَوْعًا أَوْ كُلُّ مِنْ فَقَضْلُهُ مَّ سَبْعَ سَمَنُواتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأُوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَا السَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَدِيبَ وَحِفْظًا ذَالِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ السَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَدِيبَ وَحِفْظًا ذَالِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ

الْعَلِيمِ »

(فصلت: ۱۱، ۱۲)

« وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِنَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُو عَلَى ٱلْمَآءِ » (هود: ٧)

﴿ أُولَرْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّ ٱلسَّمَاوَتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَ
 رَبَّقًا فَفَتَقَنَاهُمَّا وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيْ
 أَفَلَا يُؤْمِنُونَ »
 (الأنبياء: ٣٠)

ويعرض باحت عربي معاصر هو قدري حافظ طوقان ملامح من «الكون العجيب» في كتيب صغير لطيف ممتع نافع، وقد كان مما احنواه هذه الحقائق: «والواقع أن للسمس حركة حول محورها، ولكن ليس لها حركة في الفضاء تشابه حركة الأرض، فهي لا تدور حول نجم من النجوم متلا، بل إنها تتحرك كها تتحرك بقية النجوم، وتسير في الفضاء وبسرعة ٧٥٠ ميلا في الدقيقة أو ما بزيد على مليون ميل في اليوم. ولا نعني أن السمس وحدها سير بهذه السرعة، فهناك سياراتها وتوابعها والنجميات وكل ما في النظام الشمسي يسير معها بهذه السرعة» ص: ٤٨.

وصدق الله العظيم: « وَالشَّمْسُ

تَجْرِى لِمُسْتَقَرِّ لَمَّ قَلْكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿ الْعَلَيمِ الْعَلَى لَهُ الْقَدِيمِ ﴿ الْقَالَةِ مِ اللَّهُ مَنَاذِلَ حَتَى عَادَكَا لَعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿ اللَّهُ مَنَاذِلَ حَتَى عَادَكَا لَعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿ اللَّهُ اللَّهُ مَنَاذِلَ حَتَى عَادَكَا لَعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿ اللَّهُ اللَّهُ مَنَاذِلَ حَتَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مَنَا اللَّهُ اللَّ

« وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ آلَيْـلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلُّ فِي فَلَكِ يَسْبَحُونَ » (الأنبياء: ٣٣)

ثانيا : وجه الأرض : لمحات في التضاريس والطبقات :

تتعدد آيات القرآن التي تجلى ملامح وجه الأرض المتباينة:

« وَهُو الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوْسِي وَأَنْهَلَوْ أَنْهَلَوْ أَلْمَالُوْ فِيهَا زَوْجَيْنِ رَوْسِي وَأَنْهَلَوْ أَنْهَالَ إِنَّ فِي ذَالِكَ لَا يَلْتِ لِقَوْمِ الْمَنْقِينِ يُغْشِي اللَّيْلُ النَّهَالَ إِنَّ فِي ذَالِكَ لَا يَلْتِ لِقَوْمِ لَنْفَيْ يُعْشِي اللَّيْلُ النَّهَالَ إِنَّ فِي ذَالِكَ لَا يَلْتِ لِقَوْمِ لَنْفَيْ يَعْفِي وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَلُورَاتٌ وَجَنَّاتٌ يَتُفَكِّرُونَ وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَلُورَاتٌ وَجَنَّاتُ وَجَنَّاتُ مِنْ أَعْنَابِ وَزَرْعٌ وَنَحْيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءِ مِنْ أَعْنَابِ وَزَرْعٌ وَنَحْيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءِ وَلِي اللَّهُ عَلَى بَعْضِ فِي الْأَكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ وَاللَّالَ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى بَعْضِ فِي الْأَكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ وَالْحِدَ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضِ فِي الْأَكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ وَالْحِدَ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضِ فِي الْأَكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ وَالْحِدَ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضِ فِي الْأَكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ وَالْحَدَ ٣٤٤ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ فَيْهُ وَمِ يَعْقِلُونَ » (الرعد: ٣-٤)

« وَمَا ذَرَأَ لَكُرُ

فِي ٱلْأَرْضِ مُغْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ﴿ إِنَّا فِي ذَالِكَ لَا يَهُ لِقَدْمِ إِنَّا فِي ذَالِكَ لَا يَهُ لِقَدْمِ اللَّهِ مَالَّذِي سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُواْ مِنْهُ كَمْا

طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْ هُ حِلْيَةٌ تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَانِحَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضَلِهِ ۽ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿ اللهِ عَلَيْهِ عَلَيْهُ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿ اللهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿ وَاللهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿ وَاللهِ اللهِ وَلَعَلَّكُمْ اللهِ اللهِ اللهِ وَلَا اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ الل

« وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَاذَا عَذَبٌ فُرَاتٌ سَآيِعٌ شَرَابُهُ وَهَاذَا مِلْحُ أَجَابٌ وَمِن كُلِّ تَأْكُونَ فَرَاتٌ سَآيِعٌ شَرَابُهُ وَهَاذَا مِلْحُ أَجَابٌ وَمَن كُلِّ تَأْكُونَ لَحُمَّا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ خَمَّا طَرِيًّا وَتَسْتَخُوجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَها وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَانِحَ لِتَبْتَغُواْ مِن فَضَلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » فيه مَوَانِحَ لِتَبْتَغُواْ مِن فَضَلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » (فاطر: ١٢)

« مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿ ثَنْ بَلْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ » (الرحن: ١٩ ـ ٢٠)

«... وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا » . (النمل: ٦١)

أَلُوا أَنَّ وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِ وَٱلْأَنْعَامِ مُغْتَلِفَ أَلُوا نُهُ كَذَالِكَ إِنَّكَ يَغْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَ وَأَ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ » (فاطر: ٢٨)

« وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْ تَدُونَ رَبَّ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَاءَ سَقْفًا تَحَفُّوظًا وَهُمْ عَنْ ءَايَنَتِهَا مُعْرِضُونَ » (الأنبياء: ٣٠ ـ ٣١)

" أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَعَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ عَ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ عَ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَهُ وَثُ رَّحِيٌ » (المج: ٦٥)

> « وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٌ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّهُ فِي ٱلْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابِ بِهِ عَلَقَدِرُونَ ﴿ فَيَ الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابِ بِهِ عَلَقَدِرُونَ ﴿ فَا اللَّهُ أَنْ اللَّهُ لِهِ عَلَيْتِ مِن تَخِيلِ وَأَعْنَابِ » فَأَنشَأْنَا لَكُمْ بِهِ عَجَنَّاتٍ مِن تَخِيلِ وَأَعْنَابِ »

(المؤمنون: ۱۸ ـ ۱۹)

﴿ أُولَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَاءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُورِ فَنُخْرِجُ بِهِ عِلَى الْأَرْضِ ٱلْجُورِ فَنُخْرِجُ بِهِ عِلَى الْأَرْضِ ٱلْجُورُونَ »
 زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعُلُمُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ »
 (السجدة: ۲۷)

" أَلَرْ تَرَأَنَّ آللَهُ أَنْلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكُمُو يَنَابِيعَ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ ع زَرْعًا تُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُو » (الزمر: ٢١)

" أَلَمْ أَجُعُلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿ أَلَمْ أَجُعُلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿ أَمْ الْحَياءَ اللَّهِ وَأَمْوَ تَا ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَسِي شَامِخَلِتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمُ وَأَمُو تَا اللَّهِ اللَّهِ وَأَمْوَ اللَّهِ اللَّهِ وَأَمْوَ اللَّهِ اللَّهِ وَاللَّهِ وَاللَّهِ وَاللَّهِ وَاللَّهِ وَاللَّهِ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ الللَّالِي اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّالِمُ اللَّلَّا اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّلَّا اللَّالُّمُ اللَّهُ اللَّهُ اللّ

« ءَأْنَتُمْ أَشَدُ خَلَقًا أَمِ السَّمَآءُ بَنَلَهَا ﴿ وَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوْلَهَا ﴿ وَأَغْطَشَ لَبْلَهَا وَأَنْرَجَ ضُحَلَها ﴿ وَقَعَ سَمْكَهَا فَسَوْلَهَا ﴿ وَأَغِطَشَ أَنْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَلَهَا ﴿ وَآلِجُهَا لَ اللهِ وَآلِجُبَالَ أَرْسَلْهَا ﴿ وَاللهِ مَنْكًا لَكُو وَلِأَنْعَلُم كُو ﴾ مَنَاعًا لَكُو وَلِأَنْعَلُم كُو ﴾ مَنَاعًا لَكُو وَلِأَنْعَلُم كُو ﴾ (النازعات: ٢٧ ـ ٣٣) « وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُو ٱلأَرْضَ بِسَاطُا ۚ ﴿ لَيْ لِتَسْلُكُواْ مِنْهَا سُلِكُ فِعَاجًا » (نوح: ١٩ ـ ٢٠)

« وَ ٱلْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ ٱلْمَالِيدُونَ » (الذاريات: ٤٨)

وتتعدد آيات القرآن التي تجلي ملامح وجه الأرض المتباينة من سهول وجبال، وتعرض لأنواع التربة والصخور. يقول عز من قائل في الأرض وسهولها ووديانها ومسالكها:

« ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُرُ ٱلْأَرْضَ مَهَدًا وَجَعَلَ لَكُرُ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُرُ تَهُ تَدُونَ ». (الزخرف: ١٠)،

« وَ ٱلْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ ٱلْمَالِيدُونَ » (الذاريات: ٤٨)

« ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدُا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيها سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءُ فَأَخْرَجْنَا بِهِ تَ أَزْوَاجُا مِن سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءُ فَأَخْرَجْنَا بِهِ تَ أَزْوَاجُا مِن سُبُلًا وَأَنزَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءُ فَأَخْرَجْنَا بِهِ تَ أَزْوَاجُا مِن سُبُلًا وَأَرْعَوْا أَنْعَلَمُكُمْ أَإِنَّ فِي ذَالِكَ تَبَاتِ شَتَّى (إِنَّ كُلُواْ وَأَرْعَوْاْ أَنْعَلَمُكُمْ إِنَّ فِي ذَالِكَ لَنَا مِن اللَّهُ فِي النَّهَى » (طه: ٥٣ - ٥٥)

« وَاللَّهُ جَعَلَ لَـكُرُ الْأَرْضَ بِسَاطُأٌ ﴿ لِيَ لِتَسَلُـكُواْ مِنْهَا سُلِكُ فَجَاجًا » (نوح: ١٩ ـ ٢٠).

وقد يسر الله أسباب الانتقال والاتصال في البر والبحر:

وتعددت إسارات القرآن إلى الجبال:

ومنها ما يكون شاهق الارتفاع:

والجبال على وعورتها وقاء من الحرارة والريح ومن مخاطر البشر أحيانا:

وقد أسارت آية كريمة إلى ممرات الجبال ومسالكها بصفة خاصة:

وتشير هذه الآيات التالية إلى السهول والجبال والأنهار، وإلى اختلاف أنواع التربة وآنار كمية الماء على النبات:

« وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوْسِي وَأَنْهَلُوا وَمِن كُلِّ النَّمَوْتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ

الْمَنْ يُعْشِى الَّيْلُ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَالِكَ لَا يَنْتِ لِقَوْمِ الْمَنْ يَنْ يُعْشِى الَّيْلُ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَالِكَ لَا يَنْتِ لِقَوْمِ يَتَفَكَّرُونَ شَيْ وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَلُورَاتٌ وَجَنَّلَتُ وَجَنَّلَتُ مِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانِ يُسْتَى بِمَآءِ مِنْ أَعْنَبِ وَزَرَعٌ وَنَحْيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانِ يُسْتَى بِمَآءِ وَإِنْ أَعْنَبِ وَزَرَعٌ وَنَحْيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانِ يُسْتَى بِمَآءِ وَإِنَّ فِي ذَلِكَ وَإِنَّ فِي ذَلِكَ وَإِنَّ فِي ذَلِكَ وَإِنَّ فِي ذَلِكَ وَالْحَدِ وَنُفَضِّلُ بَعْضِ فِي اللَّهُ كُلِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضِ فِي اللَّهُ كُلِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ وَالْحِدِ وَنُفَضِّلُ بَعْضِ فِي اللَّهُ كُلِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ وَالرَّعَدِ تَلْقُومِ يَعْقِلُونَ » (الرعد: ٣ ـ ٤)

وأشار الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الأرض التي تمسك الماء وتنبت الكلأ، وإلى أخرى تمسك الماء فينتفع به ولا تنبت الكلأ، وتالثة رملية لا تمسك ماء ولا تمسك كلأ وضرب المنل بذلك على الهدى يسوقه الله إلى قلوب متباينة.

كذلك يشير القرآن إلى تباين الصخور وألوانها :

« أَلَرْ تَرَأَنَّ آللَهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ عَلَمْ سَرَتٍ

مُغْتَلِفًا أَلْوَنُهَا وَمِنَ آلِحَبَالِ جُدَدُ بِيضٌ وَمُمَّرٌ تُغْتَلِفً أَلُوا ثُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿ ثَنِي وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَالدَّوَآتِ وَٱلْأَنْعَامِ مُغْتَلِفً أَلُوا نُهُ وَكَذَ لِكَ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَاتُوا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ عَفُورٌ » (فاطر: ٢٧ - ٢٨)

وقد تصيب القسرة الأرضية تغيرات فتنخفض جهة وترتفع أخرى من عوامل باطنية أو بفعل عوامل التعرية السطحية:

« أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُرْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ
عَلَيْ كُرْ حَاضِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُرْ وَكِيلًا ﴿ أَمْ أَمِنتُمْ أَنْ
يُعِيدَكُرْ فِيهِ تَارَةً أَنْحَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُرْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيج
يُعِيدَكُرْ فِيهِ تَارَةً أَنْحَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُرْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيج
فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ﴾ (الإسراء: ٦٨ - ٦٩)

وقد تعددت الآيات التي تسير إلى الخسف، وهو وإن حدث عقوبة من الله لقوم على ذنوبهم فلا مانع أن يحدث ذلك بمقتضى ظاهرة كونية عادية كالـزلازل والبـراكين وطغيان البحـار وانخفاض اليابس بفعل التواء في القسرة الأرضية أو غير ذلك:

« عَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء أَن يَخْسِفَ بِكُرُ الأَرْضَ فَإِذَا هِي تَمُورُ ﴿ إِنَّ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُرْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ » (الملك: ١٦ - ١٧) « أَفَأْمِنَ ٱلَّذِينَ مَكُرُواْ ٱلسَّيِّ اَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ رَبِمُ ٱلْأَرْضَ » (النحل: ٤٥)

وإلى جانب الخسف بفعل عوامل باطنية للقشرة الأرضية فقد تأتي النسهب وتهبط قطع من أجرام سهاوية على الأرض من أعلى فتحدت دمارا وهلاكا:

كقول ه تعالى: « أَفَكُمْ يَرُواْ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضَ إِن نَشَأْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضَ إِن نَشَأْ يَعْفُومُ مِّنَ السَّمَاءُ فَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءُ إِنَّ فِي ذَالِكَ لَآيَةُ لِكُلِّ عَبْرِ مُنِينٍ » (سبا: ٩)

« وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدَّنَهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا »

كها تأتي الصواعق من العواصف الرعدية :

كقول تعالى : « وَيُسَيِّحُ الرَّعْدُ بِحَدْدِهِ عَ الْمَكَنِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ عَ وَيُرْسِلُ الصَّوَعِقَ فَيُصِيبُ بِكَ مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَدِدُونَ فِي اللّهِ وَهُو شَدِيدُ الْمِحَالِ » مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَدِدُونَ فِي اللّهِ وَهُو شَدِيدُ الْمِحَالِ » (الرعد: ١٣)

« أَوْ كَصَيِّبِ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُلَتَ وَرَعَدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَنْبِعَهُمْ فِي ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوْعِي حَذَرَ ٱلْمَوْتِ وَٱللَّهُ مُحِيطُ بِٱلْكَافِرِينَ » (البقرة: ١٩)

" فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلُ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةٍ عَادٍ وَثَمُودَ ... فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ دِيحًا صَرْصَرُا فِي عَادٍ وَثَمُودَ ... فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ دِيحًا صَرْصَرُا فِي أَيَّامٍ نِحْسَاتٍ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ ٱلْعَذَابِ الْمُونِ أَيَّامٍ نِحْسَاتٍ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ ٱلْعَذَابِ الْمُونِ مَنْ أَيَّامُ وَكَانُواْ مِكَانُواْ وَكَانُواْ مَنُواْ وَكَانُواْ مَكَانُواْ مَعَلَمُ مَلْمُ مَنْ مَنْ مَعْمَلُمُ مَعْمَلُهُ مَا مَنُواْ مَكَانُواْ مَكَانُواْ مَكَانُواْ مَعَلَمُ مَعُولَا مَا مَنْ مُنْ مُعَلِيْمُ مَعْمَلُوا مَعْمَلَعُ مَا مَا مُعْمَلُوا مَعْمَاتُ مَامَنُواْ مَعْمَلُهُ مَا مَا مُعْمُولُوا مُعْلَمِهُمُ مَا مُعْمَلُهُمُ مُعْمُ مَا مُعْمُولُوا مُعْلَمَا مُعْمُولُوا مُعْلَمَا مُعْمُولُوا مُعْمَلِكُوا مُعْمَلِكُ مَا مُعْلِمُ مُعْمُولُوا مُعْمَلِهُ مُعْمُولُوا مُعْمِلُهُ مُعْلِمُ مُعْمِلُوا مُعْمِلُوا مُعْمَلِهُ مُعْمُولُوا مُعْمِلُوا مُعْمَلِهُ مُعْمِلِهُ مُعْمُولُوا مُعْمُولُوا مُعْمُلُوا مُعْمُلُوا مُعْمُولُوا مُعْمُولُولُوا مُعْمِلُوا مُعْمُلُولُوا مُعْمُلُولُوا مُعْمُلُولُوا مُعْمِلُونُ مُعْمِلُولُ مُعْمُلُولُ مُعْمُولُوا مُعْمُلُولُ مُعْمُولُ مُعْمُلُولُوا مُعْمُلُولُ مُعْمُلُولُ مُعْمُولُولُهُ مُعْمُلُولُ مُعْمُلُولُ مُعْمُولُ مُعْمُلُولُ مُعْمُلُولُ مُعْمُلُمُ مُعْمُولُوا مُعْمُلُولُ مُعْمُلُولُ مُعْمُلُولُ مُعْمُلُولُ مُعْمُلُولُ مُعْمُلُولُ مُعْمُلُولُ مُعْمُلُولُ مُعْمُلُولُ مُعْمُلُولُولُ مُعْمُلُولُولُ مُعُلِمُ مُعْمُولُولُ مُعْمُلُولُ مُعْمُولُولُ مُعْمُلُولُ

وفد أودع الله الأرض كنوزا من المعادن والأحجار الثمينة قليلة الوجود عسيرة الاستخراج أو الأحجار الوفيرة الميسورة الرخيصة النافعة، وقد أشار القرآن للحديد:

« وَأَنْزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ » (الحديد: ٢٥)

وللنحاس :

« وَأَسَلَنَا لَهُ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ »

كما أشار لاستخدام الصخور في النحت والتشييد:

« وَكَانُواْ يَغِنُونَ مِنَ الْجِحْبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ » (السعراء: ١٤٩)

« وَكَانُواْ يَغِنُونَ مِنَ الْجِحْبَالِ بُيُوتًا عَامِنِينَ » (المعر: ١٤٨)

« تَغْفِلُهُ ونَ مِن سُهُولِمَ فَصُورًا وَتَغْتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا

ه فَاذْ كُرُواْ عَالاَتَ اللّهِ وَلا تَعْتُواْ فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ » فَاذْ كُرُواْ عَالاَتَ اللّهِ وَلا تَعْتُواْ فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ » (الاعراف: ٤٧)

« وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيِّدةٍ » (النساء: ٢٨)

قريةٍ أَهْلَكُننَهَا وَهِي ظَالِمَةٌ فَهِي خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَمِي طَالِمَةٌ فَهِي خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَمِي طَالِمَةٌ فَهِي خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِها وَمِي طَالِمَةٌ وَقَصِرِ مَشِيدٍ » (المح: ٤٥)

وأشارت آيات القرآن المتعددة إلى الغلاف المائي، ومنها إشارة معبرة إلى الماء لها دلالتها على الزمن المبكر لوجوده، وذلك في الآية التر عرضت لانفصال الأرض عن السموات:

" أَوَلَمْ يَرَ اللَّذِينَ كَفُرُواْ أَنَّ السَّمَاوَتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَ رَتَّقَا فَفَتَقْنَاهُمَّا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ » (الأنبياء: ٣٠) ومة آية أخرى لها دلالتها أيضا في هذا المجال، وهي قوله تعالى:

« وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَاوَتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِنَّةِ أَيَّامِ وَكَانَ عَرْشُهُ, عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَـكُمْ » (هود: ۷)

وعرضت الآيات لمياه البحار والأنهار وسمراتها ومنافعها:

« وَهُوَ الَّذِي سَغَّرَ ٱلْبَحْرَ لِيَا أَكُواْ مِنْ هُ كَمُّ مَا طَرِيًّا وَتَسَنَخْرِجُواْ مِنْ هُ حِلْيَ تَالْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَائِرَ فِيهِ وَلِيَّبَتَغُواْ مِن فَصْلِهِ - وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ شَيْ مَوَائِرَ فِيهِ وَلِيَّبَتَغُواْ مِن فَصْلِهِ - وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ شَيْ وَلِيَّبَتَغُواْ مِن فَصْلِهِ - وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ شَيْ وَلَيْ فَا لَيْ فَي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَن تَمْيِدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا وَسُبُلًا لَمَا لَكُمْ تَهُدُونَ » (النحل: ١٤ - ١٥)

« وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَاذَا عَذَبٌ فُرَاتٌ سَآيِغٌ شَرَابُهُ وَهَاذَا مِلْحُ أَجَابٌ وَمِن كُلِّ تَأْكُلُونَ فُرَاتٌ سَآيِغٌ شَرَابُهُ وَهَاذَا مِلْحُ أَجَابٌ وَمِن كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحَمُّا طُوِيًّا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ لَحَمُّا طَوِيًّا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَائِرَ لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْ لِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » فض لِه وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » فض لِه وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » (فاطر: ١٢)

« وَحَمَلْنَكُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلُوْحِ وَدُسُرِ » (القبر: ١٣)

وأسار القرآن إلى ما يستخرج من البحر من روائع إفرازات كاثناته:

« يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللَّوْلُوُ وَٱلْمَرْجَانُ (﴿ فَبِأَي عَالَآءِ رَبِّكُمَا اللَّوْلُوُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿ فَي فَبِأَي عَالَآءِ رَبِّكُمَا اللَّوْلُوُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿ فَي اللَّهِ مِنْهُمَا ٱللَّوْلُونُ وَالْمَرْجَانُ ﴿ فَي اللَّهِ مِنْهُمَا ٱللَّوْلُونُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿ فَي اللَّهِ مِنْهُمَا ٱللَّوْلُونُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿ فَي اللَّهِ مِنْهُمَا ٱللَّوْلُونُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿ وَفَي اللَّهِ مِنْهُمَا ٱللَّوْلُونُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿ وَفَي اللَّهِ مِنْهُمَا ٱللَّوْلُونُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿ وَفَي اللَّهُ مِنْهُمَا اللَّهُ وَلَوْلُونُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿ وَفَي اللَّهِ مِنْهُمَا اللَّهُ وَلَوْلُونُ وَالْمَرْجَانُ وَقَالُ اللَّهُ وَالْمَرْجَانُ اللَّهُ وَالْمَرْجَانُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمَرْجَانُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَيْ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَيْكُونُ وَاللَّهُ وَاللَّالَ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَهُ مُلْأَلُولُونُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّ

وللقرآن وصف بالغ الروعة لاضطراب البحر، نزل على أمة من الناس لم يتعاملوا مع البحر إلا قليلا، ولم يخبروا أنواءه وعواصفه:

« أَوْكَظُلُمُنَتِ فِي بَخْرِ لَجِّتِي يَغْشَلُهُ مَوْجٌ مِن فَوْقِهِ ع مَوْجٌ مِن فَوْقِهِ ع سَحَابٌ ظُلُمَاتُ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَنْحَرَجَ يَدَهُ لِلْهُ يَكُذُ يَرَنْهَا » (النور: ٤٠)

« هُوَ الَّذِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحِ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتُهَا رِجُ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانِ وَظُنُّواْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِم وَعَدُ مِن كُلِّ مَكَانِ وَظُنُّواْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِم وَعَدُ مِن كُلِّ مَكَانِ وَظُنُواْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِم وَعَدُ مِن كُلِّ مَكَانِ وَظُنُّواْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِم وَعَدُ مِن كُلِّ مَكَانِ وَظُنُّواْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِم وَعَدُ اللَّهِ مَن اللهُ الدِينَ لَيْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَنذِهِ عَدُوهُ وَعُواْ اللّهَ مُعْلِيصِينَ لَهُ الدِينَ لَيْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَنذِهِ عَلَيْهِ وَاللّهُ اللّهِ عَلَيْهِ وَمُعْلَقُواْ أَنْجُواْ اللّهَ مُعْلِيمِهُ مَا لَهُ الدّينَ لَيْنَ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَنذِهِ عَلَيْهِ اللّهُ اللّهُ الدِينَ لَيْنَ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَنْدِهِ عَلَيْهِ اللّهِ اللّهُ اللّهُ اللّهِ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهِ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ ال

لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّنْكِرِينَ (﴿ فَلَتَّ أَنْجَلَهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فَلَتَّ أَنْجَلَهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَيِّ » (يونس: ٢٢ - ٣٣

« وَهِي تَجْرِي بِهِمْ فِي مُوْجِ كَأْبِخْبَالِ » (هود: ٤٢

وأوضح القرآن كيف تحفظ نواميس الله الكونية المياه العذبة من الاختلاط بالمياه المالحة تعدد مصبات الأنهار في البحار والمحيطات:

« مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ شَيْ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ » (الرحن: ١٩ ـ ٢٠ ـ ٢٠

« وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا »

وأبرزت الآيات أهمية المياه الجوفية التي تختزن في باطن الأرض:

« وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَ بِقَدَرِ فَأَسْكَنَّنَهُ فِي ٱلْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَا بِ بِهِ عِلَقَندِرُونَ ﴿ ثَلَيْ الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَا بِ بِهِ عِلَقَندِرُونَ ﴿ ثَلَى الْمُعَنونَ ١٩-١٩٠ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ عَجَنْتِ مِّن تَخيلِ وَأَعْنَابٍ » (المؤمنون:١٩-١٩

« أَلَرْ تَرَأَنَّ آللَهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكُهُ مَ يَنْكِيعَ فِي النَّمَةِ اللَّهُ الْمَا أَلُونُهُ مَا النَّمِيةِ فِي النَّمِيةِ الْمُرْدِينَ اللَّمْ اللَّهُ الْمُرْدُونُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللللْمُ الللْمُ الللْمُ الللْمُ اللَّهُ ال

« وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ »

(یس: ۳٤)

وأبرز القرآن ارتباط الماء في أصله بالأرض حتى لو تبخر وتكاتف وعاد إلى الأرض مطرا:

« وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَلْهَا ﴿ إِنَّا أَنْعَرَجَ مِنْهَا مَا ءَهَا وَمَنْ عَلْهَا ﴾

(النازعات: ٣٠ ـ ٣١)

وأوضعت الآيات ضرورة الماءة للحياة والأحياء من نبات وحيوان وإنسان:

« وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ » (الأنبياء: ٣٠)

« أُولَمْ يَرُواْ أَنَّا

نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ مِ زَرَّعَا تَأْكُلُ و أَنْهُ أَنْعُلُمُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ». (السجدة: ٢٧)

« وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَالِكَ دَحَلْهَ آرَبَي

أَنْعَرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَلَهَا ﴿ وَأَلِحُبَالَ أَرْسَلُهَا ﴿ وَمَرْعَلَهَا ﴿ وَأَلِحُبَالَ أَرْسَلُهَا ﴿ وَالْمَالَعَاتِ: ٣٠ - ٣٣)

« وَأَنْزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَاتِ مَا مَ ثَجَاجًا ﴿ لَيْ لِنُخْرِجَ بِهِ عَجَبًا وَالْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَاتِ مَا مَ ثَجَاجًا ﴿ لَيْ لَنَا عَلَى اللَّهِ اللَّهُ اللَّا اللَّا الللَّا اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّه

« فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ مِنْ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبَّا ﴿ فَيْ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقَّا ۞ وَعَبَّا وَقَضْبًا ۞ وَزَيْتُ وَنَا فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبُّ ۞ وَعِنبًا وَقَضْبًا ۞ وَزَيْتُ وَنَا وَعَضْبًا ۞ وَزَيْتُ وَنَا وَعَضْبًا ۞ وَزَيْتُ وَنَا وَعَضْبًا ۞ وَفَكِهَةً وَأَبًا ۞ وَفَكِهَةً وَأَبًا ۞ مَنْعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَلِمِكُمْ ﴾ وَفَكِهةً وَأَبًا ۞ مَنْعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَلِمِكُمْ ﴾ (عبس: ٢٤ - ٣٢)

« وَأَسْقَيْنَكُم مَّاءً فُواتًا » (المرسلان: ۲۷)

ويحيط بالأرض الغلاف الجوي ثم الفضاء ولعل هذا ما يعبر عنه بالسهاء بلفظ المفرد في آيات القرآن والله أعلم:

« عَأْنَتُمْ أَشَدُ خَلْقًا أَمِ

ٱلسَّمَآءُ بَنَلَهَا ﴿ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسُولِهَا ﴿ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَنْحَرَجَ ضُحُلُهَا ﴿ » (النازعات: ٢٧ _ ٢٧)

« وَجَعَلْنَ ٱلسَّمَآءَ سَقُفاً تَعَفُّوظًا وَهُمْ عَنْ ءَايَتِهَا مُعْرِضُونَ (١٣٠) » (الأنبياء: ٣١)

وقد حفظت قوانين الغازات ومدى كثافة الغازات التي تكون الغلاف الجوى وجاذبية الأرض

العلاقة بين الغلاف الجوى والأرض، وسبحت الكواكب في الفضاء، وانتظمت مدارتها وعلاقاتها وفق قواعد محكمة لا تحيد، كما كفل قانون الطفو الإفادة من الغلاف المائي في تسيير السفن:

وقد أنبارت الآية الكريمة في جلاء إلى ملاءمة الضغط الجوي للإنسان على الأرض ومواجهته العناء عند الصعود إلى طبقات الجو العليا، وهو ما استخرجه بحق الميتورولوجي المسلم الأستاذ محمود حامد _ رحمه الله _ من قوله تعالى:

ودلالة الآية واضحة حفا دون أي اعتساف في التأويل، وهي تشبه الضغط النفسي للضلال بالضغط الحسي الذي يتعرض له الصاعد إلى الطبقات العليا عندما يخف الضغط الجوي الواقع على جسمه عما في داخل هذا الجسم من ضغط.

وقد أسار القرآن إلى تباين الحرارة باختلاف الفصول والأمكنه، وإلى ميزة اعتدالها بقوله عز من قائل: « وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿ وَلَا ٱلظَّلُمَاتُ وَلَا الظَّلُمَاتُ وَلَا النَّورُ ﴿ وَلَا ٱلظِّلُ وَلَا ٱلْحَدُورُ » (فاطر: ١٩ - ٢١) « لَا يَرَوْنَ فَيِهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا » (الإنسان: ١٣)

وأسارت آية من الكتاب المبين إلى أنر الارتفاع في تناقص درجة الحرارة وما يتبع ذلك من تجمد قطرات المطر، فقال الحق سبحانه:

« وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ عَ مَن يَشَآءُ » (النون ٤٣)

كما بين تبارك وتعالى كيف يواجه الإنسان تقلبات الحرارة باللباس والمسكن: « وَٱلْأَنْعَلَمُ خَلَقَهَا لَكُرْ فيها دفْ وَمَنْكَفِعُ وَمَنْهَا تَأْكُلُونَ »

(النحل: ٥)

« وَاللّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُونِكُمْ مَنْ بُيُونِكُمْ مَنْ بُيُونِكُمْ مَنْ بُيُونِكُمْ سَكَنُا وَجَعَلَ لَكُمْ مِن جُلُودِ الْأَنْعَلِمِ بُيُونَا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَنَا وَمَنَدُعًا إِلَى حِينِ نَنْ وَاللّهُ جَعَلَ لَكُمْ وَأَشْعَارِهَا أَثَنَا وَمَنَدُعًا إِلَى حِينِ نَنْ وَاللّهُ جَعَلَ لَكُمْ

قِمَّا خَلَقَ ظِلَنَالًا وَجَعَلَ لَـكُمْ مِنَ أَلِخَبَالِ أَكْنَنْنَا وَجَعَلَ كَالِكَ » لَكُمْ سَرَٰ بِيلَ تَقِيكُمُ بَأْسَكُمُ كَذَالِكَ » لَكُمْ سَرَٰ بِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمُ كَذَالِكَ » لَكُمْ سَرَٰ بِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمُ كَذَالِكَ » لَكُمْ سَرَٰ بِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمُ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ اللَّ

وقد عرض القرآن للرياح بآثارها النافعة والضارة :

« إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَاوَتِ وَٱلْأَرْضِ
وَاخْتِلَافِ ٱلنَّهِ وَالنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِى فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا
يَنْفُعُ ٱلنَّاسَ وَمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَخْيَا بِهِ
ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَةٍ وَتَصْرِيفِ
ٱلرِّينِجِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ لَاينتِ
اللَّهِ يَعْقِلُونَ " (البقرة: ١٦٤)

فالرياح تدفع السفن، وتحمل المطر، وتلقح النبات:

« حَتَىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي ٱلْفُلْكِ وَجَرَبْنَ بِهِم بِرِيحِ طَيْبَةٍ » (يونس: ٢٢)

« أَلَدْ تَرَأَنَّ ٱللَّهُ يُزْجِى سَعَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ مُمَّ يَجْعَلُهُ وركَامًا

فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَ يُعَزِّلُ مِنَ السَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرْدٍ فَيُصِيبُ بِهِ عَ مَن يَشَآءُ وَيَصَرِفُهُ عَن مَن يَشَآءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ عَيْذُهَبُ بِٱلْأَبْصَارِ » مَن يَشَآءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ عَيْذُهَبُ بِٱلْأَبْصَارِ »

« آللهُ ٱلَّذِي يُرْسِلُ

الرِيكَ فَتُنْيِرُ سَعَابًا فَيَبْسُطُهُ, فِي السَّمَآءَ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُ, كَسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَلِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ عَمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿ فَإِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿ وَالْحَالَةُ مِنْ عَبَادِهِ آ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿ وَ إِن كَانُواْ مِن قَبْلِ اللّهُ كَيْمَ مِن قَبْلِهِ عَلَيْهِ مَن اللّهِ عَلَيْهِ مَن قَبْلِهِ عَلَيْهِ مَن اللّهُ وَلَيْهُ كُلّ مَن عَلَيْهِ مَن اللّهُ عَلَيْهُ مَن اللّهُ عَلَيْهُ مَن اللّهُ عَلَيْهُ مَن اللّهُ عَلَيْهُ مَن اللّهُ اللّهُ وَلَهُ عَلَيْهُ مَن اللّهُ عَلَيْهُ مَن اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ مَن اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ مَن اللّهُ عَلَيْهُ مَن اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْهُ مَن اللّهُ عَلَيْهُ مَن اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ مَن اللّهُ عَلَيْهُ مَا اللّهُ عَلَيْهُ مَن اللّهُ عَلَيْهُ مَن اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْهُ مِنْ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ مَا اللّهُ عَلَيْهُ مَن اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ ا

« وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ ٱلرِّينَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَى رَحْمَتِهُ عَجَيَّةً إِذَا أَقَلَتْ سَعَابًا ثِقَالًا سُقْنَلهُ لِبَلَدٍ مَّيْتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَنْرَجْنَا بِهِ عِ مِن كُلِّ ٱلشَّمَرَاتِ كَذَالِكَ نُخْرِجُ الْمَاءَ فَأَنْرَجْنَا بِهِ عِ مِن كُلِّ ٱلشَّمَرَاتِ كَالِكَ نُخْرِجُ الْمَوْقَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ » (الأعراف: ٥٧)

« وَمِنْ عَايَلَتِهِ مَا أَن يُرْسِلَ آلِيَاحَ مُبَشِّرُتِ وَلِيكُذِيفَكُمُ مِن رَحْمَتِهِ عَولِتَجْرِى آلْفُلْكُ بِأَمْرِهِ ع » (الروم: ٤٦)

« وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيكَ بُشْراً مَيْنَ يَدَى رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَآءِ مَآءً طَهُوراً ﴿ لَيْ لَيْنَ بِهِ عَبَلَاةً مَيْنًا وَنُسْقِيَهُ وَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً طَهُوراً ﴿ لَيْ لَيْنَ بِهِ عَبَلَاةً مَيْنًا وَنُسْقِيَهُ وَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً طَهُوراً ﴿ لَيْنَ السَّمَ كَثِيرًا » (الفرقان: ٤٨ ـ ٤٩)

« وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيْحَ لَوْ قِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَكُمُوهُ وَمَآ أَنْمُ لَهُ بِخَلْزِنِينَ ». (الحجز: ٢٢).

على أن الرياح قد تكون جافة عقيا خلوا من بخار الماء، تسفي الغبار والرمال، وقد تستد فتأتي العواصف والأعاصير على الحرث، وتؤذي الحيوان والإنسان أو تهلكها أحيانا، كما قد تكون العواصف رعدية تصم الآذان، وبرفها يخطف الأبصار، أو تأتي مقترنة بالسيول الجارفة المدمرة:

« وَلَيْنَ أَرْسَلْنَ رِيحًا فَرَأُوهُ مُصْفَرًا لَظُلُواْ مِنْ بَعْدِهِ ع يَكُفُرُونَ ،» (الروم: ٥١)

« أَوْكَصَيِبِ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُلُنَتُ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَنِعَهُمْ فِي ءَاذَانِهِم مِنَ ٱلصَّوَعِي حَذَرَ ٱلْمَوْتِ وَٱللَّهُ مُعِيطُ إِلْكَنْفِرِينَ فَيْ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَنْرَهُمْ فَي عَلَيْهِمْ قَامُواْ فِيهِ وَإِذَاۤ أَظُمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ وَيهِ وَإِذَاۤ أَظُمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ وَيُهُ وَلَوْسَاءَ اللّهُ لَذَهُب بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّ اللّهُ عَلَى كُلّ

شَيِّ عَلَايِرٌ » (البفرة: ١٩ ـ ٢٠)

« وَمِنْ وَايَنتِهِ عَيْرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا » (الروم: ٢٤)

« هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُسَيِّحُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُسَيِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمَّدِهِ عَ وَيُسَيِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ عَ وَيُسَيِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ عَ وَيُسَيِّحُ اللَّهِ عَلَيْهِ عَ اللَّهُ مِنْ خِيفَتِهِ عَ » (الرعد: ١٢ ـ ١٣)

« فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَأَحْتَرَقَتْ » (البقرة: ٢٦٦)

« كَمْثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرَّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمِ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكُواْ أَنْفُسَهُمْ (آل عمران: ۱۱۷)

« وَمِنْ عَايَنتِهِ

آلِحُوَارِ فِي ٱلْبَحْرِكَا لَأَعْلَىٰمٍ ﴿ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّبِحُ

فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَالِكَ لَا يَئِتِ لِكُلِّ

صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿ إِنَّ أَوْ يُوبِقُهُنَّ بِمَا كَسَبُواْ وَيَعْفُ عَن

صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿ إِنَّ أَوْ يُوبِقُهُنَّ بِمَا كَسَبُواْ وَيَعْفُ عَن

كَثِيرٍ » (السودى: ٣٢ - ٣٤)

« هُوَ ٱلَّذِي الْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحِ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتُهَا رِجُ عَاصِفُ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنْواْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ،» وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنْواْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ،» وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنْواْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ،» وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنْواْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ،»

« وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلطَّلِ دَعُواْ ٱللَّهَ مُعْلِصِينَ لَهُ ٱلدِينَ فَلَتَ نَجِّلْهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُقْتَصِدٌ » (لقان: ٣٢) وفد تكون الرياح العاصفة وآبارها المهلكة من جنود ربك التي يرسلها على الفوم الظالمين.

« ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوْةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَلْدَابُ ٱلْآخِرَةِ أَنْعَزَىٰ وَلَعَلْدَابُ ٱلْآخِرَةِ أَنْعَزَىٰ وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ » (فصلت: ١٦)

« فَلَتَ رَأُوهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْ دِيَهِمَ قَالُواْ هَنْدَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُو مَا آسْتَعْجَلْتُم بِهِ عَرِيحٌ فِيهَا عَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُو مَا آسْتَعْجَلْتُم بِهِ عَرِيحٌ فِيهَا عَذَابُ أَلِيمٌ رَبِّكَ فَأَصْبَحُواْ عَذَابُ أَلِيمٌ رَبِّكَ فَأَصْبَحُواْ عَذَابُ أَلِيمٌ رَبِّكَ فَأَصْبَحُواْ عَذَابُ أَلِيمٌ كَذَالِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ » لا يُرَى إِلَّا مَسَكِنَهُمْ كَذَالِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ » لا يُرَى إِلَّا مَسَكِنَهُمْ كَذَالِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ » (الأحقاف: ٢٤ ـ ٢٥)

« وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ () مَا تَذَرُمِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْ هُ كَا لَّمِيمِ » مَا تَذَرُمِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْ هُ كَا لَمِيمِ » (الذاريان: ٤١ ـ ٤٢)

« إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحُا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ خَسِ مُسْتَمِرِ ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رَيحُا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ مُنقَعِرٍ ﴿ مَنْ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ » (القمر: ١٩ ـ ٢١) « وَأَمَّاعَادٌ فَأَهَلِكُواْ بِرِيجٍ صَرْصَرِ عَاتِبَةٍ ﴿ اللَّهِ مَعْ مَا لَكُواْ بِرِيجٍ صَرْصَرِ عَاتِبَةٍ ﴿ اللَّهُ مَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالِ وَثَمَلَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فَهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَعْلِ خَاوِيَةٍ ﴿ اللَّهُ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُمُ مَا فَيْهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَعْلِ خَاوِيَةٍ ﴿ اللَّهُ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُمُ مَا فَيْهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَعْلِ خَاوِيَةٍ ﴿ اللَّهُ مَا عَلَى مَا لَكُولُ خَاوِيَةٍ ﴿ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ عَلَا اللَّهُ عَلَا اللَّهُ اللَّالَةُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّالَةُ

« فَطَافَ عَلَيْهَا طَآبِفٌ مِّن رَّبِكَ وَهُمْ نَآيِمُونَ ﴿ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ » (القلم: ١٩ ـ ٢٠)

« فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِ مْ سَيْلَ الْعَرِم وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْمِ مَجَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أَكُلٍ بَعْمِطٍ وَأَثْلِ وَشَيْءٍ مِن سِدْرٍ قَلِيلٍ » (سبا: ١٥ - ١٦)

وهد تكون العفوبة الإلهية ظاهرة طبيعية، لكن ساء الله أن يوجهها إلى نوم بأعيانهم، ولا يسترط أن تكون في أصلها خارجة عن السنن، فالله هو الذي يرسل الرياح، وله الخلق والأمر، وما يعلم جنود ربك إلا هو.

« فَأَرْسُلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرُوهَا »

(الأحزاب: ٩)

« أَفَأُمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُرْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُرْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿ اللَّهِ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ ٱلرِيج فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ عَلَيْكُمْ الْمِيعَا »

(الإسراء: ١٨ - ٢٩)

وتشير الآية الأخيره إلى ما أصبح من المعررات الجغرافية من أن حالة سطح الأرض بعيدة عن التبان، فعوامل التعرية والتحات تعمل في السطح، والعوامل الباطنية نحدت الالتواءات والانكسارات والزلازل والبراكين، وهكذا فد يغير النهر مجراه، ومختط طريفا مائيا في اليابس، بينا يجف ويببس مجراه القديم، وما مجمله النهر من ذرات اليابس له أبره على نحته وإرسابه، وعلى قاعه وجانبيه ومصبه، ولمياه البحر مد وجزر، وللصخور أعار، ومجرى النهر، قد يوصف بالفتوة أو السيخوخة، وللجبال دورها، وللأنهار دورها، وقد أشار القرآن إلى التغيير الدائب في خلن الله، فسبحان من له الدوام:

وهكذا أسارت الآيتان سالفتا الذكر من سورة الإسراء إلى خسف جانب البر وربما كان ذلك بعوامل باطنية، أو بطغيان الماء على اليابس وتراجع الساطئ.

نم أسارت إلى ارتفاع ما خسف من البر، وعودة الإنسان إليه، وتعرضه للرياح والسيول والماء سابق في تسلسل خلق الله:

« وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى ٱلْمَآءِ »

(هود: ۷)

وقد امتد على فسرة الأرض وهو يتبخر بفعل أسعة السمس، صاعدا إلى طبقات الجو العليا، فتحمله الرياح، فإذا صادف البخار برودة تكانف وسقط مطرا على الأرض من جديد، وقد ينغلغل الماء إلى جوف الأرض، فيكون خزانا تحن سطحها، وقد ينبق ينبوعا أو يتوصل إليه الإنسان إذا حفر بئرا:

فعوامل التغيير في باطن الأرض وعلى سطحها وفي الكون كله تعمل، ولكن وفق قوانين تكفل الانتظام والتوازن والتناسق، حتى يأذن الله بنهاية الدنيا، فتنسق السهاء وتنفطر، وتكور السمس، وتنكدر النجوم، وتنتسر الكواكب، وتفجر البحار وتسجر، وهد أوضح الله في آية منيرة هادئة من كتابه المعجز كيف يقترن في سنن الله التغيير المادي والاجتاعي، وكيف ينبغي أن يننفع الإنسان فدر طاقته من هذا التغيير:

« أَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءَ فَسَالَتْ أَوْدِيهُ أَقِدَرِهَا فَآحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعِ زَبَدٌ مِنْ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلُ فَأَمَّا الرَّبَدُ مِنْ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلُ فَأَمَّا الرَّبَدُ مَنْ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلُ فَأَمَّا الرَّبَدُ فَيَدُهُ مُن فِي الْأَرْضِ فَيَدْهُ مُن فِي الْأَرْضِ فَي اللَّهُ الْمُنْ فَي اللَّهُ الْمُنْ فَي الْأَرْضِ فَي اللَّهُ الْمُنْ فَي اللَّاسُ فَيَمْكُنُ فِي الْأَرْضِ فَي اللَّهُ الْمُنْ فَي اللَّهُ الْمُنْ فَي اللَّهُ مُنْ فَي اللَّهُ مَا اللَّهُ الْمُنْ فَي اللَّهُ مَا اللَّهُ اللَّهُ مُن فَي اللَّهُ الْمُنْ فَي اللَّهُ الْمُنْ فَي اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُنْ فَي اللَّهُ اللّهُ ا

كَذَالِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ » (الرعد: ١٧).

وممة آية في كتاب الله لها دلالتها بالنسبة للتغبر الجغرافي والديموجرافي على السواء:

« أُولَمْ يَرُوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَ ۚ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَ ۚ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِللَّهُ عَلَيْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِللَّهُ عَلَيْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِللَّهُ عَلَيْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لَا عَلَيْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لَا عَلَيْكُمْ لَا مُعَقِّبَ لَا عَلَيْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لَا مُعَلِيقِ اللَّهُ عَلَيْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لَا مُعَلِيقٍ عَلَيْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لَا مُعَلِيقٍ عَلَيْكُمُ لَا مُعَقِّبُ لَا مُعَلِيقٍ عَلَيْكُمُ لَا مُعَقِّبَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ لَا مُعَقِّبُ لَا مُعَلِيقٍ عَلَيْكُمُ لَا مُعَلِيقٍ عَلَيْكُمُ لَا مُعَلِيقٍ عَلَيْكُمْ لَا مُعَلِيقٍ عَلَيْكُمُ لَا مُعَلِّلُهُ اللّهُ عَلَيْكُمْ لَا مُعَلِّلُهُ مُعَلِيقٍ عَلَيْكُمُ لَا مُعَلِيقٍ عَلَيْكُمُ لَا مُعَلِيقٍ عَلَيْكُمُ لَا مُعَلِيقٍ عَلَيْكُمُ لَكُمُ لَا مُعَلِّبُ عَلَيْكُمُ لَا مُعَلِيقٍ عَلَيْكُمْ لَا عَلَيْكُمُ لَا مُعَلِيقٍ عَلَيْكُمُ لَا مُعَلِيقٍ عَلَيْكُمْ لَا مُعَلِيقٍ عَلَيْكُمُ لَا مُعَلِيقٍ عَلَيْكُمُ لِللْمُعِلِيقِ عَلَيْكُمْ لَا مُعِلِيقٍ عَلَيْكُمْ لِللْمُعِلِيقِ عَلَيْكُمُ لِللْمُعِلِيقِ عَلَيْكُمْ لِلْمُعِلِقِ عَلَيْكُمْ لِلْمُعِلِيقِ عَلَيْكُمْ لَا عَلَيْكُمْ لَا عَلَيْكُمْ لِلْمُعِلَّذِ عَلَيْكُمْ لِلْمُعِلَّذِ عَلَيْكُمْ لِلْمُعْلِقِ عَلَيْكُمْ لِلْمُعْلِقِ عَلَيْكُمْ لِلْمُعْلِقِ عَلَيْكُمْ لِلْمُعُلِقِ لَا عَلَيْكُمْ لِلْمُعْلِقِ عَلَيْكُمْ لَا مُعْلِقٍ لَلْمُعْلِقُلِكُمُ لِلْمُعْلِقِلِهُ لَا عَلَيْكُمُ لِلْمُعُلِقِ عَلَيْكُمْ لِللْمُعُلِقِ لَا عَلَيْكُمْ لِلْمُعِلِي اللّهُ لِلْمُعْلِقِلْمُ لَلْمُعُلِقُولُوا لِلْمُعُلِقِلْمُ لِلْمُعُلِقِ لِلْمُعِلِقُولُ اللّهُ لِلْمُعْلِقِ لَلْمُعْلِقِلْمُ لِلْمُعِلِمُ لِلْمُعِلِقِلْمُ لِلْمُعِلِي لِلْمُعُلِقِلُ لِلْمُعُلِقِلْمُ لِلْمُعُلِقُلُولُ لِلْمُعِلِمُ لِلللّهُ لِلْمُعُلِقُ

﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ
 الأنبياء. ٤٤)

ومه آيات تسير في وضوح إلى التغيرات السكانية والتطورات الاجتاعية والدورات الحضارية على الأرض:

« قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَلْبُ حَفِيظٌ » حَفِيظٌ » (٥: ٤)

« أَلَّهُ يُرُواْ كُمُّ

أَهْلَكُمَّا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنِ مَكَنَّا هُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مَالَرْ ثُمَكِّن لَكُرْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّذْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهُلَرَ تَجْرِى لَكُرْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّذْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهُلَرَ تَجْرِى مِن تَحْيَهِمْ فَأَهْلَكُنَّا هُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا مِن تَحْيَهِمْ فَأَهْلَكُنّاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا عَالَهُ مِن تَحْيَهِمْ فَأَهْلَكُنّاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا عَالَهُ مَا اللهُ عَلَيْهِم اللهِ مَا اللهُ عَلَيْهُمْ وَاللهُ عَلَيْهُمْ وَاللهُ عَلَيْهُمْ وَاللهُ وَاللهُ عَلَيْهُمْ وَاللهُ عَلَيْهُمْ وَاللَّهُ وَاللَّهُ مِنْ اللَّهُ وَاللَّهُ مَا اللَّهُ عَلَيْهُمْ وَاللَّهُ وَاللَّهُ مِنْ اللَّهُ عَلَيْهُمْ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ مَا اللَّهُ وَاللَّهُ اللّلَهُ وَاللَّهُ وَاللَّالِمُ وَاللَّهُ وَلَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللّ

« أُوَلَّهُ يَهَدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَوْ نَشَآءُ أَصَبْنَكُمُ مِنْ بَدُنُو بِهِمْ » مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَوْ نَشَآءُ أَصَبْنَكُمُ مِنْ بَدُنُو بِهِمْ » (الأعراف: ١٠٠)

« أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كُرْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ

في مَسْكِنبِمْ إِنَّ فِي ذَالِكَ لَا يَنْتِ لِأَوْلِي ٱلنَّهَىٰ »

(طد: ١٢٨)

« أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فِي الْأَرْضِ فَكَ كَانَ قَالَالُواْ فِي الْأَرْضِ فَكَ كَانَواْ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَ قُوّةً وَ اللَّالُ فِي الْأَرْضِ فَكَ كَانُواْ يَكْسِبُونَ » (غافر: ٨٢)

« کَرْ تَرَکُواْ

مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿ فَيْ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَوَيْدِ مِرْ فَيْ وَنَوْرَ مَنَامٍ كَوْيَا وَنَعْمَةٍ كَانُواْ فِيهَا فَكِمِينَ فَيْ كَذَلِكُ وَأُورَ ثَنَاهَا قَوْمًا وَنَعْمَةٍ كَانُواْ فِيهَا فَكِمِينَ فَيْ كَذَلِكُ وَأُورَ ثَنَاهَا قَوْمًا وَالْحَرِينَ فَيْ فَكَ بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَالْحَرِينَ فَيْ إَبَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُواْ مُنظرِينَ » (الدخان: ٢٥ ـ ٢٩)

وقد يسوف القرآن آياته في هدا الصدد مساق الفوانين المجردة الىابتة المطردة:

« وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلُّ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلُهُمْ وَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ » (الأعراف: ٣٤)

« وَإِن نَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُواْ أَمْثَلَكُمْ » (محمد: ٣٨)

« وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ » (آل عمران: ١٤٠)

« وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضِ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضَلِ عَلَى الْعَلْمِينَ » (البقرة: ٢٥١)

ثالثا : الحياة على الأرض والبشر سكان هذا الكوكب :

أسار القرآن الكريم إلى الحياة وتوفير العوامل الضرورية لها منذ خلق الأرض وانفصالها عن السموات :

﴿ أُولَرْ يَرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّ السَّمَاوَتِ وَٱلْأَرْضَ كَانتَا
 رَتَقَا فَفَتَقَنَّهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍ
 أَفَلَا يُؤْمِنُونَ »
 (الأنبياء: ٣٠)

« * قُلْ أَيِّنَكُمْ لَتَكُفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ وَأَندَاداً ذَالِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿ وَ الْعَالَمِينَ ﴿ وَ الْعَالَمِينَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوْسِي مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقُوا تَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامِ سَوَآءً لِلسَّآبِلِينَ » (فصلت: ٩-١٠)

وقد وفرت القدرة الإلهية للأرض غلافها المائي وغلافها الجوي، نما كفل أهم مقومات الحياة على سطحها، فضلا عما وفرته من ظروف أخرى ضرورية وملائمة لهذه الحياة، وبخاصة حياة الكائنات العليا والأحياء، وأرقاها الإنسان.

وقد أشار القرآن إلى تعدد أنواع الكائنات الحياة :

« وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَةٍ مِن مَّآءِ فَيَنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ عَوَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجَلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعِ يَغَلُقُ اللّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ اللّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءِ قَدِيرٌ ﴿ اللّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءِ قَدِيرٌ ﴿ اللّهُ اللّهُ مَهْدِى مَن يَشَآءُ لَقَدَ أَنزَلُنَ عَا يَدِتٍ مُبَيِّنَتٍ وَاللّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْنَقِيمٍ »

(النور: ٤٥)

وتعبير «دابة» الذي يستعمله القرآن يكن أن يوجه إلى وصف الكائن الحي بإطلاق دق أو عظم، ولا يسترط أن يكون دابة الركوب كما يتبادر إلى الذهن، فالآية الكريمة السابقة قد استعملته لما يمني على بطنه وما يمني على رجلين، وليس هناك مانع من الوجهة اللغوية البحتة لأن يتسع لفظ (الدابة) للفيروس والميكروب والجربومة، فإن «الدبيب» قد يشبر إلى علامة الحياة بإطلاق، وهي الحركة التي تكون ضئيلة أو مستخفية. ومن استعمالات العرب لهذا اللفظ ذات الدلالة في هذا المقام قولهم: «دب السقم في الجسم أو البلى في التوب، أي سرى. ويقال: دبت عقاربه، أي سرت نمائمه وأذاه، والدبوب والديبوب: النام الذي يدب أذاه، ودب دبا ودبيبا: متى كالحية وعلى اليدين والرجلين كالطفل. يقولون: هو أكذب من دب ودرج، أي أكذب متى كالحية وعلى اليدين والرجلين كالطفل. يقولون: هو أكذب من دب ودرج، أي أكذب الأحياء والأموات، والديب: ولد البقرة أو ما تلده، والدبيب: كل داب، والدابة: مؤنت الداب، يقع على المذكر والمؤنت، والتاء فعه للواحدة تصغيره: الدويبة، مادب من الحيوان، وغلب على ما يركب ويحمل عليه، والدباب: الضعيف الذي يدب في المنبي أو الشديد. الدبب والدبب: يركب ويحمل عليه، والدباب: الضعيف الذي يدب في المنبي أو الشديد. الدبب والدبب الزغب أو كترة الشعر، والإدب: ذو الدبب، وهو الجمل الكتير الشعر، فالمادة اللغوية كا ظهر في جلاء تتسع لدبيب السقم في الجسم والبلى في التوب، ودبيب الشر والأذى، والمتبي كالحية والطفل والمنبي الضعيف والزغب الضئيل، بل هي تتسع للتعبير عن الحياة بإطلاق في قولهم: والطفل والمنبي أي الأحياء والأموات، إذ يقال: درج القوم واندرجوا، أي انفرضوا وماتوا.

ويستأنس لذلك بما ذهب إليه المفسرون في تفسير الدابة، حتى جعلوها تسمل الملائكة أيضا، ففي قوله تعالى: « وَمِنْ عَايَنتِهِ عَلَقُ السَّمَاوَتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا عَمِنْ مَا يَنتِهِ عَلَقُ السَّمَاوَتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَ آبَةً » (السودى: ٢٩)

قال ابن كنير في تفسير: (وما بد فيها من دابة): «هذا يسمل الملائكة والإنس والجن وسائر الحيوانات على اختلاف أسكالهم وألوانهم ولغاتهم وطباعهم وأجناسهم وأنواعهم، وقد فرفهم في أرجاء أقطار السموات والأرض». فهل يبعد عن هذا الفول بأن الدابة تسير إلى مختلف الكائنات الحية بإطلاق.

وفد تعددت إسارات القرآن لأنواع متعددة من الدواب أو الأحياء، من نبات وحسرات وطير وحيوان، حتى تنتهي إلى الإنسان الذي خلقه الله في أحسن تقويم، وأسار رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم إلى ما دون ذلك من كائنات تدق عن ذرات الغبار وتندس بينها، فقال: «اتقوا الغبار فإن فيه النسمة». ونهى عليه صلوات الله وسلامه عن التنفس في الإناء، ونحدت صلى الله عليه وسلم عن العدوى، وإن لم يفصل عواملها وكيفيتها، ففال: «فر من المجذوم فرارك من الأسد»، «إذا سمعتم بالطاعون في بلد فلا تدخلوه، فإن كنتم فيه فلا تخرجوا منه».

وعرض الكتاب المعجز لحياه النبات، وهو غذاء هام لغيره من الأحياء وعلى رأسها الإنسان، ولفت القرآن النظر إلى انبتاق الحياة عن انفلاق البذرة:

وأشار إلى مكان البذرة داخل التربة لتتغذى منها بما يحمله إليها الماء، وإلى توريق النبات وسائر مراحل الإنبات المتتابعة حتى الإتبار فالذبول والموب:

« وَمَا تَسْفُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهُ اللَّهُ عَلَمْ اللَّهِ عَلَمْ اللَّهُ عَلَمُ اللَّهُ عَلَمُ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابِ مُبِينٍ » (الأنعام: ٥٩)

« أَلَرْ تَرَأَنَّ آللَهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكُهُ و يَنْدِيعَ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ مِ زَرْعًا ثُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ مُمَّ يَبِيجُ فَتَرَكُهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ وُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَالِكَ لَذِكْرَىٰ يَبِيجُ فَتَرَكُهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ وُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَالِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي ٱلْأَلْبَابِ »

« وَهُو الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَآءَ فَأَنْوَجْنَا بِهِ عِنْبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَنْوَجْنَامِنْهُ خَضِرًا ثَخْرِجُ مِنْهُ حَبَّامُتَرَا كِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيةٌ وَجَنَّاتِ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرَّمَّانَ مُشْتَبِهَا وَغَيْرَ مُتَشَابِهِ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ عَإِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ عَلَيْ فِي ذَلِيكُمْ لَا يَئِتِ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ » (الأنعام: ٩٩) « هُوَ الَّذِى أَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءَ لَّكُمُ مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ شَيْ يُنْبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَةً لِقُومِ يَتَفَكَّرُونَ » (النعل: ١٠ ـ ١١)

« وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٌ بِقَدِرٍ فَأَسْكَنَّهُ فِي ٱلْأَرْضُ وَإِنَّا عَلَى ذَهَا بِ بِهِ عَلَقَدِدُونَ ﴿ فَيَ الْأَرْضُ وَإِنَّا عَلَى ذَهَا بِ بِهِ عَلَقَدِدُونَ ﴿ فَيَ الْأَرْضُ وَإِنَّا عَلَى ذَهَا بِ بِهِ عَلَقَدِدُونَ ﴿ فَيَ الْأَنْ اللَّهُ بِهِ عَنْدُ فِيهَا فَأَنشَأْنَا لَكُمْ بِهِ عَجَنَّتِ مِن تَخِيلِ وَأَعْنَلِ لَكُمْ فِيهَا فَأَكُونَ مِن تَخِيلِ وَأَعْنَلِ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكُمُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿ فَي وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُودِ فَوَاكُمُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿ وَصِبْعِ لِللَّا حَلِينَ ﴾ فَوَاللَّهُ مِن اللَّهُ فِي وَصِبْعِ لِللَّا حَلِينَ ﴾ في اللَّهُ فِي وَصِبْعِ لِللَّا حَلَيْنَ ﴾

(المؤمنون: ۱۸ ـ ۲۰)

« زَيْتُونَةٍ لَاشَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيَّءُ وَلَوْلَرْ عَمْسَمُ نَارُ » (النون ٣٥)

« وَوَايَةٌ لِمُّمُ الْأَرْضُ الْمَيْنَةُ اللَّهِ الْأَرْضُ الْمَيْنَةُ الْحَيِيْنَكَهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبَّا فَيْنَهُ يَأْكُونَ ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا الْحَيْنَا فِيهَا الْحَيْنَا فِيهَا الْحَيْنَا فِيهَا الْمَيْنَا فِيهَا الْحَيْنَا فِيهَا الْمَيْنَا فِيهَا اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ اللَّالِيلَا اللَّهُ اللَّالّ اللَّهُ الللَّهُ اللَّلْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّل

جَنَّاتِ مِّن نِّغِيلِ وَأَعْنَابِ وَفَجَرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ (اللهُ) لِيَأْكُلُواْ مِن ثَمَرِهِ وَ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلًا يَشْكُرُونَ ،» لِيَأْكُلُواْ مِن ثَمَرِهِ وَ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلًا يَشْكُرُونَ ،»

« فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ } ﴿ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَآءَ صَبًّا ﴿ مُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقَّا ﴿ صَبَبْنَا الْمَآءَ صَبًّا ﴿ مُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقَّا ﴿ وَمَنبًا وَقَضْبًا ﴿ وَوَيْتُونَا فَا نَبُتُنَا فِيهَا حَبًّا ﴿ وَعَنبًا وَقَضْبًا ﴿ وَوَنَكِمَهُ وَأَبًّا ﴿ وَفَا لَكُمْ وَلَا لَهُ وَمَدَآ بِنَي عُلْبًا ﴿ وَفَاكِمَهُ وَأَبًّا ﴿ وَفَا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ اللَّهُ وَقَالِكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللللل

« وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا

لِلْأَنَامِ ١ فِيهَا فَكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْامِ ١

وَٱلْحَبُّ ذُواَلْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴿ فَيَأْيِ ءَالآءِ رَبِّكُمَا ثَكَدِّبَانِ » (الرحمن: ١٠ - ١٣)

وإن ما يجود النبات وتمراته بجودة البذرة، وليس فقط بتوفير غذائه من الماء والتربة:

« وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّنَجَلُورَاتٌ وَجَنَّلَتُ مَنْ أَعْنَابِ وَزَرَعٌ وَتَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَعَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَآءِ مَنْ أَعْنَابِ وَزَرَعٌ وَتَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَعَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَآءِ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضِ فِي ٱلْأَكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضِ فِي ٱلْأَكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضِ فِي ٱلْأَكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ كَا اللهَ عَلَيْ بَعْضِ فِي ٱلْأَكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَعْقِلُونَ » لَالْ عَلَى بَعْضِ فِي ٱلْأَكُلُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَعْقِلُونَ » وَالرعد: ٤)

وقد تهيأ ظروف الإنبات في بعض صخور الجبال، تحمل اليها الربح بذرة:

« يَلْبُنَى إِنَّهَا إِن تَكُ

مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَغْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَنُوْتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللهُ ،». (لقان: ١٦)

وإلى جانب البذرة والماء والتربة، للرياح دورها في حياة النبات:

« وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَكَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَاءِ

مَاءَ فَأَسْقَيْنَكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ رِيَحَنْزِنِينَ » (الحجر: ٢٢)

وقد أشار القرآن إلى الزوجين أو التأنيث والتذكير في النبات، وهو ما يستلزم حدوث التلقيح:

ولخضرة النبات أبرها في إمداده بالطاقة ، وإمداد الإنسان أيضا بوسيلة للحرارة والضوء:

وهكذا تتضافر عوامل طبيعية متعددة لتحقيق حياة النبات واستمرارها إلى أجلها الموقوف، إلى جانب عوامل بشرية اجتاعية تعين على التنمية والإنتاج:

« وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَغۡرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذۡنِ رَبِّهِ ۗ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا

يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَالِكَ نُصَرِفُ ٱلْآيَاتِ لِقَوْمِ يَشْكُرُونَ » يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَالِكَ نُصَرِفُ ٱلْآيَاتِ لِقَوْمِ يَشْكُرُونَ » (الأعراف: ٥٨).

فلقد هيأ الله للنبات عوامل تعين على انتصاب ساقه منذ انفلاق بذرته، وصموده أمام جاذبية الأرض وضغط التربة والماء والجو ودفع الريح وأنناء استمرار حياته، ومغالبته عوادي الحرارة والجفاف والآفات فدر إمكاناته، فيورق ويزهر ويشمر، ويحقق النبات رغم طفولته اللدنة الغضة الرخصة توازنا ميكانيكيا وكيائيا مذهلا، منحه إياه الذي خلق كل شي " بقدر، وأعطى كل شي خلقه مم هدى، وصدق الله العظيم:

« وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مُّوزُونِ » (الحجر: ١٩)

وتتباين أنواع النبات وألوانه وأشكال نموه :

وَمَا ذَرَأَ لَكُرْ فِي ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ وَإِنَّ فِي ذَالِكَ
 لَا يَةً لِقَوْمِ يَذَ كَرُونَ » (النحل: ١٣)

« * وَهُوَ ٱلَّذِيَ

أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّحْلَ وَالزَّرْعَ فَعَلَمُ اللَّهُ اللَّهُ وَالنَّحْلَ وَالزَّرْعَ فَعَلَمُ اللَّهُ اللَّهُ وَالزَّيْنُ وَالزَّمَّانَ مُتَسَابِهُ وَغَيْرَ مُتَسَابِهِ فَعَلَمُ اللَّهُ وَالزَّمَّانَ مُتَسَابِهُ وَعَلَيْهُ وَالزَّمَانَ مُتَسَابِهِ فَعَلَمُ اللَّهُ وَالزَّمَانَ مُتَسَابِهِ فَعَلَمُ اللَّهُ وَالزَّمَانَ المُسْرِفِينَ اللَّهُ اللْمُولُولُ اللَّهُ اللْمُولُولُ اللللّهُ اللَّهُ الللللِّ الللللْمُ اللللللْ

وقد تكون الجنات المعروشات وغير المعروشات على ما قال المفسرون ما يزرعه الإنسان بيده، وما يخرج من نبات فطري بري بغير تدخل الإنسان وجهذه.

كذلك عرض القرآن نماذج من الكائنات الحية الضئيلة المعروفة بالحشرات وصورا من حياتها وسلوكها، تبين كيف تضطلع أعضاؤها بوظائف حفظ حياتها وكفالة حاجاتها، وحمايتها من المخاطر التي تعرض لها بالصورة الملائمة لحجمها وطبيعتها وظروف معيشتها:

وقد زود الله هذه المخلوقات الضئيلة بقدرات دفاعية بل هجومية أحمانا:

والذباب قد يسلب الإنسان عافيته كما علمنا بعد قرون من نزول القرآن، فلا عجب إذن أن تكون هذه المخلوقات المحتقرة مضربا للأمثال:

إِنَّ ٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيَ اللَّهُ لَا يَسْتَحْيَ اللَّهُ لَا يَسْتَحْيَ اللَّهِ اللَّهُ اللللْمُ اللَّهُ اللْمُلِمُ اللَّهُ اللْمُلْمُ اللْمُلْمُ اللْمُلْمُ اللَّهُ اللْمُلِمُ اللْمُلْمُ الللْمُ اللْمُلْمُ اللَّهُ اللْمُلْمُ اللْمُلْمُ الللّهُ اللْمُلْمُ اللّهُ الللْمُلْمُ اللّهُ الللْمُلْمُ اللْمُلْمُ اللللْمُ الللْمُ الللّه

(البقرة: ٢٦)

ذلك أن بديع صنع الله يتجلى في البعوضة والذبابة مثلها يتجلى في الجمل والفيل.

« إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَغْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ اللهِ لَن يَغْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ المُلْمُ اللهِل

وصدق الله العظيم:

« قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْ ﴿ خَلْقَهُ وَثُمَّ هَدَىٰ " (طد: ٥٠)

ولقد وصف الحق وجل وعلا قدرته المعجزة في كتابه بعد كلامه عن خلق الذباب وهو أن الإنسان أحيانا إلى جانب الذباب الذي يقوى على سلب الإنسان مالا يستنقذه منه:

« ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿ فَ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿ فَ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿ فَا مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ مَ إِنَّ ٱللَّهَ لَقُويً عَزِيزٌ » مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ مَ إِنَّ ٱللَّهَ لَقُويً عَزِيزٌ » (الحج: ٧٣ ـ ٧٤)

ويبين القرآن أن لهذه الكائنات الدنيا لغة تتخاطب بها، وإن كنا لا نسمع أصواتها أو لا نفهم دلالاتها، ولكن يستطيع ذلك من حباه الله بوسائله:

« حَتَّىٰ إِذَ آ أَتُواْ عَلَى وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَتَأَيُّ ٱلنَّمْلُ الْمَنْ الْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ الْمَخُولُواْ مَسَكِنكُ لَا يَحْطِمَنَكُ لَا سُلِمَن وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَعْطِمَنّكُ لَا يَعْطِمَنّكُ لَا سُلِمَن وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَعْطِمنَ كُلُ سُلِمَن وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ شَيْ فَتَابَسَم ضَاحِكًا مِن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي لَا يَشْعُرُونَ شَيْ فَلَا يَتِي أَنْعَمْتَ عَلَى وَعَلَى وَلاِي وَالِدَى وَأَنْ أَعْمَلَ أَنْ أَمْلَ لَا يَعْمَتكُ آلَتِي أَنْعَمْتَ عَلَى وَعَلَى وَالِدَى وَأَنْ أَعْمَلَ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى وَعَلَى وَالِدَى وَأَنْ أَعْمَلَ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُو

صَّلِحًا تَرْضَلُهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِيعِبَادِكَ ٱلصَّلِحِينَ ». (النمل: ١٨ ـ ١٩)

بل إن من هذه الحشرات الضئيلة ما يهيى بما فطره الله عليه من غرائز ووظائف وسلوك منظم محكم دقيق منافع جليلة للإنسان:

« وَأَوْحَىٰ رَبُكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِهِ مِنَ الْجَبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿ مُنَ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلنَّمَرُاتِ فَاسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِنَ بُطُونِهَا كُلِّ ٱلنَّمَرَاتِ فَاسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِنَ بُطُونِهَا كُلِّ ٱلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ شَرَابٌ تُخْتَلِفُ أَلُوانُهُ فِيهِ شِفَآتُ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ شَرَابٌ تُخْتَلِفُ أَلُوانُهُ فِيهِ شِفَآتُ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ شَرَابٌ تُخْتَلِفُ أَلُوانُهُ فِيهِ شِفَآتُ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَا لَوَانُهُ وَبِيهِ شِفَآتُ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَالَّ لَكُونُ اللَّهُ لِللَّالِ اللَّهُ لِللَّالِ اللَّهُ لِللَّالِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ لِللَّالِ اللَّهُ لِللَّهُ لِلْمُ لَا عَلَيْ اللَّهُ لِللَّهُ اللَّهُ لِللَّهُ لِللَّهُ لِللَّهُ لِللَّهُ لِللَّهُ لِلْمُ لِللَّهُ لِللَّهُ لِللَّهُ لِللَّهُ لِلللَّهُ لِللَّهُ لِللَّهُ لِللَّهُ لِللْمِلُ لَا لَهُ فَاللَّهُ لِلللَّهُ لِللْمُ لَا لَهُ فَاللَّهُ لَهُ لِلللْمُ لِللَّهُ لَيْ لِللْمُ لِللَّهُ لِلْمُ لِلْمُ لَلْمُ لَا لَهُ لِللَّهُ لِلْمُولِ لَهُ اللْمُ لَهُ لِلللْمُ لِللْمُ لَلِي لِلللَّهُ لِلللْمُلِي لِلْكُ لِلْلَهُ لِلْمُ لِللْمُ لِلْمُ لِلْمُ لِلْمُ لِللْمُ لِللَّهُ لِلْمُ لَلِي لِلْمُ لِلْمُ لِلْمُ لِلْمُ لِلْمُ لِلْمُ لِلْمُ لِلْمُ لِللْمُ لِلْمُ لِللْمُ لِللْمُ لَلْمُ لُهُ لِلْمُ لِلْمُ لِلْمُ لِلْمُ لِلْمُ لِلْمُ لِللْمُ لِلْمُ لِللْمُ لَهُ لْمُ لِلْمُ لِللْمُ لِلْمُ لِلْمُ لِللْمُ لِلْمُ لِلْمُ لِلْمُ لَاللَّهُ لِلْمُ لللْمُ لِلْمُ لِلْمِ لِلْمُ لِلْمُلْمُ لِلْم

ويوجه القرآن النظر إلى اختلاف ألوان الأحياء وأنواعها:

« وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِ وَآلاً نَعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَ'نُهُ. » (فاطر: ٢٨).

ويشير القرآن إلى تعدد فصائل الحيوان والطير:

« وَمَامِن دَآبَةِ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَلَيْرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أَمْ أَمْنَاكُمُ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ أَمْ أَمْنَاكُمُ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ أَمْ أَمْنَاكُمُ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ وَرَبِّهِمْ أَمْنَاكُمُ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ وَرَبِّهِمْ أَمْنَاكُمْ وَنَ » (الأنعام: ٣٨).

تم تبرز الآيات كيف وهب الله الطير من شكل الجسم وأعضائه، ومن الوظائف والقدرات والغريزة ما يعينه على الطيران:

« أَلَّمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَتِ فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ إِنَّ فِي ذَالِكَ مُسَخَّرَتِ فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ إِنَّ فِي ذَالِكَ كَالَّهُ اللَّهُ عَلَيْ إِلَّا ٱللَّهُ إِنَّا فِي ذَالِكَ كَالَّهُ اللَّهُ عَلَيْ إِلَّا ٱللَّهُ إِنَّا فِي ذَالِكَ كَالَّهُ اللَّهُ عَلَيْ إِلَّا ٱللَّهُ إِنَّا فِي ذَالِكَ كَالْتُهُ اللَّهُ عَلَيْ إِلَيْ اللَّهُ عَلَيْ إِلَى ٱللَّهُ إِلَى ٱلطَّيْرِ اللَّهُ عَلَيْ إِلَّا ٱللَّهُ إِلَا ٱللَّهُ إِلَى ٱلطَّيْرِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ إِلَى اللَّهُ إِلَى الطَّيْرِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ إِلَى اللَّهُ إِلَى اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللِّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْلِقُلِي اللللللللَّةُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللللَّهُ اللَّهُ الللللَّهُ الللللِّهُ اللَّلِي اللللللِّهُ الللللللِّلْمُ اللللللْمُ الللللْمُ الللللْمُ اللللللْمُ الللللْمُ الللللْمُ الللللْمُ اللللللْمُ الللللْمُ اللللْمُ الللللْمُ اللللللْمُ الللللْمُ الللللْمُ اللللللِلْمُ اللللِمُ الللِمُ الللِمُ اللللللللْمُ الللللللْمُ الللللْمُ الللللْمُو

« أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَلَقَاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَانُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ » (الملك: ٩)

وللطير لغته التي يتخاطب بها، ولقد كان من وظائف الطير التي هيأها الله له وكانت نافعة للإنسان، وما سنخره الله لداود وسليان عليهها السلام:

« وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُددَ ٱلِحُبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرُ وَكُنَّا فَعَلِينَ ». (الأنبياء: ٧٩)

« وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُددَ وَقَالَ يَنَأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِيْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَ مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَاذَا لَهُو ٱلْفَضْ لُ ٱلْمُبِينُ ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ إِنَّ هَاذَا لَهُو ٱلْمُنِي وَالْمِيْنِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ » جُنُودُهُ مِنَ ٱلْحِيِّ وَٱلْإِنِسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ » (النمل: ١٦ - ١٧)

« وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآأَرَى ٱلْهُدُهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَا بِبِينَ نِينَ لَأَعَذَّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاذْ بَحَنَّهُ-أَوْلَيَأْتِينِي بِسُلْطَيْنِ مُبِينٍ ﴿ لَهُ اللَّهُ فَكَثَ غَيْرَ بَعِيدِ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَرْ يُحِطُّ بِهِ م وَجِئْتُكَ مِن سَبَلٍ بِنَبَلٍ يَقِينٍ ﴿ إِنَّ اللَّهِ عَلَيْ إِنّ إِنِّي وَجَدتُ آمْرَأَةً مَّلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَمَا عَرْشُ عَظِيمٌ ﴿ وَجَدُّتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ للشَّمْسِ من دُون ٱللَّهُ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَانُ أَعْمَالُهُمْ فَصَدَّهُمْ عَن ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ إِنِي أَلَّا يَسْجُدُواْ لِلَهُ ٱلَّذِي يُخْرِجُ ٱلْحَبْءَ فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا يُحْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ رَيْنِ ٱللَّهُ لَآ إِلَّهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ رَبِّ اللَّهُ الْعَرْشِ * قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَندِبِينَ ﴿ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ آذَهَب بِبِكِتَنبِي هَنْذَا فَأَلْقِهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ » (النمل: ۲۰ ـ ۲۸)

ولقد أدى الحيام الزاجل للبسر أجمعين طوال القرون مهمة الرسائل بين الجهات المتباعدة، لكنه اقتصر على دلك، ولم يكتبف عن مرئياته وخبراته كها فعل الهدهد سليان عليه السلام، ولو فعل

لما فهم عنه الإنسان في يسركها فهم عن الهدهد وغيره نبي الله الذي علم منطق الطير. وهكذا ينطق جسم الطائر وطيرانه وسائر وظائفه بإعجاز صنع الله الذي أتقن كل سي

« أَلَرْ تَرَأَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَتِ وَاللَّرْضِ وَالطَّيْرُ صَلَقَاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ فِي السَّمَاوَتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ مِنَا يَفْعَلُونَ » صَلاَتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ مِنَا يَفْعَلُونَ » (النون ٤١)

وإلى جانب ذلك فلطالما قدمت أنواع من الطير للإنسان على الأرض غذاء سهيا يأتيه منها في الآخرة مالا عين رأت، ولا خطر على قلب للبشر، كما يخبر الحق سباحانه:

وفد أشار القرآن الكريم إلى الزواحف، وإلى الحيوانات بمعناها الأخص في سياق تعداده لأنواع الحيوان بوجه عام:

> « وَاللّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَةٍ مِن مَّآءِ فَيِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ عَ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعِ يَخْلُقُ اللهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ اللّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ »

(النور: 2۵).

وقد يتسع معنى المنبي على البطن لغير الزواحف من الكائنات الحية بشي من التجوز وقد أشارت الآيات الكريمة إلى تعدد فصائل الحيوان والطير:

« وَمَامِن دَآبَةً فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَلَيْرِ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أَمَّ أَمْنَالُكُمُ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَلْبِ مِن شَيْءً ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُعْشَرُونَ »

(الأنعام: ٣٨)

« وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِ وَٱلْأَنْعَامِ مُغْتَلِفٌ أَلُوانُهُ » (فاطر: ٢٨)

وتعددت الآيات من سورة الأنعام الضأن والمعز والأبل والبقر:

« وَمِنَ ٱلْأَنْعَامِ

حَمُولَةُ وَفَرْشًا كُلُواْ مِنَّ رَزَقَتُكُو اللَّهُ وَلَا النَّبِعُواْ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُو مَنْ اللَّهُ وَلَا اللَّهِ اللَّهُ وَلَا اللَّهِ عَلَا اللَّهُ مِنَ اللَّهِ اللَّهُ وَلَا اللَّهِ اللَّهُ مِنَ اللَّهِ إِلَى النَّنَيْنِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ وَمِنَ اللَّهِ اللَّهُ الللللَّةُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللللَّةُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللللَّةُ اللَّهُ اللللْمُ اللَّهُ الللللَّةُ اللللللْمُ اللللللْمُ اللللللْمُ اللللْمُ اللَّهُ الللللْمُ الللللْمُ الللللْمُ اللَّلُولُولُولُ اللللْمُ الللللْمُ الللللللْمُ اللللْمُ الللِمُ اللللْمُ اللللللَّةُ اللللِ

« وَأَنْزَلَ لَـمُ مِنَ ٱلْأَنْعَلِمِ ثَمَكَنِيَةً أَزْوَاجٍ » (الزمز: ٦)

وفد أسارت الآيات إلى أن الله خلق الأنعام والحيوان بوجه عام كها خلق النبات أزواجا، وذكر القرآن أن هذه «الزوجية» و «التنائية» هي سنة الله في كثير من خلقه مما نعلم وما لا نعلم:

« وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَ أَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّوُنَ »

(الذاريات: ٤٩)

« سُبْحَدْنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِنَّ تُنْبِتُ ٱلأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِمٍ وَمِنَ ٱلأَيْعَلَمُونَ » ومِنْ أَنفُسِمٍ وَمِنَ لا يَعْلَمُونَ » (بس: ٣٦)

« وَٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْأَزُو جَكَّلَهَا » (الزخرف: ١٢)

وقد وجه القرآن النظر إلى أنواع الحيوان ومنافعها للإنسان، وبخاصة ما يعرف بالحيوانات الافتصادية:

« وَمِنَ ٱلْأَنْعَامِ مَ مَوْلَةً وَفَرْشًا كُلُواْ مِنَ رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا نَتَبِعُواْ خُطُواتِ مَنْ اللَّهُ وَلَا نَتَبِعُواْ خُطُواتِ إِلَيْهُ اللَّهُ وَلَا نَتَبِعُواْ خُطُواتِ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ عَلَى اللَّهُ وَلَا نَتَبَعُواْ خُطُولَتِ إِلَيْكُوا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَلَوْلِ اللَّهُ عَلَا لَا اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّالِي اللَّهُ اللّهُ اللّهُ

« وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُدْ فِيهَا دِفْ مُ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُدْ فِيهَا دِفْ مُ وَمَنْ فِيهَا مَمَالُ حِينَ تُرِيحُونَ وَمَنْ فِيهَا جَمَالُ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَشْرَحُونَ رَبِّي وَتَعْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدِ لَدْ تَكُونُواْ وَحِينَ تَشْرَحُونَ رَبِّي وَتَعْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدِ لَدْ تَكُونُواْ

بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِ ٱلْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَّ وَثُ رَّحِيمٌ ﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِيَرْكَبُوهَا وَزِينَةٌ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآيٍ ۗ وَلَوْ شَآءَ لَمُدَدُنكُمْ أَجْمَعِينَ » (النحل: ٥-٨)

« وَإِنَّ لَكُرُ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نَسْقِيكُمْ مِّمَا فِي بُطُونِهِ عِمْ مَنْ بَيْنِ فَرْثِ وَدَمِ لَبَنًا خَالِصًا سَآ بِعًا لِلشَّارِبِينَ »

« وَاللّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ (النحل: ٦٦)

سَكُنَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا مَنْ طُعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصُوافِهَا وَأُوبَارِهَا يَوْمَ طُعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصُوافِهَا وَأُوبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَنَانًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ » (النحل: ٨٠)

« وَإِنَّ لَكُرُ فِي ٱلْأَنْعَلَمِ لَعِبْرَةً نَّسْقِيكُم مِّكًا فِي بُطُونِهَا وَلَكُرُ فِيهَا مَنْلَفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ شِي وَعَلَيْهَا وَلَكُرُ فِيهَا مَنْلَفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ شِي وَعَلَيْهَا وَعَلَيْهَا وَعَلَيْهَا وَعَلَيْهَا وَعَلَيْهَا وَعَلَيْهَا وَعَلَيْهَا وَعَلَيْهَا مَنْلُونَ » (المؤمنون: ٢١ ـ ٢٢)

« ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَلَمَ لِتَرْكُبُواْ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ رَبِي وَلَكُمْ فِيهَا مَنْفِعُ وَلِنَبْلُغُواْ عَلَيْهَا حَاجَةً تَأْكُلُونَ رَبِي وَلَكُمْ فِيهَا مَنْفِعُ وَلِنَبْلُغُواْ عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ » في صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ » (غافر: ٧٩- ٨٠)

وتعيس هذه الحيوانات الاقتصادية على الماء والنبات، كما قد يعيس غيرها على لحم حيوانات أخرى:

رور « وهو

الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيكَ بُشْراً بَيْنَ يَدَى رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّ

« أُولَرُ يَرُواْ أَنَّا

نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُوْزِ فَنُخْرِجُ بِهِ عَزَمَّا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَلَمُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ » (السجدة: ٢٧)

> « ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهَدُّا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيها سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنْرَجْنَا بِهِ عَأَزُوا جُامِّن

نَّبَاتٍ شَتَّى ﴿ يُنْ كُلُواْ وَارْعَوْاْ أَنْعَلَمَكُمْ إِنَّ فِي ذَالِكَ لَا يَلْتِ لِأُولِي ٱلنَّهَىٰ » (طه: ١٥٥)

« وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَالِكَ دَحَلَهَ آ ﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَالِكَ دَحَلَهَ آ ﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَالِكَ دَحَلَهَ آ ﴿ وَمَرْعَلَهَا ﴿ وَمَرْعَلَهَا ﴿ وَمَرْعَلَهَا ﴿ وَمَرْعَلَهَا ﴿ وَمَرْعَلَهَا أَنْ اللَّهُ وَاللَّهُ مَا مَنْكًا لَكُمْ وَلِلْأَنْعَلِمِكُمْ ﴾ مَنْكُ اللَّهُ وَلِلْأَنْعَلِمِكُمْ ﴾ مَنْكُ اللَّهُ وَلِلْأَنْعَلِمِكُمْ ﴾ والنازعات : ٣٠ ـ ٣٣)

وقد تعيش هذه الحيوانات على مراعي طبيعية من الحسائن وتبار الغابات التي لم يزرعها الإنسان:

« وَٱلَّذِيَّ أَنْحَرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴿ فَعَلَهُ مُعُنَّاءً أَحْوَىٰ »

(الأعلى: ٤ _ ٥)

" هُوَ ٱلَّذِي أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَ لَّكُمْ مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ » (النحل: ١٠)

وقد يأكل الحيوان بعض ما يزرعه الإنسان كها أشارت الآية الكريمة:

« زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعُلْمُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ » (السجدة: ٢٧)

وينتفع الإنسان من هذه الحيوانات ومن كل مركب يسخره الله له إلى يوم يلقاه، فيذكر نعمة الله عليه، ويحمده ويستهديه، ويسأله العافية في الدنيا والآخرة:

« وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَلَمِ مَا تَرْكُبُونَ ﴿ لَيْ لِتَسْتُوواْ عَلَى ظُهُورِهِ عَ اللَّهُ مُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَتَقُولُواْ مُبْحَلِنَ مُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَتَقُولُواْ مُبْحَلِنَ مُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَتَقُولُواْ مُبْحَلِنَ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَتَقُولُواْ مُبْحَلِنَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَتَقُولُواْ مُبْحَلِنَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَتَقُولُواْ مُبْحَلِنَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا مُبْحَلِنَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا مُبْحَلِنَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا مُبْحَلِنَا اللَّهُ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا مُبْحَلِنَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا مُنْ اللَّهُ عَلَيْهِ وَاللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا مُنْ اللَّهُ عَلَيْهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِ وَاللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِ وَاللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ وَلَا اللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ عَلَيْهِ وَاللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ وَالْعَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ اللَّهُ الل

« وَٱلْخَيْلُ وَٱلْبِغَالُ وَٱلْجَمِيرَ لِيَرْكُبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ شِيْ وَعَلَى ٱللّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآيٍ ۗ وَلَوْ شَآءَ صع هَدَ لَكُمْ أَجْمَعِينَ » (النحل: ٨ ـ ٩)

« وَ إِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا يُحْصُوهَا إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ » (النحل: ١٨)

والقرآن يرهف إحساس المرء بالجهال في شتى الكائنات ، سواء كانت من الطبيعة غير الحية أو من عالم الأحياء، إلى جانب إحساسه بعظمتها ودقة تركيبها وإحكام صنعها وأداء وظائفها:

« وَلَقَدْ زَيَّنَا ٱلسَّمَآءَ اللهُ عَلَيْنَا السَّمَآءَ الدُّنْيَا بِمَصَدِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ » (الله: ٥)

« إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكُوَاكِبِ ﴿ وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانِ مَارِدٍ » (الصافات: ٢-٧)

« فَأَخْرَجْنَا بِهِ عَمْسَرَاتِ

هُ فَأَخْرَجْنَا بِهِ عَمْسَرَاتِ

مُعْتَلِفًا أَلْوَاثُهَا وَمِنَ آلِحُبَالِ جُدَدُ بِيضٌ وَمُعْرَّ مُعْتَلِفُ

أَلُواثُهَا وَغَرَا بِيبُ سُودٌ ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِ

وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفُ أَلُوانُهُ ﴿ »

(فاط: ٢٧ - ٢٨)

« وَمَا ذَرَأَ لَكُرْ فِي ٱلْأَرْضِ مُغْتَلِفًا أَلْوَنُهُ ، » (النحل: ١٣)

« يَحْرِجُ مِن بُطُونِهَا

شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلُو ْنُهُ وَبِيهِ شِفَآهُ لِلنَّاسِ » (النحل: ٦٩)

والإنسان ستخدم حيوان الركوب للانتقال والتزين معا:

« وَلَكُرْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيمُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ » (النحل: ٦)

« وَٱلْجَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْجَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَذِينَةً » (النحل: ٨)

ونصل إلى الإنسان الذي أحسن الله صورته :

« لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ » (التبن : ٤)

« وَصَوْرَكُمْ وَصَوْرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ ٱلطَّيِبُتِ ذَالِكُو ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَيَ ٱلطَّيِبُتِ ذَالِكُو ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ »

(غافر: ٦٤)، وانظر أيضا التغابن (٣)

« ٱلَّذِي خَلَفَ كَ فَسَوَّ لِكَ فَعَدَلَكَ ﴿ يَ فَي صُورَةٍ مَّاشَآءَ رَكَّبَكَ » (الأنفطار ٧ ـ ٨)

والإنسان أرفع الأحياء :

« ٱلَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلَقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴿ مُّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَلَةٍ مَن مَّا عَلَى نَسْلَهُ مِن سُلَلَةٍ مِن مَّاءً مَهِينٍ ﴿ مُّ مُّسَوَّلَهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُوحِهِ وَجَعَلَ مِن مَّا مَعْ مُرَّالًا مَاللَّهُ وَكَالًا مَا لَسُكُونَ » لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَالْأَبْصَلَ وَالْأَفْعِدَةَ عَلِيلًا مَا لَسَّكُونَ » لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَالْأَبْصَلَ وَالْأَفْعِدَةَ عَلِيلًا مَا لَسَّكُونَ » لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَالْأَبْصَلَ وَالْأَفْعِدَةَ عَلِيلًا مَا لَسَّكُونَ » (السجدة: ٧ - ١)

« وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَنَهِكَةِ إِنِّي خَلِقً بَشَرًا مِن صَلْصَلِ

مِّنْ حَمْلٍ مَسْنُونِ (إِنَّ فَإِذَا سَوْيَتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ مُسْنُونِ اللَّي فَإِذَا سَوْيَتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ مُسْنِجِدِينَ

وهكذا يسمو الإنسان على مجرد الوجود البيولوجي، بما نفخ فيه الله من روحه، ووهبه من طاقات وفوى. ويشير القرآن إلى كيان الإنسان البيولوجي وتطور خلقه ونموه، ويقرن ذلك أحيانا بذكر النبات والحيوان، إذ يجمع الجميع الحياة من الوجهة البيولوجية، وإن كان الإنسان أعقد تركيبا وأرقى أعضاء وأجهزة ووظائف وطاقات:

« وَلَقَدْ خَلَقْنَ ٱلْإِنسَنَ مِن سُلَلَةٍ مِن طِينِ شِي مُمَّ جَعَلْنَكُ نُطْفَةً فِي قَرَارِ مَّكِينِ شِي مُمَّ جَعَلْنَكُ نُطْفَةً فِي قَرَارِ مَّكِينِ شِي مُمَّ خَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْعَةً خَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْعَةً خَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْعَةً خَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْعَةً عَظَنَما فَكَسُونَا ٱلْعِظْمَ لَحَمَّا مُمَّ أَنشَأْنَكُ خَلَقًا الْمُضْعَة عِظْما فَكَسُونَا ٱلْعِظْمَ لَحَمَّا مُمَّ أَنشَأْنَكُ خَلَقًا عَائِمٌ فَعَالَكُ اللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْعُلِقِينَ شِي مُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ عَالَكَ لَمَيْتُونَ رَبِي مُمَّ إِنَّكُم يَوْمَ ٱلْقِيمَةِ تُبَعَثُونَ سِي مُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيْتُونَ رَبِي مُمَّ إِنَّكُم يَوْمَ ٱلْقِيمَةِ تُبَعَثُونَ » ذَلِكَ لَمَيْتُونَ رَبِي مُمَّ إِنَّكُم يَوْمَ ٱلْقِيمَةِ تُبَعَثُونَ »

(المؤمنون: ۱۲ ـ ۱۹)

« خَلَقَ ٱلْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ »

« فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿ خُلِقَ مِن مَآءِ دَافِقِ ﴿ فَلَيَنظُرِ ٱلْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿ خُلِقَ مِن مَآءِ دَافِقِ ﴿ فَالْمَانِ الصَّلْبِ وَٱلتَّرَآبِ اللهِ الطَارِقِ: ٥ - ٧)

« يَنَأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبِ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا حَلَقَنَّكُمْ مِن عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن عَلَقَةٍ وَغَيْرِ مُحَلِّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُ فِي الْأَرْحَامِ مُطَّغَةٍ تُحَلِّقَةٍ وَغَيْرِ مُحَلِّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَفُقِرُ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَسَلَّهُ إِلَى أَجَلِ مُسَمَّى ثُمَّ نُحْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا مَا نَشَاء عَلَيْ مَن يُرَدُّ إِلَى الْمُنَاء الْمُنَاء الْمُناء الْمُناء الْمُناء الْمُناء الْمُناء الْمُناء اللَّهُ هُو الْحَنْ وَالْمُن عَلَيْهُ اللَّهُ هُو الْحَنْ وَالْمُن عَلَى اللَّهُ اللَّهُ هُو الْحَنْ وَالْمُن عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَى الْمَوْلَى وَأَنَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى الْمُولَى وَاللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى الْمُؤْتِى وَاللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى الْمُعْ عَا اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى الْمُعْتَى اللَّهُ عَ

(الحج ٥ ـ ٦)، (وانظر أيضا النحل ٧٠)

« خَلَقَكُمُ مِّن نَّفْسِ وَاحِدَةٍ مُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُمُ مِّنَ ٱلْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقُا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُكْتٍ ثَلَاثٍ » (الزمر: ٦)

« وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَذُواجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أَنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ عَ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ قَ إِلَّا فِي كِتَنْبٍ إِنَّ ذَالِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ » (فاطر: ١١)

« * اللهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفِ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ صَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءً وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ » (الروم: 30)

ويستمر النوع الإنساني على الأرض عن طريق تزاوج الذكر والأنتى وما يأتى من نسلهها:

« وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجُا وَجَعَلَ كَمُ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجُا وَجَعَلَ لَكُم مِنْ أَزْوَاجُكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنْ ٱلطَّيِبَاتِ » لَكُمْ مِنْ ٱلطَّيِبَاتِ »

(النحل: ۲۲)

« وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَــآءِ بَشَرًا بَخَعَلَهُ مُنَسَبًا وَصِهْرًا وَصِهْرًا وَصَهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا » (الفرقان: ٤٥)

« لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَاوَتِ
وَالْأَرْضَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَاثًا
وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذَّكُورَ ﴿ وَ اللَّهِ الْمَرْوَجُهُمْ ذُكُوانًا
وَإِنَانًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ »

(السورى: ٤٩ ـ ٥٠).

أما ما رفع الإنسان عن مجرد الوجود البيولوجي فإنها روح الله التي نفخ سبحانه في الإنسان منها:

« فَإِذَا سَوَّيَتُهُ, وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سُلِجِدِينَ » (الحجر: ٢٩)

« وَيَسْعَلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوجِ قُلِ « وَيَسْعَلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوجِ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا » (الاسراء: ٨٥)

وفد وهب الإنسان طاقة تتجاوز الإدراك الحسي المباسر للعمليات الفكرية العليا، بما فيه من ربط واستنتاج وتخيل وطاقة على العبير بالكلام واللغة التي تعكس فكره الراقي:

« وَعَلَمُ عَادُمُ الْأَسْمَةَ عَلَهَا الْمُلَكِيَةِ فَقَالَ أَنْبِعُونِي بِأَسْمَةَ عَلَهُا فَمُ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمُلَكِيدَةِ فَقَالَ أَنْبِعُونِي بِأَسْمَةَ هَنَوُلاَهِ إِنْ كُنتُمْ صَلِيقِينَ (إِنَّ قَالُواْ سُبْحَلَنَكَ لَاعِلْمَ لَنَكَ الْمَاعِلَيْنَا أَنْ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمَ (إِنَّ قَالَ يَنْفَادَمُ الْمُعَلِّيمُ الْحَكِيمَ وَاللَّهُمُ فِأَسْمَا بِيمَ قَالَ أَلَا أَقُل لَكُو الْمُعَلِّيمُ فَاللَّهُمُ فِأَسْمَا بِيمَ قَالَ أَلَدُ أَقُل لَكُو اللَّهُمُ فَاللَّهُمُ فَاللَّهُ وَلَا أَلَدُ أَقُل لَكُو اللَّهُمُ فَاللَّهُمُ فَاللَّهُ وَلَا أَلَدُ أَقُل لَكُو اللَّهُمُ فَاللَّهُمُ فَاللَّهُ وَلَا أَلَدُ أَقُل لَكُو اللَّهُمُ فَاللَّهُمُ فَاللَّهُ وَلَوْ وَمَا كُنتُمُ اللَّهُ اللَّهُ فَاللَّهُ وَلَا قَالَ اللَّهُ اللَّهُ وَلَا أَلَدُ أَقُل لَكُو اللَّهُ عَلَى اللَّهُ الْمُنْ الْمُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُنْتُلُكُولُولُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَهُ اللَّهُ اللْمُلْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الل

وقد منح الله آدم وبنيه القدرة على التمييز بين الصواب والخطأ، والقدرة على الاختيار والإرادة على الاختيار والإرادة على العمل، وهكذا لم يكن الانسان تكرارا للملائكة:

« لَا يَعْصُونَ اللَّهُ مَا أَمْرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ،»

(التحريم: ٦)

ولا الحيوان الذي تحكمه الغريزة حكما مطلفا، فلا تخرج استجاباته للمؤثرات عن نسخة واحدة مكرورة في نفس الظرف بين مختلف الأفراد جيلا بعد جيل:

« وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ التَّخِيدِى مِنَ الْجَبَالِ بُيُوتُا وَمِنَ الشَّجْرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿ مُمَّ كُلِي مِن الشَّجْرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿ مُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الشَّمَرُتِ فَاسْلُكِي سُبُلُ رَبِّكِ ذُلُلًا » (النحل: ٦٨ - ٦٩)

وإنما خلق الإنسان كائنا مختارا مميزا للخطأ والصواب، له إرادة وعليه مسئولية:

(وَنَفْسٍ وَمَا

سَوَّنَهَا ﴿ قَلْمَ اللَّهُ مُهَا بُحُورُهَا وَتَقْوَنَهَا ﴿ قَلْمَ اللَّهُ اللَّلْمُ اللَّهُ اللَّهُ

وكها أن الإنسان ليس ملكا معصوما فهو ليس أيضا سيطانا رجيا هبط إلى الأرض، تطارده لعنة خطيئة أبي البسر آدم عليه السلام، فقد عصى آدم به، لكن تاب الله عليه قبل نزوله إلى الأرض، وإنما هبط مغفورا له مهديا ونبيا كريما:

« فَأَزَهُمُ الشَّيطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجُهُما مِّ كَانَا هُ فِي الْأَرْضِ فِيهِ وَقُلْنَا الْمَبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضِ عَدُوَّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرَّ وَمَتَكُم إِنَّ حِينِ رَبِي فَتَلَقَّ عَادَمُ مِن رَّبِهِ عَكِمَتِ مُسْتَقَرَّ وَمَتَكُم إِنَّ حِينِ رَبِي فَتَلَقَ عَادَمُ مِن رَّبِهِ عَكِمَتِ مُسْتَقَرَّ وَمَتَكُم إِنَّهُ هُوَ التَّوَابُ الرِّحِيدُ رَبِي قُلْنَ الْمَبِطُواْ فَتَابَ عَلَيْهُ مُ مَنِ مَن اللهِ عَلَيْهُ مَ مَن اللهِ عَلَيْهُ مَ مِن اللهِ مَن اللهُ مَن اللهِ مَن اللهِ مَن اللهُ مَن اللهِ مَن اللهِ مَن اللهِ مَن اللهِ مَن اللهِ مَن اللهِ

« وَعَصَىٰ عَادَمُ رَبَّهُ فَغُوَىٰ ﴿ اللهُ مُ اَجْتَبَهُ رَبُهُ وَ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿ وَ قَالَ آهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا رَبُهُ وَ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿ وَاللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ الْجَمِيعًا بَعْضُكُر لِبَعْضِ عَدُو فَإِمَّا يَأْتِينَكُمْ مِنِي هُدَى فَمَنِ آتَبَعَ هُدَاى فَلَا يَضِلُ وَلَا يَشْقَى » (طه: ١٢١ - ١٢٣)

وإذا عطل الإنسان مفوماته وطافاته العليا، وألقى فكره وتمييزه وإرادته، وعاش على المستوى البيولوجي يأكل ويتناسل، فإن وجوده لا يختلف أو يزيد عندئد عن سائر الحيوان...

« وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ أَبِلِينَ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ أَوْلَتَهِكَ كَالْأَنْعَهِم بَلْ هُمْ أَضَلَّ أَوْلَتِهِكَ هُمُ ٱلْغَنْفِلُونَ »

(الأعراف: ١٧٩)

« أَرَةَ يْتَ مَنِ آتَكُذَ إِلَاهَهُ وَكِيلًا ﴿ أَرَةَ يْتَ مَنِ آتَكُذَ إِلَاهَهُ وَهُو هُوَنِهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿ أَنْ أُمْ يَكْسَبُ أَنَّ لَمُ اللَّهُ مُ اللَّهُ مُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُنَالِيلُولُ اللَّهُ الْمُنْ الْمُنْلِمُ اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ الْمُنَالِيَّ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُنِولُولَا الللَّلِمُ اللَّهُ الْمُنَالِمُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ

« وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي عَاتَيْنَكُ عَايَتِنَا فَا نَسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطُنُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿ اللَّهِ وَلَوْ شِنْنَا لَرَفَعْنَكُ بِهَا وَلَكِنَهُ وَأَخْلَدُ إِلَى الْغَاوِينَ وَاتَّبَعَ هَوَنَهُ فَمَنْكُ أُرَعَيْ اللَّكِلْ إِن تَحْمِلْ الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَنَهُ فَمَنْكُهُ مَثْلُ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَتْ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَتْ ذَالِكَ مَثُلُ ٱلْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِعَايَلِينًا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ »

(الأعراف: ١٧٥)

وقد يبلغ مسخ الإنسان أن تلغى طبيعته الإنسانية تماما:

« فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَمُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَلِيعِينَ » (الأعراف: ١٦٦)

هذه لمحات قرآنية عن الحياة والأحياء على الأرض، فهل عرض القرآن لاحتالات الحياة على الكواكب الأخرى؟ هذا أمر يفصل فيه العلم بمناهجه ووسائله وأدواته، فالقرآن الذي سنعرض بعد قليل لمنهجه في الإسارة إلى ظواهر الكون وسننه لا يقدم المعارف الكاملة المتاحة بحيث يسد الطريق بمقولاته وتقريراته النظرية على البحث التجريبي، بل يلح على الملاحظة والنظر والتأمل والتدبر والخبرة المباشرة، على أن القرآن يسوق بصورة عامة ما يمكن أن يتسع لوجود حياة وأحياء في كواكب أخرى إذا رجحن احتالات العلم ذلك، أو توصلت إلى إثبات قاطع له. يقول تعالى:

« وَمِنْ ءَايَلتِهِ عَلْقُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَ فِيهِمَا

مِن دَآبَةً وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ »

(الشورى: ۲۹)

والله أعلم بمراده من كلمتي (السموات) و (دابة)، وأعلم بحقيقة ما بث من دابة في السموات والأرض، وهل جاء ذلك في مجموعها بحيث يصدق على بث الدابة في أي من السموات والأرض دون اشتراط كليها، أو جاء ذلك في جميعها بحيث يتفرق ما بث من دابة على كل من السموات والأرض على حدة؟. والله أعلم بمراده والتأويل الحق لكلامه.

رابعا : وجهة الإسلام في ولاء الإنسان لموقعه من الأرض :

يألف الإنسان ما نسأ عليه من أرض، ويزيد في توثيق ارتباطه أنها تضم أهله وعسيرته من جهة، وتجتمع فيها مصالحه، وتأتي منها مكاسبه. والإسلام لا يقتلع الإنسان من المساعر الفطرية، ولكنه يحول دون الغلو والشطط فيها. فهو يربط الإنسان بربه ودينه قبل كل شئ، كما يربط الأرض أيضا بالله الذي فطرها وبرأها. ويؤكد في هذا المقام أن الإنسان لن يخلد على أي موقع من الأرض مها تعلق به:

« يَلْعِبَادِى ٱلَّذِينَ عَامَنُوٓ أَ إِنَّ الْمَنُوَ أَ إِنَّ الْمَنُوّ الْمَوْتِ أَلِي الْمَاكُوْ الْمَوْتِ أَلَّ الْمَوْتِ أَلَّ الْمَوْتِ أَلِي اللّهُ الْمَوْتِ أَلَّ الْمَوْتِ أَلَّ الْمَوْتِ أَلَّ الْمَوْتِ اللّهُ الْمَوْتِ اللّهُ الْمَوْتِ اللّهُ الْمَوْتِ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ ال

ويقرر القرآن في جلاء عالمية رسالة الإسلام وعدم ارتباطها بأرض معينة:

« وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنُ بَعْدِ ٱلذِّحْرِ أَنَّ ٱلأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّلِحُونَ ﴿ عَنِيْ إِنَّ فِي هَلَذَا لَبَلَغُا لِّقَوْمٍ عَلِيدِينَ ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَكُ إِلَّا وَمَا أَرْسَلْنَكُ إِلَّا وَمَا أَرْسَلْنَكُ إِلَّا وَمَا الْمَالِينَ ﴾ (الأنبياء: ١٠٥ ـ ١٠٧)

وإنما يقوم هذا المبدأ على عقيدة راسخة في قلب المؤمن أن الأرض كلها لله أولا وأخيرا:

« إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ ۽ وَٱلْعَنْقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ،» (الأعراف: ١٢٨)

« قُلْ يَعِبَادِ اللهِ مَا اللهِ مَا اللهِ مَا اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ مَا اللهُ اللهُ مَا اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ مَا اللهُ اللهُل

بِغَيْرِ حِسَابِ » (الزمر: ١٠)

ومن تهار هذه العقيدة أن يتنقل المؤمن في أرض الله كلها عابدا إياه على أي بقعة منها بطلب رزقه وفضله، أو بالدعوة إلى دينه، أو للفرار بعقيدته دون استسلام لضغوط العاطفة أو المصلحة التي تشده إلى موقعه من الأرض الذي نشأ عليه:

« إِنَّ الَّذِينَ تَوَقَّلُهُمُ الْمُلَكِيكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ فَيمَ كُنتُمْ قَالُواْ أَلَمَ تَكُن أَرْضُ اللّهِ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضَعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُواْ أَلَمْ تَكُن أَرْضُ اللّهِ وَالسّعَةُ قَتُهَا جُرُواْ فِيها فَأُولَكِكَ مَأُولُهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتُ وَلِيعَةً فَالْمُ اللّهِ عَلَيْهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتُ وَلِيعَةً فَاللّهُ مَا فَاللّهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتُ وَلِيعَا فَأُولَكِكَ مَأُولُهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتُ

مَصِيرًا ﴿ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ
وَالْوِلْدُنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿ وَالْوِلْدُنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿ وَالْوَلَدُنِ كَا يَسْتَطِيعُونَ عِيهُمْ وَكَانَ اللّهُ عَفُوا فَأُولَا إِلَى عَفُورًا ﴿ فَي عَلَى اللّهِ يَجِدُ فِي الْأَرْضِ عَفُورًا ﴿ فَي عَلَى اللّهِ يَجِدُ فِي الْأَرْضِ مُنَ عَفُورًا فَيْكَ * وَمَن يُعَرِّجُ مِن بَيْتِهِ عَمُهَا مِلًا إِلَى مَنْ عَفُورًا وَسَعَةً وَمَن يَغُرُجُ مِن بَيْتِهِ عَمُهَا مِلًا إِلَى اللّهَ وَرَسُولِهِ عَلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ عَلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ عَلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللهُ اللّهُ الللهُ اللّهُ الللهُ اللّهُ الل

(النساء: ۹۷ ـ ۱۰۰)

وهكذا وجهت رسالة الإسلام للحركة في موافع الأرض المختلفة تبعا لمنطلبات الدعوة إذا استنفذت المرحلة اللازمة لدعوة الأقربين، وأعذرت إلى الله والناس ببذل القدر من الجهد في المدى الملائم من الوقت:

« وَأَنْدِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿ وَأَنْدِرْ عَشِيرَتَكَ مِنَ الْأَقْرَبِينَ ﴿ وَآخِفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ النَّبَعَكَ مِنَ الْأَقْرَبِينَ ﴿ وَآخِفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ النَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿ وَ وَأَنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِي مِ مِنَّ مِنَا اللَّهِ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿ وَتَوَكَّلُ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿ وَتَوَكَّلُ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿ وَتَوَكَّلُ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿ وَالْعَلَى اللَّهِ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿ وَالْعَلَى اللَّهُ اللَّهُ الْعَلِينِ الرَّحِيمِ اللَّهُ اللَّهُ الْعَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْعَلَى اللَّهُ اللَّهُ الْعَلَى اللَّهُ الْعُلُولُ اللَّهُ اللَّهُ الْعُلُولُ اللَّهُ الْعُلُولُ اللَّهُ اللَّهُ الْعُلُولُ اللَّهُ الْمُعْلِي اللَّهُ الْعُلْمُ اللَّهُ الْعُلْمُ اللَّهُ الْمُعْلِيمِ اللَّهُ اللَّهُ الْعُلْمُ اللَّهُ اللَّهُ الْعُلْمُ اللَّهُ الْعُلْمُ اللَّهُ الْعُلْمُ اللَّهُ الْعِلْمُ الْعُلْمُ اللَّهُ الْعُلْمُ اللَّهُ الْعُلْمُ اللَّهُ الْعُلْمُ اللَّهُ اللَّهُ الْعُلْمُ اللَّهُ الْعُلْمُ اللْعُلْمُ اللَّهُ الْعُلْمُ اللَّهُ الْعُلْمُ الْعُلْمُ اللَّهُ الْعُلْمُ اللَّهُ الْعُلْمُ اللَّهُ الْعُلْمُ اللَّهُ الْعُلْمُ اللَّهُ الْعُلْمُ اللْعُلْمُ الْعُلْمُ الْعُلْمُ الْعُلْمُ اللْعُلْمُ الْعُلْمُ الْعُلْمُ الْعُلْمُ الْعُلْمُ الْعُلْمُ الْعُلْمُ الْعُلْمُ الْعُلْمُ الْعُلْمُ الْمُعُلِمُ الْعُلْمُ الْعُلْمُ

يَرَكُ حِينَ تَقُومُ شَقَ وَتَقَلَّبَكَ فِي ٱلسَّنِجِدِينَ شَقَ مِي كَنْ اللَّهُ عِينَ تَقُومُ شَقَ وَتَقَلَّبَكَ فِي ٱلسَّنِجِدِينَ شَقَ السَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ » (السعراء: ٢١٤ ـ ٢٢٠)

وجندت دعوة الإسلام كل المؤمنين بها للتحرك إلى موقع التجمع والاحتساد في المرحلة التي تستدعى ذلك:

« إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَهَدُواْ بِأَمُوا لِحِمْ وَأَنفُسِمِمْ فَ اللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَنَصَرُواْ أَوْلَنَبِكَ بَعْضُهُمْ فَي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَالَكُمْ مِن أَوْلِيلَ بَعْضُهُمْ وَلَا يَهَاجِرُواْ مَالَكُمْ مِن وَلَيْ يَهَاجِرُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَالَكُمْ مِن وَلَيْ يَهَاجِرُواْ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُ وَكُمْ فِي وَلَيْتِهِم مِن شَيْءٍ حَتَى يُهَاجِرُواْ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُ وَكُمْ فِي وَلَيْتِهِم مِن شَيْءٍ حَتَى يُهَاجِرُواْ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُ وَكُمْ فِي اللّهِ عَلَى عَوْمِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِينَاتُ اللّهُ عَلَى عَوْمِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِينَاتُ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ » وَآلِلَهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ » (الأنفال: ۲۷)

وبلغ من تقدير الإسلام للحركة الني تسلزمها دعوته العالمية للناس أجمعين أن خفف على المؤمن الصلاة _ وهي عهاد الدين _ إذا ضرب في الأرض، وهكدا أعفب الآيات التي تتوعد الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم، إذ كانوا مستضعفين في الأرض، وتبسر الدين يهاجرون في سبيل الله، بما يجدون في الأرض من مراغم وسعة _ أعقب تلك الآيات من سورة النساء مباشرة قول الله في نفس السورة:

« وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ « وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحُ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُرُ ٱلَّذِينَ كَفُرُوا إِنَّ ٱلْكَنفِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُواً إِنَّ ٱلْكَنفِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُواً مِن أَن الْمُعْنِينَ اللهِ عَدُواً إِنَّ ٱلْكَنفِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُواً مُعْنِينًا » (النساء: ١٠١)

وعلمت الآية التالية في السورة نفسها المؤمنين أحكام صلاة الحرب، مم بينت علنها بيانا هو درس للمؤمنين في كل زمان ومكان:

« وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفُرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَبَمِيلُونَ عَلَيْكُمُ مَلَوْكَ عَلَيْكُمُ مَلَوَةً يُكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَبَمِيلُونَ عَلَيْكُمُ مَلَّاتُهُ وَالْمَاءِ: ١٠٢)

فإذا عاد الإنسان إلى مستقره عاد حكم الصلاة النابت الأصيل دون تفريط أو تهاون:

« فَإِذَا ٱطْمَأْ نَدَتُمْ فَأْقِيمُواْ ٱلصَّلَوْةَ إِنَّ ٱلصَّلَوْةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَلَباً مَّوْقُوتًا » (النساء: ١٠٣)

وإذا كانت هذه أحكام الإسلام وتعاليمه عن الحركة في أرحاء الأرض فإن المؤمن مطالب بالتحرر من التثاقل إلى الأرض والانقياد لمتساعره ومصالحه التى تتركز حول أي موقع فيها إذا كان في ذلك مساس بعقيدته:

« يَنَأَيُّهَ الَّذِينَ عَامَنُواْ مَا لَكُرُ إِذَا قِيلَ لَكُرُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ النَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلأَرْضِ أَرْضِيتُم بِالْحَيَوْةِ الدُّنْيَ مِنَ الْآخِرَةِ فَكَ مَتَنَعُ الْحَيَوْةِ الدُّنْيَا فِي الْحَيَوْةِ الدُّنْيَا فِي الْآنِيَةِ إِلَّا قَلِيلُ شِي إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبِّدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا فَي عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبِّدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَيَسْتَبِدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ اللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءً وَقَدِيرً » (النوبة: ٣٨ - ٣٩)

ويلح القرآن على الاستجابة لدواعي الحركة وتلبية النفير، ولو لم يكن السفر فاصدا، وكانت السقة بعيدة، ويسدد النكير على من يستأذنون في التخلف عن النفير العام:

« وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَنْذَن لِي وَلا تَفْتِنِي ٓ أَلا فِي لَلْفِتْنَةِ سَقَطُواْ
وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُ إِلْكَنفِرِينَ (التوبة: ٤٩)

« لَا يَسْتَعْدُنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْبَوْمِ الْآيْحِ أَن يُجْهِدُواْ بِأَمْوَلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلَيمُ إِلَّهُ عَلَيمُ الْآئِمِ أَلَا يَحْ اللَّهُ عَلَيمُ اللَّهُ وَالْبَوْمِ الْآيْحِ الْآيَ اللَّهِ وَالْبَوْمِ الْآيْحِ اللَّهِ وَالْبَوْمِ الْآيْحِ اللَّهِ وَالْبَوْمِ الْآيْحِ اللَّهِ وَالْبَوْمِ الْآيْحِ وَالْبَوْمِ الْآيْحِ وَالْبَوْمِ اللَّهِ وَالْبَوْمِ اللَّهِ وَالْبَوْمِ اللَّهِ وَالْبَوْمِ اللَّهِ وَالْبَوْمِ اللَّهِ وَالْبَوْمِ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَالْبَوْمِ اللَّهُ اللَّهُ وَالْبَوْمِ اللَّهُ وَالْبَوْمِ اللَّهُ وَالْبَوْمِ اللّهُ اللَّهُ وَالْبَوْمِ اللَّهُ وَالْبَوْمِ اللَّهُ اللَّهُ وَالْبُومُ اللَّهُ وَالْبُومُ اللَّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ ال

أَنْبِعَاتَهُمْ فَنَبَطَهُمْ وَقِيلَ آقَعُدُواْ مَعَ ٱلْقَنعِدِينَ »

(التوبة: 3٤ - ٤٦)

ويفضح الله المنافقين الانتهازيين في تلك السورة التي كان من أسهائها «الفاضحة»، فيكسف عن ارتباطهم بمكاسبهم السخصية قبل كل شيئ:

« إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ السَّوْهُمْ وَ إِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن فَسَوْهُمْ وَ إِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتُولُواْ وَهُمْ فَرِحُونَ ﴿ قَالَ لَن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللّهُ لَنَ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللّهُ لَنَ يُصِيبَنَا هُوَ مَوْلِنَا وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوكَلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿ قَالَ اللّهُ لِعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوكَلِ اللّهُ مِنْ وَنَعُنُ نَتَرَبَّصُ فَلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلّا إِحْدَى الْحُسُنَيْنِ وَتَعُنُ نَتَرَبَّصُ فَلَى اللّهُ بِعَذَابِ مِنْ عِندِهِ } أَوْ بِأَيْدِينًا فِي اللّهُ بِعَذَابِ مِنْ عِندِهِ } أَوْ بِأَيْدِينًا فَعَنْ مُتَربِّصُونَ » (النوبة: ٥٠ ـ ٥٠) فَتَربّصُوا إِنَّا مَعَنْمُ مُتَربّصُونَ » (النوبة: ٥٠ ـ ٥٠)

وفي آبة من سورة أخرى يقول الحق جل وعلا:

« سَتَجِدُونَ عَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَارُدُّواْ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أَرْكِسُواْ فِيهَا » (النساء: ٩١) وبحذر القرآن صراحة المؤمن أن تعرفل حركته الواجبة ضغوط الأهل والعشيرة والمال والموطن.

« قُلْ إِن كَانَ ءَابَآ وُكُرْ وَأَبْنَآ وُكُرْ وَ إِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُرْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَزْوَاجُكُرْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالُ اَقْتَرَقْتُمُوهَا وَتَجَلَرُهُ تَخْشُونَ كَسَادَهَا وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمُوالُ اَقْتَرَقْتُمُوهَا وَتَجَلَرُهُ تَخْشُونَ كَسَادَهَا وَمَسْلِكُنُ تَرْضُولُهِ عَلَيْ إِلَيْكُم مِنَ اللّهُ وَرَسُولِهِ عَصَلَكُنُ تَرْضُولُهِ عَلَيْ إِلَيْكُم مِنَ اللّهُ وَرَسُولِهِ عَلَيْ اللّهُ بِأَمْرِهِ عَلَيْ اللّهُ مِنْ اللّهُ وَرَسُولِهِ عَلَيْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ وَرَسُولِهِ عَلَيْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ وَرَسُولِهِ عَلَيْ وَمَا لَكُومُ وَاللّهُ مُنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مُنْ مُنْ اللّهُ مُنْ أَلْمُ اللّهُ مُنْ ا

بل إن المؤمن مطالب بالضرب في الأرض ابتغاء فضل الله وطلبا للرزق إن عز عليه في موفعه، فطلب الدنيا بالحق من واجب المؤمن، واليد العلبا خير من اليد السفلى، والعمل عبادة لله إن قصد به امتال أمره وحفظ النفس والنسل بالمال الحلال، والكسب والإنفاق وفقا لأوامر الله :

« هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ اللَّهُ الْمُصُواْفِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن دِّرْقِهِ عَ اللّهُ اللّهُ وَكُلُواْ مِن دِّرْقِهِ عَ اللّهُ وَاللّهُ ولَا اللّهُ وَاللّهُ ولَا لَا لَاللّهُ وَاللّهُ وَال

" الذي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهَدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا اللهِ اللهُ ا

« فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَوْةُ فَآنَتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَآبَّتَغُواْ مِن فَضَلِ اللَّهِ » (الجمعة: ١٠)

والقرآن الكريم يعتبر الضرب في الأرض عذرا مقبولا إلى جانب الجهاد والمرض إزاء الندب إلى فيام الليل أو نوافل العبادة:

(المزمل: ۲۰)

ولا يرخص القرآن في البفاء بأرض عند ضيق فرص الكسب فيها، واحتال عناء الفقر في المسغبة بها إلا لضرورة قاهرة:

« لِلْفُقَرَآءِ الَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيآةً مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَهُمْ لا يَسْعَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرِ فَإِنَّ اللهَ بِدِء عَلِيمٌ »

(البقرة: ۲۷۳)

ومسايرة لهذه الطبيعة (الحركية) التي لا تصر رسالة الإسلام على موفع بذاته من الأرض أو قوم من البشر بخاصة، فإن الأرض كلها مسجد للمسلمين، كما ورد في الحديت : «جعلب الأرض مسجدا لي وطهورا». والبيت الحرام إنما وضع للناس مباركا وهدى للعالمين:

وإذا كان للبلد الأمين مكان ومكانة عند المسلمين، إذ يحتوي البيت الحرام، فإن رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم قد هاجر منها حين استلزمت دعوته ذلك، وإن كان عليه صلوات الله يؤثرها بالبقاء، وهي أحب بلاد الله إليه كها تحدث عليه الصلاة والسلام: «ولولا أن قومك أخرجوني ما خرجت». وهكذا يقوم التوازن في مشاعر المؤمن حتى بالنسبة للأرض المقدسة بحكم الدين والعقيدة فها بالك بغيرها؟! وهذا قول الله يسكب في نفوس المؤمن الولاء للعقيدة والكتاب قبل كل شي عتى لا تنحصر نظرته في أرض بلد ولو كان مثوى البيت الحرام، يقول المنه عز وجل:

« إِنَّمَ أَمْرَتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا » (النمل: ٩١)

وتقرير عبادة رب البلد الحرام هنا يصرف قصور النظر والتباس الأمر والانغلاف في أسوار المكان وحواجز الأرض والبلد، ويتبع باقي الآية وما أعفيها من آيات، فيجلي ذلك جلاء فاطعا إذ يقول سبحانه إتر هذا مباشرة:

وَلَهُ رَكُلُّ شَيْءَ وَأَمِّرْتُ أَنَّ أَتُكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿ وَأَمْرَتُ أَنَّ أَتُكُواْ الْقُرْءَ أَنَّ فَكَنِ الْمُتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِ عَوَالْ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿ وَقُلِ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنِّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿ وَقُلِ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿ وَقُلِ اللّهِ سَيُرِيكُم عَا يَتِهِ عَقَوْفَهَا وَمَا رَبُكَ بِعَنْفِلِ اللّهِ سَيُرِيكُم عَا يَتِهِ عَمَلُونَ ﴿ وَهَا رَبُّكَ بِعَنْفِلِ اللّهِ سَيْرِيكُم عَا يَتِهِ عَمَلُونَ ﴿ وَاللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللللّهُ اللللّهُ الللّهُ اللللّهُ اللللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ اللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الل

وهكذا كان القرآن عالميا إنسانيا حين تحدث عن «الأرض» بإطلاق، وخاطب «الإنسان» بإطلاق.. وفرر أن الإيمان يرفع مكانة أية بقعة من الأرض يعبد فيها الله، ويرفع مكانة المؤمن أيا كان حظه من الأصل والنسب. وهذه خطبة الوداع الخالدة يؤكد فيها رسول الله عليه صلوات الله هذه المبادئ، وهو يودع المؤمنين، ويودع الحياة الدنيا: «أيها الناس، اسمعوا قولي فإني لا أدري لعلي لا ألفاكم بعد عامي هذا الموقف أبدا. أيها الناس، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم...

أيها الناس، إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، أكرمكم عند الله أتقاكم، ليس لعربي فضل على عجمي إلا بالتقوى. ألا هل بلغت، اللهم فانسهد. فليبلغ

الساهد منكم الغائب، وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا، أمرا بينا: كتاب الله، وسنة نبيه».

وفي رواية «أيها الناس ، اسمعوا قولي واعفلوه، تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم، وأن المسلمين إخوة». وتضمنت تلك الخطبة الجامعة حقوق الجنسين: الرجل والمرأة، كما تضمنت مساواة الأجناس والسلالات: «أما بعد أيها الناس، فإن لكم على نسائكم حقا، ولهن عليكم حقا... واستوصوا بالنساء خيرا، إنما أخذتموهن واستحللتم فروجهن بكلمة الله. فاعقلوا أيها الناس قولى، فإنى قد بلغت».

وصدق الله العظيم إذ امتن على عباده المسلمين في ذلك اليوم العظيم: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا). (المائدة: ٣).

خامساً : الإنسان وعمارة الأرض :

هبط أبو البسر آدم عليه السلام إلى الأرض تائبا مقبولة توبته ليتخذ هذه الأرض مستقرا، فيعمل في عارتها وينتفع بمتاعها:

« وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ

مُسْتَقُرٌ وَمَتَنَعٌ إِلَىٰ حِينِ لِنَ فَتَلَقَّىٰ عَادَمُ مِن رَّبِهِ عَكَمِنَتِ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيدُ لِنَ قُلْنَ الْمَبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِّنِي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاى فَلَا خَوْفُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ فِي وَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَبُواْ بِعَايَنتِنَا أَوْلَيْكَ أَصْحَبُ النَّارِ هُمْ فِيها خَلِدُونَ » بِعَايَنتِنَا أَوْلَيْكَ أَصْحَبُ النَّارِ هُمْ فِيها خَلِدُونَ » « فَإِمَّا يَأْتِينَّكُمْ مِنِي هُدَى فَكَنِ النَّبَعَ هُدَى فَكَنِ النَّبَعَ هُدَاى فَكَنِ النَّبَعَ هُدَاى فَلَا يَضِلُ وَلَا يَشْتَى ﴿ وَهَى وَمَنْ أَعْرَضَ عَنَ فَكَ يُضِلُ وَلَا يَشْتَى النَّهِ وَمَنْ أَعْرَضَ عَلَيْكُمَةً عَن فِرْكِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَعْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيكَمَةِ عَن فِرْكِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَعْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيكَمَةِ عَن فِرْكِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَعْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيكَمَةِ الْقِيكَمَةِ أَعْمَى » (طه: ١٢٣ - ١٢٤)

ولقد فطر الإنسان على دوافع نفسية تحثه على عبارة الأرض:

« زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَآءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنَطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَةِ وَالْحَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَنَاعُ الْحَيَلَةِ الدُّنْيَ وَاللهُ عِندَهُ وحُسْنُ الْمُعَابِ » (آل عمران: ١٤)

« الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَهُ الْحَيَوَةِ الدُّنَيْ وَالْبَنْقِيَتُ الْمَالُ وَالْبَنْقِيَتُ الْحَيْرَةُ الدُّنِيْ وَالْبَنْقِيَتُ الْمَالُ » الطَّلِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا » (الكهف: ٤٦)

والإسلام يتطلب من المؤمن أن يستجيب لهذه الدوافع في حدود أوامر الله لا أن ينخلع من الدنيا ويعلن الرهبانية، فهي بدعة لا يرتضيها الإسلام:

« وَرَهْبَانِيَةً ٱبْتَدَعُوهَا » (الحديد: ٢٧)

ولقد أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه وهو أتقى الناس وأعيدهم لله: «أنا أصوم وأفطر، وأقوم وأنام، وأتزوج النساء، هذه سنتي، فمن رغب عن سنتي فليس مني». وما أروع قول الله يبين أن عبادة الله لا تعني الانخلاع من الطبيعة البسرية، ولا قتل الدوافع المنفسية، ويقيم ميزان الحق لتلبية هذه الدوافع من جانب المتعبد دون قمع أو إسراف وفقا لأوامره سبحانه:

" أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلُهُ الصِّيَامِ الرَّفَتُ إِلَى نِسَآ بِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَمُ لَكُمْ اللهُ أَنْكُمْ كُنتُمْ تَحْنَا نُونَ لِبَاسٌ لَمُن عَلَمَ اللهُ أَنْكُمْ كُنتُمْ تَحْنَا نُونَ الشُرُوهُنَ اللهُ وَهُن الْفُكُمْ فَالْفُلْ اللهُ ال

ولقد أودع الله في الكون من الثروات والطاقات التي سخرها للإنسان بما منحه عفل وعزم:

« * وَلَقَدُّ حَكَرَّمْنَا بَنِيَ ءَادَمَ وَحَمَلْنَكُمُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
وَرَزَقُنْنَهُم مِّنَ الطَّيِبَنَتِ وَفَضَّلْنَكُهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنَ
خَلَقْنَا تَقْضِيلاً »

(الإسراء: ٧٠)

« ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَلُوٰتِ

وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِ عِمِنَ النَّمَرِهِ عِلَمْ وَقَالَكُمُ الْفُلْكُ لِتَجْرِى فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ عِلَمْ وَتَغَرَّلُكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآبِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآبِبَيْنِ وَسَخَرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآبِي مَاسَأَلْتُمُوهُ وَسَخَرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآبِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ السَّمْنَ اللَّهُ السَّمَالُومُ السَّمَ اللَّهُ الْمُعْسَلُ وَالْمَرْسُ وَالْمُومُ السَّمَ اللَّهُ السَّمْنَ لَلْعُلُومُ السَّمَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُعْسَلُقُومُ السَّمَ اللَّهُ السَّمْنَ لَلْمُ السَّمَ اللَّهُ الْعُلِي اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُعْلِقُ اللَّهُ الْمُعْلِقُ الْمُؤْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُعْرَالِيْنَ الْمُؤْمِ اللَّهُ الْمُ اللَّهُ الْمُؤْمِ الْمُؤْمِلُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْمِ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْمُ الْمُؤْمِ اللَّهُ الْمُؤْمُ اللَّهُ الْمُؤْمِ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْمِ اللَّهُ الْ

« وَسَغَرَلَكُ اللَّهُ الْمَرْهِ مَا اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ

وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَّسِي أَن تَمْيِدَ بِكُرْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَا مَلُهُ لَكُوْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَمَ مَا لَكُوْ مَا لَكُوْ وَالْفَالِكُونَ » لَعَلَّكُونَ (النحل: ١٢ - ١٦)

« أَلَمْ يَرُواْ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَتِ فِي جَوِّ ٱلسَّمَاءِ »

(النحل: ٧٩)

((أَلَوْ

تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَغَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِى فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ م وَيُمْسِكُ السَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ مَا إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَهُ وَثُ رَّحِيمٌ » (الحج: ٦٥)

« أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ اللَّهَ سَغَّرَكُمُ مَّا فِي السَّمَلُواتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظُلْهِرَةً وَبَاطِئَةً »
وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظُلْهِرَةً وَبَاطِئَةً »
(القان: ٢٠)

« وَالَّذِي خَلَقَ الْأُزُواجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَـكُمْ مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكُبُونَ ﴿ لِيَسْتُوا الْمَكُولِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَقِي اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَقِي اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللّلَّ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ اللَّاللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللّ

ثُمَّ تَذَكُواْ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا أَسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُواْ سُبْحَانَ اللَّهِيَ عَلَيْهِ وَتَقُولُواْ سُبْحَانَ اللَّهِي سَغَّرَ لَنَكَ هَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ (اللهُ وَإِنَّا إِلَىٰ لَلَّهُ مُقْرِنِينَ (اللهُ وَاللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ اللَّهُ مُقْرِنِينَ (اللهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مُقَالِبُونَ » (الزخرف: ١٢ ـ ١٤)

وتأتي هداية الله تنمية لطاقات الإنسان لعهارة الأرض بالحق، وتحفيقا لتوازن جهود الفرد وجهود الأفراد في المجتمع:

« هُوَأَنْشَأَكُمُ مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا » (هود: ٦١) وقد وجه الإسلام إلى طلب الرزق وعيارة الأرض:

« هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُرُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَآمَشُ وَا فِي مَنَا كِيهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِ عَ وَإِلَيْهِ النَّشُورُ » (الله: ١٥)

« الذِّى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهَدُّا وَسَلَكَ لَكُوْ فِيها سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِدِ تَأْزُوا جُامِّن سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِدِ تَأْزُوا جُامِّن تَبَاتٍ شَنَّى (اللَّهِ عَلَمُ كُوا وَارْعَوا أَنْعَلَمَكُو إِنَّ فِي ذَالِكَ لَنْ اللَّهَ عَلَمُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ عَلَمُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ عَلَيْكُوا اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ اللَّ

« هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَـكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا » (البقرة: ٢٩)

« وَلَقَدْ مَكَّنَّنَكُوْ فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُوْ فِيهَا مَعَلِشِ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ » (الأعراف: ١٠)

« وَمِنْ اَيْتِهِ عَ مَنَامُكُمُ بِاللَّهِ وَالنَّهَارِ وَالْبِيَعَآوُكُم مِن فَضْلِهِ تَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَئِتٍ لِّقَوْمِ يَسْمَعُونَ » (الروم: ٢٣)

ولقد دعا الإسلام المؤمن إلى العمل في زراعة النبات ورعي الحيوان والإفادة من الثروة المائية ووسائل النقل: « وَالْأَنْعَامُ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْ مُ

وَمَنْفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿ فِي وَلَكُرْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُريحُونَ وَحِينَ لَشَرَحُونَ هُوَ ٱلَّذِيّ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَا ٓعَ لَّكُمْ مَّنْهُ شَرَابٌ وَمَنْهُ شَجَرٌ فيه تُسيمُونَ إِنِّي يُنْبِتُ لَكُم به ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّحٰيلَ وَٱلْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَاتُ إِنَّ فِي ذَالِكَ لَآيَةً لِقَوْمِ يَتَفَكَّرُونَ وَمَا ذَرَأَ لَكُرُ فِي ٱلْأَرْضِ مُغْتَلِفًا أَلْوَنُهُ ﴿ إِنَّ فِي ذَالِكَ لَآيَةً لِّقَوْمِ يَدَّ كُرُونَ إِنَّ وَهُوَ ٱلَّذِي سَغَرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْـهُ كَخَمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةٌ تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَانِعَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضَّله، وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ١ وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَّاسِي أَن تَمْيِدَ بِكُرُّ وَأَنَّهَارُا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهُ تَدُونَ ١١٥ وَعَكَمَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهُتَدُونَ ١١٥ وَإِن تَعُدُّواْ نَعْمَةَ آللَهُ لَا يُحْصُوهَا ۚ إِنَّ ٱللَّهُ لَعَفُورٌ

رَّحِيمٌ »

(النحل: ٥ - ١٨)

« وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَلَمِ لَعِبْرَةُ أَسْفِيكُمْ مِنَا بَيْنِ فَرْثِ وَدَمِ لَبَنَا خَالِصًا سَآيِغًا لِلشَّرْبِينَ (إِنَّ وَمِن مُمَرَّتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَظَفُرُونَ لِلشَّرْبِينَ (إِنَّ وَمِن مُمَرَّتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَظَفُرُونَ مِنْهُ سَحَدًا وَدِزْقًا حَسَنَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَهُ لِقَوْمِ مِنْهُ سَحَدًا وَدِزْقًا حَسَنَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَهُ لِقُومِ مِنْهُ سَحَدًا وَدِزْقًا حَسَنَا إِلَى النَّعْلِ أَنِ الْغَيْدِي مِنَ يَعْفِلُونَ (إِنِي وَلَا النَّعْلِ أَنِ الْغَيْدِي مِن الشَّجْرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (إِنِي أَمُّ كُلِي مِن الشَّجْرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (إِنِي أَمُ كُلِي مِن الشَّجْرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (إِنِي أَمُونِ اللَّهُ مُن اللَّهُ مِن الشَّهُ وَمِنَ الشَّجْرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (إِنِي أَمُونِ اللَّهُ مُن اللَّهُ مِن اللَّهُ مِن اللَّهُ مِن اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُعْنِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُعْنِ اللَّهُ الْمُؤْمِلُهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْمِلُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللْهُ الللَّهُ الللَّهُ اللللَّهُ الللْهُ الللْهُ اللَّهُ اللَّهُ ا

(النحل: ٦٦ ــ ٦٩)

« وَٱللّهُ جَعَلَ لَـكُمْ مِنْ بُنُونِكُمْ مِنْ بُنُونِكُمْ مَنْ بُنُونِكُمْ مَنْ بُنُونِكُمْ مَنْ بُنُونِكُمْ مَن جُلُودِ ٱلْأَنْعَلَم بُنُونَا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَنِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأُوبَارِهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأُوبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا إِلَىٰ حِينٍ » (النحل: ٧١)

وبما يلفت النظر أن الآيات السالفة كلها قد تضمنتها سورة واحدة من كتاب الله هي سورة النحل. كذلك أشار القرآن إلى عدد من الصناعات:

« وَجَعَلَ اللَّهُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمُ بَأْسَكُرُ كَذَالِكَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ بَأْسَكُرُ كَذَالِكَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُرْ كَذَالِكَ لَكُمْ تُسْلُمُونَ » (النحل: ۸۱)

« * وَلَقَدْ ءَا تَدْنَا

دَاوُردَ مِنَّا فَضَلَا لَيْجِبَالُ أَوِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَأَلَثَ لَهُ الْحَدِيدَ وَيَا فَطَدُ وَيَ السَّرْدُ وَالْحَلُوا الْحَدِيدَ وَيَ السَّرْدُ وَالْحَلُوا الْحَدِيدَ وَيَ السَّرْدُ وَالْحَلُوا الْحَدَا الْمَا اللَّهُ عَلَى اللَّهِ اللَّهُ عَلَى اللَّهِ اللَّهُ عَلَى اللَّهِ اللَّهُ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ وَمِنَ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَمَن يَرْغُ مِنْهُ اللَّهُ وَاللَّهُ مِنْ عَلَى اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللللْمُعَلِي الللّهُ اللللْمُولِقُلِمُ الللّهُ اللَّهُ الللْ

وقد أشار القرآن إلى منجزات الحضارات السابقة مع توجيه النظر إلى أهمية العقيدة الصحيحة بالنسبة إلى صرح الحضارة، فهي أساسها الراسخ العميق، وهي التي تحقق التوازن والتآزر في

داخل الحضارة بين النمو النفسي الأخلاقي الاجتاعي والبناء المادي، وبين الفرد والجماعة والدولة، فإذا ضعف الأساس العقيدي المعنوي للحضارة اختل صرحها وتداعى بنيانها:

« كَذَّتْ عَادُّ

الْمُرْسَلِينَ ﴿ إِذْ قَالَ هُمُ أَخُوهُمْ هُودُ أَلَا نَتَقُونَ ﴿ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ ولَا لَا اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَالّ

« كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿ إِذْ قَالَ لَمُّمُ اللَّهِ إِذْ قَالَ لَمُّمُ اللَّهُ الْمُعْلَمُ اللَّهُ الْمُؤْمِدُ صَالِحُ أَلَا لَتَقُونَ أَتُتُر كُونَ فِي مَاهَلُهُنَا أَخُوهُمْ صَالِحُ أَلَا لَتَقُونَ أَتُتُر كُونَ فِي مَاهَلُهُنَا عَامِنِينَ ﴿ وَاللَّهُ عَلَيْهِ وَعُمُونٍ ﴿ وَهُو وَكُمْ لِل عَلَمُ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهِ وَوُرُدُوعٍ وَتَحْلِل عَلَيْهِ اللَّهِ وَوُرُدُوعٍ وَتَحْلِل عَلَيْهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّلَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ ا

« وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَلِحًا قَالَ يَلْقُومِ آعَبُدُواْ اللّهَ مَالَكُمْ
مِنْ إِلَهِ غَيْرَهُ
مِنْ إِلَهِ غَيْرَهُ
إِذْ جَعَلَكُمْ خُلُفَآءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ
عَلَيْ ذُونَ مِن سُهُو لِمَا تُعْمُورًا وَتَغِيدُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا
فَاذْ كُرُواْ ءَالاَءَ اللّهِ وَلَا تَعْمُواْ فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ »
فَاذْ كُرُواْ ءَالاَءَ اللّهِ وَلَا تَعْمُواْ فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ »

« وَ إِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمُ مَ اللَّهُ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَاهِ غَيْرُهُ اللَّهُ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَاهٍ غَيْرُهُ

قَدْ جَاءَتُكُم بَيْنَةٌ مِن رَبِّكُمْ فَأُوفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلا تَبْخُسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَاءَ هُمْ وَلا تُفْسدُواْ في ٱلْأَرْض يَعْدَ إِصْلَحْهًا ذَالكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمنينَ ١١٥ وَلَا تَقَعُدُواْ بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهُ مَنْ عَامَنَ به ، وَتَبْغُونَهَا عَوْجًا وَأَذْ كُرُواْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَنَّرُكُمْ وَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَلَقَبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ---* قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكُبُرُواْ

من قَوْمه ع لَنُخْرِجَنَّكَ يَلْشَعَيْبُ وَالَّذِينَ عَامَنُواْ مَعَكَ من وَرِيتنا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتنَّ »

(الأعراف: ٨٥ ـ ٨٨)

« وَنَادَىٰ فَرْعَوْنُ

في قَوْمِهِ عَ قَالَ يَنَقُوم أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مَصْرَ وَهَلَاه ٱلْأَنْهَارُ

تَجْرِي مِن تَحْتَى أَفَلا تُبْصِرُونَ ﴿ إِنَّ

فَاسْتَخَفَّ قَوْمُهُ وَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَلسقينَ

ِ فَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَشَكَّا لِلْآخِرِينَ » (الزخرف: ٥١ ـ ٥٦)

« لَقَدْ كَانَ لِسَبَا فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّانِ عَن يَمِينِ وَشِمَالُ كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُواْ لَهُ بَلَدَةٌ عَن يَمِينِ وَشِمَالُ كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُواْ لَهُ بَلَدَةٌ طَيْبَةٌ وَرَبُّ غَفُودٌ فِي فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلَنَا عَلَيْبِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ فَلَيْبَهُمْ مِسَاكَفُودَ فِي وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ وَهَلَ ثُجَنزِى إِلَّا الْكُفُودَ فِي وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُورِي اللَّهِ بَيْنَ اللَّهُ مَا لَيْقِي اللَّهُ السَيْرُواْ فِيهَا لَيْالًا فَيهَا قُرَى ظَلَهِرَةً وَقَدَّرُنَا فِيهَا السَيرُ اللَّهُ مَا لَيْنَ اللَّهُ مَا أَيْلُ مَا عَامِنِينَ فَي فَقَالُواْ رَبَّنَا بَلِعِدْ بَيْنَ اللَّهُ مُؤْوِدً اللَّهُ اللَّهُ مَا أَعْدِينَ وَمَنَّ قَنْلَهُمْ أَحَادِيثَ وَمَنَّ قَنْلَهُمْ أَعْدِينَ فَيْكُودِ » أَلْكُ كُولِي لَكُلُ صَبَّادٍ شَكُودٍ » كُلُّ مُمَرَّقَ إِنَّ فِي ذَالِكَ لَا يَئِتِ لِكُلِ صَبَّادٍ شَكُودٍ » كُلُّ مُمَرَّقٍ إِنَّ فِي ذَالِكَ لَا يَئِتِ لِكُلِ صَبَّادٍ شَكُودٍ » كُلِّ مُمَرَّقٍ إِنَّ فِي ذَالِكَ لَا يَئِتِ لِكُلِ صَبَّادٍ شَكُودٍ » كُلُ مُمَرَّقٍ إِنَّ فِي ذَالِكَ لَا يَئِتِ لِكُلِ صَبَّادٍ شَكُودٍ »

ويضع القرآن قاعدة الازدهار المعنوي والمادي للحضارة وللعبارة:

(سبأ: ١٥ _ ١٩)

« وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ عَامَنُواْ وَا تَقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكُنْتِ مِّنَ السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ وَلَنكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ » (الأعراف: ٩٦) وهو ينذر كل دولة قائمة أو حضارة ناهضة مغبة الانحراف وسوء عاقبة الفساد:

« أُولَمْ يَهُدِ لِلَّذِينَ يَرِ ثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْنَشَآءُ أَصَبْنَلُهُم بِذُنُو بِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ » (الأعراف: ١٠٠)

والمؤمنون مطالبون بعمارة الأرض ورفع بناء حضارتهم على هدي عقيدتهم وتعاليم دينهم. وهكذا أقام داود وسليان عليهما السلام ملكا وحضارة على أساس عقيدة التوحيد وأخلاق أهل الإيمان:

« وَأَذْ كُرْ عَبْدَنَا دَاوُردَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ وَأُوابَ وَشَدَدْنَا مُلْكُمُ وَ وَاتَدْنَا الْحِكَمَةَ وَفَصْلَ الْحِطَابِ » مُلْكُمُ وَ وَاتَدْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْحُطَابِ »

(ص: ۱۷ _ ۲۰)

« يَلْدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ فَأَحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا نَتَّبِعِ ٱلْمُوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱلَّذِينَ وَلَا نَتَبِعِ ٱلْمُوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَمُنَّم عَذَابٌ شَدِيدُ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ يَضِلُونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَمُنَم عَذَابٌ شَدِيدُ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ الْحَسَابِ » (ص: ٢٦)

« وَوَهَبْنَا لِدَاوُردَ سُلَيْمَنَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ وَأُوَّابُ قَالَ رَبِّ اَغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدِ مِّنْ بَعْدِي ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَابُ رَبِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدِ مِّنْ بَعْدِي ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَابُ رَبِي فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِ وَخَاتًا حَبْثُ أَصَابَ رَبِي وَالشَّينَطِينَ كُلَّ بَنَاءٍ وَغَوَّاصٍ » (ص: ٣٠-٣٧)

« وَلَقَدْ عَاتَدْنَا دَاوُددَ

وَسُلَيْمَنَ عِلَمَّا وَقَالاً آخَمَدُ لِلّهِ الّذِي فَضَلَنَا عَلَىٰ كَثِيرِ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ رَقِي وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدُ وَقَالَ مِنْ عَبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ رَقِي وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدُ وَقَالَ يَنَا عُمْ النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْ طِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءً إِنَّ هَلَذَا هُو آلْفَضْ لُ ٱلْمُبِينُ رَقِي وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ إِنَّ هَلَذَا هُو آلْفَضْ لُ ٱلْمُبِينُ رَقِي وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ ٱلْحِينِ وَآلْإِنِس وَالطَّيْرِ فَهُمْ مُ يُوزَعُونَ وَتَفَقَد الطَّيْرِ فَهُمْ مَ يُوزَعُونَ وَتَفَقَد الطَّيْرِ فَهُمْ مَ يُوزَعُونَ وَتَفَقَد الطَّيْرِ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْمُدِيدًا أَوْ لَأَاذُ بَعَنَا مَنَ مَنَ الْفَارِينِ رَقِي لَا أَرَى الْمُدَدُّ الْوَلاَأُولُو الْأَذْ بَعَنَا مُنَا مِنَ الْمُعْنَى بَيْنِ مَنْ كُنْ عَيْرَابُ شَدِيدًا أَوْ لَأَاذُ بَعَيْدٍ فَقَالَ اللّهُ لَا أَرَى الْمُدَدِدًا أَوْ لَأَاذُ بَعَيْدٍ فَقَالَ الْفَالِ مُبِينٍ رَقِي فَكَ عَيْرَابُعِيدٍ فَقَالَ أَوْلِكُا أَوْلَا الْمَالِ مُولِي مُنِينٍ وَلِي فَيَا اللّهُ الْمُعَيْرِ مُعِيدٍ فَقَالَ أَوْلَا أَوْلَا أَوْلَا أَوْلَا أَوْلَا الْمُعْلِى مُنِينٍ وَلِي اللّهِ الْمُؤْمِنِ مُعِيدٍ فَقَالَ اللّهُ الْمُعَالِ مُولِي اللّهُ الْمُعْلِى مُنْ عَيْرَابُهُ اللّهُ مِنْ اللّهُ الْمُؤْمِنِ مُنْ اللّهُ الْمُعَالِ مُنْ اللّهُ الْمُعْلِى اللّهُ الْمُؤْمِنَ اللّهُ الْمُعْلِى اللّهُ الْمُؤْمِنِ مُ اللّهُ عُلَى اللّهُ الْمُعْلِى اللّهُ الْمُؤْمِنِ مُؤْمِنِ اللّهُ الْمُعْلِى اللّهُ الْمُؤْمِنِ اللّهُ الْمُؤْمِنِ اللْمُؤْمِنَا اللّهُ اللّهُ الْمُؤْمِنِ اللّهُ الْمُؤْمِنِ اللّهُ الْمُؤْمِنِ اللّهُ الْمُؤْمِنِ اللّهُ اللّهُ الْمُؤْمِنِ اللّهُ اللّهُ الْمُؤْمِنِ اللّهُ الْمُؤْمِنِ الللهُ اللّهُ الْمُؤْمِنِ الللّهُ اللّهُ الْمُؤْمِنِ اللّهُ الْمُؤْمِنُ الللّهُ الْمُؤْمِنِ اللّهُ الْمُؤْمِنِ اللّهُ الْمُؤْمِنِ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الْمُؤْمِنُ اللّهُ الْمُؤْمِنِ الللّهُ الْمُؤْمِنِ اللْمُؤْمِنِ الللّهُ الْمُؤْمِنُونِ الللّهُ الْمُؤْمِنِ اللْمُؤْمِنِ الللْمُؤْمِنُ الللّ

أَحَطِتُ بِمَا لَرْ يُحَطُّ بِهِ ء وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإِ يَقِينِ ﴿ إِنَّ الْحَالَ اللَّهُ ا إِنِّي وَجَدتُ أَمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَمَا عَرْشُ عَظِيمٌ ﴿ وَجَدَّتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ من دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَانُ أَعْمَالُهُمْ فَصَدَّهُمْ عَن ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْ تَدُونَ ﴿ اللَّهِ مِن اللَّهُ مِن اللَّهُ مِن اللَّهُ مِن اللَّهُ مِن اللَّهُ مَا اللَّهُ مِن اللّهُ مِن اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ مِن اللَّهُ مِن اللَّهُ مِن اللَّهُ مِن اللَّهُ مِن قَالَ يَنَأَيُّكَ ٱلْمَلَوُّا أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسَلِمِينَ ﴿ مَا عَفْرِيتُ مِّنَ ٱلْحِينَ أَنَا عَاتِيكَ بِهِ عَ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۗ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللّ قَالَ ٱلَّذِي عِندُهُ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَلِبِ أَنَا عَاتِيكَ بِهِ عِنْمَ لَلَّهِ عَلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَلِبِ أَنَا عَاتِيكَ بِهِ عَلَّمُ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكُ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًا عِندَهُ وَقَالَ هَنذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُونِي وَأَشْكُرُأُمْ أَكُفُرُ وَمَن شَكَّرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لَنَفْسه ۽ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كُرِيمٌ نَنْيَ قَالَ نَكُّرُواْ لَمَا عَرْشَهَا نَنظُراً أَتَهْتَدَى آمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْ تَدُونَ ... قِيلَ لَمُا آدْخُلِي ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتُهُ حَسِبَتُهُ

جُحَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَ ۚ قَالَ إِنَّهُ صَرِّتٌ مُّمَرَدٌ مِّن قَوَارِيرٌ قَالَتُ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأُسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَلَمِينَ » (النمل: ١٥ ـ ٤٤)

ولقد جاءت رسالات الله إلى التجمعات الحضرية العامرة في الفرى:

أُولَمْ يَهْدِ اللّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَوْ نَشَآءُ أَصَبْنَاهُم بِذُنُو بِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ فِي تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ فِي تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصْ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَابِهَا وَلَقَدْ جَآءَتُهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِنَاتِ فَى

عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَنْفِرِينَ »

(الأعراف: ٩٦ - ١٠١)

كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلٌ كَذَالِكَ يَطْبُعُ ٱللَّهُ

« فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ

مِن قَبْلِكُمْ أَوْلُواْ بَقِبَّهُ مَنْ أَوْلُواْ بَقِبَّهُ مَنْ أَوْلُواْ بَقِبَهُ مَا أَنْ فَا اللّهُ وَاللّهُ وَالّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّه

(هود: ۱۱۱ ـ ۱۲۱)

وتشيع آيات القرآن في النفس والفكر وعيا بوجوب الانتقال من البداوة إلى الحضارة والعمل على نشر العمران، ولقد كان أبو ذر الغفارى رضي الله عنه بعد أن خرج إلى الربذة يتردد على المدينة مخافة أن يغدو أعرابيا ويستغرقه التبدي. وقد كتب العلامة ابن خلدون (المتوفى سنة ٨٠٨ هـ/١٠٤٦م) في مقدمته الرائعة بفصلها الأول عن «العمران البشري» : «إن الاجتاع الإنساني ضروري، ويعبر الحكاء عن هذا بقولهم: الإنسان مدني بالطبع، أي لابد له من

الاجتماع الذي هو المدينة في اصطلاحهم، وهو معنى العمران. وبيانه أن الله سبحانه خلق الإنسان وركبه على صورة لا يصح حياتها وبقاؤها إلا بالغذاء، وهداه إلى التاسه بفطرته وبما ركب فيه من القدرة على تحصيله، إلا أن فدرة الواحد من البسر قاصرة عن تحصيل حاجته من ذلك الغذاء... ولو فرضنا منه أفل ما يمكن فرضه وهو قوت يوم من الحنطة متلا فلا يحصل إلا بعلاج كنير من الطحين والعجن والطبخ، وكل واحد من هذه الأعمال النلانة يحتاج إلى مواعين وآلات لا تتم إلا بصناعات متعددة. وهب أن يأكله حبا من غير علاج، فهو أيضا يحتاج إلى أعمال أخرى من الزراعة والحصاد والدراس، ويحتاج كل واحد من هذه إلى آلات متعددة وصنائع كنيرة... فلابد من اجتاع القدرات الكثيرة من أبناء جنسه، ليحصل الفوب له ولهم، فيحصل بالتعاون قدر الكفاية من الحاجة لأكتر منهم بأضعاف. وكذلك محتاج كل واحد منهم أيضا في الدفاع عن نفسه إلى الاستعانة بأبناء جنسه.... ولما كان العدوان طبيعيا في الحيوان جعل لكل منها عضوا يختص بمدافعة ما يصل إليه من عادية غيره، وجعل للإنسان عوضا عن ذلك كله الفكر واليد، فاليد مهيأة للصنائع بخدمة الفكر والصنائع تحصل له الآلات التي تنوب له عن الجوارح المعدة في سائر الحيوانات للدفاع... وإذا كان التعاون حصل له القوت للغذاء والسلاح للمدافعة، وتمت حكمة الله في بقائه وحفظ نوعه، فإذن هذا الاجتماع ضروري للنوع الإنساني، وإلا لم يكمل وجودهم وما أراده الله من اعتمار العالم بهم واستخلافه إياهم، وهذا هو معنى العمران...». ومضى ابن خلدون في الفصل الثانبي عن العمران البدوي إلى القول: «إن اختلاف الأجيال في أحوالهم إنما هو اختلاف نحلتهم من المعاش، فإن اجتاعهم إنما هو للتعاون على تحصيله، والابتداء بما هو ضرورى منه وبسيط قبل الحاجي والكالي، فمنهم من يستعمل الفلح من الغراسة والزراعة، ومنهم من ينتحل الفيام على الحيوان من الغنم والبقر والمعز والنحل والدود لنتاجها... وكان حينئذ اجتاعهم وتعاونهم في حاجتهم ومعاشهم وعمرانهم من القوت والسكن والدف، إنما هو بالمقدار الذي يحفظ الحياة. ويحصل بلغة العيش من غير مزيد عليه للعجز عها وراء ذلك. مم إذا اتسعت أحوال هؤلاء المنتحلين للمعاس، وحصل لهم ما فوق الحاجة من الغني والرفه، دعاهم ذلك إلى السكون والدعة، وتعاونوا في الزائد على الضرورة، واستكثروا من الأقوات والملابس والتأنق فيها وتوسعة البيوت واختطاط المدن والأمصار للتحضر.

ثم تزيد أحوال الرفه والدعة، فتجي مدائد الترف البالغة مبالغها في التأنق في علاج

القوت واستجادة المطابخ وانتقاء الملابس الفاخرة ومعالاة البيوت والصروح وإحكام وضعها في تنجيدها والانتهاء في الصنائع... وهؤلاء هم الحضر، ومعناه الحاضرون أهل الأمصار والبلدان، ومن هؤلاء من ينتحل في معاشه الصنائع، ومنهم من ينتحل التجارة، وتكون مكاسبهم أنمى وأرفه من أهل البدو، لأن أحوالهم زائدة على الضروري، ومعاشهم على نسبة وجدهم... (مقدمة ابن خلدون ـ دار البيان ببيروت ـ ص: ٤١ ـ ٣٤، ١٢٠ ـ ١٢١).

والحق أن الله أمر المؤمن بطلب الرزق في أرجاء الأرض وابتغاء فضل الله ونعمه، يحب أن يرى أنر نعمته على عبده، فهذا من التحدت بها كما أمر القرآن:

وفي حديث رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام: «إن الله يحب أن يرى أتر نعمته على عبده».

والإيمان يحقق الاتزان والتوازن في إنساعة نعم الله، بحيث يتوقى المؤمن الكبر والبطر والتجبر في الوقت نفسه:

« وَٱبْتَغِ فِيمَا ءَاتَلْكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكُ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي ٱلْأَرْضُ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُ ٱلْمُفْسِدِينَ » الْفُسَادَ فِي ٱلْأَرْضُ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُ ٱلْمُفْسِدِينَ »

(القصص: ۷۷)

وقد حذر القرآن من تجاوز الحد المحمود من تحقيق يسر الحياة وعهارة الأرض إلى الترف المذموم الذي يدمر حيوية الفرد وإيجابيته، ويستغرقه في شهواته وأهوائه ذاته، كما يخل التوازن والعدل في المجتمع، إذ إن الإسراف في الحظوظ الفردية الذاتية هو افتئاب على ما يجب للآخرين وللجهاعة ككل:

« وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَرْ يُسۡرِفُواْ وَلَرْ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَلِكَ قَوَامًا »

(الفرقان: ٦٧)

« وَلَا تُبَدِّرُ اللَّهِ إِنَّ ٱلْمُبَدِّرِينَ كَانُواْ إِخُوانَ ٱلشَّيْطِينِ وَكَانَ تَبَدِيرًا رَبِي إِنَّ ٱلْمُبَدِّرِينَ كَانُواْ إِخُوانَ ٱلشَّيْطِينِ وَكَانَ ٱلشَّيْطِينِ وَكَانَ الشَّيْطِينِ وَكَانَ المُبَدِّرِينَ كَانُواْ إِنِّهُ عَلَيْنِ وَكَانَ الشَّيْطِينِ وَكَانَ الشَّالِينِ وَكَانَ الشَّيْطِينِ وَكَانَ الشَّعْطِينِ وَكَانَ الشَّيْطِينِ وَكَانَ الشَّيْطِينِ وَكَانَ الشَّيْطِينِ وَكَانَ الشَّالِقُونَ الشَّيْطِينِ وَكَانَ الشَّيْطِينِ وَكَانَ الشَّيْطِينِ وَكَانَ الشَّيْطِينِ وَكَانَ الشَّيْطِينَ وَكَانَ الشَّيْطِينِ وَكَانَ الْعَلَيْلِينِ وَكِيلِينِ وَكَانَ الشَّيْطِينِ وَكَانَ الشَيْطِينِ وَكَانَ الشَّيْطِينِ وَكَانَ الشَائِقُونَ الشَائِقُونَ الشَّيْطِينِ وَكَانَ الشَائِقُونَ الشَّائِقُونَ الشَائِقُونَ الشَائِقُ السَائِقُونَ السَائِلُ السَائِقُونَ السَائِقُونَ السَائِقُونَ السَائِقُونَ السَائِقُونَ

وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِنَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطُهَا كُلَّ الْمِسْطِهَا كُلَّ الْمِسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا تَّعْسُورًا رَبِي إِنَّ رَبِّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ عَنِيرًا بَصِيرًا بَصِيرًا ».

(الإسراء: ٢٦ - ٣٠)

« وَإِذَآ أَرَدُنَآ أَن تُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتَرُفِيهَا فَضَفُواْ فِيهَا فَكَمَّ نَلَهَا تَدْمِيرًا » فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّ نَلَهَا تَدْمِيرًا » (الإسراء: ١٦)

« وَآتَبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآأَتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ » (هود: ١١٦)

" لَا تَرْكُضُواْ وَارْجِعُواْ إِلَى مَا أَثْرِ فَتُمْ فِيهِ وَمَسَكِيْكُرْ لَعَلَّكُرْ تُسْعُلُونَ ﴿ قَالُواْ يَنُو يُلَنَا إِنَّا كُمَّا فَلْلِمِينَ ﴿ فَيْ فَكَ زَالَت تِلْكَ دَعُولُهُمْ حَتَىٰ جَعَلْنَلُهُمْ خَطِيدِينَ ﴿ فَيْ فَكَ زَالَت تِلْكَ دَعُولُهُمْ حَتَىٰ جَعَلْنَلُهُمْ حَصِيدًا خَلِمِدِينَ » (الأنبياء ١٣ - ١٥)

« وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِن

نَّذِيرِ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ عَكَيْرُونَ ﴿ وَالْكُورُ الْمُولُلُ وَأَوْلُلُدُا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿ وَالْكِنَّ وَقَالُواْ نَحْنُ أَكُورُ الْمُولُكُورُ وَلَكِنَّ فَعُلَمُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرُ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴿ وَمَا أَمُولُكُو وَلاَ أَعْرَلُكُمْ وَلَكُمْ وَلَكُمْ الْمُؤْلُدُكُمْ بِاللَّي تُعَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْنَى إِلّا مَنْ عَامَنَ وَعَمِلَ أَوْلَكُمْ مِنَا أَوْلَكُمْ وَلَكُمْ مَنْ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ الْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُنَا اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْلِقُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْلِقُولُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْلِقُولُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْلِقُ اللَّهُ الْمُؤْلِقُ اللَّهُ الْمُؤْلِ اللَّهُ الْمُؤْلِقُ الْمُؤْلِقُ الْمُؤْلِقُ اللَّهُ الْمُؤْلُولُ اللَّهُ الْمُؤْلِقُ اللَّهُ الْمُؤْلِقُ الْمُؤَلِّ الْمُؤْلِقُ

وَمَا أَنْفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُو يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّزِقِينَ »

(سبأ: ٣٤ _ ٣٩)

وقد عرضت سورة الكهف صورة بليغة معبرة للفارق بين المؤمن الذي وفقه الله لعبارة الأرض، واستثبار المال، وآتاه من نعمته، فلم يبخل عن نعمة الله، ولم يبطر في الوقت نفسه، وصورة الكافر الذي أوتي مالا وولدا وطغى أن رآه استغنى:

> « * وَأَضْرِبْ لَمُهُمْ مَّثَكُرُ رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأُحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَلِب وَحَفَفْنَاهُمَا بِغَلْلِ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿ يَكُنَّ كِلْتَا ٱلْحَنَّتَيْنِ وَاتَتْ أَكُلُهَا وَلَرْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خَلَالُهُمَا نَهَرًا ﴿ وَكَانَ لَهُ تَمَرُ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ عَوْهُوَ يُعَاوِرُهُ وَأَنَا أَكُثُرُ منكَ مَالًا وَأَعَنْ نَفَرُ اللَّهِ وَدَخَلَ جَنَّتُهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسه مِ قَالَ مَا أَظُنَّ أَن تَبِيدَ هَلَاهِ مَا أَبَدًا ﴿ وَمَا أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَا يَمَةً وَلَيِن رُّدِدتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبُ ٢٠٠٠ قَالَ لَهُ وصَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ وَأَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ من تُرَابِ ثُمَّ مِن نَّطْفَةِ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿ لَكِنَّا هُوَ ٱللَّهُ ۗ رَبِّي وَلَآ أَشْرِكُ بِرَبِّيٓ أُحَدًا ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ

قُلْتَ مَاشَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ إِن تَرَن أَنَا أَقَلَ منكَ مَالًا وَوَلَدُا ﴿ فَي فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤْتِينِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلُ عَلَيْهَا حُسَبَانًا مَنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا نِينَ أَوْ يُصِبِحَ مَآوُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ وَطَلَبُ اللهِ وَأَحِيطَ بِثُمَرِهِ عَ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فيهَا وَهِيَ خَاوِيَةً عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَلْيَتَنِي لَرَّ أَشْرِكُ بِرَتِيّ أَحَدًا ﴿ وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿ إِنَّ هُنَا لِكَ ٱلْوَلَنيَةُ لِلَّهَ ٱلْحَقُّ هُوَخَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿ وَأَضْرِبْ لَمُهُ مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كُمَآءٍ أَزَلْنَكُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَآخُتَلَطَ بِهِ عَنَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيكُم وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدرًا وفي المَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَوة الدُّنْيَا وَالْبَقِينَتُ ٱلصَّالَحَاتُ خَيْرُعندَ رَبِّكَ ثُوابًا وَخَيْرُ أَمَلًا »

(الكهف: ٣٢ _ ٤٦).

وكما يبين القرآن الفارق والفاصل بين عارة الأرض وما قد ينزلق إليه المرء من إسراف

وترف وكبر وبطر، ويقيم ميزان الحق في هذا الأمر، فإنه يحجز المؤمنين خلال عهارتهم للأرض وسعيهم للتمكن فيها عن الانزلاق إلى العلو في الأرض والفساد، وهما ما يتوقاه المؤمن صحيح الإيمان:

« تِلْكَ

ٱلدَّارُ ٱلْآنِحَةُ أَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوَّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَصَةِ اللَّهُ لِلْمُتَّقِينَ » (القصص: ٨٣)

ومن صور الفساد ما يكون ماديا كإهلاك الحرث والنسل، ومنه ما يكون معنويا كنشر البغضاء والخصام وقطع العلاقات الاجتاعية.

والقرآن يبرز صورة هؤلاء وهؤلاء:

« وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخُصَامِ ﴿ وَ إِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَالنَّسْلُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿ فَيْهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثُ وَالنَّسْلُ وَاللَّهُ الْعَرْقُ وَالنَّسْلُ لَهُ ٱتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتُهُ ٱلْعِزَّةُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿ فَيْهُ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتُهُ ٱلْعِزَّةُ الْعِزَّةُ لِللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ الْعَلَىٰ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْعَلَىٰ اللَّهُ اللَّهُ الْعَلَىٰ اللَّهُ اللَّهُ الْعَلَىٰ اللَّهُ اللَّلْمُ الللْمُونَ الْمُؤْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللْمُونَ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللللللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللللللّهُ الللللللللّهُ اللللللللللّهُ الل

« وَمَا يُضِلُّ بِهِ يَ إِلَّا ٱلْفَاسِقِينَ شَيْ الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِن بَعْدِ مِيشَنقِهِ ع وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِ يَ أَن يُوصَلَّ مِن بَعْدِ مِيشَنقِهِ ع وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِ يَ أَن يُوصَلَّ وَيُفْسِدُونَ » وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ أَوْلَتَ إِلَى هُمُ ٱلْخُلْسِرُونَ » ويُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ أَوْلَتَ إِلَى هُمُ ٱلْخُلْسِرُونَ » (البقرة ٢٦ - ٢٧)

والكفر ذروة العلو البغي والفساد في الأرض والكبر والبطر والإسراف:

« وَجَحَدُواْ بِهَا وَاسْتَيْقَنَهُمَا أَنفُسُهُمْ ظُلْبُ وَعُلُوًا فَٱنظُر كَيْفَ كَانَ عَلَقِهَ ٱلْمُفْسِدِينَ » (النمل: ١٤)

« مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِبُ مِن ٱلْمُسْرِفِينَ » (الدخان: ٣١)

ولطالما نهى رسل الله عليهم السلام عن الفساد في الأرض:

« وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَحِهَا » (الأعراف: ٥٦)

« وَلَا تَعْثُواْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ »

(الأعراف: ٧٤)، وانظر أيضا الشعراء (١٥١ - ١٥٢)

« وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّحًا إِنَّكَ لَن تَحْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلِحْبَالَ طُولًا » (الإسراء: ٣٧)

وقد أخبر القرآن أن التمكين في الأرض وإحراز الثروة والسطوة قد يجر إلى الغرور والكبرياء والبطر:

« أَلَدُّ يَرُواْ كُرُّ

أَهْلَكُنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنِ مَكَنَّلُهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مَالَمْ نُمُكِّنِ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَاراً وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهُرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكُنَلُهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا عَاخَرِينَ » (الأنعام: ٦)

« وَلَقَدْ مَكَنَّدُهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّدُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا

وَأَبْصَلُوا وَأَقْتِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَلُوهُمْ وَلَا أَنْصَالُوهُمْ وَلَا أَفْتِ وَخَاقَ أَفْتِ مَنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُواْ يَجْحَدُونَ بِعَايَلْتِ آللَّهِ وَحَاقَ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُواْ يَجْحَدُونَ بِعَايَلْتِ آللَّهِ وَحَاقَ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُواْ يَهِ عِيمَةً وَفَا " (الأحفاف: ٢٦)

والمؤمنون مدعون لابتغاء الرزق وعبارة الأرض والسعي للتمكن فيها على توفي الانحراف والزيغ والزلل والضلال، وفد وعد الله المؤمنين بذلك ما آمنوا واتقوا:

« وَلَوْأَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰ عَامَنُواْ وَٱتَّقُواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكُلْتِ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ » (الأعراف: ٩٦)

> « وَأَلِّوِ ٱسْتَقَدْمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّا اَعَ عَدَقُا شَيْ لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ عِيسُلُكُهُ عَذَابًا صَعَدًا »

(الجن: ١٦ _ ١٧)

« وَنُرِيدُ أَن تَمُنَ عَلَى الَّذِينَ اَسْتُضْعِفُواْ فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَيِّهَ وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (١٥) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ » (النصص: ٥-١) « أُولَرَ ثُمَكِن لَّهُمْ مَ عَلَيْ مُكَا اللّهِ عَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِن لَّدُنَّا وَلَكِنَ أَكْرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ » (القصص: ٥٧)

« وَاذْ كُووَاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَعَاوَلَكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ عَ وَرَزَقَكُمْ مِّنَ ٱلطَّيِّبُاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » (الأنفال: ٢٦)

وقد حذر القرآن من الانقياد للذل والهوان تحذيره من الانزلاق إلى النرف والكبر والتجبر:

« وَمَا لَكُمْ لَا تُقَايَلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَآءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَالُهُ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهُ اللّهِ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللهُ اللّهُ الللهُ الللّهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ اللّهُ الللهُ الللهُ اللّهُ الللهُ اللّهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ اللّهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ الللهُ اللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ اللهُ الللهُ اللهُ الللهُ الللهُ الللهُ اللللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ اللهُ الللهُ اللهُ اللهُ الللهُ الللهُ اللهُ اللّهُ

« إِنَّ الَّذِينَ تَوَقَّلُهُمُ الْمُكَنِيكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِمِ مَ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمُ قَالُواْ كُمَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُواْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَالسِعَةُ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُولَنَبِكَ مَأْوَلُهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتُ مَصِيرًا ﴿ وَالنِّسَآءِ مَصِيرًا ﴿ وَالنِّسَآءِ وَالْوَلَدُانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْنَدُونَ سَبِيلًا ﴿ وَالنِّسَآءِ وَالْوَلَدُانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْنَدُونَ سَبِيلًا ﴿ وَالنَّسَاءَ وَالْوَلَدُانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْنَدُونَ سَبِيلًا ﴿ وَالنَّسَاءَ وَالْوَلَذَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْنَدُونَ سَبِيلًا ﴿ وَالنَّسَاءَ وَالنَّسَاءَ وَالْوَلَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْنَادُونَ سَبِيلًا ﴿ وَالنَّسَاءَ وَالْوَلِيَ اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ ﴾ وَالنساء: ٩٠ ـ ١٩) فَأُولَيْكَ عَسَى اللّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ ﴾ (النساء: ٩٠ ـ ١٩)

ومقاومة التجبر والظلم والإذلال دفع للفساد في الأرض ولفتنة البسر، وإعلاء لكلمة الله الذي يريد الإنسان حرا كريما:

« وَلَوْلَا دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم سِبَعْضِ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى البقرة: ٢٥١)

« وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضِ لَمُّدِمَتْ صَوَّمِعُ وَبِيَتٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْ كُرُ فِيهَا اللَّهُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيْنَصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَ إِنَّ اللَّهَ لَقُوِيٌّ عَزِيزٌ » وَلَيْنَصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَ إِنَّ اللَّهَ لَقُويٌ عَزِيزٌ » « وَقَانِلُوهُمْ حَتَىٰ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ آنتَهُواْ فَلَا عُدُواْنَ لَا تَكُونَ فِيْنَنَهُ وَ يَسَكُونَ آلدِينُ لِلَّهِ فَإِنِ آنتَهُواْ فَلَا عُدُواْنَ لِلَّا عَلَى ٱلظَّالِمِينَ » (البعرة: ١٩٣)

« وَإِنْمَاجُ أَهْلِهِ عَمِنْهُ أَحْتَبُرُ عِنْدَ اللّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّ وَكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَلْعُواْ »

(البقرة: ٢١٧)

والمؤمنون منهيون عن الفساد والاستعلاء في الأرض بغير الحق، ومطالبون بالسعى الحاد الدؤوب للتمكن من الأرض، والتوصل إلى ترواتها، والتحكم فيها وفق أوامر الله وإعلاء كلمته فيها مع توقى الكبر والبغى:

« وَكَذَالِكَ مَكَّنَا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿ فَيْ وَلَأَجْرُ ٱلْأَخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَقُونَ » (يوسف: ٥٦ - ٥٧) « وَيَسْعُلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ وَيَسْعُلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتُلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكًا شَيْ إِنَّا مَكَا لَهُ فِي ٱلْأَرْضِ وَءَ اتَيْنَهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿ إِنَّى فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴾

(الكف: ٨٣ ـ ٨٥)

« قَالَ مَا مَكَّنِي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَــلَ بَيْنَكُرْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا » بَيْنَكُرْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا »

« وَعَدَ اللّهُ الّذِينَ عَامَنُواْ مِنكُرْ وَعَمِلُواْ الصَّلِحِدِ لَبَسْنَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَا اَسْتَخْلَفَ الّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمكِّنَ لَهُمْ دِينَهُمُ الّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيْبَدِّلَنَّهُم مِن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْعًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَالِكَ فَأُولَنَاكَ هُمُ الْفَلِيقُونَ » (النور: ٥٥)

« الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوْةَ وَءَا تَوُاْ

ٱلزَّكُوٰةَ وَأَمَرُواْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهُواْ عَنِ ٱلْمُنكِرِ وَلِلَّهِ عَلْقِبَةُ الْمُنكِرِ وَلِلَّهِ عَلْقِبَةُ الْأَمُودِ » (الحج: ٤١)

سادسا : القرآن ليس كتابا متخصصا في الظواهر الكونية، وهو يدعو إلى المشاهدة والاستقراء :

إن القرآن كتاب دين وعقيدة بصفة أساسية، وهو يعرض لبعض الظواهر الكونية في إجمال، ويربط ذلك بدعوته الدينية، ويوظفها للدلالة على الإله الواحد رب كل شيء، وعلى البعث بعد الموت. فالقرآن لا يستوعب ظواهر الكون، وليس كتابا متخصصا في موضوع هذه الظواهر، والذين يحاولون أن يحملوا آيات الكتاب المبين نتائج العلم الحديب، باعتساف في التأويل، وخروج على اللغة وعلى أسلوب القرآن، بدعوى الحاجة إلى تقديم القرآن بلغة العصر، ليكون قريبا محببا إلى الناس، وبمقوله أن الله ما فرط في الكتاب من شيم، وأنه أنزله تبيانا لكل شيء، لم يتعرفوا على حقيقة رسالة القرآن، ولا على طبيعة مهمة العلم، ولم يتبينوا الفارق بينهما وبين غايتهما ومنهجيهما. وإنما يتضمن الإسلام وكتابه منهجا عاما شاملا حقا ولكن في إجمال، وهو يعرض لظواهر الكون الكبرى في سياق عرض دعوته الأساسية إلى الإيمان بالله واليوم الآخر، وهو يعرضها بأسلوب يفهمه كل قارئ وسامع، لأنه نزل بلسان عربي مبين لا باصطلاحات العلم، ولا يخوض في التفاصيل والدقائق التي لا يلحظها بحواسه ويعفلها بذهنه الشخصي العادي الذي هو في مستوى عامة الناس من حيث الحس والذكاء والثقافة. ولكن هذا لا يعني أن القرآن خلو من لمحات علمية تاقبة يدركها المتدبرون، أو فيه توجيه منهجي علمي، بل الحقيقة هي كها أسلفنا، وآيات الكتاب المبين هي خير ما يعبر عن نهجه. والإسلام يترك لعقل الإنسان المجال بالنسبة لما هو في نطاق قدراته وطاقته، ويأتي لهداية الإنسان فيا يحتاج فيه إلى هداية الله. وإنما يعرض القرآن بعض ظواهر الكون استثارة لنشاط العقل واجتهاده، وربطا لظواهر الكون ببارئه ومبدعه الذي أتقن كل شيء صنعه، وأحسن كل شيءُ خلفه، دون أن يسد المنافذ على نشاط العقل بزحام من المعلومات والتقريرات والمقولات والمصادرات، ومن مم يأتي تركيز آيات القرآن على العقيدة في الخالق واليوم الآخر، لا على استيعاب الظواهر الكونية وإيراد تفصيلاتها ودفائقها:

« أَمَّنَ خَلَقَ

ٱلسَّمَانَ وَٱلْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَاءِ مَآمَ فَأَنْبَتْنَا بِهِ عَدَآيِقَ ذَاتَ بَهْجَةِ مَا كَانَ لَكُرْ أَن تُنْبِتُواْ شَجَرَهَا أَوْلَكُ مَّعَ اللَّهُ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدَلُونَ ١٠٠٠ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خَلَالَهَ ٓ أَنَّهُ لَرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَءِلَكُ مَعَ ٱللَّهُ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ١ أَمِّن يُجِبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشفُ ٱلسُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ ٱلْأَرْضُ أَءَكُ مُّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ١ أَمِّن يَهُدِيكُمْ فِي ظُلُكَتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيْحَ بُشِّرًا بَيْنَ يَدَى رَحْمَتِهِ ۚ أَعَلَنْهُ مَّعَ ٱللَّهُ تَعَلَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿ إِنَّ أَمَّن يَبْدُؤُا ٱلْخَلَقَ مُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُمُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضُ أَءِكَهُ مَّعَ ٱللَّهُ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُرْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿ مُن اللَّهِ مُل لَّا يَعْلَمُ مَن

فِي ٱلسَّمَنُوَّتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبَعَثُونَ رَقِي بَلِ آدَّ رَكَ عِلْمُهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ بَلْ هُمْ أَيْنَانَ يُبَعَثُونَ عَلَيْهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ »

(النمل: ٥٩ ـ ٢٦)

(الطور: ۲۵ _ ۳۷)

« أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ مُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ اللَّهُ الْخُلَلِقُونَ فَ الْأَرْضَ بَل الْخُلَلِقُونَ فَيْ أَمْ خَلَقُواْ السَّمَوَتِ وَالْأَرْضَ بَل لَا يُوقِنُونَ فَيْ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآ بِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيِّقِطِرُونَ » المُصَيِّقِطِرُونَ »

(المؤمنون: ۱۵ ـ ۹۱)

« وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَاءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَعِبِينَ ﴿ إِنَّ لُو أَرَدُنَآ أَنْ نَنْغَذَ لَمْوَا لَا تَخَذْنَهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَلِعِلِينَ ١٠٠ بَلِّ نَقَدْفُ بِٱلْحَتِّ عَلَى ٱلْبَيْطِلِ فَيَدْمَغُهُ وَ فَإِذَا هُوَ زَاهِ قُ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مَّ تَصِفُونَ ﴿ وَلَهُ مَن فِي ٱلسَّمَـٰ وَلَا أَرْضَ وَمَنْ عِندَهُ وَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ ٥ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ١٠٠ أم المَّخُذُواْ عَالَمُهُ مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿ إِنَّ لَوْكَانَ فِيهِمَآ وَالْحَةُ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتًا فَسُبْحَدْنَ ٱللَّهُ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّ يَصِفُونَ ٢٠٠ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمُّ هَاذَا ذَكُرُمُو. مَّعِيَ وَذَكُّرُ مَن قَبْلًى بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحُتَّقَ فَهُم مُعْرِضُونَ ﴿ إِنَّ اللَّهِ أُولَرْ يَرُ الَّذِينَ كَفَرُوٓا أَنَّ السَّمَاوَت وَالْأَرْضَ كَانَتَ رَتْقَا فَفَتَقْنَاهُمَّا وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيّ

أَفَلَا يُؤْمِنُونَ شِي وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَّسِي أَن تَمِيدَ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ شِي وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ شِي وَجُعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ عَنْ عَايَنَهَا وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا تَعَفُوظًا وَهُمْ عَنْ عَايَنَهَا وَالشَّمْسَ مُعْرِضُونَ شِي وَهُو الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْفَعَرُ فَيْ وَلَكِ يَسْبَحُونَ شِي وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرِ مِن وَالْفَعَرُ فَيْ وَلَكِ يَسْبَحُونَ شِي وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرِ مِن قَلْمُ الْخَلَلِدُونَ شِي كُلُّ نَفْسِ فَاللَّهُ مَا الْخَلِدُونَ شِي كُلُّ نَفْسِ فَاللَّهُ مَا الْخَلِدُونَ شِي كُلُّ نَفْسِ فَاللَّهُ مَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّيْ وَاللَّهُ وَاللَّوْقُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا لَكُولُكُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّالِمُ وَ

« وَاللَّهُ ٱلَّذِى أَرْسَلَ ٱلرِّيكَ فَتُثِيرُ سَعَابًا فَسُقْنَهُ إِلَى بَلَدِ مَّيْتِ فَتَثِيرُ سَعَابًا فَسُقْنَهُ إِلَى بَلَدِ مَّيْتِ فَتَثَيْرُ سَعَدَ مَوْتِهَا كَذَالِكَ ٱلنَّشُورُ » فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَالِكَ ٱلنَّشُورُ » فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَالِكَ ٱلنَّشُورُ » (فاطر: ٩)

« يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبِ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَ مُ مِنْ عَلَقَةٍ مُمَّ مِن فَإِنَّا خَلَقْنَ مُ مِن عَلَقَةٍ مُمَّ مِن عَلَقَةٍ مُمَّ مِن فَإِنَّا خَلَقْنَ مُ مِن عَلَقَةٍ مُمَّ مِن مُطَعَةٍ مُمَّ مِن عَلَقَةٍ مُمَّ مِن عَلَقَةٍ مُمَّ مِن مُن عَلَقَةٍ مُمَّ مِن مُن عَلَقَةٍ مُعَلِّمَ مِن عَلَقَةٍ مُعَلِّمُ مِن عَلَقَةٍ وَعَيْرِ مُعَلَقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُ فِي اللَّرْحَامِ مُن مُن مُن مُن اللَّهُ مِن اللَّهُ مُن اللَّهُ مَن اللَّهُ مُن اللَّهُ مُن اللَّهُ مُن اللَّهُ مِن اللَّهُ مِن اللَّهُ مُن اللَّهُ مِن اللَّهُ مِن اللَّهُ مُن الللّهُ مُن الللّهُ مُن اللّهُ مُن الللّهُ مُن اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ مُن اللّهُ مُن اللّهُ مُن اللّهُ مُن اللّهُ اللّهُ اللّهُ مُن اللّهُ م

مَا نَشَآهُ إِلَىٰ أَجَلِ مُسَمَّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِنَبْلُغُواْ أَشَدَّكُمْ وَمِنكُمْ مَن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ أَشَدَّكُمْ مَن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ أَشَدَّكُمْ مَن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ اللّهُ عُلِيدِ عِلْمِ شَبْعًا وَرَى الْأَرْضَ الْعُمُولِكَيْلَا يَعْلَمُ مِن بَعْدِ عِلْمِ شَبْعًا وَرَبَ وَأَنْبَتَ وَالْبَنَّ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَ عَلَيْهِا الْمَآءَ آهَ تَرَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَ وَالْبَتَ وَالْبَتَ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَ وَالْبَيْتُ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَ وَالْبَيْتُ مِن كُلِّ ذَوْجِ بَهِيجٍ فَي ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ هُو الْحَتَّ وَأَنْبَتَ وَالّهُ مُن وَاللّهُ هُو الْحَتَّ وَأَنّهُ وَاللّهُ مُن وَاللّهُ مَا اللّهُ يَعْمُ مَن فِي الْفَبُودِ » عَلَيْ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فِي وَأَنَّهُ اللّهُ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُودِ » عَلَيْ كُلِ مَنْ فِي الْقُبُودِ »

(الحج ٥ - ٧)

« وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا

وَنَسِي خَلْقَهُ وَال مَن يُعِي الْعِظْهُ وَهُو رَمِيهُ ﴿ وَهُ وَبِكُلِ خَلْقٍ وَهُ وَهُو بِكُلِ خَلْقٍ وَهُ وَهُو بِكُلِ خَلْقٍ عَلَيْمُ وَهُ وَهُ وَبِكُلِ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿ وَهُ وَبِكُلِ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿ وَهُ وَبِكُلِ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿ وَهُ اللَّهُ عَلَ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَّ

اَلْعَلِيمُ ﴿ اَلَّهُ إِنَّمَا أَمْرُهُ وَ إِذَا أَرَادَ شَيْعًا أَن يَقُولَ لَهُ وَكُن فَيكُونُ كُلِّ كُن فَيكُونُ كُلِّ فَسُبْحُن الَّذِي بِيدِهِ عَمَلَكُوتُ كُلِّ كُن فَيكُونُ ﴿ مَا كُوتُ كُلِّ مَنْ وَ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿ مَا كُونُ كُلِّ مَنْ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿ مَا اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّلَّا اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ

(یس : ۲۸ ـ ۸۳)

« فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿ خُلِقَ مِن مَّآءِ دَافِقِ ۞ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ ٱلصَّلْبِ وَٱلتَّرَآبِبِ ۞ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ عَلَى مَرْجَعِهِ عَلَى لَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآبِ ﴿ ﴾ لَقَادِرٌ ۞ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآبِ ﴾ (الطارق: ٥ - ٩)

« أَفْسِبْتُمُ أَمَّا

خَلَقْنَنَكُرْ عَبَثَا وَأَنَّكُرْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿ فَهُ فَتَعَلَى اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ المُكِنَّ اللهُ المُكَلِّ اللهُ الْمَلِكُ الْحَدِّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿ اللهِ إِلَنَهُ اللهِ إِلَنَهُا ءَانَحَ لَا بُرْهَانَ لَهُ إِلِهِ عَلَا لَكُمْ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَنَهُا ءَانَحَ لَا بُرْهَانَ لَهُ إِلِهِ عَلَا لَكُمْ اللهِ إِلَنَهُا ءَانَحَ لَا بُرْهَانَ لَهُ إِلِهِ عَلَا لَكُمْ اللهُ إِلَيْهَا ءَانَحَ لَا بُرْهَانَ لَهُ إِلِهِ عَلَا لَكُمْ اللهُ إِلَيْهُ اللهُ الل

(المؤمنون: ١١٥ ــ ١١٧)

ولا يفتأ القرآن يدعو حواس الإنسان إلى مشاهدة الظواهر الكونية مباشرة، ويؤكد أن هذه الحواس هي الموكلة باستقراء هذه الظواهر دون اعتاد على نقل مسبق أو تخمين، وأن على العقل

وحده أن يستخلص من هذه المشاهدات نتائجها، سواء في ذلك ظواهر السهاء والـكواكب والنجوم، أوظواهر الأرض بما عليها من جبال وأنهار وبحار، وما يهب عليها من رياح وينزل من أمطار، وما يعيش عليها من نبات وحيوان وإنسان:

« أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ » (الأعراف: ١٨٥)

« أَفَلُمْ يَنظُرُوۤا اللّهُ مَاء فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَهَا وَمَا لَحَامِن اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ ا

« أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِيلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ مِلْكَفَ خُلِقَتْ ﴿ وَإِلَى ٱللَّهُ مَا وَكِنْ كُيفَ وَإِلَى ٱللَّهُ مَا وَكُنْ كُيفَ وَإِلَى ٱللَّهُ مَا اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَا اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَا اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّا اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّالِمُ اللَّهُ مِنْ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ مِنْ اللَّهُ مِنْ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّلَّ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّا مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ الللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُو

نُصِبَتْ شَ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ شَى فَلَا كِرْ إِنَّمَ أَنتَ مُذَكِّرٌ » (الغانسية: ١٧ ـ ٢٠)

ويوجه القرآن النظر إلى دراسة الظواهر الحالية المستمرة والمتغيرة، وإلى التعرف على ما كان من ظواهر ماضية وتتبع أطوار الخلق ومراحله:

« قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْحَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشَأَةَ ٱلْاَخِرَةَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » (العنكبون: ٢٠)

« هَلَ أَنَّىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْ ِ لَرَّ يَكُن شَيْعًا مَّذَكُورًا شَيْعًا مَّذَكُورًا شَي إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ مَذْكُورًا شَي إِنَّا هَدَيْنَكُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا فَحَالَئَكُ سَمِيعًا بَصِيرًا شِي إِنَّا هَدَيْنَكُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا فَعَلَّنَكُ شَمِيعًا بَصِيرًا شِي إِنَّا هَدَيْنَكُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَ إِمَّا كَفُورًا » (الإنسان ١-٣)

« وَلَقَدْ خَلَقْنَ ٱلْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِن طِينِ (اللَّهُ مُعَلِّنَهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينِ » مِن طِينِ (المؤمنون: ١٢ - ١٣)

(السجدة: ٧ _ ٩)

وقد دعا القرآن إلى تأمل الظواهر الاجتاعية مثل الظواهر الكونية سواء بسواء وقرنها بها أحيانا، وأشار إلى أن لها سننا ونواميس نحكمها مئل ما للكون المادي:

« قُلِ ٱللَّهُمَّ مَلِكَ ٱلْمُلْكِ تُوَيِّ ٱلْمُلْكَ عُلَنَ الْمُلْكِ الْمُلْكِ الْمُلْكِ الْمُلْكِ الْمُلْكَ عَلَنَ اللَّهُمَّ وَالْعِزْ مَن اللَّهَ وَالْفِلْكَ وَالْفِلْكَ مِمْن اللَّهَ الْمُلْكَ عَلَى كُلِّ شَيْء قَدِيرٌ (إِنَّ مَن اللَّهَ اللَّهُ اللَّلَّةُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّلْمُ اللَّلْمُ اللَّهُ اللللْمُلْمُ اللللْمُ اللَّ

« أُوَلَرْ يَتَفَكَّرُواْ فِي أَنْفُسِهِم مَّاخَلَقَ اللهُ اللهُ

« أَنزَلَ مِنَ

السَّمَآءِ مَآءَ فَسَالَتُ أُودِيةُ بِقَدَرِهَا فَآحَتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيَا وَمِمَّا مُونِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ آبِنِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَنِع زَبَدُ رَابِيا وَمِمَّا يُوفِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ آبِنِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَنِع زَبَدُ مِنْ لُهُ وَكَالِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَلْطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ وَيَشْلُهُ مَنْ فَا اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَلْطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ وَيَشْرِبُ اللَّهُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ فَيَدَهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ

(الرعد: ۱۷)

« فَهَلْ يَسْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأُولِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَعْوِيلًا ﴿ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَعْوِيلًا ﴿ أَوَلَرْ يَسِيرُواْ تَبْدِيلًا ﴿ أَوَلَرْ يَسِيرُواْ

فِي ٱلْأَرْضِ فَبَنظُرُواْ كَبْفَ كَانَ عَدْقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُواْ أَشَدُ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزُهُ مِن شَيْء وَكَانُواْ أَشَدُ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ آللَهُ لِيعْجِزُهُ مِن شَيْء فِي السَّمَواتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيماً قَدِيراً ﴿ فَي السَّمَواتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ وَكَانَ عَلِيماً قَدِيراً ﴿ فَي السَّمَا وَلَا مِنَ اللَّهُ النَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كُسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِها مِن وَلَوْ يُوَاخِذُ اللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كُسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِها مِن دَا بَهِ وَلَكِن يُوَخِرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلِ مُسَمَّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ وَلَا مِن اللهِ كَانَ بِعِبَادِهِ عَبْدِهِ عَبِيراً ﴿ وَقَى اللهُ كَانَ بِعِبَادِهِ عَلَى اللهُ كَانَ بِعِبَادِهِ عَلَيْ اللهُ كَانَ بِعِبَادِهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ كَانَ بِعِبَادِهِ عَلَيْ اللهُ كَانَ بِعِبَادِهِ عَلَى اللهُ كَانَ بِعِبَادِهِ عَلَيْ اللهُ كَانَ بِعِبَادِهِ عَلَى اللهُ كَانَ مِن اللهُ كَانَ بِعِبَادِهِ عَلَيْ اللهُ كَانَ بِعِبَادِهِ عَلَى اللهُ عَلَيْهُ مَا إِلَى اللهُ كَانَ بِعِبَادِهِ عَلَيْهِ مِنْ اللهُ كَانَ بِعِبَادِهِ عَلَى اللهُ عَلَيْهُ مُن اللهُ كَانَ بِعِبَادِهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ كَانَ بِعِبَادِهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَيْهُ مَا اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَيْهِ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُوا عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَ

« قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُوْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَانظُرُواْ صَحَيْفَ كَانَ عَلَقِبَةُ ٱلْمُكَذّبِينَ ﴿ هَا هَا اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللّهُولُولُولُولُولُولُولُلّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللللللّهُ الللّ

« وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا شَيْ شُئّة مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُسُلِنا وَلا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَخُويلًا » أَرْسَلْنَا قَبْلِكَ مِن رُسُلِنا وَلا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَخُويلًا »

(الإسراء: ٢٦ - ٧٧)

« سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا » (الأحزاب: ٣٨)

« يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ لَيْنَ وَاللّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُرْ وَ يُرِيدُ اللّهِ اللّهِ عَلَيْكُرْ وَ يُرِيدُ اللّهُ أَنْ يُحَقِّفَ عَنكُرْ أَنْ يُحَقِّفَ عَنكُرْ أَنْ يُحَقِّفَ عَنكُرْ وَخُلِقَ اللّهُ أَنْ يُحَقِّفَ عَنكُرْ وَخُلِقَ اللّهِ اللّهُ أَنْ يُحَقِّفَ عَنكُرْ وَخُلِقَ اللّهِ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللللللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّ

« وَلَوْلَا دَفْعُ اللّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضِ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَكِنَّ ٱللّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ » (البقرة: ٢٥١)

> « وَلَوْلَا دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضِ لَمُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكُرُ فِيهَا اللهُ اللّهِ كَثِيرًا وَلَيْنَصُرَنَّ اللّهُ مَن يَنصُرُهُ ﴿ إِنَّ اللّهَ لَقُوِيٌّ عَنِ يَزُ »

(الحج: ٤٠)

وقد وعى علماء المسلمين توجيه القرآن إلى المشاهدة والاستقراء، تشهد بذلك مراصدهم ومختبراتهم وأدواتهم وتجاربهم وأوصافهم ورسومهم. قدّم أحمد بن أبي يعقوب بن واضح، الكاتب المعروف باليعقوبي، المتوفي سنة ٢٨٤ هـ/٨٩٧ م، لكتابه «البلدان» فذكر عن نهجه في تأليفه: «سافرت حديث السن، واتصلت أسفاري، ودام تغربي، فكنت متى لقيت رجلا من تلك البلدان سألته عن وطنه ومصره، فإذا فكر لي محل داره وموضع قرارة سألته عن بلده ذلك

وزرعه ما هو، وساكنيه من هم، وسرب أهله، حتى أسأل عن لباسهم ودياناتهم ومقالاتهم والغالبين عليه، ومسافة ذلك البلد وما يقرب منه من البلدان، نم أسبت كل ما يخبرني به من أبق بصدقه، واستظهر بمسألته فوما بعد قوم حتى سألت خلقا كتيرا وعالما من الناس في الموسم وغير الموسم من أهل المشرق والمغرب وكتبت أخبارهم... فلم أزل أكتب هذه الأخبار، وأؤلف هذا الكتاب دهرا طويلاً، وأضيف كل خبر إلى بلده، وكل ما أسمع به من نقات أهل الأمصار إلى ما تقدمت عندي معرفته، وعلمت أنه لا يحيط المخلوق بالغاية...». وقدم أبو عبدالله محمد بن أحمد المقدسي، المعروف بالبساري لكتابه «أحسن التفاسيم في معرفة الأقاليم» الذي أنهي كتابته كما يقول سنة ٣٧٥ هـ/٩٨٥م على ما ذكره في مفدمته، وكان مما جاء فيها: «وما تم لي جمعه إلا بعد جولاتي في البلدان، ودخولي أقاليم الإسلام، ولقائي العلماء، وخدمتي الملوك، ومجالستي القضاة، ودرسي على الفقهاء، واختلافي إلى الأدباء والقراء وكتبة الحديب، ومخالطة الزهاد والمتصوفين، وحضور مجالس القصاص والمذكرين، مع لزوم التجارة في كل بلد، والمعاسرة مع كل أحد، والتفطن في هذه الأسباب بفهم فوي حتى عرفتها، ومساحة الأقاليم بالفراسخ حتى أتقنتها، ودوراني على النجوم حتى حررتها، وتنقلي إلى الأجناد حتى عرفتها، وتفتيشي على المذاهب حتى علمتها، وتفطني في الألسن والألوان حتى رتبتها، وتدبري في الكور حتى فصلتها، وبحثي عن الأخرجة حتى أحصيتها، مع ذوق الهواء، ووزن الماء، وشدة العناء، وبذل المال، وطلب الحلال، وترك المعصية، ولزوم النصح للمسلمين بالحسبة والمراقبة لله والحسية. ولم أودعه المجاز والمحال، ولا سمعت إلا قول النقات من الرجال وأعاننا اللهعلي ما قصدنا، ووفقنــا لما يحبــه ويرضــاه، فإنــا له عابـــدون، وإليه راجعـــون». وقـــد بذل البيرونـــي (٤٤٠ هـ/٨٥٠ م) جهدا دؤوبا ليتعرف على بصيرة وفي تعمق على مجتمع الهنود وأديانهم وعوائدهم، مما اضطره إلى تعلم لغاتهم. وهكذا أنجز كتابه الممتع «تحقيق ما للهند من مقولة ومقبولة في العقل أو مرذولة». وذكر عبدالرحمن بن خلدون المتوفى سنة (٨٠٨ هـ/١٤٠٥ م) في صدر مقدمته الرائعة أن التاريخ «محتاج إلى مآخذ متعددة، ومعارفٌ متنوعة، وحسن نظر وتثبت يفضيان بصاحبهما إلى الحق، وينكبان به عن العزلات والمغالط، إذا اعتمد فيها على مجرد النقل، ولم تحكم أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والأصوال في الاجتاع الإنساني، ولاقيس الغاثب فيها بالشاهد والحاضر بالذاهب، فربما لم يؤمن فيها من العثور ومزلة القدم والحيد عن جادة الصدق. وكثيرا ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأثمة النقل من المغالط في الحكايات والوقائع لاعتادهم فيها على مجرد النقل غنا كان أو سمينا، ولم يعرضوها على أصولها، ولا قاسوها بأسباهها، ولا سبروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار».

وبعسد:

فلعله قد تبين جليا لماذا خلا تاريخ الإسلام من صدام بين الدين والعلم، إن الإسلام يدعو إلى العلم بالكون، ويقرر أن الذين يخسون الله حق خسيته هم العلماء، إذ قد تعرفوا على صنع الله الذي أتقن كل شيء وسننه التي لا نجد لها تبديلا وتحويلا... وكتاب الإسلام يلفت النظر إلى إعجاز الله في الكون وآياب الله في الآفاق بلمحات مجملة منسيرة هادية، دون تكديس تفاصيل من المقررات النظرية والمفولات التي تتخذ أساسا وحيدا لاستنباط العلم، مع تأكيد لوجوب الاعتاد على الحس والمساهدة والاستقراء للوصول إلى حقائق الكون ويوضح نهج الإسلام وكتابه أحد علماء الإسلام المبرزين المعاصرين، هو الشيخ الدكتور محمد عبدالله دراز، العميد الأسبق لكلية أصول الدين بالأزهر، أجزل الله مثوبته، وأفسح له في جنته، إذ يلفت النظر في كتابه الرائع النافع: «الدين: بحوت ممهدة في تاريخ الأديان» إلى أنه ليست هناك صلة وحدة في الموضوع أو الاشتراك في الأهداف بين العلم الإلهي وسائر العلوم، إذ مهما تعالج هذه العلوم من مساكل فليس واحد منها يتصدى لعلاج المسكلة الكبرى التي انتهض الدين لحلها، إذ كلها تبحث عن الكائنات، وليس شي فيها يبحث عن مبدئها الأول وغايتها الفصوى، غير أنها كلها تستطيع أن ترجى لهذا المطلب خدمة ما من قريب أو بعيد. ولن يستغنى الدين عن العلوم إلا لو استغنت المقاصد عن وسائلها ومقدماتها. فكما أن المجهول لا يتوصل إليه إلا عن طريق المعلوم، والغاتب لا يدرك إلا على ضرب من القياس على الشاهد، كذلك الحقائق العليا لا يسهل الصعود إليها إلا على سلم من حقائق الدنيا. فإذا بعدت صلة بعض العلوم بالدين فإنها بما تبدد من ظلمات الأوهام، وبما تبعث من النور في جوانب النفس، تقوم بوظيفة تطهير وتنقية لابد منها لنهيئة جو عقلي صالح لاعتناق العقائد السليمة، (فيكون) ركونه إليها على بصيرة وبينة لا مدفوعا بحمية الجهل، ولا منفادا بسذاجة المحاكاة:

ومها يكن من أمر فالمعفول (أن يكون) بين العلم والدين على الأفل تفاهم وحسن تجاوز، إذ ليس يعقل أن يكون هناك تعارض وتناقض بين أمرين لا استراك بينها في موضوع واحد. وهنا يحق لنا السؤال عن تفسير تلك المصادمات العنيفة التي ظهرت في التاريخ غير مرة بين العلوم والأديان _ (يقول صاحب هذا البحت: إن ما يسير إليه المؤلف بما يكاد أن يبدأ منه تاريخ الإسلام في مجمله وعمومه) _ لا نعني بذلك الصراع الصوري الذي يستغل فيه اسم العلم أو الدين أحيانا ليكون ستارا للمقاصد الخفية والمطامح العاجلة، كما لا نعني الصراع الحفيفي الدائم بين النزعات الروحية السامية وبين النزعات المادية المضادة، إنما نطلب تفسير المعارضة التي تفع بحسن نية بين المعسكرين العلمي والديني، فيقف كل واحد منها موقف التكذيب والإنكار لما عند الآخر. والجواب أن هذه المعارضة تحدت فيا نعلم على إحدى صورتن:

الأولى: أن يقف أحد الطرفين موقف المعارضة لما عند الآخر، لا بناءً على حجة تدحضه أو شبهة تضعفه، بل عفوا وإعباطا أو لمجرد جهله به، وهذا من قصر النظر، وإغا الإنصاف أن يكون كل امرى عارفا بقدر نفسه واقفا عند حده. وإذا كان من الخير للأدبان أن تستنمر كافة المعارف البسرية وتتسلح بنتائجها، فإن من الخير للعلوم كذلك أن تدع الأدبان تكمل ما فيها من نقص، وتملأ ما تتركه في النفوس من فراغ بما يملأ من الحقائق الروحية (يزبد صاحب البحب، وبما يؤكده الدين في النفوس، وهو أقدر عليه، من أمانة وإخلاص للحق والحقيقة، ودأب وصبر عليها، كلها فضائل هي خير رصيد نفسي وخلقي للعلماء) - فإن لم تفعل العلوم فلا أقل من أن تلتزم شقة الحياد، فلا تعادي الأديان، ولا تنكرها جملة، فإن إنكار الدبن جملة إنكار ضمني لأمور واقعية تحتويها الأديان كلها ولا يحتويها علم من العلوم، ألا وهي عناصر الإيان بالحقيقة العليا. (فهذه) معان هي من مادة الحياة التي قد يفسرها العلم ولكنه لا يستطيع أن يخلقها - على حد تعبير دوركايم - وقد ينقب عن أطوارها ويتفهم نشأتها ولكنه لا يستطيع أن يتجاهل وجوبها، أو يدعى لنفسه أن يجل محلها.

والصورة الثانية (للتعارض الموهوم بين العلم والدين) : أن تكون هناك مسألة أو مسائل معينة، تنطق فيها العلوم والأديان بحكمين متناقضين، وإنما يحدت ذلك حيها نتناول الأديان إلى جانب عنصرها الروحي نسيئا من موضوعات العلوم وحقائق المساهدات (أقول

بالتفصيل المعروف في العلم ودون استناد إلى مناهجه) وتذهب في ذلك مذهبا معينا تفرضه على المتدنين بها فرضا...». (محمد عبدالله دراز_ الدين _ ط: ٢ _ الكويت ١٣٩٠ هـ _ ص: ٧٥ _ ٧٧).

وما ذكره الأستاذ الجليل رحمه الله هو ما شكا منه تاريخ المسيحية وكنيستها، وبرئت منه حضارة الإسلام. ولقد أدرك المسلمون أن العلوم لا تتقدم بإطلاق المقولات النظرية والتخمين كما فعل كنير من فلاسفة الإغريق، بل لابد من الاعتاد على الامتحان العملي والتجريب والرصد، واعتبروا الهندسة والرياضيات وسائل التفكير وآلاته، وحفلت مؤلفاتهم في المكيانيكا وعلوم السوائل والبصريات بوصف ما عملوا من تجارب وما استخدموا من آلات، وفي الطب والجراحة بوصف أدواتهم الجراحية، وفي الفلك بوصف أجهزتهم للرصد.

وهذا النهج التجريبي مكن المسلمين من ابتكار آلات التقطير والتصعيد والصهر والترسيح التي استخدموها في الكيمياء، ومن استعال الميزان في تجاربهم الفيزيائية والكيائية، وعمل جداول النقل النوعي، فضلا عن السير قدما في الآلات المدرجة والمقسمة كالربع المجيب والاصطرلاب. ولقد شهد بفضل المسلمين على العلم من باحتى الغرب كثيرون، في مقدمتهم جورج سارتون مؤرخ العلم المعروف، وأرنولد توينبي صاحب «تاريخ العالم»، فضلا عن ناللينو ومييلي وغيرها. وقرر برتراند رسل في كتابه «النظرية العلمية»: «كان العرب المسلمون أميل إلى التجريب من الإغريق وبخاصة في الكيمياء... وقد حمل العرب رسالة المدنية طوال عصور الظلام، وإليهم يرجع كثير من الفضل في أن بعض المسحيين مثل روجر بيكون قد حصلوا كل المعارف العلمية التي تهيأت في زمنهم». (برتراند رسل: النظرية العلمية ـ الترجمة العربية ـ نشر الإدارة الثقافية بالأمانة العامة لجامعة الدول العربية ـ بالقاهرة ص: ٩).

وفي مجال الدراسات الإنسانية أو العلوم الاجتاعية يقول دي يور في كتابه «تاريخ الفلسفة في الإسلام» عن ابن خلدون: «يرى ابن خلدون أن الجهاعة تتقلب في صور مختلفة هي: حالة البداوة، ثم القبيلة، نم دولة المدنية. وأول مسألة هي تحصيل القوت، وتختلف الأفراد والشعوب بحسب اختلاف حالتهم الاقتصادية بدوا أو رعاة مستقرين أو زراعا. والفقر يؤدي بالناس إلى النهب والحرب، وإلى الانضواء تحت لواء رئيس يقودهم، فتنشأ القبيلة، تم تؤسس لنفسها

مدينة. وهنا يؤدي التعاون وتقسيم العمل إلى حياة الرغد، ولكن هذا الرغد يولد الدعة.. ويتكل الإنسان على غيره، وتزداد الحاجات، فتشتد المكوس، ويعم الفقر، ويزيد الترف، ويفقد الناس بأسهم الحربي القديم، ويفسد الدين في حالة انتقاض وتحلل، وعند ذلك تظهر من جديد قبيلة قوية أو شعب لم يبلغ منه الترف ذلك المبلغ، وفيه عصبيته القوية، فينقض على المدينة التي أنهكها الترف، وينسى ولله جديدة، تستولي على التروة المادية والعفلية. وسأن الدولة والجهاعات الكبرى هو سَأَن البيوت، ينتهي تاريخها فيا بين نلابة أجيال وستة. وبرى أوجست مولر أن مذهب ابن خلدون ينطبق على تاريخ الأندلس والمغرب وصقلية فيا بين القرنين الخامس والتاسع للهجرة (١١ _ ١٥م)، ولكن يوجد في المفدمة كثير من الملاحظات النفسية والسياسية الدقيقة، وهي في جملتها عمل عظيم مبتكر. إن القدماء لم يوفوا المسكلة التاريخية حقها من الدرس العميق. وكانت الفلسفة المسيحية تعتبر التاربخ بوقائعه تحققا أو تمهيدا لمملكة الله على الأرض، نم جاء ابن خلدون فكان أول من حاول أن يربط تطور الاجتاع الإنساني بعلله القريبة، مع حسن الإدراك لمسائل البحت وتقريرها مؤيدة بالأدلة المقنعة. فهو ينظر في أحوال الجنس والهواء ووجوه الكسب ونحوها، وهو يعرضها مع بيان تأنيرها في التكوين الجسمي والعقلي في الإنسان (الفرد) وفي المجتمع. وهو يرى أن للمدنية والعمران البسري قوانين بابتة، يسير عليها كل منهما في تطوره. وهو أبداً يتلمس العلل الطبيعية بأقصى ما يستطيع. وابن خلدون إذ يمهد السبيل لعلم جديد إنما يشير لمسائله الكبرى وهو يرجو أن يأتي من بعده فيواصلوا بحنه». (دى بور: تاريخ الفلسفة في الإسلام ـ ترجمة محمد عبدالهادي أبى ريدة _ لجنة التأليف والترجمة والنسر بالقاهرة _ ط: ١ _ ص: ٢٧٥ _ ٢٨١).

والله المسئول أن يهدينا بالقرآن إلى الفكر والعمل المتوازنين الرشيدين لدنيانا وآخرتنا، وأن يعيننا على الرقي المتكامل للإنسان والعلم بالكون وعارة الأرض والتمكن فيها بالحق، حتى تتجدد حضارتنا المهتدية الهادية المشرقة الزاهرة، حضارة الإيمان والأمن والرشد، وترث حضارة العصر، وتنفي عنها خبث الأهواء والسهوات، وبلايا الدورات الاقتصادية والأزمات العصبية والسلوك السيكوياتي والانحلال الأخلاقي والحروب الدائمة الكبيرة والصغيرة والساخنة والباردة بأسلحتها المدمرة الرهيبة استراتيجية وتكتيكية، كيائية وبيولوجية ونفسية، وحتى يتابع الخلف المؤمنون في كل مجال للعلم النافع والعمل الصالح سيرة السلف من علمائنا الذين يخسون ربهم ويخافون بوم الحساب.

« فَذَ الكُو اللَّهُ رَبُّكُو الْحَقَّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصَرَّفُونَ » (يونس: ٣٢)

« وَأَنَّ هَاذَا صِرَاطِى مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا نَتَبِعُواْ السَّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُدُ عَن سَبِيلِهِ عَ ذَالِكُمْ وَصَّلْكُمْ بِهِ عَلَّكُمْ نَتَّقُونَ » عَن سَبِيلِهِ عَ ذَالِكُمْ وَصَّلْكُمْ بِهِ عَلَمَكُمْ ثَتَقُونَ »

AA Aan A

(الأنعام: ١٥٣)

« فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُوْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ » (البفِرة: ١٨٦)

« وَلَكِنَّ اللَّهُ حَبَّ إِلَيْكُرُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ وَلَكِنَ اللَّهُ حَبَّ إِلَيْكُرُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ وَفَى وَالْعِصْبَانَ فَى فُلُوبِكُرُ وَكَرَّهُ إِلَيْكُرُ الْكُفَرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْبَانَ فَى فُلُوبِكُرُ وَكَرَّهُ إِلَيْكُرُ الْكُفَرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْبَانَ أَلَهُ وَنِعْمَةً أُولَكَنِكَ هُمُ الرَّشِدُونَ ﴿ يَ فَضَالًا مِنَ اللّهِ وَنِعْمَةً وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمة ﴾ والله عليم حكيمة »



دور الجغرافيا فى تعضيد التضامن الإسلامى

محمد الرابع الحسني



لقد كانت معرفة العرب قبل الإسلام بالمعلومات ضئيلة وسطحية كالمعارف الأخرى، فهم لم يكونوا يهتمون بها إلا بقدر حاجاتهم العملية في حياتهم المحدودة. ونزل الفرآن الكريم فكانت فيه إشارات ونصائح بالسير في الأرض والنظر في شعوبها وأتمها الخالية، وذلك للموعظة والاعتبار، فقد قال الله تعالى: (وألهى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهاراً وسبلا لعلكم تهتدون. وعلامات وبالنجم هم يهتدون). (النحل: ١٥ - ١٦).

وقال: (سير وافي الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين). (النمل _ 79). وهي بمنابة إسارات جغرافية تبعث نفس المؤمن على الاستطلاع والبحت بفوله سبحانه وتعالى: (ولله المشرق والمغرب فأبنا تولوا فثم وجه الله). (البقرة: ١٩٥٥)، (فلا أقسم برب المسارق والمغارب). (المعارج: ٤٠)، (إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان). (الرحمن: ٣٣)، (والأرض بعد ذلك دحاها، أخرج منها ماءها ومرعاها، والجبال أرساها، متاعا لكم ولأنعامكم). (النازعات: ٣٠ _ ٣٣)، (ألم تر أن الفلك تجري بنعمة الله ليريكم من آباته). (لقيان: ٣١)، (وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي). (هود: ليريكم من آباته). (لقيان: ٣١)، (وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي). (هود: كا)، (حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوما). الكهف:

فكل هذه الآيات تبعت على حب الاستطلاع لنواحي الأرض في الأجواء والسموات، وتحدث الرسول عليه السلام أيضا عن أسياء كنيرة، يعالج بها أمورا تهم المسلمين، وكانت هذه الأسياء ذات اتصال بالمعرفة الجغرافية، ولم يخل السعر العربي القديم كذلك من سئون ذات صلة بالمعرفة الجغرافية، وإن كان كلها مقصورا في نطاق حياة العرب المحدودة.

ولذلك نرى أن المسلمين في عهدهم الأول قد اهتموا بالمعرفة الجغرافية، ولكن اهتامهم كان في نطاق محدود، لأنهم لم يستخدموا هذا العلم إلا في معرفة الأماكن والطرف والجهات المتصلة بأوطانهم ومراكزهم.

ولم يهتموا أيضا من الأقطار الأخرى غير العربية إلا بما كانت تجارتهم البحرية في حاجة إلى المعرفة بها، فكان أبطال ملاحتهم البحرية يصلون سواحل جنوبي الجزيرة وشرقيها في

جانب بسواحل إفريقيا السرفية، وفي جانب آخر بسواحل الهند الغربيه والسرقية الجنوبيه، وبسواحل أقطار البحور الصينيه، كانوا ينقلون البضائع من إفريقيا والهند والصين إلى جزيرة العرب، يم منها إلى سهالي الجزيرة العربية، وإلى سواحل البحر الأبيض المتوسط السرقية والجنوبية، وينقلونها من هذه الأخيرة إلى السواحل الأولى.

ولكن ذلك كله لم يكن إلا بدافع حبهم التجاري، أو التنقل لأغراض افتصادبة محدوده، نم اقتضت حاجتهم السياسية منذ العرن الناني الهجرى أن يهتموا أيضا بعرفة البلدان الواقعة تحب حكمهم الواسع والأقطار المجاورة لها كذلك، واهتموا بنقل كتب العلوم المختلفة ومنها العلم الجغرافي من لغات اليونان والفرس إلى اللغة العربية، فعرف المسلمون من خلالها مقداراً مهما من أحوال البلاد المختلفة وصورة الأرض وأجزائها، وعكفوا على هذا العلم، كما عكفوا على علوم أخرى كانت تنفعهم عقليا، وعلميا، وبذلك نوسع نطاقهم العلمي، ونفلوا كتاب بطليموس إلى اللغة العربية فكان مصدرا كبيرا لمعرفتهم للاكتسافات اليونانيه في هذا العلم، تم نبغ فيهم رجال لهم مكانه سامية في العلوم الجغرافية في القرن النالب والرابع والخامس، فكان من أهمهم في هذه القرون وبعدها بقليل أمنال ابن خردازبة عبيدالله بن أحمد صاحب «المسالك والمالك» المتوفى ٢٨٠ هـ ، واليعقوبي أحمد بن إسحـاق صاحـب «كتاب البلدان» المتوفى ٢٩٢ هـ والحسن بن أحمد الهمداني صاحب كناب صفة جزيرة العرب المتوفى ٣٣٤ هـ ، والمسعودي على بن الحسين صاحب المؤلفات القيمة العديدة المتوفي ٣٤٦ هـ ، والإصطخري إبراهيم بن محمد صاحب صور الأقاليم وكتاب «مسالك المالك» المتوفى ٣٤٦ هـ ، والرحالة المسهور محمد بن حوقل صاحب «المسالك والمالك» المتوفي ٠ ٣٨٠ هـ ، والمقدسي محمد بن أحمد شمس الدين أبو عبدالله صاحب «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» المتوفى ٣٨٠ هـ ، والبيروني محمد بن أحمد صاحب التأليف القيمة العديدة المتوفى ٤٤٠ هـ ، والشريف محمد بن محمد الإدريسي أبو عبدالله صاحب «نزهة المستاق» وكتاب «المسالك والمالك» المتوفى ٥٩٠ هـ ، وسهاب الدين أبو عبدالله الحموى، المعروف بياقوت، صاحب الكتاب القيم «معجم البلدان» المتوفى ٩٢٩ هـ ، وغيرهم من العلماء ممن ساهموا في النهضة، وأضافوا إلى العلم الجغرافي نتائج فكرهم وجهدهم، وألفوا كتبا مختلفة في جوانب منوعة للعلم الجغرافي، ونبغ فيهم من أبطال الملاحة والرحلات البحرية كأسد البحر مخترع الإبرة المغناطيسية أحمد بن ماجد المتوفى ٩٠٤ هـ ، والذي قطع البحر الواقع بـين إفريقيا والهند مرارا وتكرارا بمغامرة نادره، وقام بالملاحة في البحور المجاورة، بالإضافة إلى ما ألف في هذا الاختصاص من الكتب التي تبلغ في عددها نحو تلامبن كتابا.

ولكن همة العرب وأصالتهم العملية بدأت تتضاءل بل وتضعف منذ القرن السادس، مع أن عددا من الرجال الجغرافيين قد زانوا هذه العهود الأخيرة أيضا ببحونهم واكتسافهم.

وفي القرون الأخيرة لما كان المسلمون يتأخرون عن السبق والامتياز في كل مجالات الحياة المعاصرة ومنها المجالات الجغرافية أيضا، كانت الدول الأوربية تتقدم فيها بخطى واسعة، فاكتشفت القارة الأمريكية واستعمرتها، كما وضع علماؤها خرائط جغرافية دهيقة، وهاموا بجولات جغرافية إلى البر والبحر، حتى استطاعوا من توسيع الرفعة الأرضية التي عرفوا كيف يدخلونها بتجاراتهم، نم يفتحونها بسياستهم بم بجيشهم وأسلحتهم.

وجاءت هذه القرون الأخيرة من التاريخ المتأخر كقرون تخلف وضعف واستكانة لسعوب المسلمين جميعاً، لم يكن منها في هذه المدة الطويلة الأخيرة من حياتها إلا الانصياع لما يصب عليها من السعوب الأوربية القوية، وبقيت منصرفة عن إصلاح نفسها فضلا عن أن تهتم بشؤون أخواتها وشقيقاتها، مع أن المجال كان واسعا للتدبر في ظروفها وأوضاعها، والاعتبار عما كان لها من مجد سابق وبما آل إليه أمرها.

وكانت الأمم الأوربية تريد أن تبقى الشعوب الإسلامية متفرقة متحاربة فيا بينها، حتى لا يحصل لها تجمع يكون سببا لوحدتها وقوتها وصمودها أمام الأعداء، وبهذا التفرق السديد الذي أصيبت به الشعوب الإسلامية فها بينها استطاعت الدول الأوربية إسقاط دولة إسلامية بعد دولة إسلامية أخرى في العالم.

فكانت السعوب الإسلامية في هذه الظروف أحوج ما تكون إلى التضامن بينها، وتضافر الجهود لعودتها إلى الحياة الشريفة.

وقد جاءت الأوامر الصريحة في كتاب الله وسنة رسوله بتضافر الجهود وتوحيد الصفوف وتكوين وحدة شاملة حافلة، يقول الله تعالى: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأننى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم). (الحجرات: ١٣)، وجاء فيه:

(إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون). (المؤمنون: ٥٢)، وجاء في الحديث السريف: «مل المؤمنين في توادهم وتراجمهم وتعاطفهم كمنل جسد واحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى». (رواه مسلم في صحيحه واحمد في مسنده).

وما أكبر ما يقع الاستكاء لأطراف من هذا الجسد الواحد، وهو ما يفتضي من الجميع أن يتفاعلوا مع هذه الشكوى بالسهر والحمى، ولكن كيف يمكن هذا بدون أن تكون هناك معرفة للأخ عن أخيه وعن أوضاعه، وهذا هو موضوع التضامن الإسلامي الذي يخصّ المسلمين الاهتمام به أكثر من غيرهم من الأمم والشعوب الأخرى، لكثرة ما ورد في شأنه من أوامر ربهم ونصائح رسولهم، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» (رواه البخاري عن أنس مرفوعاً). ولما بزغت شمس الإسلام في جزيره العرب وفي مكة بوجه خاص كان من المعقول أن يكتفي الرسول عليه السلام بالإقامة في بلده الأول، ويجعله مقرا وحيدا، ولا يهاجر إلى بلد بعيد من بلده الأول بأكنر من أربعهائة كيلو متر، ولكنه هاجر فجمع في حبه وطنه بلدين مختلفين، نم لما قوى أمر الإسلام لم يكتف رسوله العظيم صلى الله عليه وسلم بحصر جهوده في منطفه محدودة، بل أرسل كتبا ورسائل دعوة إلى الملوك والأمراء من حوله، بعيدين كانوا أو قريبين من مركز حكمه صلى الله عليه وسلم، فأشار بذلك إلى عالمية الإسلام، ومن ذلك افتبس خلفاؤه من بعده الروح والهداية، وأرسلوا جيوسًا إلى الغرب والشرق، فانفتح لهم الطربق إلى إفرىقيا السهالية وإلى الأندلس في الغرب، ودانت لهم فارس والسند في الشرق، واتسعت رقعة البلاد الإسلامية بالصورة العالمية، ووُجدت أمة الإسلام في كبير من المناطق والأقاليم المختلفة جغرافيا وعمرانيا، نم توزعت هذه المناطق المختلفة إلى حكومات ودول ووحدات سياسية مختلفة، لم يكن يربط بينها إلا رباط واحد وهو رباط الأخوة الإسلامية الدولية، ويجمعها مركز واحد وهو محط رحال الحجاج مكة أم القرى.

إن المناطق الإسلامية المختلفة في هذه الأرض ذات خصائص وإمكانيات مختلفة، ولها ظروف وأوضاع متباينه، بعضها بحكم طبيعة هذه المناطق، وبعضها بتأنير الضغط الاستعاري الغاسم، كما أن الله سبحانه وتعالى وهب مناطق منها صلاحيات ضخمة وقوى جبارة، يمكن أن تكون أداة إغانة ومواساة فيا بين المناطق الشقيقات الإسلامية، فلو أن كل المناطق شعرت

بمسئولياتها نحو شقيفاتها لكانت الأمة الإسلامية أمه واحدة حفا، وتحقق الوصف الفرآني للمسلمين بالأمة الواحدة.

تم إنه ليست وحدة الأمة وحدة نظرية، بل إنه وحدة الآلام والآمال، ووحدة العلم والقوة، ووحدة الوزن السياسي على الصعيدين العالمي والمحلي جميعا، ولذلك رأينا أن قوى الاستعار لم تهتم بشي ضد المسلمين كها اهتمت بالتفريق بين أجزاء كيانهم العالمي أو شبه العالمي، فها كان تفتيت الخلافة العنهانية في أوائل هذا القرن إلا نتيجه لهذه السياسة، وما كان خوف المستعمر بن لقيام التضامن الإسلامي الواحد إلا نتيجة لسياسة الاستعار المفرفة، ولو لم تكن جهود الملك الراحل جلالة فيصل بن عبدالعزيز المتوالية، وتعاون حكام من المسلمين معه في هذه الجهود متل الشهيد أحمد وبللو وغيره لما ظهر على الأفق العالمي هذا الاتحاد الكرم بين دول الإسلام وأقطاره في العالم، الذي هو مقصد آمال المسلمين وأمانيهم اليوم، مم إن بروات الأفطار الإسلامية وإمكانياتها تمهد للوحدة والتضامن تمهيدا لائقا، وتسهل لها تسهيلا عظيا، فإن خامات عديدة لتروات عظيمة توجد أغلب مقاديرها في عدد من أقطار الإسلام بحيث فإن خامات الإسلامي، ولقد شهدنا صورة من ذلك في منع ضح البترول إلى الدول ومراعاة الانفعال الإسلامي، ولقد شهدنا صورة من ذلك في منع ضح البترول إلى الدول المعارضة لمصالح الدول الإسلامية، وكان ذلك يرجع إلى بطولة القائد السهيد فيصل بن عبدالعزيز.

وفي الوقت نفسه نرى أمما أخرى غير الأمة الإسلامية تعمل بالتضامن بين أفرادها وأجزائها كلما لزم ذلك، فنرى دول الغرب تساند الواحدة أخراها إذا كانت هناك مصلحة تتصل بالقومية الغربية أو الدين المسيحي، مع أنها تكون في غير هذه الحالة عدوة لها متحاربة معها على أهداف معينة.

وتسير الأمة اليهودية على مبدأ التضامن بصورة أقرى، فإن حادبة ليهودي تقع في ناحية من العالم تثير الحمية اليهودية في أفراد هذه الأمة مهما كانوا بعيدين عن هذا اليهودي المصاب، وتمتاز الجالية اليهودية في أميركا بهذه الحمية، فما إن يبدو لها أن سوءا قد يصيب اليهود في إسرائيل إلا ويبدأ مفكرو هذه الجالية وأدباؤها ورجال الإعلام والسياسة منها بحملة أدبية عاتية في الصحافة والإذاعة والتلفزيون بالمقالات والتعليقات، وبرسائل الاستنكار والإيضاح

إلى رجالات الفكر والسياسة والحكم، ويقيمون ضجة ينخدع أو يتأسر بها المسئولون والمواطنون في الولايات الأميركيذ، فيصبح اتجاه الرياح السياسية والبرلمانية في صالح إسرائيل واليهود، في الوقت الذي نجد الجالية العربية والإسلامية في تلك البلاد لا تقوم حتى بالدعابة الشرعية الضرورية.

ليس اليهود في الولايات المتحدة الأميركية إلا نحو ٤٪ من مجموع السكان، ولكنهم يستخدمون جميع طرق التأتير الأدبية منها والسياسية، فيتمكنون من البلوغ إلى أهدافهم في نصرة إسرائيل بالقدر الذي لا تنجع به إلا جالية ضخمة ذات عدد كبير وطاقات واسعة، وذلك لمجرد أنهم يتفانون في استغلال الإمكانيات المتوافرة لهم من علمية وأدبية ونفسية، ويجندون طاقاتهم الإنسانية في هذا المجال، فقد كانوا يرسلون أكتر من طائرة مملوءة أدوية وأدوات طبية مع جماعة من الأطباء الأخصائيين كل مساء من يوم الجمعة من نيويورك إلى تل أبيب لمدة يومي العطلة الأسبوعية وذلك أنناء الحرب الإسرائيلية لمداواة جرحاهم في الحرب الإسعاف الطبي نحو إخوانهم في الدين والعنص، يرجعون إلى نيويورك صباح الاثنين ليعودوا إلى أعهاهم، أليس هذا تضامنا أخويا بنسط فيه من يجد في تعاليمه الدينية توصيات بها ليعودوا إلى أعهاهم، أليس هذا تضامنا أخويا بنسط فيه من يجد في تعاليمه الدينية توصيات بها كما يجدها المسلمون في قرآنهم وسنة رسوهم وحياة أسلافهم العظهاء.

ولما وجب علينا التضامن والتعاون والمواساة الأخوية على الصعيد الإسلامي الواحد، فعلينا أن تجعل العلم الجغرافي يلعب دورا هاما في تحقيق هذا التضامن، لأن أوضاع الشعوب الإسلامية القاطنة في مختلف أرجاء المعمورة ليست كوضع شعب واحد، ولا يمكن معرفة الأوضاع المختلفة لهذه الشعوب إلا باستعراض الأحوال الجغرافية لها، ومن هنا تتشعب فروع جديدة لأحوال هذه الشعوب، فمنها ما يتصل بالوضع الاقتصادي والطبيعي، ومنها ما يتصل بالوضع العمراني والمدني، ومنها ما يتصل بالوضع الثقافي والديني، ومنها ما يتصل بالوضع السياسي والدولي.

ويستطيع التضامن الإسلامي أن يؤدي في كل فرع من هذه الفروع مسئوليته وواجبه، وإذا تيسر له العمل الكامل لأداء مسئوليته وواجبه نحو هذه الفروع المختلفة فإذن يحصل للأمة الإسلاميه مناعة وقوة لا تعادلها قوة ومناعة، وذلك لأن عدد المسلمين في العالم ما يقارب ربع سكان المعمورة في عدد النفوس وفي عدد الأصوات في جمعية الأمم المتحدة أيضا، ويوجد

لهذا الربع من سكان الأرض من أسباب الوحدة والتضامن ما لا بوجد لغيره في العالم، فتلانة أرباع سكان هذه الأرض وهم غير المسلمين موزعة بين أديان ونزعات مختلفة متباينة، بحيث لا برجى التعارب فبا بينها، وهي بتفرقها تصبح أقليات مختلفة، أما المسلمون فيصبحون بوحدتهم الإسلامية بالنسبة إلى غيرهم أغلبية وفوة كبيرة، ويدل تاريخ المسلمين في فرونهم الماضية أنهم غلبوا دائها بطاقتين عظيمتين: طاقة الإيمان، وطاقة الوحدة. وقد جاء في كلام الله سبحانه وتعالى: (وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين). (آل عمران: ١٣٩)، (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا). (آل عمران: ١٣٩)، وباعتصموا بعبل الله جميعا ولا في فقد المسلمون الأندلس إلا لأن الأفطار الإسلامية الأخرى كانت مسغولة بنفوسها، غير عابئة بما يقع في قطر من أفطار الإسلام. وما كانت غلبة التتار في بغداد إلا لأن أغراض عابئة بما يقع في قطر من أفطار الإسلام. وما كانت غلبة التتار في بغداد إلا لأن أغراض الدين أرض القدس المقدسة إلا بعد نجاحه في توحيد كلمة المسلمين وجمع الملوك المتفرقة تحت المواء إسلامي واحد، أفليس المسلمون اليوم فادربن على أن بستعيدوا القدس وكل أرض مسلوبة منهم بتوحيد كلمتهم وجمع أنفسهم تحت لواء إسلامي واحد، ترفعه الأيدي المؤمنة؟ فهل يعد غريبا إذن نجاح المسلمين وبلوغهم إلى نحقيق وعد الله سبحانه وتعالى: (وأنتم فهل يعد غريبا إذن نجاح المسلمين وبلوغهم إلى نحقيق وعد الله سبحانه وتعالى: (وأنتم فهنين).

ونحن إذا جندنا العلم الجغرافي في مجالات الظروف الاقتصادية والطبيعية للبلاد التي يسكنها المسلمون، لعرفنا ما هي جوانب الضعف في بلد من هذه البلدان، وكيف يمكن إزالتها أو معالجتها بمعونة بلد إسلامي آخر، يقدر أن يتداركها بطافة فائضة من طافاتها، فهناك أقطار إسلامية وشبه إسلامية في العالم أغلب أراضيها قاحلة، لا تخرج لأهلها ما يكفيهم من قوت وغذاء، وهناك أقطار أكنر أراضيها رمال أو فياف جرداء، لا تملك نهرا يفيض طول السنة، ولا تنال من ماء السهاء ما يزيل كربتهم وبؤسهم، ولكنه توجد بجنبها أقطار فيها أراض خصبة وطمي غني وأنهار فائضة، أفليس من الممكن أن يتضامن هذا القسيان من الأقطار فيا بينها في هذه المجالات التي تحتاج إلى عمليات الأخذ والإعطاء؟ بل توجد من بين أقطار المسلمين في العالم بلدان تملك من ذخائر بعض الخامات ما تسد بها خلل العالم كله، فلننظر في هذا المجال إلى مكانة الماليزيا من مروات المطاط والقصدير، وإلى مكانة النسال الإفريقي وسواحل المجابى

المختلفة والمنطقة السمالية الغربية لإفريفيا من نروات الذهب الأسود، وهناك أمنله أخرى من هذا القبيل لا داعي هنا إلى الإفاضة فيها.

وهناك أعطار في العالم الإسلامي لم تتمكن من بناء كيانها النقافي والديني بناء لائقا، فهي بسبب إمكانياتها الضعيفة وهممها الواهنة لا تستطيع أن تهتم بهذه الناحية من الحياة، وهي بضعفها في هذه الناحية لا ترى أنها جزء مهم من الأسرة الإسلامية الدولية الواحدة، فلا يتبادل فرد من أفرادها آلام الفرد الآخر وآماله، ولا يتبادل أحزانه وأفراحه، ولا يصبح جزءا لائقا للجسد الإسلامي الواحد الذي قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

فلو أن الأقطار الإسلامية التي تملك من ذخائر النقافة والعلم الديني في صورة رجال أو مساريع وأعمال بذلت فائض ذخائرها للأقطار التي لا تملك منها نسيئًا ذابال، وتضامنت معها تضامنا مخلصا حكما، لحصل تقارب كبير بين أجزاء الأسرة الإسلامية الواحدة في الآمال والآلام، وفي وجهات النظر والاتجاهات العقلية، وهي إذا توحدت وتضامنت لاستطاعت أن تسكل قوة جبارة، لا يكن أن تنقهقر أو تندحر في أي جبهة من جبهات الحياة الدولية الواسعة. إن عيون المسلمين ترى اليوم بوضوح ما يقع في القطر الأندونيسي المسلم من تنصير شامل، وتحويل هذا السعب الإسلامي العظيم الذي يعد أكبر شعب إسلامي في العالم من جهة عدد أفراده إلى شعب غير إسلامي كافر، فقد ممكن الأعداء من أن يتملكوا ناصية هذا الشعب الفقير المسكبن، واستغلوا ظروف فقره وضعفه في التقافة الإسلامية، فوضعوا المشرحة عليه ليقطعوا هذا العضو الكبير من جسد الأمة الإسلامية، وكل ذلك يقع على مرأى من شعوب الإسلام الأخرى في العالم ومسمعها، وهي لا تقدم نحو ذلك إلا كلمات الأسف والتأبين وحدها، كأن شعوب الإسلام الأخرى في العالم لا تملك من الإمكانيات الدعوية والمعدات الاقتصادية والوسائل العملية المفيدة ما تستطيع به معالجة هذا الخطر وتدارك الأمر قبل فواته، مع أن العالم الإسلامي اليوم يشتمل من المنظات الإسلامية ذات الطاقات الكبيرة والإمكانيات الهائلة على ما لم يكن يشتمل عليه قبل اليوم، ولا داعي هنا إلى سرد أسائها وذكر إمكانياتها ووسائلها الجيارة.

لقد أصبح التنصير اليوم أكبر خطر على الإسلام بعد أن نظمت ضده المنظات التنصيرية

في العالم حملة دعوة وتنصير سديده، يسندها من ورائها الحكومات الأوربية وأميركا والفاتيكان بطرق خفية، وفي نفس الوقت يكنر دعاة التنصير لفت نظر المسلمين إلى وحدة الأديان، وضروره تضامنها على صعيد وحدة ورودها من السهاء، وهم بتوخون بذلك أن يكسبوا من المسلمين المهادنة معهم، مع أنهم يسعون في نفس الوقت إلى تحويل شعوب بأكملها من الإسلام إلى النصرانية، وبستخدمون في ذلك طرف المواساة الطبية والافتصادية، وطرف الدسائس والسياسات الغاشمة.

فقد يتعجب رجل من تفصيل الكلام في هذه النقطة، ويسأل عن ارتباطها الوتيق بموضوع البحن، ولكن هذه النقطة من صلب الموضوع، لأن الطريقة الأوربية في احتلالها السياسي للأقطار الضعيفة، واحتلالها الديني للشعوب الفقيرة والجاهلة، تعتمد على الوسائل الجغرافية المناملة أكنر من اعتادها على أى أمر آخر، فإن علماء أوربا يقومون أولا بالتحقيقات الجغرافية الساملة لجوانب هذه الشعوب والأقطار، يجمعون معلومات عن طفس البلاد وتضاريسها التي قد تواجهها البعثات والإرساليات المسيحية، وعن خصوبة البلاد واعتصادها وفقرها حتى يمكن استغلال الظروف والاستفادة بها في الوصول إلى الغرض المطلوب، وعن وضع السعوب التفافي والديني والفكري حتى يمكن تحديد مواضع النفوذ العقلي، وأساليب التأمير والإقناع، وعن وضع البلاد السياسي والحكومي حتى يمكن للإرساليات اجتناب خطر المواجهة السافرة، والفيام وضع البلاد السياسي والحكومي حتى يمكن للإرساليات اجتناب خطر المواجهة السافرة، والفيام في نفس الوقت بطريقة يحصل بها التغلب العملي على منابع القوة والغلبة في البلاد، فتكون الإرساليات بعد ذلك في مأمن من أي اصطدام خطير مع القوى المعارضة.

إنه لا يمكن معرفة الطرق الخفية الحكيمة التي يستخدمها أعداؤنا في الأمم القوية إلا بعد فحص دقيق لمن لم يكتووا بنارها سابقا، ولكن الشعوب التي خضعت خلال فترة واسعة للاحتلال والاستعار تعرف هذه المكائد في أغلب الأحوال، فنحن إذا بحثنا في الحياة المدنية والعلمية لهذه السعوب لوجدنا أن المدنية والعلم قد سارا في زمن الاحتلال خطوات واسعة، فنرى أن المسح الجغرافي الشامل للبلاد فد تم على أحسسن صورة ، ووضعت خارطات دقيقة للإمكانيات المادية للبلاد وللظروف والحالات الخاصة لها، مم بدئ عمل تطوير البلاد وتنشئة الأجيال على أساسها. لماذا كل هذه المواساة والتطوير؟ ولماذا كل هذه المخدمة الكبيرة للعلم والمعرفة؟ هل في سبيل الإنسانية ولمجرد الإخلاص لهذه الشعوب؟ لا، بل لأن في ذلك

ضهانا لترسيخ أقدام الاحتلال والاستغلال في البلاد، وهو مقتضى حكمة التنظيم وطلب التمكين في أرض السعوب المحتلة.

ومن المؤسف جدا أن الأقطار الإسلامية البحتة لم يأخذها المسح الجغرافي الكافي إلى اليوم، أما الفدر الذى حصل منه والذي نستفيد به في كتبنا ودراساتنا أكنره بجهود المستشرقين، وأغلبهم وكلاء السعوب القوية التي تستهدف في كل أعهاها الاستعهار والاستغلال، مم إن أكس أعهال المسح الجغرافي لأقطار الإسلام إنما هي مساندة ومدعمة من منظهات الدول الاستعهارية، ومن الوضوح بمكان أن التضامن قوي وخفي بين منظهات الدول الاستعهارية، وهو بعد في سبيل العلم، ولكنه يكون في غالب الأحوال في سبيل الاستعهار والاستغلال.

تسعى روسيا السوفيتية أن يتعلم سباب الشرق وخاصة السرق الإسلامي منه في جامعاتها ودور التربية والتعليم فيها، ومنظهات أميركية تسخو بإعطاء المنح وتوسع رحاب جامعاتها ودور تربيتها وتعليمها لرواد العلم السباب من السرق، وتمتلى جامعات بريطانيا وفرنسا بسباب الشرق، وكل ذلك بمجالات حسنة وأدب جم.

وتسخو الدول الكبيرة بالبذل في مجالات نسر العلم والمعرفة في الأوطان الإسلامية، مع أن هذه الدول الكبيرة قد عرف عنها مرارا أنها تتوخى أهدافا غير متفقة مع مصالح الشعوب السرقية، وتنجح الدول الكبيرة في البذل والتعاون في هذه المجالات، لأن دول الشرق متهاونة في أداء مسئولياتها فيها، ومادام المكان يكون ساغرا فلابد من أن يملأه من لا يكون تواجده في هذا المكان في صالح أهله الحقيقيين.

إنه يجب أن نملاً دولنا ومنظاتنا كل مكان شاغر في المجالات المقافية والفكرية لأمتنا الكبيرة المنتسرة في بفاع العالم وأقطاره، وتستغل هذه الطاقات والنتائج الحاصلة منها في مصالح أمتنا الإسلامية المجيدة، فإن مجدنا من مجد أمتنا وليس نابعا من مجد أمة أخرى غير أمتنا، ولابد من التضامن الإسلامي السامل في جوانب الحياة المقافية والدينية للأمة الإسلامية، فإنه لا يمكن الوصول إلى القوة والمجد بدون تضافر الجهود والآمال للغرض المطلوب.

أما في جوانب الحياة السياسية فغير خفي أن الوحدات الصغيرة بتفرقها لا تقوى على

صيانة أنفسها وعلى الدفاع عنها كما تعوى على ذلك بتضافر جهودها والتضامن المخلص في أعهالها.

لقد اتبع المسلمون في عهودهم الأولى أسلوب الخلافة في الحكم والسياسة، وكانت هذه الطريقة تنظم جميع الوحدات السياسية والحكومية في سلك واحد، فكانت تنسأ أسرة سياسية واحدة محكمة في ترابط أجزائها وأفرادها، فما كان يجرؤ واحد من الأعداء أن ينظر بعين الإساءة والازدراء إلى وحدة من وحدات هذه الأسرة إلا وتنبض كل وحدة من وحدات الأسرة للأبساءة والازدراء إلى وحدة من كيانها الكبير، ففد ارتفع صوت من زبطرا: وا معتصاه، فأصاب الخليفة العباسي المعتصم بالله الغبرة، فنهض لتلبية الصوت والذب عن المظلوم، مع أن الطقس لم يكن ملائها لمنل هذه الخطوات، وكان أهل العلم والحزم ينهونه عن الإسراع في هذه التلبية، ولكن الخطوة كانت بالإخلاص ولغرض نبيل، فكانت موففة وناجحة.

لقد قام بدعوة التضامن الإسلامي قبل عقدبن من السنين الملك السهيد فيصل بن عبد العزيز آل سعود، وساعده وناصره الحاج أحمد وبللو في نيجيريا، فبدأت الدعوة تخط طريقها إلى الأمام، وإن كان أعداؤها من السرف والغرب كانوا يناوئونها بكل معداتهم ووسائلهم، ولكن الخطوة كانت مزدانة بالغيرة وطلب الخير للأمة الإسلامية، فقطعت سوطا واسعا إلى أن بلغت إلى حد الإنتاج المفيد، وإلى مبلغ القوة والتمكن، ونسأت أسرة إسلامية دولية في المجال السياسي الدولي، يرجى أن تموى وتزدهر فتصبح يوما من الأيام دوحة مختلفة الفروع والأغصان وافرة الظلال بعد أن كانت غرسا وفسيلة في بدابة أمرها.

هذه الفكرة الجليلة التى نادى بها وعمل لها الملك العربى السهيد والزعيم الإفريقي الشهيد أصبحت اليوم بحيت يفهمها الناس فها جيدا، وأصبحت تستساع في العفول والأذهان، ولم تعد فكرة مجهولة أو خطه نظرية مجردة، فيجب أن تتقدم وتزدهر وتؤتي أكلها المطلوب. ويجب أن نعرف أن تطبيق هذه الفكرة وتنفيذها مرتبط بالجوانب الجغرافية لتلك النسعوب الإسلامية التي يؤدي التضامن الإسلامي عمله فيها، وعندما يوضع التضامن الإسلامي في المحل الصحيح من هذه الجوانب الجغرافية فإنه سيأتي بخير النتائج في هذا المجال.



onverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

دور المجموعة الإسلامية فى المؤتمر العالمى لتنميطالأسماء الجغرافية

دکتور / عبدالمادس التازس



عندما سعد بدعوة جامعة الإمام محمد بن سعود للمساركة في المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول تراقصت أمامي طائفة من الموضوفات المطرفة التي كنت أهتم بها في تلك الأبناء، فلقد فكرت في تقديم مجموعة نبيور (Neibuhr) وميكاليس (Michaelis) حول المعلومات الجغرافية التي قدماها عن الجزيرة العربية أواسط القرن الثامن عسر (۱).

كما فكرت في نحقيق لما ورد في (نزهة الآفاق) مما يتعلق ببلاد المغرب باعتباره من عيون ترات الجغرافيين المسلمين المتقدمين (٢).

لكني، وقد عشت في صيف ١٩٧٧ مع المؤتمر العالمي لتنميط الأسهاء الجغرافية، آرت أن ينصب تدخلي على موقفنا كمجموعة إسلامية من هذا المؤتمر. وهل أننا سنظل مكتفين بالحديث عن جهود الجغرافيين المسلمين القدامي أم أن واجبنا _ كها أحسست ذلك من ورفة العمل لمؤتمر الرياض _ يفضى أن نلتفت إلى الحاضر ونتطلع لآفاق المستقبل.

لقد كانت منظمة الأمم المتحدة أول من سعر، أو بالأحرى أول من فكر في أهمية البحث حول الوسائل الناجحة لضان الترات البقافي للأمم وجمايته من التهجين المسوّه وفي آن واحد جمع الرأي على «قاموس دولي لأسهاء البلدان» مكتوبا بالطريقة الصحيحة السليمة، وهكذا اتخذ المجلس الاقتصادي والاجتاعي (E.C.O.S.O.C) قراره بتاريخ 17 يولية 1970م لمعالجة الموضوع.

ومن هذا المنطلق تم عقد المؤتمر الأول بجنيف في سبتمبر ١٩٦٧م، وكان المؤتمر الثاني بلندن في شهر مايو ١٩٧٢م، وكان المؤتمر التالث الذي انعفد أخيرا بأنينا في ١٧ اغسطس ١٩٧٧م والذي كان لي شرف رئاسة الوفد المغربي فيه.

وحتى أعطى فكرة عن النظرة الجدية التي ينظر بها العالم إلى ذلك المؤتمر أذكر أن عدد المشاركين فيه من الوفود الحكومية بلغ نحوا من ستين دولة، تنتمي لكبريات الأمم، وأكنرها إدراكا لأهمية الموضوع، هذا إضافة إلى إحدى عشرة مؤسسه علمية متخصصة ممن كانت ترى أن حضورها ضروري في ذلك اللقاء.

ولست هنا بصدد الحديث بتفصيل عن جدول أعمال المؤتمر ولا عن اللائحة الداخلية.. ولكني مع ذلك أرى من المفيد أن أبير الانتباه إلى بعض النماط التي علقت بالذهن مما يبرز أهمية.. ومدى صلته ببعض موضوعات مؤتمر الرباض.

لهد عالج جدول الأعمال في صدر ما عالج تقارير الدول المساركة حول التقدم الذي أحرزته فعا يتعلق بتنميط الأسهاء الجغرافية ببلادها. بعد المؤتمر السابق، وفي هذا الصدد توفرت لدينا بعض المعلومات التي قدمتها معظم الدول حول الموضوع على الصعيد الوطنى سواء ما يتعلق بالبحث عن المصطيات المتعلمة بالأسهاء الجغرافية أو ما يتعلق بالهياكل الإدارية للمنظهات التي تهتم بتلك الأسهاء.

وقد عالج جدول الأعمال كذلك موضوع تكوين الأطر اللازمة لتحقيق تلك الأهداف على الطريفة العلمية والفنية الصحيحة متحدتا عن التدرببات المعلقة بالتكوين وعن مناهجها وتحسباتها...

كما عالج جدول المؤتمر ما يمكن أن نسميه «المدونة» (Nomenclature): مدونة أو لائحة الأسهاء الجغرافية التي تستمل عليها الأقاليم والدوائر والجهاعات حيت وقفنا على نماذج من تلك المدونات واستمعنا إلى طائفة من الآراء حول التعاون المتبادل من أجل إعداد المدونات المفصلة.

ومن هنا عالج جدول المؤتمر استخدام الوسائل الأتوماتيكية للاستفادة من نتائج البحوث التي تتوصل إليها الجهات المختصة بحيث يصبح في متناولنا أن نحصل على معلومات مدققة على أى موقع جغرافي بمجرد ضغط على زر في جهاز اليكتروني؛ وقد كان فيا اهتم به المؤتمر الدولي مشكلة الأسهاء الجغرافية الدخيلة (Exonymes) ووسائل القضاء عليها للعودة إلى الأسهاء الأصلية...

وأخيرا كان مما تناوله المؤتمر طريقة نقل الأسهاء الجغرافية من لغة إلى أخرى الأمر الذي كان محل لقاءات عربية إفليمية على ما نعرف... أما عن النظام الداخلي للمؤتمر العالمي فإنه يستمل على عدد من الفصول والبنود وهكذا فعلاوة على ضرورة الاستدلال برسائل الاعتاد التي تخول المساركين الصلاحيات اللازمة، وعلاوة على ذلك ينص الفصل السابع على أن اللغات المستعملة في المؤتمر وهي الإنجليزية والإسبانية والفرنسية.

وإذا ما انتقلنا إلى التوصيات التي صدرت عن هذا المؤتمر فسنلاحظ من بينها توصيات تتعلق بتدوين الأسماء الجغرافية حتى يكون هناك نموذج واحد تصطلح عليه سائر الدول سواء في الشرق أو في الغرب.

كما أن هناك توصية تتعلق بتكليف الخبراء للعمل من أجل تسهيل الاستفادة من معطيات «المدونة» عن طريق الأجهزة الإليكترونية ونظرا للأهمية التي تعلق دوليا على نظام موحد لنقل الحروف العربية إلى اللاتينية، ونظرا للجهود المبذولة في هذا الموضوع... وتقديرا للنتائج التي توصل إليها بهذا الصدد مؤتمر بيروت لعام ١٩٧١م ونظرا للتعديلات التي أدخلت على نظام بيروت أثناء مؤتمر لندن وتسجيلا للصعوبات التقنية والعملية التي حالت دون تطبيق نظام بيروت المعدل.. فإن المؤتمر النالث لتنميط الأسماء الجغرافية يدعو الفريق العربي للاجتاع من أجل مدارسة المقترح المغربي بهدف الوصول إلى حل مقبول يعتمده خبراء الأمم المتحدة للأسماء الجغرافية لدى دورته التامنة...

وقد اتخذ المؤتمر توصيات هامه فيا يتعلق بإعداد قواميس من سأنها تمكين الذين يستخدمونها من الوقوف بسهولة على الاستعال الوطني للأساء الجغرافية إلخ....

كها اتخذ المؤتمر توصيات جدّ هامه حول تكوين الأطر التي تقوم بمثل هذه التدوينات والتحديدات مشيداً بالتعاون الدولي في هذا الصدد ومهيباً بالأمم التي تتوفر على الخبرة في هذا الصدد أن تسدي العون للآخرين....

وقد تبنى المؤتمر توصية تقضى بإعداد لائحة بالأسباء الجغرافية الدخيلة كخطوة أولى لتصحيح الأوضاع.

وقد أولى المؤتمر عناية كبرى في توصياته للأسهاء التي ستعطى لأعهاق البحار وطبقات

ذلكم عرضى مقتضب عن المؤتمر الذي انعقد في صيف سنة ١٩٧٧م بالعاصمة اليونانية... فهاذا كان دورنا نحن المسلمين العرب في هذا التجمع الضخم؟.

من بين المجموعة الإسلامية والعربية حضر المؤتمر عدد محدود من الدول:

المملكة العربية السعودية والسودان وإيران والأردن وتركيا والعراق والجزائر وموريتانيا والمغرب وقد كان من هذه الدول خمس دول حضر ممثلوها دون أوراق الاعتاد الأمر الذي عنسر مشاركتهم بصفة فعالة، بل وأبار بعض الاستغراب من اللجنة المشرفة على المؤتمرا! وبالإضافة إلى هذه المساهمة البتراء، لاحظنا أن الجامعة العربية مع الأسف لم تول المؤتمر اهتاما، الأمر الذي دعا المجموعة الحاضرة إلى تكليفي بالاتصال بالسيد مندوب الجامعة العربية المقيم بالعاصمة اليونانية لأشرح له خطورة المؤتمر والآنار التي تتمخض عنه وخاصة فيا يتعلق بالأساء الجغرافية التي أخذت إسرائيل تفرضها فرضا على الخريطة العالمية فيا يتعلق بالأراضي المحتلة.

وهكذا نرى أن الوجود العربي والإسلامي في المؤتمر لم يكن في مستوى طموحنا لاسيا إذا أضفنا إلى كل هذا أن بعض الدول التي كتب لها أن تسهم في المؤتمر كانت تقوم بذلك وهي على حال من الحضور المتقطع بل فيها من حضر المؤفر دون أن يكون مزودا لا بتقارير ولا خرائط ولا مستندات وإنما كانت تكتفى بالاستاع في أحسن الحالات.

ومن هنا يسوغ القول بأن المجموعة الإسلامية كانت شبه متغيّبة عن المجلس الاقتصادي والاجتاعي ولعل أكبر شاهد على ذلك أن هذا اللقاء العالمي صادف أيام شهر رمضان المعظم، ولوأنه كان لنا وجود بالمجلس المذكور لاستطعنا أن نعجل أو نؤجل المؤقر إلى ما بعد هذا الشهر الذي لم يكن بحال مناسبا لانعقاد مؤقر على هذه الدرجة من الخطورة وعلى أرض كأرض اليونان!

شي ثان برزفيه الغياب الإسلامي، ذلك عندما طرحت بعض القضايا الحساسة التي تمس مبادئنا وعواطفنا، فهنا أيضا كنا محل امتحان واختبار أمام المجموعة الدولية.

وهكذا فعندما أنار الجانب اليوناني قضية الأسهاء الجغرافية المستعملة من طرف تركيا لتعيين بعض المواقع في قبرص، شاهدنا صراعا عنيفا بين تركيا واليونان حول الآتار المترتبة على ما سمّي بالاحتلال العسكرى للجزيرة.

وكان الأمر محيرا بالنسبة للمشاركين من دول العالم الإسلامي، فقد كانت التوصية المقترحة من طرف اليونان على صياغة حاذقة بحيث إنها تخدم قضيتنا نحن مع الأسهاء

الجغرافية التي حوّرتها إسرائيل في أعقاب سطوها على الأراضي العربية، وكانت شبه إدانه مغلّقة لإسرائيل بالرغم من أنها لم تذكرها صراحة.

لكن التوصية من جهة أخرى كانت مثار احتجاج من الجانب التركي الذي كان يتصل بكل طرف من الدول الأسلامية الحاضرة مؤكدا أن الهدف كان هو اسطانبول وليس تلّ أبيب، وعبثاً كان تدخلنا لدى الوفد اليوناني من أجل سحب هذه التوصية باعتبارها عملا سياسيا يتجاوز مهمتنا كعلماء _ وتعلمون أن المؤتمر كان يجرى على أرض أئينا _ وعبثاً كان تدخلنا لمطالبة الوفد اليوناني بالنص على إسرائيل، الأمر الذي كان الوفد يتحاشى عنه لما أن قصده كان واضحا لدى العموم.

وأعتقد أنه لو كانت المجموعة الإسلامية ممئلة على أوسع نطاق لكان لنا ما نريد في الضرب على يد الذين يساندون إسرائيل في تعسفها وفي تهويدها لأسماء عتباتنا المقدسة في الأرض المحتلة، ولكان لنا ما نريد في مساندة إخواننا الأتراك في قضيتهم بقبرص.

لكن المساهمين من عالمنا وهم قلة لم يستطيعوا أن يتخذوا موقفا يميزهم عن المجموعات الأخرى بل إنهم على قلتهم توزّعوا إلى تلاث مواقف فكان هناك المصوتون مع التوصية باعتبارها شجبا أيضا لتصرفات إسرائيل، وكان هناك المصوتون ضدها باعتبارها تمس تركيا أولا بالذات، وكان هناك الممتنعون عن التصويف!

لقد تعمدت تقديم هذه اللقطة للمؤتمر لأنها فعلا أخذت من الاجتاعات كثيرا من الوقت الذي مضى في المراشقات والمهاترات وطرح نقط النظام، وتعمدت كذلك بإيرادها إلفات النظر بصفة أكثر إلى إحدى نقاط الصراع الساخنة، لاسيا ونحن نعيش مع جيش الاحتلال الإسرائيلي هذه المشكلة. بل إن المشكلة الأساس بيننا وبين الذين سطوا على أرضنا وأخرجونا من ديارنا كانت مشكلة عدوان على الجغرافية والتاريخ.

وليس من حقي - مع كل هذا - أن أغفل النواحي الإيجابية لمساركة الوفود الإسلامية في لقاء أتينا، فقد استمع المؤتمر لأول مرة إلى ملتمس يهدف لجعل اللغة العربية ضمن لغاته الرسمية فلقد فوجئنا هناك بأن اللغة الروسية والصينية واليونانية استعملت أيضا في المؤتمر، بالرغم من أن لغاته الرسمية تقتصر على الإنجليزية والأسبانية والفرنسية. كما ولقد ارتفع بالرغم من أن لغاته الرسمية تقتصر على الإنجليزية والأسبانية والفرنسية. كما ولقد ارتفع

الصوت العربي يندد بالعذوان على التراث العربي بأرض الإسلام في القدس. وأصغى المؤتمر لعدد من التدخلات الهادفة البناءة التي تقدم بها بعض المندوبين العرب.

وقد أشادت سكرتارية المؤتمر بالملفات الكاملة التي تقدمت بها بعض الوفود والتي كانت تستجيب لسائر النقاط والعناصر الواردة في جدول الأعمال، وكانت أيضا لا تتردد في طرح المشكل ولا تترفع عن البحد مع المجموعة الدولية عن الحلول المناسبة.

إنما مع كل ذلك. فنحن نطمح لأن تكون إفادتنا وإستفادنا مع المؤتمر على مستوى يجعلنا نسهم في أعماله تيسيرا وتسييرا.

ومما تنبغي ملاحظته بهذا الصدد أن نسجل ترحيب الخبراء والعلماء ممن عرفتهم زوايا المؤتمر منذ سنوات، بكل المعلومات العربية الأصيلة التي تقدم لهم عن عالمنا. إنهم فعلا يتوقون إلى معرفة الأشياء على حقيقتها يريدون أن يقفوا بجد على مختلف الجوانب التي كانوا ينظرون اليها من زاوية غير التي تستحق القصد.. وهم يعزون قلة استعدادهم فيا يتعلق متلا باستعمال اللغة العربية إلى أن التقارير العربية لم تصلهم في الوقت المناسب وأن المؤتمر إلى جانب هذا يشكو العجز المادي فلوأن المجموعة الإسلامية تنبهت في الوقت المناسب أبضا لأمكن ترديد الحربي بين جدران شاندريس.

ولهذا فاننا نعتقد أن في أهم واجبات (لجنة التراث الجغرافي) أن تولى اهتامها للمؤتمر الدولي لتنميط الأسهاء الجغرافية باعتباره مجالا صالحا ومفيدا وخصبا لإبراز جهود الجغرافيين والرحالة المسلمين ولإثراء (المدونة) الجغرافية العربية بالأسهاء الحقيقة للمصطلحات..

إن على مؤترنا الاسلامي المنعقد بالرياض أن يصدر توصية إلى سائر الدول الإسلامية لكي تشارك من الآن فصاعدا في هذا المؤتر العالمي للأسهاء الجغرافية حتى يكون تمثيلنا الرابع الذي سينعقد في إيران سنة ١٩٨٢ تمثيلا كاملا يحقق أمانينا في التعريف بتراتنا، وفي فرض الأسهاء التي نتفق عليها على العالم الآخر فلا يبقى له عذر في التحريف والتزييف.

على مؤتمر الرياض أن يحصل على جميع الوثائق المتعلقة بالمؤترات السابقة، فإن فيها زاداً لا يمكن الاستغناء عنه لمن يهتم بأسهاء المدن والمواقع والأمكنة الاسلامية بل ان فيها جوانب

هامة تتصل بترابنا وترانسا وسيكون من الإهمال عدم تطلعنا إلى استيعاب ما راج تلك المؤتمرات...

على مؤترنا الدولي المنعفد بالرياض أن يصدر توصيته إلى مختلف الجهات المعنية في الحكومات الإسلامية حتى تعفد لحضور المؤتمر القابل على النحو الذي يجب، أن تعمل تلك الجهات من الآن على إنساء اللجان الوطنية لتنميط الأسهاء في دولها، وعلى إعداد «مدونة» للأسهاء الجغرافية الموجودة في أقاليمها وفي دوائرها... وعلى جرد بالأسهاء الدخيلة التي تسر بن إليها من خارج البلاد عن طريق الاحتلال أو التسلّل...

على مؤتمرنا الدولي المنعقد بالرياض أن يصدر توصية إلى الحكومات الإسلامية بضرورة التساور في بينها حول إعداد الملفات حتى تظهر الوفود الإسلامية أكنر التحاما وأقوى انسجاما!

إن حضورنا في مثل تلك المؤتمرات ليعبر بصفة لا تقبل الجدل عن اههامنا أولا بتقدير الترات الذي نمتلكه وهو نانيا يعزز إحدى واجهات نضالنا ضد المسخ الذي لحق بعض البلاد الإسلامية في أعقاب احتلالها من الدول الاستعارية، وفي أعقاب المسخ كذلك الذي يلحق اليوم بمواقعنا في القدس السريف ثم ومن جهة نالثة يجعل العالم العربي ينطق بأسماء قواعدنا ومدننا على النحو الذي ننطق به نحن ونختاره نحن... وأخيرا فإنه يجعل العالم كله على جلية من درجة تعلقنا بأماكننا ومواقعنا وبالتالي فإن حضورنا يفرض على العالم الاحترام للبقاع المقدسة التي شاهدنا _ مع الأسف _ ذوي النزعات الصليبية يسمحون بإطلاق اسمها على بعض الأندية الليلية في أوربا.

كم يكون مفيدا أن نوصى سفراء نا في مختلف البلاد الأجنبية أن تقوم من خلال أدلة الهاتف، وأدلة الفنادق والمقاهي والملاهي بجرد لتلك الأسهاء للاحتجاج على المتساهلين فيها.. «إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة» (آل عمران: ٩٦). ولذلك فمن حقنا على كل الذين يخطبون ودنا أن يكون اسم (مكة) عندهم منقوسا في سجلاتهم حتى لا بتفكهوا به ولا يتندروا.

وإن على (لجنة الجغرافيا السياسية) وهي تدرس مشكلة فلسطين وكسمير والفلبين أن لا

تنسى إخوة لنا يعانون من كتم الأنفاس في جهات أخرى تتضايق من أن أن يذكر الإسلام على أرضها، وتعمد إلى محو كل أنر من آتاره على أرضها حيث أصبح المسجد متحفا والحيّ العربي مقصفا.

وإن على (المؤتمر الجغرافي الإسلامي) أن يخرج بتوصية تدعو لإعداد أطلس إسلامي يكون حصيلة للبحث العلمي الدقيق وللمعطيات الوطنية لكل فطر في العالم الإسلامي.

وستطالبنا المؤترات اللاحقة بإعداد مئات الأسهاء التي تعطى لمناطسق القمر، وطبقات المياه فها هي الأعلام العربية التي سنُسهم بها في تعيين هذا الموقع أوذاك في الجوأو البحر؟.

وأخيرا فإن لي رجاء أعرب عنه في ختام عرضي، ذلك أن يتخذ من هذا المؤتمر (مؤسسة دائمة) تتوفر على هيئة إدارية مستمرة وأمانة عامة، تظل على صلة بمختلف الجهات المهتمة بالجغرافيا الإسلامية. أي أن يوضع لهذا المؤتمر قانون تأسيسي ولائحة داخلية تجعل منه ملتقى للتناور حول ما يهم الخريطة الإسلامية سواء في أوضاعها بالماضي أو في آفاق المستقبل.

000

onverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الحواشي

(١) المجموعة عبارة عن أربع مجلدات عن رحلة فى الجزيرة العربية أواسط القرن الثامن عشر ، وهى مترجمة عن الالمائية طبعت فى أمستردام بين سنة ١٧٦٢ ، ١٧٧٩ ، منها نلامة برسم كارسطن نبيور ، والرابع برسم ميكايليس وهى نادرة وقفت على نسخة منها فى مكتبة الاستاذ أحمد الطبيعي بن هيمة فى الرياط

(٢) الشريف الادريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق طبع ليدن بمطبعة بريل ١٨٩٤ .



nverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بحوث فى الجغرافيا السياسية



onverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تمويد فلسطين

دكتور / محمدالفرا



نهيــد:

فلسطين قلب العالم الإسلامي الذي بمتد فيسمل مساحات ساسعة في كل من آسيا وإفريفيا، ومدينة القدس عاصمة فلسطين هي أحد مراكز الإسلام التلامة الرئيسية، إذ تأتي في الأهمية الدبنية بعد كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة، ففيها المسجد الأقصى فبلة الإسلام ومسرى النبي الكريم، وهد كرم الله سبحانه وتعالى الفدس وما حولها، بقوله:

وإلى جانب المدس توجد في فلسطين الكتير من المدن التي تضم العديد من الآسار والمقدسات الإسلامية، كمدينة الخليل التي ايخذها أبو الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة والسلام يحلا لإقامته، إلى أن اختاره الله إلى جواره فدفن فيها هو وزوجته سارة وأبناؤه من بعده، وعلى هذا المكان أهام المسلمون مسجدا أطلق عليه اسم الحرم الإبراهيمي.

وفي أقصى الجنوب من فلسطن حيب مدينة غزه التي كانت محط قوافل عرب الحجاز في تجارنهم إلى الشام، دفن هاسم أحد أجداد النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

ولذلك ليس بمستهجن أن تحظى فلسطين باهتام المسلمين على مر العصور، فكانوا يدافعون عنها بالنفس والنفيس، لأنهم كانوا يعتقدون أن التفريط فيها تفريط في دينهم وعقيدتهم. ولانسك في أن احتلال اليهود لفلسطين وتهويدهم لها أمر بالغ الخطورة، لأنه يهدد العالم الإسلامي بأسره، وهي ظاهرة خطيرة لم سبق لها مثيل في جميع عصور التاريخ، اللهم إلا تلك الحملات الصليبية المسعورة التي رفعت شعار الصليب مخفية وراءه أطهاعها الاستعارية والعدوانية، وشهواتها الانتقامية من الإسلام والمسلمين.

و يمكننا اعتبار المأساة الفلسطينية منلاحيا للوافع الإسلامي الذي يسهد اليوم جميع أنواع التحدى والتهديد، إذ لولا هذا الوافع المؤلم للعالم الإسلامي لما ضاعت فلسطين، ولما تجاسر العدو على اغتصابها، ولذلك فإن هيبة الإسلام والمسلمين رهينة بعودة فلسطين عربية إسلامية.

وإلى جانب الأهمية الدينية لفلسطين، فإنها ذات موقع استراتيجي هام، فهي تقع على النساطي الشرفي للبحر المتوسط بين درجتي عرض ٣٠ و ٢٥ و ٣٠ و ٣٣ شهالا، وبين خطي طول ١٠و٣٥ و ٥٠٥و٠ سرقا، ويحدها لبنان سهالا والجمهورية العربية السورية والمملكة الأردنية الهاشمية شرقا، وجمهورية مصر العربية جنوبا.

وموقع فلسطين هذا هام ، فهي تتوسط العالم القديم وقاراته، وفلسطين هي المعبر الطبيعي والطريق الوحيد الذي بربط وادي النيل بوادي دجلة والفرات وبلاد السام. ولذلك كانت على مر العصور مكانا للاقتتال، وبمرا للجيوس والغزوات.

وتبلغ مساحة فلسطين ٢٦٣٠٥ كيلو مترا مربعا، وإذا أضفنا إلى ذلك نحو ٧٠٤ كيلو مترا مربعا، وهي مساحة بحيرتي طبريا والحولة التي جففت، وكذلك نصف مساحة البحر الميت، تصبح مساحة فلسطين كلها مع البحيرات المذكورة نحو ٢٧٠٠٩ كيلو مترا مربعا.

قيام إسرائيل وسياسة تهويد فلسطين

إن إعلان إسرائيل في ١٥ مايو (أبار) ١٩٤٨ كان بمابة تجسيد للحركة الصهيونية التي ظهرت ونمت ببن اليهود في مختلف أنحاء العالم. وهذه الحركات نسأت على أساس وجود فروف جوهرية، وانفصام كامل بين اليهود والشعوب التي يعيشون بينها وبؤلفون جزءا منها. وهي تنادى بإهامه دولة يتجمع فيها كل يهود العالم أو أكبر عدد منهم (١).

وقد انخذت الحركة الصهيونية لها استراتيجية خاصة، تستند على أربعة عوامل مرحلية، وهي: أولا إنشاء دولة يهودية، وتانيا خلق الانفصام بين اليهود وغيرهم من الشعوب أو تعميقه، وهذا يؤدي إلى العامل النالث، وهو تهجير اليهود إلى هذه الدولة اليهودية، وأخيرا ضرورة توسيع هذه الدولة باستمرار لاستيعاب الهجرة اليهودية المستمرة (٢).

إن تأسيس دولة يهودية فكرة قديمة، نبتت في أذهان المفكرين الصهاينة من أمنال «ليو بنسكر Leo Pinsker» (١٨٢١ ـ ١٨٩١) المؤسس للحركة الصهيونية، و «أحد هاعام Ahad ما المفكر الأول للصهيونية بمفهومها الحديث، والتي تركز المفكر الأول للصهيونية بمفهومها الحديث، والتي تركز على النواحى الفكرية والحضارية وخلق الروح القومية واتخاذ اليهودية وليس اليهود محورا لها وهدفا (٢).

أما «تيودور هرتزل Theodor Herzl» (١٩٠٤ - ١٩٠٥) فيعتبر المؤسس الحقيقي للصهيونية السياسية، لأنه رأى أن حل المشكلة اليهودية يكمن في إقامة دولة يهودية بحماية وضهان القوى الأوروبية، وهذا يكن تحقيقه بواسطة الدعم الدبلوماسي القوي، والنفوذ اليهودي العالمي (٤٠).

وتستند الصهيونية السياسية «طرتزل» على تحليل اللاسامية، والتي تقوم على عدة افتراضات، منها أن اليهود يتفردون من حيت الشعور الميتافيزيقي، ولا يمكن أن يمتزجوا مع غيرهم، لأنهم يؤلفون شعبا على الرغم من انتشارهم وتستتهم وتباين ظروفهم (٥).

وأخذ «هرتزل» يعمل بكل الطرق والوسائل لإخراج فكرة الدولة إلى حيّز الوجود، ففي

أغسطس ١٨٩٧ عفد المؤتمر الأول للحركة الصهيونية، والدي أطلى عليه مؤتمر «بازل»، حيب وضع فيه الحجر الأساسي لفكرة الدولة الصهيونية، وقد فال «هيرتزل» في يومياته بهذا الصدد ما نصه:

«لو طلب مني تلخيص مؤغر بازل في كلمة _ وعلي أن أحرص على عدم تلفظها بصوت عال _ لكانت هي: «في بازل أسسب الدولة اليهودبة» (٦).

وقد ركز الصهابنة هدفهم نحو استخلاص أرض فلسطين وتهويدها كاملا، وأعلنوا عن نياتهم بكل وضوح ودون موارية. فقبل الحرب العالمية الأولى وضع «ماكس نوردو» أحد مساهير خطباء الصهيونية الأوروبيين الشعار السهير: «الأرض التي بدون شعب لسعب لا أرض له Das Land Volk-Dae Volk ohne Land» (٧). على الرغم من أنهم يعلمون بأن فلسطين التي كانوا يطالبون بها لم تكن خالية من السكان، بل كانت مأهولة ومستغلة تمام الاستغلال من قبل العرب سكانها الأصليين منذ فجر التاريخ، إلا أنهم كانوا دوما يقولون: «نريد فلسطين يهودية كها أن إنجلترا إنجليزية».

وحتى يتم للصهاينة تهويد فلسطين عملوا بكل الوسائل والإمكانيات المتاحة على تنفيذ مخطط خطير ودفيق، مستغلبن كل الظروف والأحوال المحلية والعالمية، وهذا المخطط معتمد عدة وسائل، غايتها في النهاية الوصول إلى مرحلة التهويد الكامل للتراب الفلسطيني، وقد سرع الصهاينة باستخدام هذه الوسائل منفردة ومجتمعة على حسب الظروف والمعطيات المناحة. ويكننا أن نجمل هذه الوسائل في النقاط الآتيه:

- ١ ـ الهجرة اليهوديه إلى فلسطين .
- ٢ _ امتلاك الأراضي ومصادرنها .
 - ٣ ـ طرد السكان العرب.
- ٤ إزاله الفرى والمعالم العربية والإسلامية.
 - ٥ _ إقامة المستعمرات اليهودية.
 - ٦ ـ تهويد التعليم .
 - ٧ الأطماع التوسعيه .

وفيا يلي نتكلم عن كل بند من هذه البنود بسي من الشرح والتحليل بقدر ما يسمح به

المهام، على الرغم من أن البند الواحد بسكل في حد ذاته بحسا مستفيضا، تعجز هذه الصفحات القليلة عن استيعابه.

أولا _ الهجرة اليهودية والتحول السكاني كخطوة من خطوات التهويد:

لقد أولى الصهاينة مسألة الهجرة إلى فلسطين جل عنايتهم، ففد أخذوا يدفعون باليهود دفعا، تارة بالإغراء والتشجيع، وتارة أخرى بالوعيد والترهيب من أجل السفر إلى فلسطين والإقامة بها والاستيطان فيها، وذلك كخطوة هامة من خطوات تهويد البلاد، فهم يعلمون بأن العرب بشكلون الغالبية الساحقه من سكان فلسطين، فالبلاد بلادهم، والوطن موطنهم.

ومنذ منتصف القرن التاسع عشر وعدد اليهود في فلسطين بزداد بسرعة بسبب وصول العديد من المهاجربن، وبخاصة على أبر الاضطهاد في روسيا في عام ١٨٨٧. ففي عام ١٨٤٥ كان عدد اليهود في فلسطين نحو ١٢ ألف نسمة، وفي عام ١٨٨٧ وصل عددهم إلى ٢٤ ألف نسمة، وفي عام ١٨٨٥ قدروا بنحو ٤٧ ألف نسمة، مم بزايدوا إلى ٨٥ ألف نسمة في عام ١٩٩٥.

وبناء على بعض التفديرات كان يقطن فلسطين في منتصف الفرن التاسع عسر نحو نصف مليون نسمة، منهم ٨٠٪ عرب مسلمون، و ١٠ عرب مسيحيون، أي إن العرب كانوا يؤلفون ٩٠٪ من جملة السكان، في حين أن نسبة السكان اليهود كانت تتراوح بين ٥ إلى ٧٪ من جملة السكان، أما الباقى فيتألف من عناصر سكانية أخرى (١٠).

وقد كانت الهجرات اليهودية إلى فلسطين على شكل موجات، كل موجة منها تتم عقب حدت من الأحداث العالمية أو المحلية، أو نتيجة خطة صهيونية موضوعة. فالموجة الأولى ملا حدتت بين عامي ١٨٨٣ و ١٩٠٣، وكان معظمها من روسيا القيصرية، حيث قدرت بما يتراوح بين ٢٠ إلى ٣٠ ألف مهاجر يهودي (١٠). ومع حلول عام ١٩٠٠ كان حوالي ٥٠ ألف يهودي يفطنون فلسطين، معظمهم على شكل أقليات تستوطن القدس ويافا.

وفي الفترة من ١٩٠٤ إلى ١٩١٤ جاءت الموجة الثانية، وكان معظم أفرادها من روسيا أيضا، وقد بلغ عددهم بما يتراوح بين ٣٥ إلى ٤٠ ألف يهودي. هذا وفد استوطن المهاجرون الأوائل في مدن أربعة، هي: الفدس، والخليل، وصفد، وطبريا. ولكن منذ عام ١٩١٤ أنشأ اليهود ٤٤ قرية، استوعبت نحو ١٤٪ من مجموع السكان اليهود بفلسطبن (١١).

وفيا عدا القدس وضواحيها انحصرت المستعمرات اليهودية في الأساس في مناطق صغيرة جنوب شرق يافا، والسهل الساحلي في الجزء الممتد من مدبنة بافا حتى حيفا، وسهل مرج بن عامر وشرق طبريا. ويبدو أن بلني السكان اليهود استوطنوا تل أبيب والقدس وحيفا. وقد بدأت مدينة تل أبيب في عام ١٩٠٩ كضاحيه لمدينة بافا، أصبحت بفضل الهجرة أكبر المدن الفلسطينيه سكانا، إذ بلغ سكانها في عام ١٩٣٦ نحو ١٥٠ ألف نسمة كلهم يهود (١٢).

وفيا بين عامي ١٩١٤ و ١٩٣٦ تزايد عدد اليهود بفلسطين بنحو ٤٠٠٪، واتسعت المساحه المملوكة لليهود بنحو ٢٠٠٪، أي من ١١٠ ألف فدان إلى ٣٠٨ ألف فدان، وهذا ينسكل نحو ٢٠٤٪، من مساحة البلاد (١٣٠).

ومعظم اليهود بفلسطين كانوا من أوروبا النرقيه، ويطلق عليهم «الأشكينازيم Sefardim»، ويشكلون أكر من بلانة أرباع السكان اليهود، بينا «السيفاردبم Sefardim» يهود بلدان البحر المتوسط فكانوا يسكلون أقل من عسر اليهود بفلسطين. أما اليهود القادمون من اليمن وكردستان وإيران وبخارى وغيرها من البلدان السرفية فكانوا يمتلون النسبة المتبفية (١٤).

هذا وقد أخذت هذه الهجرات تتوالى على فلسطين، بتشجيع ودعم من حكومة الانتداب البريطانى التي أخذت على عاتفها تنفيذ مخطط التهويد، وبخاصة بعد تعيين السير «هربرت صموئيل» اليهودي الديانة، البريطاني الجنسية، كأول مندوب سام لفلسطين، والذي في عهده أنشئت الوكالة اليهودية (وهي بمنابة دولة داخل دولة) ـ لتتدرب على شئون الحكم والإدارة في البلاد. وفامت هذه الوكالة بتسهيل مهمة الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وافتتحت لها فروعا ومكاتب في كبريات المدن الأوروبية، وكانت تركز على استقدام الشباب الصهيوني الذي يتقن الفنون الزراعية والأعمال اليدوية وتتكلم اللغة العبرية، وكانت تدرب هؤلاء الشباب في معكسرات خاصة. وبناء عليه كان نحو ٨٥٪ من يهود فلسطين تقل أعمارهم عن ٤٥ سنة.

وقد موّل هذه الهجرات في بادي ً الأمر كبار الرأسهاليين اليهود مثل البارون «أدمونـد

روتسيلد» الذي أنفق نحو ٦ر٥ مليون جنيه إسترليني ببن عامي ١٨٨٣ و ١٩٣٧ على الاستيطان اليهودي بفلسطين، وكذلك البارون «دي هرس De Hirsch» الذي خصص نحو عشرة ملايين جنيه لبناء الوطن القومي في فلسطين (١٥٠).

وبطبيعة الحال أدرك عرب فلسطين خطر الهجرة اليهودية، وأرها على عروبة بلادهم، وانعكاس ذلك على الوطن العربي، فقاوموا ذلك بكل الوسائل الممكنة والمتوفرة لديهم من احتجاجات ومظاهرات وإضرابات ونورات، تطورت إلى اصطدامات دموية عنيفة بينهم وبين اليهود من جهة، وبين السلطات البربطانية من جهة ثانية، والتي كانت تقاوم جميع المحاولات العربية بالشدة والعنف. ولسنا هنا بصدد الحديث عن هذه الاحتجاجات والمورات العربية التي تستحق بحما قائها بذاته يتسع للعديد من المجلدات، فمنذ العهد العنهاني وعرب فلسطين يقاومون هذا الغزو الصهيوني، فتألفت الوفود واللجان التي أطلعت المسئولين الأتراك على خطورة الأوضاع وأثر هذه الهجرات اليهودية على مستقبل البلاد (١٦١). وفي عهد الانتداب قامت العديد من التورات التي سجل فيها عرب فلسطين أروع صفحات الجهاد والتضحية في سبيل الذود عن عروبة بلدهم. والقارئ الكريم يكنه الرجوع إلى العديد من الكتب التي تبحت في القضية الفلسطينية، ليرى الكثير من الأمنلة عن جهاد عرب فلسطين وكفاحه ودفاعه عن وطنه.

وعلى كل حال فنتيجة لهذه الهجرات اليهودية المتتالية، والتي لم بنقطع سيلها، بل أخذت في الزيادة المستمرة، مستغلة الأوضاع المحلية والأحداث العالمية، ارتفع عدد اليهود على حساب العرب، وحدثت تحولات ديموغرافية كبيرة لصالح اليهود. وقد قسمت الباحئة «جانيت أبو لغد» هذه التحولات إلى مراحل نوجزها على النحو التالي:

المرحلة الأولى ١٩٠٠ ـ ١٩٢٢ :

بناء على نتائج الإحصاء التركي الذي ورد ملخص عنه في كتاب إحصاء فلسطين لعام ١٩٢٧، بلغ عدد سكان فلسطين في عام ١٩١٤ نحو ٢٧٢ر ٢٨٩ نسمة، منهم حوالي ٦٠ ألف يهودي، أي إن اليهود آنذاك لم يزيدوا عن ٧ر٨٪ من سكان البلاد، في حين أن العرب كانوا

يسكلون الأغلبية الساحفة، أي ٣ر٩١٪، على الرغم من الهجراب اليهودبة الكنيرة التي غزت البلاد.

وفي ٣١ ديسمبر ١٩٢٢ أجرت حكومة الانتداب أول إحصاء رسمي لفلسطين، ومنه تبين أن سكان فلسطبن تزايدوا فبلغوا نحو ٧٥٧/١٨٢ نسمة، منهم نحو ٥٩٠/٥٩٠ عربيا مسلها، أي نحو ٧٧٪ من سكان البلاد، ونحو ٧٣٠/٣٤ عربيا مسيحيا، أو ما يوازى ٦ر٩٪ من السكان، وبذلك أصبح العرب عنلون ٦ر٧٨٪، في حين بلغ عدد اليهود ٨٣/٣٨٤ نسمة، أو حوالي ١١٪ من سكان البلاد، والبافي ومقداره ٩٤٧٤ نسمة أو نحو ٢ر١٪ للمذاهب الأخرى.

وهذا يعني أنه على الرغم من تزايد السكان العرب في الفترة الواقعة ما بين ١٩٢٢ و ١٩٢٢ بنسبة ٥,٥٪، وهي نتيجة الزيادة الطبيعية الصرفة، نجد أن اليهود تزايدوا في نفس الفترة بنسبة ٦,٩٣٪ بسبب الهجرات اليهودية التي تدفقت إلى فلسطين. وبمعنى آخر فإن تحولا ديوغرافيا بدأ يظهر بوضوح لصالح اليهود، ففي حين تراجعت نسبة السكان العرب من ١٩١٣٪ من جملة السكان في عام ١٩١٤ إلى ٦,٧٨٪ في عام ١٩٢٢، نجد أن نسبة السكان اليهود تزايدوا في نفس الفترة من ١٩٨٪ إلى ١١٪، وهذا بعود إلى الهجرة بعد خضوع فلسطين للانتداب البريطاني، والدي ترتب عليه فتح السلطات المنتدبة أبواب فلسطين على مصاريعها لليهود القادمين من مختلف أنحاء العالم. ففي عام ١٩١٩، وإبان الحكم العسكري، قدم فلسطين نحو ١٩٠٦ مهاجر، منهم نحو ٢٠٨ من الاتحاد السوفييتي. وفي ٢ يونيو ١٩٢٤ اعترف فلسطين نحو ١٩٠٠ مهاجر، منهم نحو ٢٠٨ من الاتحاد السوفييتي. وفي ٢ يونيو ١٩٢٤ اعترف وكيل وزارة المستعمرات البربطانية «أورمسبي غور» بأن نحو ١٩٥٥ يهوديا دخلوا البلاد أبناء الاحتلال العسكري. وفي عام ١٩٢٠ هاجر إلى فلسطين بفلسطين (١٩٥ يهوديا، وهو نفس العام الذي عين فيه «هربرت صموئيل» كأول مندوب سام بريطاني بفلسطين (١٩٠٪).

وفي ٧ يوليو عام ١٩٢٠ ألقى هربرت صموئيل أول خطاب له في القدس بعد أسبوع من توليه الحكم، وأتى على ذكر المساريع التي بزمع القيام بها، وأن تنفيذها لن يتم «بدون ناس آخرين يأتون من الخارج، وستفتح الموانى والحدود عما قريب لعدد محدود من المهاجرين، يكون مناسبا للعمل الذي يحتاجهم، وما تساعد عليه المساكن». وتنفيذا لذلك أصدر في أول سبتمبر ١٩٢٠ قرارا بإنساء دائرة الهجرة التي تولي رئاستها «البرت هيامسون» المهوديني (١٩). ويبدو أن أرقام الهجرة المذكورة أعلاه لم تتضمن أعدادا كبيرة من اليهود

الدين كانوا يدحلون البلاد بصوره غير مسروعة، وهؤلاء كانوا يلعون الدعم والمساعده من الحكومه المنتدبة، ومن الوكالة اليهوديه التي تأخذ على عاتفها تدبير المساكن والعمل لهم.

المرحلة الثانية ١٩٢٣ _ ١٩٣٢ :

في ٣١ ديسمبر ١٩٣١ أجرت حكومه الانتداب الإحصاء الماني، حيث تبين بأن عدد سكان فلسطين تزايدوا إلى ١٩٨١/٥٩٠ را نسمة، منهم ٢١٧ر٥٩٥ عربيا مسلما أو نحو ٣٧٣٧٪ من السكان، وحوالي ١٣٩٨ مسيحيا (٩٠٪ منهم عربا) أو نحو ٨ر٨٪ من جملة السكان. في حين ارتفع عدد اليهود إلى ١٩٠٠/١٤ نسمة أو حوالي ٨ر١٦٪ من سكان فلسطين، أي إنه حين تزايد السكان المسلمون بنسبه ٥ر٢٨٪ في مدى عسر سنوات أو بمعدل ٨ر٢٪ سنوما، نجد أن تزايد اليهود بلغ ٧ر٧٠١٪ أو بمعدل ٨ر٠٠٪ سنويا، أي إنهم بلغوا أكثر من الضعف في بحر عسر سنوات، وهذا بعكس حركة الهجره المكتقة في هده الفتره والتي بلغب الأوج، إذ لم بسبق أن وفدت إلى فلسطين هجرة بهودية واسعة النطاق على هذا النحو. ففي عام ١٩٢٥ فقط هاجر نحو ٣٤ ألف يهودي إلى فلسطين (٢٠٠).

وفد أبرت هذه الهجرة على التركيب السكاني لفلسطين، فبموجب إحصاء ١٩٣١م المذكور نجد أن نحو ٦٩٨٨ من اليهود في عام ١٩٣٠م تركزوا في السريط الممتد من مدينه بافا على البحر المتوسط حتى القدس في وسط البلاد. وإليك نسب التوزيع السكاني ليهود فلسطين بحسب المناطق:

- ١ منطقة يافا ـ تل أبيب ٥٠٪ من جملة سكان المنطقة، إذ بلغ عدد اليهود نحو ٦٥ ألف يهودي، وهذا يساوي نحو مل مجموع السكان اليهود في كل أنحاء فلسطين.
- ٢ ـ منطقة مدينة القدس: بلغ مجموع سكانها آنذاك ١٣٣ ألف نسمة، منهم نحو ٥٥ ألف بهودي، وبذلك شكلوا ٤١٪ من سكان تلك المنطقه، وقد أقام معظمهم في القطاع الجديد من المدينة خارج السور.

أما في أتحضيه فلسطين السهالية فقد كان اليهود بؤلفون أقليه ملفتة للنظر، لكنهم نجمعوا هناك في مناطق المدن. ففي قضاء حيفا فقد كانت نسبتهم إلى السكان نحو ٢٥٪ (وهي نفس

النسبة في عام ١٩٢٢م). وفي قضاء طبريا ٢٨٪. هذا وفد تركزت أقليات يهوديه في مدن بيسان ١٣٪ من جملة السكان، والرملة ١٢٪، والناصره ١١٪، وصفد ٩٪.

وفي الأقضية التالية كان اليهود يسكلون أعلية لا تزيد عن ١٪ من جملة السكان، وذلك على النحو التالى:

- ١ _ قضاء عكا ٧ر٠٪ من جملة سكان القضاء .
- ٢ _ فضاء غزة ٤٠٠٪ من جملة سكان القضاء .
- ٣ _ قضاء الخليل ٢ر٠٪ من جملة سكان القضاء .
- ٤ _ قضاء طولكرم ٤را٪ من جملة سكان القضاء .
- ٥ _ قضاء بيت لحم ١٠٠٪ من جملة سكان القضاء .

أما بالنسبة الأقضية بئر السبع ورام الله ونابلس فلم يقطن بها آنذاك أي نفر من اليهود (٢١).

المحلة الثالثة ١٩٣٢ ـ ١٩٤٧:

ابتداء من عام ١٩٣٢ وحتى عام ١٩٣٦ أخذت تتدفق على البلاد أفواج عديدة من المهاجرين بشكل لم يسبق له مبيل، مما أبار شعور الاستياء والغضب لدى عرب فلسطين، وكان هذا أحد الأسباب الرئيسية التي فجرت بورة ١٩٣٦م الشهيرة. وفي مدى الأربع سنوات هذه (١٩٣٦ ـ ١٩٣٦) دخل البلاد ما لا يقل عن ١٧٤ ألف مهاجر يهودي، مما رفع عدد السكان اليهود إلى ٣٧٠ ألف، وذلك بناء على تفدير لجنة «بيل» التي أرسلت للتحقيق في المأساة الفلسطينية في عام ١٩٣٦، في حين أن الوكالة اليهودية قدرت اليهود بفلسطين في نهاية عام ١٩٣٦ بنحو ١٩٨٤ ألف نسمة، وبذلك أصبح اليهود يسكلون أقلية كبيرة، بلغت نسبتها ١٩٣٨ من جملة سكان البلاد (٢٢).

ويمكننا القول بأن الذين دخلوا البلاد في مدى أربع سنين فقط يزيد عن ما دخلها في قرابة مائة عام، وأن هؤلاء الفادمين بلغوا نحو نصف اليهود الذين كانوا بفلسطين منذ منتصف القرن التاسع عشر.

وفي نهاية عام ١٩٤٣ فدرت حكومة الانتداب سكان فلسطين بنحو ١٩٥٦/٦/١ نسمة، منهم نحو نصف مليون يهودي، وكانت هذه الزيادة بسبب الهجرات المستمره، مما جعل نسبتهم تقترب من نك مجموع سكان فلسطين.

وفي عام ١٩٤٦ وصـل عدد سكان فلسطين إلى ٢١٤ر١٨٨٧/ نسمـة، منهم نحـو هي عام ١٩٤٦ وصـل عدد سكان البلاد (٢٣).

المرحلة الرابعة ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨ م :

أجرت حكومة الانتداب في ٣٦ مارس ١٩٤٧م آخر تقدير رسمي لسكان فلسطين، فكان نحو ١٩٤٧م، ١٩٠٥م النحو التالى:

عدد المسلمين ٢٣٤ر١٥٧را نسمة، أي إنهم شكلوا ٦٠٠٦٪ من جملة السكان.

عدد اليهود ٣٤١ر٥٨٩ر٠ نسمة، أي إنهم شكلوا ٨ر٣٠٪ من جملة السكان.

عدد المسحيين ١٦٢ر١٤٦ر٠ نسمة، أي إنهم سكلوا ٢٧٧٪ من جمله السكان.

المذاهب الأخرى ١٥٨٥١٠ ر٠ نسمة، أي إنهم شكلوا ٨٠٠٪ من جملة السكان.

وفي عام ۱۹۶۸ قدر عدد سكان فلسطين بنحو ۲۰۰ر۲۰۰۵ نسمة، منهم نحــو الله عربي، أي حوالي ۲۹٪ من جملة السكان (۲۶).

وعقب إعلان إسرائيل في ١٤ مايو ١٩٤٨م زاد عدد اليهود زيادة كبيرة نتيجة الهجرة المكنفة إلى فلسطين، وبخاصة من السباب المدرب على حمل السلاح من أجل المساركة في الحرب التي قامت نتيجة قيام هذه الدولة على أرض فلسطين العربية، وما ترتب على ذلك من طرد وتشر بد عرب فلسطين. وقدرت وكالة الغوث الدولية «الأونروا» بأن حوالي ١٠٠ ألف فلسطيني طردوا وشردوا من وطنهم نتيحة حرب ١٩٤٨ (٢٥).

وبعد توقف القتال قامت إسرائيل في نوفمبر ١٩٤٨م بإجراء إحصاء للسكان، تبين منه أن عدد العرب الذين ظلوا في فلسطين المحتلة نحو ١٢٠ ألف نسمة، وبذلك أصبحوا أقليه بعد أن كانوا يشكلون الأكثرية الساحقة. هذا وقد بلغ عدد المهاجرين اليهود إلى فلسطين المحتلة في عام ١٩٤٨ نحو ١٩٤٨مر ١٠٠ نسخصا، مما رفع عدد السكان اليهود في ذلك العام إلى نحو ٢١٦ر٢٠٠ نسمة (٢٦).

المرحلة الخامسة ١٩٤٩ وما بعدها:

بعد انتهاء حرب ١٩٤٨ أخذت إسرائيل تعمل بكل الوسائل على استقدام المزيد من المهاجرين اليهود من الخارج لبناء اقتصادها المنهار، وإصلاح التدمير الذي سببته هذه الحروب، وتقوية جيسها الذي أنهكته المعارك. وحتى تسبر قدما في إكال سياسة التهويد أخذت إسرائيل في إسكان هؤلاء الوافدين في المساكن والأماكن التي طردت أصحابها العرب منها، وصارت تهدم بعض القرى والأحياء والمدن العربية وإزالة معالمها وبناء المجمعات السكنية والمستعمران لتستوعب هؤلاء القادمين الجدد.

وفي عام ١٩٤٩ استقبلت فلسطين المحتلة نحو ٢٣٥،٥٦٧ يهوديا جاؤوها من الخارج، مما رفع عدد اليهود إلى ١٠٩،٥٠٠ نسمة، وبذلك أصبحوا يسكلون نحو ٩٠٪ من جملة سكان فلسطين. هذا ولم ينقطع سيل الهجرة إلى فلسطين طيلة السنوات التي تلت قيام هذه الدولة، إذ بلغ مجموع اليهود الذين هاجروا إلى فلسطين منذ عام ١٩٤٨ وحتى عام ١٩٦٧ نحو بلغ مجموع اليهود الذين هاجروا إلى فلسطين منذ عام ١٩٤٨ وحتى عام ١٩٦٧ نحو ٢٢٩،٢٠٠٠ نسمة، وبذلك وصل عدد اليهود في فلسطين المحتلة في ذلك العام نحو

وفي الفترة الممتدة من عام ١٩٦٧ م إلى عام ١٩٧٠م هاجر إلى فلسطين المحتلة نحو المدير الم

وتتطلع إسرائيل اليوم إلى استقدام كل يهود العالم والبالغ عددهم نحو ١٦ مليونا (٣١)، وترى أن هناك إمكانية لإسكانهم في فلسطين المحتلة وفي الأراضي المحتلة بعدعدوان ١٩٦٧م. وما دامت إسرائيل تقوم في الأساس على التوسع واحتلال أراضي الغير مرحليا، فإنها تتطلع إلى ضم المزيد من الأراضي العربية القريبة والبعيدة، وهي في سبيل تحقيق هذا الهدف تتسلح بأحدث الأسلحة التي تتخطى عامل المسافة والبعد، مما يجعل أبعد البلاد العربية عن إسرائيل سهلة المنال.

ثانيا : امتلاك أراضي فلسطين ومصادرتها :

بذل اليهود جهودا مكنفه من أجل نملك أقصى عدر ممكن من أراضي فلسطين بعد فنتلهم في سرائها من السلطان العنهاني يوم أن كانت البلاد تحت السيادة العبانية واعتبر اليهود تملك الأرض من أقوى الوسائل التي مكنهم من تهويد فلسطين توطئة لتأسيس دولتهم.

ولاسك في أن مسألة الاستيلاء على أراضي فلسطبن كان قد خطط لها بمهارة وذكاء منذ ظهور الحركة الصهيونية، ففد كتب «بيودور هرتزل» في يومياته في عام ١٨٩٥ في هذا الصدد ما يلي: «إنه متوجب نزع الملكية الخاصة بلطف... سوف محاول تسريب السكان المعدمين عبر الحدود، بتأمين مجالات الاستخدام لهم في بلدان العبور، على أن نسد أمامهم كل مجال للعمل في بلادنا... العمليتان: عملية نزع الملكية، وعملية إبعاد الففراء يجب تنفيذها بحدر واحتراس وتكتم. لا بأس إن اعتقد أصحاب العقارات والأراضي بأنهم مغسوننا فيبيعوننا الأسياء بأسعار تفوق قيمتها المستحقة، نحن لن نبيعهم سينا على الإطلاق متى جاؤوا لاسترداده بالشراء» (٣٢).

ومع حلول عام ١٩٠١م أنسأ «هرتزل» وزملاؤه في زعامة الحركة الصهيونية ما يسمى بالصندوق اليهودي «كيرن كايميت» لتنفيذ مخطط شراء الأراضي «كملك لا تنتهك حرمته للسعب اليهودي». وفي عام ١٩٢٠م تأسس الصندوى التأسيسي «كيرن هايسود» والـذي أصبح أكثر جهاز مالي للعمل الصهيوني في فلسطين (٢٣).

ولكن على الرغم مما بذله اليهود من مختلف الوسائل والإغراءات، وعلى الرغم من تسخير حكومة الانتداب لتنفيذ مخططاتهم، فإنهم لم يتمكنوا من أن يتملكوا إلا نحو مليوني دونم، أى ما يعادل ٧٪ فقط من مجموع أراضي فلسطين البالغة ٢٧ مليون دونم، وذلك منذ أن بدأوا بالهجرة إلى فلسطين، وحتى انتهاء الانتداب البريطاني في ١٥ مايو ١٩٤٨. وقد استطاع اليهود الاستيلاء على المليوني دونم بالوسائل الآتية (٣٤):

٠٠٠ر ٢٥٠ دونم استولى عليها اليهود في عهد الحكومة العثمانية (خلال حقبة طوبلة) بحجة إنعاش الزراعة وإنساء مدارس زراعية.

٣٠٠ر، ٣٠٠ دونم منحتها حكومة الانتداب البريطانية لليهود دون مفابل (وهي من أمـلاك الدولة).

.٠٠ر ٢٠٠٠ دونم منحتها حكومة الانتداب البريطانية لليهود لقاء أجرة اسمية (وهي من أملاك الدولة).

٦٣٥،٠٠٠ دونم استراها اليهود من بعض اللبنانيين والسوريين الذين كانوا علكون أراضي في فلسطين (كمرج ابن عامر ووادي الحوارب والحولة وغيرها).

٠٠٠ر٢٢٥ دونم باعها عرب فلسطين معظمها في ظروف فاهره، وبعضها ذهب نتيجة نزع الملكية.

وكان نتيجة ذلك أن أصيبت الصهيونية بخيبة أمل كبيره، لأنها لم تنجح في تحقيق سراء أراضي فلسطين، فلم تجد أمامها غير وسيلة واحدة، وهي استعال القوة، فأخذت تحتل الأماكن والمناطق التي تنسحب عنها فوات الانتداب البربطاني مدريحيا بتخطيط وتنسيق تام مع الحكومة المنتدبة. ولما توقفت حرب ١٩٤٨م ووقعب الهدنة العامة، كانت إسرائيل نحتل نحو ٢٠٨٥٠ كيلو مترا مربعا من فلسطين، أو نحو ٤٧٧٪ من مساحة البلاد الكلية. وقد استملت المنطقة الإسرائيلية على أكنر من 90٪ من التربة الجيده، وعلى ٦٤٪ من التربة المتوسطة، وأعل من ٣٦٪ من التربة الفغيرة باستيناء النهب (٥٠).

وبمجرد أن هدأت الأحوال نسبيا، وصفا الجو لإسرائيل، أخذت عمل على نزع ملكية الأراضي العربية التي تقع تحت سيطرتها، وفد استعانت على ذلك بوضع تسريعات ووانين اتخذتها كوسيلة لتحقيق ذلك (٢٦). فبعد قيام إسرائيل مباشرة صدر فانون الطوارى*، والذي منح بموجبه وزير الدفاع صلاحيات خطيرة جدا، منها إخراج العرب الذين يسكنون في مناطق من فلسطين حيث أطلق عليها مناطق الأمن، وترحيلهم خارج هذه المناطق بصورة دائمة.

وتخضع مناطق التجمعات العربية في فلسطين المحتلة إلى حكم عسكري له سلطات مطلقة لا يجوز الطعن فيها، ولا بحق حتى للقضاء مجرد مناقسة الحاكم العسكري فيا يعمل. وفد وضعت محكمة العدل العليا لنفسها قاعدة تفول: «إنه ليس في إمكان هذه المحكمة التدخل في وجهة النظر المطلقة للحكم العسكري حين يتصرف مستندا إلى أسباب (أمنية)، وإنه لا يجوز التحقيق مع الحكام العسكريين في المحكمة فيا يتعلق بماهية (الأسباب الأمنية)، لأن ممل هذا التحفيق بحد ذاته هد يضر بأمن الدولة».

وقد استغل الحكم العسكري هذه السلطات المطلقة أسوأ استغلال، فأباح لنفسه التصرف في العرب كيفها ساء وبحسب أهوائه ورغباته ونزواته، وتنفيذا لمخطط صهيوني خبيث، وألزم السكان بالبقاء في الأماكن التي خصصت لهم، وصار يراقب تحركاتهم ويمنعهم من دخول المناطق المغلقة إلا بتصريح خاص. والمناطق المغلقة عبارة عن أراض عربية انتزعت من أصحابها، ووضعت الدولة يدها عليها تهيدا لاستغلالها وإقامة المستعمرات عليها. هذا ويجوز للحاكم العسكرى إلقاء القبض على أي عربي وإيداعه السجن بجرد الاشتباه به، أو ترحيله من البلاد فورا.

القوانين التي تخول سلطات الاحتلال الاستيلاء على أراضي العرب في فلسطن:

بعد قيام إسرائيل في ١٥ مايو ١٩٤٨م أخذت حكومتها تعمل على مصادرة الأراضي العربية التي نزح عنها سكانها نتيجة الإرهاب الصهيوني والحرب الفلسطينية. وعلى أنرذلك قام الجيش الإسرائيلي بهدم القرى العربية وإزالة معالمها، وإجبار من تبقى من سكانها على النزوح عنها وضمها للمستعمرات اليهودية. وقد أنارت هذه الأعمال ردود فعل محلية وعالمية، بعد أن استطاع العرب أن يثبتوا للعالم حقيقة النوايا والأطماع الإسرائيلية. ولذلك لجأت إسرائيل إلى طرق أخرى، منها إصدار قوانين تهدف إلى تبرير مصادرة الأراضي العربية، وتخول السلطات صلاحيات إضافية لنهب ما تبقى من أراضي في أيدي العرب. وقد بدأ صدور هذه القوانين في أواخر عام ١٩٤٨م وحتى عام ١٩٥٨م، وهذه القوانين كانت المسئولة عن سلب نحو مليون دونم من أراضي العرب الذين ظلوا في البلاد بعد قيام إسرائيل. وبناء عليه تمت مصادرة الأراضي العربية إما باستخدام القوة وبدون الاستناد إلى قانون، كما حدث لقرى «إقرت» و «كفر برغم» وغيرها من عشرات القرى العربية التي أجلي سكانها عنها بالقوة، أو بتنفيذ القوانين الجائرة التي تعطي لعملية المصادره صبغة شرعية. وفيا يلي نتكلم بإيجاز عن أهم القوانين التي سنت خصيصا لسلب الأراضي العربية ونهبها:

١ _ قانون أملاك الغائبين لعام ١٩٥٠ :

صدر هذا القانون لأول مرة في ١٢ ديسمبر ١٩٤٨م، وكانت وظيفته تحديد الوضع القانوني

لأملاك الغائبين الذين تركوا البلاد، ونقل هذه الأملاك إلى «القيم على أملاك الغائبين». وعوجب هذا القانون فإن كلمة الغائب تعني ما يلي:

- أ) أي إنسان كان مواطنا في أرض فلسطين وغادر محل سكناه العادي في الأرض المحتلة في أي وقت بين ٢٩ نوفمبر ١٩٤٨ وبين اليوم الذي يعلن فيه أن حالة الطوارئ قد ألغت.
- ب) يعتبر غائبا إذا غادر السخص البلاد (في الفترة المذكورة أعلاه)، إما إلى مكان خارج الأرض المحتلة قبل اليوم الأول من سبتمبر ١٩٤٨م، أو إلى مكان داخل الأرض المحتلة كانت تسيطر عليه في تلك الساعة قوات أرادت منع فيام إسرائيل أو حاربتها بعد قيامها. ومعنى هذا أن كلمة غائب تنطبق على سكان بعض المناطق في الجليل والمثلث، والتي كانت تحت سيطرة القوات العربية، والتي احتلتها إسرائيل فيا بعد، أو ضمت إليها بموجب اتفاقيات الهدنة.

ويمقتضى هذا القانون الجائر صودرت عشرات الآلاف من الدونمات التي كانت مملوكة للعرب. هذا وقد خول هذا القانون للقيّم أو الحارس على أملاك الغائبين سلطة تقرير مفهوم كلمة «غائب» حسبا يريد، ولا يجوز التحقيق معه عن الأسس التى ارتكز عليها في تقرير مفهوم كلمة «غائب» حتى ولو كان المفهوم خاطئا. بقول أحد بنود هذا القانون ما يلي: «كل صفقة جرت بصورة عفوية ببن القيم وبين إنسان آخر فيا يتعلق بملك ظنه القيم في ساعة إجراء الصفقة ملك غائب لا تعتبر باطلة، بل تبقى نافذة المفعول حتى لو ثبت بعد ذلك أن هذا الملك لم يكن في تلك الساعة ملك غائب».

ومن المؤلم حقا أن هذا القانون المجحف تم تطبيقه على أملاك الوقف الإسلامي، على الرغم من أن هذا الوقف مخصص لوجه الله، هذا مع العلم بأن أملاك الوقف الإسلامي كانت كبيرة جدا، فبناء على تقرير لجنة التحقيق بفلسطين لعام ١٩٣٦م قدر بأن نحو ١٦/١ من مساحة فلسطين الكلية كانت تابعة للوفف الإسلامي، وفي مدن متل ياف وعكا تشكل الحوانيت التابعة للوقف ٧٠٪ من مجموع الحوانيت في المدينتين.

٢ ـ قوانين الدفاع (حالة الطوارئ) :

وبموجب هذا القانون منح الحكام العسكريون صلاحية الإعلان عن مناطق معينة كمناطق مغلقة لا يسمح بدخولها أو الخروج منها إلا بتصريح خطي من الحاكم العسكري أو من يمله. وقد استغل هذا الفانون أبضا لمنع الكتيرين من القرويين العرب من العودة إلى قراهم التي طردوا منها، أو على أثر المعارك في عام ١٩٤٨م.

إن عملية تنفيذ هذه المادة سهلة وبسيطة جدا، فإذا كان هناك سكان قرية معينة تركوها أو طردوا منها ومنعوا من العودة إليها _ فإنه يقترح عليهم قبول تعويضات مفابل التنازل عن أملاكهم. وفي الغالب يرفضون ذلك أملا في العودة إلى أماكنهم. ولكن الحاكم العسكري يعلن بأن القرية منطقة مغلقة بعد ذلك حتى يمنعهم من تحقيق أمل العودة، ويترتب على هذا أن الحصول على تصريح لدخول القرية يصبح أمرا مستحيلا لأسباب نتعلق بأمن الدولة.

٣ _ قانون المواد لساعة الطوارئ (مناطق الأمن) لعام ١٩٤٩م:

لقد منحت مواد هذا القانون وزير الدفاع صلاحية تحديد مناطق الأمن، وبمجرد نسر هذا الإعلان فإنه يحظر على كل إنسان السكنى بصورة نابتة في منطقة الأمن هذه، أو حتى دخولها، أو التواجد فيها إلا بتصريح خاص من السلطات المختصة التي عينها وزير الدفاع لتطبيق مواد القانون. وقد طبق هذا القانون بشكل مجحف على قرية «إقرت» في ٣١ أكتوبر ١٩٤٨م، وهذه القرية تقع في الجليل الغربي قرب الحدود اللبنانية.

٤ _ قانون ساعة الطوارى الاستغلال الأراضي غير المفلوحة :

كان الهدف من هذا القانون مصادرة المزيد من الأراضي العربية بطريقة قد تبدو للشخص أنها مسروعة، وأنها من أجل استغلال الأراضي الزراعية، ومن أجمل تنفيذ هذا القانون، وحتى يكتسب الصفة المشروعة من وجهة النظر الإسرائيلية يقوم وزير الدفاع بتحديد بعض المناطق المغلقة وإعلانها رسميا، ويطرد سكانها منها، ولا يسمح لهم بالعودة إليها تحت ستار الأمن، وهكذا تتحول الأرض خلال مدة قصيرة من أرض مزروعة إلى بور لأن

مالكها لا يستطيع الوصول إليها. وبناء عليه يعتبر وزير الزراعة أن هذه الأرض غير مستغله، ويصدر قرارا بتسليمها إلى المستعمرات اليهودية القريبة لفلاحتها وتنتقل ملكيتها للدولة.

٥ ـ قانون الاستيلاء على أرض في ساعة الطوارى لعام ١٩٤٩ م :

عينت الحكومة بموجب هذا القانون إدارة خاصة ذات صلاحية معينة، من حقها إصدار الأمر بالاستيلاء على الأرض، أو إصدار أمر إسكان، حسبها ترى هذه السلطة أن ذلك من مقتضيات الأمن والدفاع عن الدولة، وما يلزم مشاريعها وخططها المستقبلية الخاصة، بأغراض الخدمات وإسكان المهاجرين الجدد أو الجنود المسرحين أو منسوهي الحرب. وتؤول ملكية هذه الأراضي في النهاية إلى الدولة.

٦ _ قانون استملاك الأراضي لعام ١٩٥٣ م :

كانت إسرائيل تزعم دوما وتدعي بأن القوانين الخمسة السابقة مؤقتة ومرتبطة بحالة الطوارى التي لاتزال سارية في البلاد. وحتى تضمن عدم عوده هذه الأراضي التي صادرتها القوانين المؤقتة السابقة لأصحابها الشرعيين، وحتى يحق للدولة استملاكها بصورة أبديه، صدر هذا القانون السادس والذي يعتبر ملخصا للقوانين الخمسة السابقة. ويتلخص في أنه يحق لوزير المالية نقل أراض صودرت بموجب القوانين السابقة إلى ملكية إسرائيل. وقد ترتب على هذا القانون مصادرة أراضي ما يزيد على ٢٥٠ قرية عربية.

٧ _ قانون تقادم الزمن لعام ١٩٥٨ م :

ويهدف هذا القانون إلى استملاك أراضي عرب الجليل وأراضي عربية أخرى غير مسجلة في دائرة تسجيل الأراضي (الطابو)، على الرغم من أن بعض مواد القانون العناني لعام ١٨٥٨، وقانون تنظيم حق الملكية في عهد الانتداب لعام ١٩٢٨م أعطى المزارعين العرب حق تملك هذه الأراضي. وقد نص هذان القانونان على أن كل من يستغل أرضا ويفلحها عشر سنوات متتالية يحق له تملكها وتسجيلها بعد ذلك، وهذا ما يطلق عليه بتقادم الزمن. وقد جاء قانون تقادم الزمن الإسرائيلي لينسف هذا النص، إذا اشترط المدة خمسين سنة، ونتيجة لكثرة

الاحتجاجات عدل إلى ١٥ سنة، ولكن أدخل في الفانون بند ينص على أنه بالنسبة لسخص بدأ بفلاحة الأرض بعد تاريخ الأول من مارس ١٩٤٣ فإن الخمس سنوات التي تبتدي من يوم سن هذا القانون تعتبر غير محسوبة، وذلك حين تفدير فترة تقادم الزمن.

ومن الناحية العملية فهذا معناه أن فترة تقادم الزمن مددت بموجب هذا البند بالنسبة لمن ابتدأ بفلاحة أرض في ١٩٤٣/٣/١م أو بعدها إلى عشرين سنة بدلا من ١٥ سنة حسب النص الأساسي للقانون.

وقد تبين فيا بعد بأن الدوافع الحقيقة لأدخال هذا البند هي الأعلان عن الأراضي التي لا تستحق ميزة تقادم الزمن، والتي تعتبر ساربة المفعول ابتداء من ١٩٦٣/٣/١. وقد بادرت سلطات الاحتلال بإخضاع جميع المناطق لعملية المسح كي نمنع إمكانية تفادم الزمن، (أي مسح الأراضي قبل أن تمر فترة ٢٠ سنة بين ١٩٤٣/٣/١م - ١٩٦٣/٣/١م)، وبذلك استطاعت السلطات الإسرائيلية أن تصادر الكبير من أملاك العرب.

وأما فيا يتعلق بمساحات الأواضي التي صودرت بموجب هذه القوانين السابقة فالمصادر تختلف في تقديرها، ولكن البعض يقدرها بنحو مليون دونم.

٨ ـ قانسون الأحسراش :

تحيط ببعض القرى العربية أحراش كثيرة مسجلة باسمها، يستطيع السكان استعالها كمراع أو لقطع الأخشاب وخلافه. ولكن عمدت الحكومة إلى اعتبار مساحات واسعة من هذه الأحراش كمناطق غابات حكومية، ومنعت الناس من دخولها، على أن تعود ملكيتها للحكومة، وتوكل لمواطنيها الإسرائيليين بعد ذلك استغلالها.

٩ _ قانون استملاك الأراضي للصالح العام ١٩٤٣ م :

وهو قانون يدل ظاهره على أنه لا غبار عليه، إذ يحق لكل دولة من دول العالم أن تنزع ملكية أي أرض بعد تعويض صاحبها لأجل النفع العام، ولكن السلطات الإسرائيلية طبقت هذا القانون بخبث شديد، واستخدمته وسيلة من وسائل مصادرة الأراضي العربية. وعلى سبيل

المنال صادرت تحت ستار ما تزعمه بالصالح العالم نحو ١٢٠٠ دونم من أفضل أراضي مدينة الناصرة، بحجة الحاجة إليها لإقامة الأبنية والمكاتب الحكومية المختلفة، ولكن تبين فيا بعد أنها خصصت لبناء مساكن للمهاجرين اليهود، وبناء مصانع للغزل والنسج والسيكلات والبسكويت. وهكذا أثبت الواقع أن هدف السلطات كان إقامة مستوطنة يهودية جديدة في قلب الناصرة تسمى بالناصرة العليا، وهدفها خنق المدينة العربية. وقد طبق هذا القانون على كثير من القرى العربيه.

وبما لائلك فيه بأن عملية مصادرة الأراضي العربية في المناطق المحتلة مسألة خطيرة جدا، لأنها تهدف إلى محو عروبة فلسطين، وتهويدها بالكامل، وطرد ما تبقى من سكانها. ذلك لأن إسرائيل تخنى في الوقت الحاضر من زيادة السكان في منطقة الجليل والمتلف، وتعتبر ذلك خطرا كبيرا يهدد كيانها، ولذلك وجدت أن أفضل حل لهذه المسكلة هو مصادرة الأراضي وإقامة المستوطنات اليهودية عليها، من أجل إزالة عروبة هذه المناطق، كما أنها تريد أن تفقد العرب مستقبلا مطالبتهم بهذه المناطق في حالة حدوث محادنات سلام. إن إسرائيل تريد بذلك أن تفرض واقعا جديدا تفرضه على العرب، فتقضي على كل أمل في عروبة هذه المناطق.

ثالثا : طرد السكان العرب :

بعد أن اشتد ساعد الصهيونية اتخذت العنف مظهرا من مظاهرها، والقوة من وسائل تحقيق أهدافها وأطاعها. وقد نسب إلى «دافيد بن غوريون» حينا كان في عنفوان سبابه وفي عهد الانتداب البريطاني لفلسطين السعار الذي تبناه يهود فلسطين، ومؤداه بأن «القوة، وبالقوة وحدها سوف نكسب الاحترام» (٧٧). ومنذ ذلك الوقت اتخذت الصهيونية الخطوات العملية من أجل تنظيم أول فوة مسلحه لها، أطلق عليها «الهاشوم»، لتكون رائدة الجيش السري في عهد الانتداب، والتي والتي كان اسمها «الهاجاناه».

وبما أن هدف الصهاينة كان نحو هجرة جماعية إلى فلسطين التي سعوا إلى تهويدها، فقد خططوا منذ البداية لطرد السكان العرب واحتلال البلاد الخالية من أهلها. وقد أسس الصهاينة مدرسة لتعليم النخبة اليهودية بفلسطين، أطلقوا عليها «هرتزليا جيمنازيوم»، والتي تخرج منها قادة المستقبل لإسرائيل. وفي هذه المدرسة طبقوا في أذهانهم عبارة كانت تردد على

مسامعهم باستمرار، وهذه العبارة تقول: «إن أرض الوطن يجب أن تصبح لنا مطهرة من الأجانب، نظيفة من الغير (أي العرب)» (٢٨).

ولم تمض عشر سنوات على القول السابق الذكر له : بن غوريون الذي أصبح فيا بعد أول رئيس لحكومة إسرائيل إلا وكانت فلسطين مفرغة عمليا من أصحابها السرعيين. والحقيقة أن هذا التفريغ السكاني سبق الإعداد له منذ أكثر من خمسين عاما لقيام إسرائيل، فقد كان «هرتزل» يفاوض ويساوم ويتآمر منذ عام ١٨٩٦م على أن تكون فلسطين للشعب اليهودي خالية من سكانها. وقد بذل مع السلطان العتهاني عبدالحميد أقصى ما يستطيع من الإغراءات والوساطات وعرض الأموال لشراء فلسطين، ولكن السلطان رفض جميع هذه المحاولات بكل شجاعة وإباء، وأبلغ مندوب هرتزل ما نصد: «إذا كان هرتزل صديقك... فانصحه أن لا يسير أبدا في هذا الأمر، لا أقدر أن أبيع ولو قدما واحدا من البلاد، لأنها ليست لي، بل لشعبي. لقد حصل شعبي على هذه الامبراطورية بإراقة دمائهم، وقد غذوها فيا بعد بدمائهم، وسوف نغذيها بدمائنا قبل أن نسمح لأحد باغتصابها منا... الامبراطورية التركية ليست لي، وإنما للشعب التركي، لا أستطيع أن أعطي أحدا أي جزء منها. ليحتفظ اليهود بملايينهم، فإذا قسمت الامبراطورية فقد يحصل اليهود على فلسطين بدون مفابل. إنما لن تقسم إلا على جثثنا، ولن أقبل بتشريجنا لأى غرض كان» (۱۳).

ولما فشلت جهود هرتزل جاء من بعده صهاينة حاولوا طيلة الفترة الممتدة من عام ١٩١٧ إلى عام ١٩٤٧م تفريغ البلاد من سكانها، وأخذوا يضعون أفكارهم وتصوراتهم التي ستصبح رهن التنفيذ حال قيام الدولة. غير أن الحركة الصهيونية مع بداية عام ١٩٤٨م وجدت فرصتها المناسبة، فاتخذت قرارها النهائي، إذ إنه قبل أن تصوت الجمعية العامة للأمم المتحدة على مسألة التقسيم، أمر بن غوريون بالتعبئة السرية لكل الطاقات البشرية اليهودية في فلسطين، وأرسل الوفود إلى أوروبا لنراء كميات ضخمة من السلاح.

وكانت الخطط الرئيسية للقوات الصهيونية جاهزة، فاستملت على تفاصيل مرسومة ومبوبة لكل قرية عربية في فلسطين بأكملها (٤٠). وقد استخدمت المستعمرات اليهودية في تنفيذ هذه الخطة، فالمدن العربية مثل طبريا وعكا وحيفا كانت محاطة بالعديد من المستعمرات. أما المستعمرات الواقعة في صميم المنطقة العربية فقد أصبحت بمثابة قواعد أمامية، وظيفتها

الرئيسية الصعود مها كان الثمن إلى حين وصول التعزيزات إليها. وقد أطلق على هذه الصعود بالخطة «ج» « C» Plan «C» والتي تعني أيضا ضان جميع المناطق الصهيونية، والإبقاء على المواصلات مفتوحة بين كافة المستعمرات أو المستوطنات اليهبودبة، وبعد ذلك يمكن الانتقال إلى الخطة «د» أو «دالت» Plan Dalet (٤١) ، والتي تفول: «إن ساعة الصفر للخطة دالت تصبح جاهزة للتنفيذ عندما يكون الجلاء البريطاني قد وصل إلى نقطة تصبح الهاجاناه عندها عأمن معقول من التدخل البريطاني، وعندما تكون التعبئة قد تفدمت إلى نقطة يصبح معها ممكنا تنفيذ خطة واسعة النطاق» (٤٤).

ومنذ أن تعرضت مسألة النزوح العربي في عام ١٩٤٨م لسي من الدراسة والتحليل بشكل علمي في الغرب من قبل عدد من الكتاب الصهاينة، بدأ اليهود يرددون الفول بأنه لم تكن هناك نية واضحة لطرد العرب قبل شهر أبريل ١٩٤٨م. ويبدو أنه على ضوء المعلومات المتوفرة وشبه المؤكدة بأنه لم يغادر فلسطين في الفترة من ديسمبر وأبريل سوى تلائين ألف فلسطيني، وأغلبهم من العائلات الميسورة. والتابت المؤكد أن غالبية عرب فلسطين صمدوا في أراضيهم ومنازلهم لنسهور طويلة، استجابة لمناشدة الزعامة الرسمية لعرب فلسطين في البقاء في وطنهم، وعدم الاستاع إلى الأصوات المتاجرة بالرعب.

ولكن من ناحية أخرى فإن إذاعة الصهاينة أخذت تبث الخوف والذعر ببن العرب وتشككهم في زعامتهم. وفي الوقت نفسه كانت وحدات من الهاجاناة والبالماخ (الوحدات العسكرية الرسمية للصهاينة) تشغل نفسها في شن غارات هجومية ليلية إرهابية ضد القرى العربية.

وفي أواخر مارس أصدر فائد عمليات الهاجاناة تعلياته بأن «الحل الأوحد هو أن نأخذ زمام المبادرة في أيدينا، ونحاول تحقيق فرار عسكري بالانتقال إلى الهجوم». وكانت كل عملية هجومية تبدأ حالما يخلي البريطانيون منطفة معينة. وأخيرا أصدر بن غوريون أوامره بالهجوم في كافة أنحاء فلسطين وخارجها «حينها بوجد العدو» كها زعم، وبوشر بالفعل بتنفيذ الخطة «دالت».

ومنذ شهر أبريل ارتفع عدد النازحين من عرب فلسطين بمعدل تصاعدي حتى وصل الأوج. وفي هذا الصدد أرسل الكاتب اليهودي «ناتان خونشي» رسالة في سنة ١٩٥٩م نشرت

في «رسالة الأنباء اليهودية Jewish Newsletter» معبرا عن احتجاجه على الصيغة المعطاة للنزوح العربي في مقابلة بقلم الحاخام «موردخاي كابلان»، ويقول «نابان»: «إذا كان الحاخام كابلان راغبا بالفعل في معرفة ما حصل فنحن قدماء المستوطنين اليهود بفلسطين سهدنا القتال، وباستطاعتنا أن نخبره كيف وبأي وسيلة قمنا نحن اليهود بإرغام العرب على مغادرة المدن والقرى التي لم يرغبوا في مغادرتها بحل إرادتهم. بعضهم طرد بقوة السلاح، والبعض الآخر حملوا على النزوح بواسطة الحداع والكذب والوعود الزائفة، يكفي أن نذكر مدنا مل يافا واللد والرملة وبئر السبع وعكا من بين المدن الأخرى التي لا تحصى وبما يندى له الجبين خجلا بنوع خاص تلك الظروف التي أحاطت بالهرب من القرى التالية: برعم وربا نصيبا خبطاط ويجدل جاد» (٤٢).

أما الوسيط الدولي في فلسطين الكونت «فولك برنادوت» فقد أورد في تقريره المنسور قبيل اغتياله على يد العصابات الصهيونية في ١٧ سبتمبر ١٩٤٨م هذين الوصفين عن إخلاء فلسطين من أهلها العرب:

«إن نزوح عرب فلسطين جاء نتيجة للرعب الذي خلفه القتال الدائر في مجتمعاتهم، وللشائعات المتعلقة بأعمال الإرهاب الحقيقية أو المزعومة، أو بفعل الطرد»

«ان كل السكان العرب تقريبا هربوا أو طردوا من المنطقة الواقعة تحت الاحتلال اليهودي» (٤٤).

ويقول الصحفي الإسرائيلي «أوري أفنيري» الذى اشترك في حرب ١٩٤٨ ما يلي: «إن القاعدة العامة هي أنهم (أي القادة اليهود اللحلين) شجعوا العرب على إخلاء مدنهم وقراهم. وأنا أعتقد أن إجلاء المدنيين العرب أصبح هدفا للحرب في المرحلة التالتة والأخيرة منها» (60).

ويقول المؤرخ العسكرى البريطاني الميجور «ادغار أو بالانس» :

«كانت السياسة اليهودية تقوم على تشجيع العرب على مغادرة بيوتهم، واستخدموا (الصهاينة) الحرب النفسية على أوسع نطاق لحثهم على الخروج» (٤٦).

هذا وقد استغل الصهاينة حادتة مذبحة دير ياسين، والتي راح ضحيتها نحو ٢٥٠ شخصا من الشيوخ والنساء والأطفال، أسوأ استغلال في هذه الحرب النفسية. وفي هذا الصدد

يقول مندوب الصليب الأحمر الدولي بفلسطين آنذاك «جاك دي ربنيه» ما نصه:
«إن أنباء مذبحة دير ياسين نشرت رعبا واسع النطاق، ولجأ اليهود ببراعة فائفة إلى الإبقاء
على هذا الرعب دوما» (٤٧).

وفي الأسابيع اللاحقة لهذه المذبحة البنسعة أنذر اليهود سكان القدس، وبناء على شهادة أحد أعضاء الإرسالية الطبية المسيحية بالقدس «برئاسبا فورد فسبر» أنها سمعت مكبرات الصوت الإسرائيلية تنادي بالعربية: «إذا لم تغادروا بيوتكم فسوف يحل بكم ما حل بدير باسين» (١٨).

إن ما سبق ذكره عبارة عن مجرد بعض الشواهد والإباتات التي تبرهن على مخططات الصهيونية الرامية إلى طرد أهل فلسطين كوسيلة من وسائل تهويد البلاد، وهذه السواهد والإنباتات كثيرة وعديدة، وهي تدحض المزاعم الإسرائيلية القائلة بأن عرب فلسطين تركوا بلاهم طوعا بتشجيع من زعاء العرب.

وبعد عدون ١٩٦٧م وما نجم عنه من استيلاء إسرائيل على المزبد من الأراضي العربية واظب اليهود على طرد السكان العرب بعدة وسائل، إما بإلصاق مختلف التهم ببعض الشخصيات، أو بوضع البلاد في ظروف اقتصادية واجتاعية تساعد على خروج الأهالي منها. وقد عملت إسرائيل بمختلف الوسائل على تفريغ سكان قطاع غزة لتخفيف الضغط السكاني فيد، وحتى يمكنها ضمه إن أمكن بأقل فدر من السكان. كما حاولت وتحاول تهجير سكان الضفة الغربية إلى الأقطار العربية المجاورة. ومن الأمور التي أقلقت بال إسرائيل زيادة نسبة السكان العرب في منطقة الجليل بشهال فلسطين، وهي من المناطق بعد حرب ١٩٤٨م، وتعمل اسرائيل اليوم بكل ما أوتيت من قوة على تشتيت العرب من الجليل، وتهجير غالبيتهم حتى لا يكونوا مصدرا لإزعاجها في المستقبل، وحتى لا يختل التوازن السكاني الذي ينبغي أن يكون يكونوا مصدرا لإزعاجها في المستقبل، وحتى لا يختل التوازن السكاني الذي ينبغي أن يكون لمالح اليهود، إذ إن أي زيادة عربية معناها وضع عقبات وعراقيل أمام مستقبل إسرائيل، قد تودي إلى نسف سياسة التهويد التي طبقت على مراحل.

رابعا: هدم القرى والمعالم العربية والإسلامية:

من الوسائل التي استخدمتها ولا تزال تستخدمها إسرائيل في تنفيذ مخطط تهويد فلسطين

هدم القرى العربية، وإزالة المعالم العربية والإسلامية، حتى لا يبقى في المستقبل ما يثبت عروبة فلسطين. وقد نحت إسرائيل هذا المنحى بعد قيامها مباشرة، وبعد أن تم لها السيطرة على قسم كبير من أرض فلسطين. وقد ذكر الوسيط الدولي في فلسطين آنذاك الكونت «فولك برنادوت» في تقريره الذي رفعه للأمم المتحدة ما قامت به إسرائيل من تدمير للفرى العربية بعد احتلالها فقال:

«ولقد كانت هناك تقارير متعددة من مصادر مونوفة عن أعال واسعة النطاق للسلب والنهب والنهب والسرفة، وعن حوادث تدمير للقرى بدون ضرورة عسكرية ظاهرة، وأن مسئولية المكومة المؤفتة في إسرائيل عن رد الأملاك الخاصة إلى أصحابها العرب، وتعويض المالكين عن الأملاك الخاصة واضحة» (٤٠٠).

وفي التقرير نفسه قال «برنادوت» : إنه حفق بنفسه في مسألة تدمير قريتي عين غزال وجبع، وأنه احتج لدى حكومة إسرائيل على ذلك. وقال مستطردا:

«بعد تحقيق واسع قام به المراقبون الذبن نجحوا في حصر أكتر من نهانية آلاف قروي، والتأكد من أن ما لا يقل عن ١٣٠ قد قتلوا أو فقدوا، تبين للمجلس المركزي للإسراف على الهدنة أن الفرى هاجمها اليهود بين يومي ١٨ و ٢٥ من يوليو من الجو والأرض، وأن السكان أكرهوا على الجلاء، وبعد الجلاء دمرت فريتا «عين غزال» و «جبع» على أيدي القوات الإسرائيلية» (٥٠).

ولكن إسرائيل لم تهتم باحتجاج الوسيط الدولي ولا بإدانه الأمم المتحدة، بل استمرت في تنفيذ مخطط تدمير الفرى العربية على نطاق واسع حتى لا يعود إليها أصحابها. وقد بلغت موجة الهدم والتدمير أوجها في الفترة الواقعة ما بين ١٩٤٨ و ١٩٥٣م، ففي هذه الفترة تم تدمير ١٦١ قرية عربية (٥١).

ولما سيطرت إسرائيل على مزيد من الأراضي العربية بعد عدوان ١٩٦٧م اتبعت أسلوب الهدم والتدمير نفسه الذي طبقته على الأراضي التي احتلت منذ عام ١٩٤٨م. فحالما توففت حرب ١٩٦٧م قامت إسرائيل بهدم منطفة اللطرون غرب الفدس، وبلات قرى عربية، هي: عمواس، ويالو، وبيت نوبا. وفي ديسمبر ١٩٦٧م عام الجيش الإسرائيلي بهدم قرى العوجة، وجفتلك قرب نابلس.

وبعد أيام قلائل من سقوط القدس العربية حيت يسكن أكتر من ٩٠ ألف عربي أرسلت

إسرائيل البلدوزرات إلى حي المغاربة في المدينة القديمة، وهدمت ١٣٥ بيتا تابعاً للوقف الأسلامي، وكذلك أزالت مسجدين صغيرين ومصنع بلاستيك. وفي الأسبوع الناني من الاحتلال أرسلت البلدوزرات لهدم وإزالة حي عربي تسكنه ١٢٥ أسرة عربية، يقع في مواجهة حائط البراق (حائط المبكى)، وذلك من أجل عمل ساحة تتسع لليهود الذين أصبحوا يأتون باستمرار لزيارة هذا الحائط. هذا وقد تم ترحيل ٣٠٠ أسرة عربية من حي كان يطلق عليه الحي اليهودي قبل عام ١٩٤٨.

ويمكن القول بأنه في السنوات الأولى من احتلال المدينة صادرت إسرائيل ١٣٠٠ منزل، ودمرت أكثر من ٧٠٠٠ منزل في الأرض المحتلة و ٢٠٨ منازل في القدس، ورحّلت أكتر من مائذ سخصية بارزة (٥٠).

ولا سرائيل أطباع واضحة في الأماكن المقدسة في كل من القدس والخليل، وللقدس مكانة خاصة عند الإسرائيلين، لأنها مهوى أفئدتهم، ومحط أنظارهم، ولا تكتمل لهم دولة _ كها يقولون _ إلا إذا كانت القدس عاصمة لها. والدليل على ذلك أن موشي دايان أعلن في اليوم التالت من حرب ١٩٦٧م مع رئيسه ليفي إشكول على حائط المبكى مانصه: «لقد عدنا إليك يا بيت المقدس، ولن نفترق عنك أبدا... إنك لست عاصمة إسرائيل، ولكنك عاصمة الشعب اليهودي بأسره» ($^{(70)}$.

وحائط المبكى هو عبارة عن الحائط الغربى للمسجد الأقصى، والمسمى بالبراق، هذا ولليهود أطاع واضحة في المسجد الأقصى نفسه، وليس أدل على ذلك من أنه بمجرد سقوط القدس بعد حرب ١٩٦٧م قامت الجرارات الإسرائيلية بعمليات حفر واسعة تحت هذا المسجد بحجة البحث عن الآبار، بما عرض هذا المسجد للتصدع. ولا تزال إسرائيل توالي عمليات الحفر وتفجير الألغام، بما أدى إلى تهدم وتصدع المدارس الأتربة كالمدرسة العنهانية والمدرسة الجوهرية، وأسوار المسجد الأقصى وحيطانه والعقارات الملاصقة له. كما تخطط السلطات الموسرائيلية لإجلاء حوالي تهانية عشر ألف عربي من سكان الأحياء الإسلامية حول الحرم النسريف والمسجدين الأفصى المبارك والصخرة المشرفة وهدم الممتلكات العربية والإسلامية في القدس. كما قررت السلطات اليهودية ضم المقابر الإسلامية الواقعة خلف الحرم الشريف شرقا إلى أراضى منتزه إسرائيل الوطنى (١٥٠).

وفي عام ١٩٧٠ قام نفر من الصهاينة المتعصبين بحرق المسجد الأقصى. ويزعم اليهود بأن هذا المسجد أقيم فوق هيكل سليان، والذي يخططون لإعادة بنائه مكان الأقصى. وقد ورد في دائرة المعارف البريطانية الطبعة النانية لعام ١٩٢٦ تحت كلمة الصهيونية ما نصه: «إن اليهود يتطلعون إلى افتداء إسرائيل، واجتاع الشعب في فلسطين، واستعادة الدولة اليهودية، وإعادة بناء الهيكل، وإقامة عرض داود في القدس تانية، وعليه أمير من نسل داود» (٥٥٠).

وجاء في دائرة المعارف اليهودية المطبوعة باللغة الإنجليزية تحت كلمة الصهيونية ما يلي: «إن اليهود يبغون أن يجمعوا أمرهم، وأن يقدموا إلى القدس ويتغلبوا على قوة الأعداء، وأن يعيدوا العبادة إلى الهيكل (أى مكان المسجد الأقصى) ويقيموا ملكهم هناك» (٢٥٠).

وأعلن الزعيم اليهودي «كلوزنر» رئيس جمعية الدفاع عن المبكى في جريدة «بالستاين ويكلي» اليهودية في ٦ أغسطس ١٩٢٩ ما يلي:

«المسجد الأقصى القائم على قدس الأقداس في الهيكل إنما هو لليهود»..

كما صرح دافيد بن غوريون رئيس وزراء إسرائيل الأسبق بأنه «لا معنى لإسرائيل بدون القدس، ولا معنى للقدس بدون الهيكل»(٥٠).

وتتركز المطامع الصهيونية أيضا في مدينة الخليل حيث الحرم الإبراهيمي الشريف ومدفن أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام وزوجته سارة وأبنائه وزوجاتهم. ولهذا الحرم مكانة سامية عند المسلمين الذين يعتبرونه أحد مقدساتهم في فلسطين، ولكن اليهود يزعمون أن لهم حقا في هذا الحرم، فيريدون وضع اليد عليه، والساح لليهود بالدخول إليه وبناء كنيس لهم فيه. ويتزعم هذا الاتجاه ويقوده جماعة يهودية دينية متطرفة تسمى بجماعة «جوش إيونيم Gush Emunim»، بمؤازرة ومساعدة الحكومة الإسرائيلية، و'بخاصة حكومة «مناحيم بيغن» التي فازت إلى حد ما بتأبيدها.

هذا وقد قسمت السلطات الإسرائيلية الحرم الإبراهيمي، فخصصت مكانا فيه لليهود، وسمحت لهم بالدخول إلى الحرم، واستباحت ما فيه من مقدسات إسلامية، ولطخت نسخا من القرآن الكريم، مما أثار حفيظة المسلمين، وألهب حماسهم، فهبوا للدفاع عن مقدساتهم والذود عن دينهم، فأطلقت السلطات المحتلة النار على المتظاهرين، وسقط العديد من السهداء،

وألقت في السجون العديد من الغيورين، وأهانت العديد من رجال الدين الذين سلطت عليهم الكلاب إمعانا في احتفارهم.

خامسا : إقامة المستعمرات اليهودية :

منذ أن بدأت الصهيونية في تنفيذ مخططاتها للاستيلاء على فلسطين وتهويدها، أخذت في بناء المستعمرات (والتي يطلق عليها أحيانا بالمستوطنات) في مختلف أنحاء البلاد لتحقيق أهداف رئيسية نلاثة: وهي أمنية، وسياسية، واقتصادية، ولذلك كانت حريصة كل الحرص في اختيار المواقع المناسبة لهذه المستعمرات. وبعد حرب ١٩٦٧م نسطت إسرائيل في إقامة العديد من هذه المستعمرات في الأراضي العربية التي احتلت في تلك الحرب، حتى تزبد من قبضتها على ما تبقى من فلسطين والأراضي العربية المحتلة. وفيا يلى سندكر بإيجاز أهم المستعمرات التي أقامتها إسرائيل بعد حرب ١٩٦٧م في كل من الضفة الغربية ومنطقة مدينة القدس وقطاع غزة وسيناء والمرتفعات السورية.

١ ـ ففي الضفة الغربية بدأ اليهود ببناء مستعمرة «جوش عتسيون»، والتي تفع على منتصف الطربق بين بيت لحم والخليل، وقد بنيت على أنقاض مستعمرة هديمة أزالها الفلسطينيون والجيش الأردني في عام ١٩٤٨م، وكانوا يطلقون عليها مستعمرة «كفار عصيون».

وقد أحاط اليهود هذه المستعمرة بعدد من المستعمرات، فصادروا لهذا الغرض منذ يونيو ١٩٦٩ نحو ١٢٠٠ دونم كانت تابعة لبلدة أرطاس العربية، وأزالوا بيوتها، وطردوا سكانها منها، وأنشأوا أول مستعمرة، وأطلقوا عليها «كيبوترز روش تسوريم»، وتم افتتاحها في منطقة «المرابعة «هاكيبوترز هواتي»، تم الثالثة في منطقة «أدوم» مكان قرية عولام. أما المستعمرة الرابعة «جبل جاك» فأقيمت على رأس بيت جاك القريبة من بيت لحم (٥٨).

وعلى مقربة من مدينة الخليل أنشأ اليهود مستوطنة أطلقوا عليها «قريت حبرون»، أي قرية الخليل (٥٩). وفي عام ١٩٧٠م وافقت الحكومة الإسرائيلية على إقامة مستعمرة «قريت

أربع» Kiryat arba المحصنة على تل يشرف على مدينة الخليل، بناء على إصرار بعض الجهاعات الدينية المتطرفة في إسرائيل (٦٠٠).

وبرى «موشى دايان» بأن من حق اليهود أن يستوطنوا في أي مكان في الضفة الغربية، وأن يستروا الأرض. وفي بونيو ١٩٧٥م بدئ العمل ببناء مستعمرة دينية للعسكريين الزراعيين في «تكوا» Tekoa بالقرب من بيت لحم. كما أقيمت في ذلك العام مستعمرة «بيت هتزور» Hatzor جنوب مدينة رام الله، بدعوى أن العمال الذبن يعملون من طرف الحكومة العسكرية في الضفة الغربية يحتاجون إلى سكن بالقرب من عملهم، على الرغم من أن المسافة بين القدس، ومراكز عملهم لا تزيد عن نصف ساعة (٦١٠).

Y - وفي غور الأردن بنى الإسرائيليون مستعمرة «بيت هاعارباه» بالقرب من مدينة أريحا، وعلى مقربة من الشاطئ الشبالي الغربي للبحر الميت في موقع مستعمرة حملت نفس الاسم، واحتلها الجيش الأردني في مايو ١٩٤٨م. وكذلك أنشئت مستعمرات أخرى هي «ناحال كاليه» في موقع مشروع البوتاس، سابقا، و «محولة» جنوب بيسان، وجنوب مخاضة أم السوس بنحو خمسة كيلو مترات في المنطقة الشهالية من الغور (١٩٦٨)م، نم مستعمرة «ارجمان» بين أريحا وبيسان شهال جسر دامية (٦٢).

٣ - وفي منطقة مدينة القدس يختلف الوضع تماما عا هو عليه في الضفة الغربية، ففي ٢٧ يونيو ١٩٦٧ تبنى الكنيست الإسرائيلي قانونا بخول لوزير الداخلية بموجبه إعلان القدس مدينة تحت الإدارة الإسرائيلية، ومنح وزير الشئون الدينية سلطة منفردة في الأمور الخاصة بالأماكن المقدسة. وقد حلت إسرائيل المجلس البلدي لمدينة الفدس العربية بعد ضمها إلى القسم اليهودي. ولاسك في أن إجراءات ضم القدس كانت انتهاكا صارخا لقرار الأمم المتحدة بتاريخ ١١ ديسمبر ١٩٤٨م، والتي وضعت المدينة تحت سيطرة الأمم المتحدة «نظرا لارتباطها بالأديان العالمية الثلاتة» وفي ٤ يوليو ١٩٦٧م تبنت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارا تطلب من إسرائيل إبطال الإجراءات التي اتخذت لضم القسم العربي من القدس، ولكن إسرائيل عارضت القرار وما تلاه من قرارات (٦٣).

وعلى الرغم من الرفض العالمي استمرت إسرائيل في تهويد القدس بإنشاء مستعمرات في

القطاع العربي. وقد أعلن رئيس البلدية اليهودي في ٢ يوليو ١٩٦٧م بأن الغرض من هذه المستوطنات التأكيد على أن جميع القدس ستبقى إلى الأبد جزءا من إسرائيل (٦٤). وتنفيذا لمخطط تهويد القدس أصبحت الحكومة تشجع آلاف اليهود على الاستبطان في المدينة. ولإنجاح هذا المخطط صارت إسرائيل تصادر الأراضي العربية، فقد أصدر وزير المالية أمرا في الايناير ١٩٦٨م بمصادرة نحو ٨٣٨ فدانا بجبل المشارف (سكوبس)، والتي يملك العرب منها ٩٣٪ وبعد نلاتة شهور، أي في ١٧ أبريل ١٩٦٨ تمت مصادرة ٢٩ فدانا بجوار حائط المبكى.

وسارت إسرائيل في بناء المستعمرات والأحياء السكنية في القدس، منها واحدة على تل الذخيرة في سهال شرق المدينة. وفي ربيع ١٩٦٩م أنشأت حيا جديدا في سعفاط إحدى ضواحي القدس، وأطلقت عليه حي «ليفي إشكول» وسميت المنطقة بأسرها «رامات إشكول»، أي مرتفعات إشكول. كما بنت المساكن على جبل المكبر ووادى الجوز والنبيخ جراح وكرم لويز هذا وقد نفذت مخطط القدس الكبرى التي تسمل مدن الفدس ورام الله والبيرة وبيت جالا(١٥٠).

وفي ١٤ أبريل ١٩٧٥م كشفت صحيفة «دافار» الإسرائيلية عن مخطط آخر للقدس الكبرى، بحيث يشمل تسع مدن عربية في الضفة الغربية، وكذلك ستين قرية. وتقدر مساحة هذه المناطق التي تخطط إسرائيل لاقتطاعها بحوالي ٣٠٪ من مساحة الضفة الغربية، ويسكنها حاليا نحو ربع مليون عربي. وتمهيدا لتنفيذ هذا المخطط صادرت إسرائيل في عام ١٩٧٠ مساحات واسعة من أراضي قرى بيت حنينا، والرام، والنبي صمويل، وقلنديا، والجيب، وبيت اكسا، وشعفاط، وبيت صفافا، وصور باهر، وشرفات، وبيت جالا. وفيا بين عامي ١٩٧٢م و ١٩٧٥م صادرت إسرائيل مساحات واسعة من الأراضي التابعة لقرى عناتا، والعيزرية، وأبو ديس، وسكاريا، وعرب التعامرة والعبيدية، والخليل. وأقامت على هذه الأراضي بعض المستعمرات التي ستكون نواة لمتسروع القدس الكبرى. ومن أمثلة هذه المستعمرات، مستعمرة «هناني» شرق العيزرية، التي أنشئت في عام ١٩٧٥م، ومستعمرة «أفراتا» جنوب شرقي القدس، والمقامة على أراضي عرب السواحرة (١٩٧٥م)، ومستعمرة «عوفرة» قرب عين يبرود شالي رام الله (١٩٧٥م)، وغيرها من المستعمرات (١٦٧٥م).

٤ ـ في شبه جزيرة سيناء وقطاع غزة: في نوفمبر ١٩٦٧ باشرت دائرة الإسكان في الوكالة اليهودية ببناء المساكن في أول ناحال في سيناء، والذي يطلق عليه اليوم باسم «ناحال يام»، أي الناحال البحري، ويقع على الساحل النسالي لسيناء إلى الجنوب الغربي من سبخة البردويل، على بعد ٧٠ كم غربي مدينة العريش، وعلى منتصف الطريق بينها وبين بورسعيد. وقد أسس هذا الناحال نفر من الخبراء في صيد الأسماك، ولكن منذ عام ١٩٦٨م أنسئت به معامل لتحلية مياه البحر لاستخدامها في النسرب والري.

أما الناحال الناني فهو ناحال سيناء، والذي أعلن عن بنائه في ديسمبر ١٩٦٧، وبني في موقع مزرعة نموذجية كان المصريون قد أنشأوها من قبل بموجب قوانين الإصلاح الزراعي، ويقع هذا الناحال في القسم السهالي من سيناء على الطريق البري بين العريس والإسهاعيلية، وقد نخصص هذا الناحال في زراعة الخضروات.

وفي ٢٩ مايو ١٩٦٩م بدى بإنشاء مستعمرة تالنة سميت «ناحال ديكالم» أو ديكالا، أي ناحال الدخيل، نسبة إلى أشجاره التي تحيط بالموقع. ويبعد نحو ١٣ كم غربي رفح (موقع الشيخ زويد)، وقد خصص للزراعة وتربية الماشية.

وفي قطاع غزة أقيم ناحال «كيرم شالوم» ، أي كرم السلام، ويقع شهالي مدينة غزة. هذا وهناك مشروع من أجل عمل مدينة وميناء «ياميت» yamit قرب غزة لتتسع لنحو ٢٥٠ ألف نسمة.

0 - أما في المرتفعات السورية الجولان: فقد أنسأت إسرائيل العديد من المستعمرات هي: بمجرد احتلالها للمنطقة، بهدف ضمها وعدم الانسحاب منها. وأهم هذه المستعمرات هي: «ناحال هابانياس»، و «ناحال ماتة عوز». وقد تم بناء هاتين المستعمرتين في عام ١٩٦٧ في المنطقة المجردة من السلاح سابقا، وعلى الحدود السورية - الإسرائيلية جنوبي مستعمرة «كفار هناسي». وقد تغير اسم الناحال الأول إلى «شيريون أو ليش أو لنهام» وأخيرا أصبح يطلق عليه قرية «موسى شاريت».

وفي ٢٤ أكتوبر ١٩٦٧ بنى الإسرائيليون الناحال الثالث في الجولان بالقرب من بانياس اسمه «سنير»، وعلى طرق مدينة القنيطرة السورية عاصمة الجولان بنى الإسرائيليون كيبوتز

«هاجولان»، نقل بعد ذلك إلى جوار تل عرم غرب القنيطرة. وعلى مقربة من تل أبوندى بني ناحال آخر في ٢٨ ديسمبر ١٩٦٨ اسمه ناحال «هاجولان». وفي فبراير ١٩٦٨ تم بناء ناحال عين زيوان على أنقاض بلدة عين زيوان السورية جنوب القنيطرة بخمسة كيلو مترات.

أما الناحال «العال» ففد بني قرب رفيد على منتصف الطريق بين القنيطرة والحمة، على بعد ١٦ كم عن الحمة شرق بحيرة طبريا.

وفي ٨ أبريل ١٩٦٨ افتتح رسميا ناحال جيسور، ويفع على سفح تل الفرس جنوب القنيطرة، على الطريق منها إلى الحمة غرب خطوقف إطلاق النار بكيلو مترين ونصف.

ومن المستعمرات الأخرى نذكر أيضا مستعمرة «مافوحمن»، أي مداخل الحمة، بم رامات شالوم التي أنسئت في ٢٣ أبريل ١٩٦٩ عند سفح جبل السيخ في أرض قرية جباتا الزيت العربية على بعد كيلومترات قليلة من حدود لبنان وسط منطقة من الجبال والمرتفعات، نم مستعمرة «موساف جفعات يوآب» أي رابية يوآب.

هذا ولا تزال إسرائيل توالي تنفيذ مخططاتها بتهويد الأراضي الفلسطينية وطمس معالمها، وإقامة العديد من المستعمرات. ففي عام ١٩٧٦ قرر المتطرفون الصهاينة إقامة مدينة صناعية يهودية في قلب السامرة متحدين المساعر العربية، مما سبب الاضطرابات في المدينة (٢٦٠). وفي ديسمبر ١٩٧٥ اتجهت نحو ٣٠ أسرة يهودية إلى قرية سبسطية العربية القريبة من نابلس يزعامة الحاخام «موشي لفنجر» Moshe Levinger من أجل إقامة مستعمرة في هذه المنطقة، وقد أحضروا معهم لهذا الغرض مساكن جاهزة ومعدات، وباشروا ببناء كنيس يهودي (٢٨٠).

تاريخ بنائها	نوعهــــا	مربية والإنجليزية	اسم المستعمرة بال
		لا : مرتفعات الجولان السورية :	
١٥ يوليبو ١٩٦٧	كيبوتز	Merom Hagolan	ميروم هاجولان
۱۹۳۷ دیسمبر ۱۹۳۷	كيبوتز	Afiq	أفيق
سبتمبر ۱۹٦٧	كيبوتز	Snir	سنير
دیسمبر ۱۹٦۸			
۲۱ ینایر ۱۹٦۸	موسّاف تعارني	Nahal El,Eliad	ناحال الإلياد
۲۳ ینایر ۱۹۶۸	كيبوتز	Bin Zivan	عين زيفان
۲۲ ینایر ۱۹۹۸	كيبوتز	Mevo Hamma	مافو حمــة
۳ مارس ۱۹۶۸	موشاف تعاوني	Givat Yoav	جيفات يوآب
۱۹ يوليو ۱۹٦۸	موشاف	Ramat Magshimim	رامات ماجسيميم
يوليو ۱۹٦۸	موشاف	Neot Hgolan	نيوط هاجولان
۸ أبريل ١٩٦٩	ناحال	Gshor (Geshur)	جيشور
۵ یونیو ۱۹۲۹	موساف تعاوني	Ramot	راموت
1944	كيبوتز	Aliyah 70	آئية ٧٠
فبراير ١٩٧١	موشاف تعاوني	Neve Aliv	نيفي آليف
۹ يوليو ۱۹۷۱	كيبوتز	Elrom	إلروم
أغسطس ١٩٧٢	مرکز ري في	Brei Yehuda	ابري يهودا
۹ مایو ۱۹۷۳	موشاف تعاوني	Kfar Ginat	کفار جینات
1974	موشاف تعاوني	Nov (or Niv)	نوف (أو نيف)
1974	كيبوتز	Heruv	هير وف
1940	كيبوتز	Herkaz Hiwspin	هیرکاز هسبن

تاريخ بنائها	نوعهـــا	بية والإنجليزية	اسم المستعمرة بالعر
1940	كيبوتز	Tel Zayit	تل زایت
1977	كيبوتز ديني	Keshet (Nehusha)	كيشيت (نيهوشا)
1940	كيبوتز	Yonatar Har Odm	يوناتار هار أودم
		and Shelach	
			ثانيا : وادي الأردن :
۱ فبرایر ۱۹۶۸	ناحال	Kalia	كاليه
۳۰ نوفمبر ۱۹۶۸	ناحال	Argaman	أرجامان
۸ مابو ۱۹۷۱	موتساف	Argaman	أرجامان
۲ دیسمبر ۱۹۶۸	ناحال	Mechola	ميكولا
۱۳ نوفمبر ۱۹۳۹	موشاف	Mechola	ميكولا
۱ ینایر ۱۹۷۰	ناحال	Mesuah	ميسوا
۱۹۷۰ ینایر ۱۹۷۰	كيبوتز	Gilgal	جلجال
۷ دیسمبر ۱۹۷۰	موشاف	Phatsael	فاتسائيل
۷ دیسمبر ۱۹۷۰	ناحال	Mitazpeh Shalem	متسفة سالم
۲۶ دیسمبر ۱۹۷۰	ناحال	Naaran	نأران
٥ مايو ١٩٧١	موشاف	Hamrah	حمرة
۲۸ نولیو ۱۹۷۲	مونساف	Bekaot	بيكاوط
أغسطس ١٩٧٢	ناحال	Gitut	جيتيت
1977	ناحال	Mekhora	ميخورا
يوليو ١٩٧٢	موشاف	Maaleh Ephraim	معاله أفريم

تاريخ بنائها	نوعهسا	اسم المستعمرة بالعربية والإنجليزية
1948	ناحال	بیکاوط «ب» (بیت) Bekaot "B" (bet)
1940	ناحال	ناتیف هاجدود Nativ Hagdud
1940	كيبوتز	كوشاف هاشاكر Kochav Hashachar
	: (ثالثاً : مجموعة عتسيون بين بيت لحم والخليل
۲۵ سبتمبر ۱۹۹۷	كيبوتز ديني	كفار عتسيون Kfar Etzion
۳۰ يوليو ۱۹٦۹	كيبوتــز	روش تزورین Rosh Tzurin
۳۰ يوليو ۱۹٦۹	مركز ريفي	ألون سيفوت Alon Shevut
أبريل ١٩٧٤	كيبوتز	أليزار Alazar
197 0 I	مستوطنة حضر	رابعا : الخليال : كريات أريع KuryatArba
	· ·	خامساً : منطقة اللطرون :
٤ يناير ١٩٧٠	كيبوتز	مافو هورون Mevo Horon
		سادسا : قطاع غزة وشهال سيناء :
من ۳ فبراير ٦٩ ناحال ثم	ناحال	دیکلا Dikla

تاریخ بنائها	نوعهــــا	ية والإنجليزية	اسم المستعمرة بالعرب
تحول إلى موشاف			
ابتداء من ۱۷			
مارس ۱۹۷۱.			
۱۱ أكتوبر ۱۹۷۰	ناحال	Kfar Darom	كفار داروم
ناحال من ١٥	ناحال	Nahal Sinai	ناحال سيناء
دیسمبےر ۱۹۹۷			
ومونتـــاف من ۱۷			
مارس ۱۹۷۱.			ì
۳ ینایر ۱۹۷۱	موساف	Sadot	ا سادوت
ناحــال من ۱۸		Nahal Yam	ناحال يام
اکتوبسر ۱۹۹۷ ثم			
قرية سمكية ٧٣			
فبراير ۱۹۷۲	ناحال	Netzarim	انتساريم
۳۰ مایو ۱۹۷۲	ناحال	Morag	موراج
1947	ناحال	Katif	قطيف
1978	مونساف	Netiv Hassara	انتيف حسارا
1977		Merkaz Yadon	مركاز ياد أون
مخطط لها لتكون	مستوطنة مختلطة	Yamit	یامیت
بنة	ميناء رئيسي ومدي		
1940		Ugda, Haruvit,	اجدا، هاروفیت، ساکوت
		Succot	

تاريخ بنائها	نوعهـــا	ة والإنجليزية	اسم المستعمرة بالعربية
		: دا	اسابعاً : شرق وجنوب سين
۱۰ فبرایر ۱۹۷۱	موشاف	Neviot	نيفوت
۱۳ سبتمبر ۱۹۷۱	موشاف	Di Zahav	د <i>ي</i> زاهو <i>ف</i>
1941 _ 1940	ميناء	Ophira	أوفيرا (شرم الشيخ)
			ثامنا : منطقة القدس :
٨٢٩١	ضاحية حضرية	Ramat Eshkol	رامات إشكول
١٩٦٩	ضاحية حضرية	French Hill	التل الفرنسي
1944	ضاحية حضرية	Neve Yaacov	انيفي ياكوف
1977	ضاحية حضرية	Ramat	رامات
1974	ضاحية حضرية	East Talpiot	إيست تالبيوت
1974	ضاحية حضربة	Gilo	جيلو
1978	ضاحية حضرية	Maalot Dafina	معالوت دفنة
1974	ضاحية حضرية	Givat Hamivtar	جيفات هاميفتار
		يحا :	تاسعا: طريق القدس أر
1940	مدينة ومستوطنة صناعية	Maale Adumim	معاله أدوميم
1940	ناجال	Tekoah	تكمواه

تاريخ بنائها	نوعهسا	اسم المستعمرة بالعربية والإنجليزية	
1940 1940	معسكر ديني معسكر عمل	عاشرا : مستعمرات متفرقة : قدوم (قرب نابلس) Kaddoum (قرب نابلس) أوفرا (قرب	
		رام الله)	

إن هذه المستعمرات التي أقامتها إسرائيل في الأراضي العربية هي بمنابة عقبة في سبيل السلام. ورغم ذلك تخطط إسرائيل للمضي قدما على افتراض أنه ليس هناك تغييرات سياسية رئيسية، وأن هذه الخطط ترمي إلى زيادة عدد اليهود في المناطق المحتلة، ليتفوقوا على السكان العرب، وبذلك تتحقق سياسة التهويد (٧٠).

سابعا: التعليم كوسيلة من وسائل تهويد فلسطين:

استخدمت إسرائيل التعليم كوسيلة من وسائل تهويد فلسطين، على الرغم من أن فرص التعليم محدودة للغاية للعرب المقيمين في الأراضي المحتلة. وترمي سياسة إسرائيل إلى تجهيل التسعب الفلسطيني، فقد صرح أحد المسئولين الصهاينة بقوله: «لعله من الأفضل ألا يكون هناك طلاب عرب، فلو ظل العرب حطابين لكان من السهل تدميرهم» (٧١).

وإذا قمنا بعملية تحليل ودراسة للمناهج والكتب المدرسية المقررة على الطلبة في الأراضي المحتلة نجد أن هناك سياسة وخطة مدبرة تستغل التعليم أسوأ استغلال، من أجل تحقيق النوايا والأغراض الصهيونية. وفيا يلي نذكر بإيجاز هذه الملاحظات(٧٧):

- التركيز على تعريف الطلاب بالشعب اليهودي بصفة خاصة والشعوب الأوروبية بصفة.
 عامة، وإهال تدريس الأمة العربية والشعوب الإسلامية من حيث الكم والكيف.
- ٢ إبراز وتضخيم مكانة ودور علماء ومشاهير اليهود، والتفاضي عن ذكر علماء العرب ومشاهيرهم، بهدف إظهار الأمة العربية والإسلامية على أنها خاملة لم تسهم في الحضارة العالمة.
- ٣ ـ تسليط الأضواء على بعض الأحداث التاريخية كالفتن وحركات الانقسام، وإظهارها على أنها مساوى* وعيوب في الأمة العربية التي يريدون إتبات أنها أمة مفاسد وفتن ومكائد، وأنها لم تكن في يوم من الأيام أمة موحدة وتخضع لسلطان واحد، وإن خضعت لفترة محدودة من الزمن فسرعان ما تقوم الحركات الانفصالية فها بينها.
- ٤ ـ تصوير الوطن العربي على أنه مؤلف من مجموعة الدول المختلفة المتنافرة وغير المتجانسة، وأن العوامل الطبيعية والبشرية لا تساعد بأي حال من الأحوال على إيجاد أي نوع من أنواع الوحدة أو التكامل بين بلدان الوطن العربي من مشرقه إلى مغربه. فالعرب كما تقول الكتب الإسرائيلية يختلفون فيا بينهم أصلا وتاريخا ودينا وحتى لغة، ذلك أن اللهجات المحلية عند إسرائيل هي لغات قائمة بذاتها، كما أن مذاهب الدين الواحد عبارة عن عدة أدبان.
- إبراز الوطن العربي ودوله وأقطاره على أنه متخلف اقتصاديا وسياسيا واجتاعيا وعلميا
 وثقافيا، وهو عبارة عن عالم يسوده الفقر والجهل والمرض.
- ٦ بيهام الطالب العربي بأن فلسطين أرض يهودية منذ القدم، وذلك بإبراز تاريخ اليهود
 فيها، وطمس معالم عروبتها، واستبدال جميع أسهاء الأماكن والأنهار بأسهاء عبرية.
 - ٧ ... إيهام الطلاب بأن الشعب اليهودي هو أول من استوطن فلسطين.
- ٨ _ محاولة تهيئة نفسية الطلاب العرب لتقبل النوايا التوسعية لإسرائيل، وإظهار أن هذا
 التوسع شي طبيعي بحسب حاجة السكان.

- ٩ ـ تصوير التاريخ العربي على أنه عمليات غزو وقرصنة للبلدان التي احتلوها، مع
 التأكيد على الخلافات بين الحكام والخلفاء والأمراء والسلاطين.
- ١٠ _ إظهار عظمة اليهود في الماضي والحاضر، ومدى أحقيتهم في فلسطين، سواء من حيت الزعم بالحق التاريخي، أو إيهامهم بالحق الإنساني والحق الحضاري إلى غير ذلك من حقوق زائفة.
- 11 ـ حذف جميع الأحاديث والآيات القرآنية التي تدعو للجهاد أو التي تتعرض لليهود أو التي تنادي بالعزة والكرامة إلى غير ذلك من آيات وأحاديث تحاول بناء المؤمن على أسس من الفوة والشجاعة.

سابعا: أطهاع إسرائيل التوسعية:

لو تأملنا وتفحصنا أهداف الصهيونية وأغراضها لوجدنا أن سياسة التوسع استخدمت وستطل تستخدم للحفاظ على ما تم تهويده من فلسطين، وكل أرض عربية تستولي عليها. وعلى الرغم من أن التوسع وضم الأراضي الجديدة يدخل ضمن ما يسمى بالأطهاع التوسعية لإسرائيل ـ والتي لا حد لها ـ إلا أنها تعتبر إحدى وسائل التهويد، وأحد مرتكزاته بل ومثبتاته، فكلها توسعت إسرائيل ضمت على الأقل الحد الأقصى للرقعة الأرضية التي تسمح بها الظروف والأحوال المحلية والدولية. ولهذا كله يجدر بنا أن نتعرض لسياسة إسرائيل التوسعية، ونبين أهدافها وأخطارها على الأمة العربية والإسلامية.

إن الذين خططوا لإقامة إسرائيل اعتبروا فلسطين مجرد مرحلة من مراحل دولتهم، ومنها يستطيعون التوسع لضم مزيد من الأراضي العربية المجاورة، فلليهود مطامع في كل من مصر وسوريا ولبنان والأردن وحتى نهر الفرات في العراق، تمسيا مع شعارهم الذي لازالوا يسعون إلى تحقيقه، وهو أن حدود إسرائيل من النيل إلى الفرات.

ويمكننا تتبع هذه المطامع منذ مطلع القرن العشرين، وأتناء المشاورات والمداولات السرية المتعلقة بإيجاد صيغة لتصريح «بلفور» المشئوم آنذاك. ففي ١٠ سبتمبر ١٩٩٩م دعا رئيس وزراء بريطانيا آنـذاك «لـويد جورج» إلى اجتاع لرسـم حدود فلسطين، ضم عددا من

الشخصيات الرسمية البريطانية، ناقسوا فيه الحدود التي ينبغي أن يسملها الانتداب البريطاني على فلسطين، وذكروا أهمية منابع مياه نهر الأردن لفلسطين وضرورة ضمها لهذا القطر، ذلك لأن الحدود بين سوربا وفلسطين لم تكن واضحة. وفال اللورد اللنبي بأن نهر اليرموك ضروري لأنه يمد نهر الأردن بنحو نلني مائه. وقال بأن الصهابنة وسعوا فلسطين إلى الشهال كنيرا وبرون ضم حماة، وأنهم يرون بأن تتمشى الحدود مع حدود امبراطورية سلمان (٧٣).

ولكن الصهاينة أنفسهم لم يريدوا أن يصرحوا بحدود واضحة ومحدودة، بل وجدوا أن من الأنسب لهم آنذاك جعلها مرنة، حتى يعطوا الفرصة لأنفسهم حرية الحركة والمناوره بحسب مقتضيات الظروف. وفي هذا الصدد وصف الكابتن الصهيوني المعروف «نورمان بنتوبس» Norman Bentwich مرونة المطالب الصهيونية فيا يختص بالحدود بعوله: «يقارن الحاخامات فلسطين بغزال ينمو حينا يعلف جيدا.. وهكذا كلها زاد سكان فلسطين فإن مساحة الأرضى المطلوبة تزداد» (٢٤٠).

وقد فاوض هرتزل بنفسه متمسيا مع نظرية جلد الغزال هذه، ففي سنة ١٨٩٨ سئل عن حدود الدولة اليهودية في فلسطين، وفيا إذا كانت هذه الحدود تسير سهالا حتى بيرون أو بعدها، فأجاب: «سنسأل عها نحتاج _ كلها كان هناك مهاجرون أكتر احتجنا إلى أرض أكثر» (٧٥٠).

ولكن هذا السؤال جعله يفكر أياما بعد ذلك، وبحث مطالب الصهيونية مع صدبق له، وقال بأن حدود إسرائيل هي: «المنطقة من النيل إلى الفران».

هذا ويمكننا أن نحلل مطالب الصهيونية المتعلقة بالأرض، ونفسمها إلى فئات نلات، هي: دينية، وتاريخية علمانية، وسياسية. فالمطلب الديني يرى بأن حدود إسرائيل ينبغي أن تكون من وادي العريش إلى الفرات، لأن هذا ينطبق _ كما يقولون _ على فكرة الأرض الموعودة، أي التي وعدها «يهوه» لشعبه المختار.

أما المطلب التاريخي العلماني فهو في الأساس لكافة فلسطين التي احتلت تاريخيا من قبل اليهود، أي من دان شهالا حتى بئر السبع جنوبا. في حين أن الصهيونية السياسية تريد

فلسطين مضافا إليها الأراضي المجاورة، وذلك لمواجهة المتطلبات العصربة، وحتى تنسكل اقتصادا قابلا للحياة، وفي نفس الوقت تحقق الأمن العسكري (حدود آمنة). فيعوجب المفهوم الاقتصادي يجب أن تشمل الدولة منطقة حوران السورية ذات الأرض الخصبة الصالحة لزراعة القمح، كما تشمل منابع نهر الأردن، ومرتفعات جبل الشيخ، ونهر الليطاني، ونهر البرموك. وكل هذه الأجزاء تقع الآن في لبنان وسوريا والأردن. وهذه الأراضي تراها الصهيونية لازمة لأنها قد مياه الري، وضرورية لتوليد القوة الكهرمائية. كما بنبغي من وجهة النظر الصهيونية ضم منطقة «جلعاد» وهي الواقعة شرقي نهر الأردن، ذلك لأنها في رأيهم المصدر المتبقى للأخشاب.

أما بحسب الاعتبارات العسكرية فيجب أن تسمل الحدود الطريق الـذي تسلكه الغزوات، وهو عبر البفعة الشيالية، والذي مقع حاليا في لبنان، بالإضافة إلى حوران واليرموك والمنطقة التي تجرى خلالها سكة حديد الحجاز سابقا، أي من مدينة عمان إلى درعا. ويرون بأن هذه المنطقة (سكة حديد الحجاز) ضرورية لدعم الجبهة السرقية.

وفي الجنوب تمتد المطالب الصهيونية إلى شرم السيخ ومضائق تيران، بالإضافة إلى أجزاء من سيناء، حتى نحمي الدولة من أي خطر مصري. ولاسك في أن هناك مطامع قديمة للصهاينة في سيناء، ففي ٣٠ يناير ١٩١٩م صرح الدكتور «وايزمن» لصديقه البريطاني الكولونيل «ماينز هيجن» عضو مؤتمر السلام ما يلي: «لابد من ضم كامل سيناء إلى الدولة اليهودية، لأن لليهود حقوقا في سيناء من الناحيتين التاريخية والدينية... لأن الشعب اليهودي هو السعب الوحيد الذي تاه هناك لمدة أربعين عاما، ولأننا تلقينا الوصايا العشر من على جبل سيناء» (٧٧).

وبهذا نرى بأن الصهاينة رسموا في نوفمبر ١٩١٨م خرائطهم لدولتهم اليهودية، وكانت عبارة عن أرض أكبر بكثير من المساحة التي خصصت في النهاية لفلسطين المنتدبة. فخارج حدود فلسطين طالب الصهاينة بكل ما يطلق عليه الآن جنوب لبنان حتى نهر الليطاني، وجميع مصادر مياه الأردن، وكل منطقة حوران في الجنوب الغربي لسوريا «حتى نقطة تقع جنوب دمشق»، وتسير الحدود من الشهال إلى الجنوب بحيث تشمل الأراضي الواقعة غرب سكة حديد الحجاز حتى خليج العقبة، ومن هنا حتى مدينة العربش.

إن هذه الخريطة الموسعة للدولة اليهودية التي تم رسمها في عام ١٩١٨م، وأحضرت إلى مؤتمر السلام في عام ١٩١٩م لا قرارها واعتادها، ولم يأخذ المجلس بها كليا، إلا أنها ظلب هدفا إسرائيليا تسعى إلى تحقيقه في كل مرحلة وفي كل حرب، إلى أن جاءت الفرصة وتحققت إلى حد كبير في حرب عام ١٩٦٧م. فبعد إعلان وفف إطلاق النار على الجبهة السورية في يونية ١٩٦٧م تقدمت القوات الإسرائيلية بسرعة لتحكم فبضتها على منابع نهر الأردن، وعلى جزء لا بأس به من منطقة حوران، وكذلك تقدمت على الجبهة المصرية أيضا لتحتل ١٩٥٩٪ من شبه جزيرة سيناء.

إن الأطباع الصهيونية لم ولن تقف عند حد، إنها مرنة بحسب كل عصر وكل ظرف، ولذلك فلم تعد تلك الأطباع محصورة في الأراضي والمناطق التي رسموها في عام ١٩٦٨، والتي تم لهم تحقيق معظمها، لقد أصبح اليهود اليوم يطمعون في المزيد، ويتطلعون نحو الأراضي العربية القاصى منها والداني، ويخططون إما للاستيلاء عليها أو على الأقل السيطرة وجعلها تحت نفوذهم. ومن هذا المنطلق بدأ لعاب إسرائيل يسيل إلى مناطق النفط حتى تضمن لها مثل هذا المورد الحيوي الذي أصبح عصب حياة هذا العصر وأساس نهضته، وحتى تحرم العرب من أمضى سلاح يمتلكونه، وأقوى مورد اقتصادي في أبديهم، إنها تلوح دائما وتهدد بالقيام بغارات على منابع النفط، والسيطرة على حقول النفط وآباره، بعد أن دخلت الدول النفطية المعركة بأموالها وجيوشها ونفطها. وإن امتلاك إسرائيل لأحدت الأسلحة تطورا، وتفانيها للحصول على الطائرات البعيدة المدى، هي ولاسك وسائل لتحقيق هدفها للوصول وتفانيها للحصول على الطائرات البعيدة المدى، هي ولاسك وسائل لتحقيق هدفها للوصول الواجب الديني والقومي يفرضان علينا الانتباه واليقظة لمثل هذا الخطر، والعمل الجاعي لإحباط هذه المؤامرة، واقتلاع هذه الجرتومة من قلب الأمة العربية والإسلامية.

الخاتمة

مشكلة فلسطين هي أخطر المنساكل وأهمها، واجهت ولا تزال تواجه العالمبن العربي والإسلامي، وهي أكبر امتحان تعرضت له السعوب العربية والإسلامية، ولعلها تكون فريده في نوعها، إذ لم يسبق لبلد أن تعرض أهله للطرد، وأرضه للتهويد، ومعالمه للطمس. وربما كان هناك العديد من أوجه السبه بين الغزوة الصهيونية الحالية، وبين الحملات الصليبية التي غزت المشرق الإسلامي في العصور الوسطى. ذلك أن هدف الجميع كان واحدا، فهو يرمى إلى اقتطاع جزء هام من الوطن الإسلامي، وانخاذه كفاعدة للانطلاق والسطو والسيطرة على بافي أجزاء الوطن العربي والإسلامي. ولقد نجح الصليبيون في وقت من الأوفان في احتلال فلسطين وأجزاء أخرى من الوطن العربي، واستطاعوا أن يكونوا ممالك ظلت على اتصال دائم بالغرب الذي كان يمدها بالجيوش والأسلحة وبكل مقومات الحياة، وبها بمكنت من مهاجمة ديار المسلمين كلم سنحت لها الفرصة. وكذلك استطاعت الصهيونية أن تحتل فلسطين وأجزاء من الأفطار العربية المجاورة، ولا تزال تتطلع إلى ضم المزيد، وهي في عدوانها هذا تعتمد على الدعم العالمي والمدد الغربي الذي لا بنفطع. وكما استغلت الحملات الصليبية الأوضاع المتردية في العالم الإسلامي، تمكنت الصهيونية من أن تستنمر نفس الأوضاع، وتستغلها لصالح أهدافها وأغراضها. وقد نجحت الحملات الصليبية في إيهام الرأى العالمي الغربي بأن هدفها ديني محض، وغايتها إنقاذ القبر المقدس، وتحرير الديار المقدسة من المسلمين، وكذلك استطاعت الصهيونية أن تضلل الرأى العام العالمي زاعمة بأن هدفها هو عودة البهود إلى ديارهم، وإعادة بناء هيكلهم، وتأسيس دولتهم. ففلسطين كما بدعون كانت منذ الأزل موطنا لليهود، ولكن الزمن غدر بهم فطردوا من وطنهم، وتشتتوا في الآفاق. وليس من العدل والإنصاف أن يظل هذا السعب طريدا بعيدا عن أرضه التي وعده الله بها.

وفد استخدمت الصهيونية هذا السلاح مع غيره من الأسلحة في سبيل تحقيق أهدافها وأطماعها الخبينة. وبعد أن تم لها تحقيق ما تربد بدأت تظهر على حقيقتها، وصار العالم يدرك

أغراضها الحقيقية، ولكن بعد أن تبتت أفدامها وعززت مكانتها العالمية، وأصبحت تعتمد القوة وسيلة لتحقيق أهدافها ومراميها.

وحتى تطمئن الصهيونية إلى الأبد، وكي تكون بأمن من أي خطر بتهددها في المستقبل، رأت أن من الأفضل تنفيذ مخطط محكم ومدروس لتهويد فلسطين أرضا وشعبا وحضارة، وعملت على محو عربية فلسطين، وطمس كل معلم من معالمها الإسلامية، حتى لا يبقى للعرب أي سند أو حجة يتمكسون بها في المستقبل من أجل تحرير ديارهم. وقد اعتمد الصهاينة عدة وسائل نفذوها على مراحل، وكلها تؤدي في النهاية إلى التهويد الكامل للتراب الفلسطيني. وهذه الوسائل يكن أن نلخصها في النقاط الآتية:

١ - الهجرة اليهودية إلى فلسطين: وذلك حتى يتحقق لليهود التفوق العددي على السكان العرب. وقد بدأ تنفيذ هذا المخطط منذ منتصف القرن التاسع عشر، ففي ذلك الموقت كانت نسبة اليهود تتراوح ما بين ٥ و ٧٪ من جملة السكان في فلسطين، في حين أن العرب تجاوزوا ٩٠٪ من السكان. ولكن الهجرة اليهودية نشطت بشكل رهيب منذ أن وضعت فلسطين تحت الانتداب البريطاني، وذلك بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى. وبناء عليه طرأت تحولات ديموغرافية لصالح اليهود في فلسطين، فأخذت في الزيادة سنويا، حتى أصبحوا يشكلون نحو ١٣٪ من سكان البلاد في عام ١٩٤٧م. وقبيل جلاء القوات البريطانية عن فلسطين، وفي أتناء فترة انتهاء الانتداب، تمكن اليهود من الاستيلاء على أراضي كئيرة. وحينا أوقفت الحسرب العربية ـ الإسرائيلية، وفرضت الهدنة على العرب فرضا في عامي ١٩٤٨م و ١٩٤٩م وفدت إلى البلاد أعداد كثيرة من اليهود، حتى أصبحوا يشكلون في عام ١٩٤٩ نحو ٩٠٪ من جملة السكان داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة.

Y _ امتلاك الأراضي العربية بالشراء في أول الأمر، ولما فشلت هذه السياسة نظرا لتمسك العرب بأراضيهم، وبخاصة بعد كشفهم للمخططات الصهيونية، لجأ اليهود إلى الحكومة البريطانية المنتدبة التي سهلت لهم عملية التملك، فمنحتهم الكشير من الأراضي الحكومية. وعلى الرغم من كل هذه المساعي والجهود فقد فشل اليهود في تنفيذ هذا المخطط، إذ لم يتمكنوا من أن يتملكوا إلا نحو ٧٪ من مجموع أراضي فلسطين منذ وطئت أقدامهم البلاد وحتى نهاية الانتداب في ١٥ مايو ١٩٤٨م.

ولكن بعد قيام إسرائيل عام ١٩٤٨م أخذ اليهود في تنفيذ برنامج الاستيلاء على الأراضي العربية عنوة، عن طريق إصدار العديد من القوانبن والتسريعات التي كان هدفها مصادرة المزيد من أراضي فلسطين ونزع ملكية العرب لها.

٣_ طرد السكان العرب من أجل أن تحافظ إسرائيل على التفوى العددي لليهود، وحتى تتخلص من العرب الذين بقوا فيها خسية أن تطرأ تحولات ديموغرافية لغير صالحها، أخذت تطرد من تبقى من العرب مستخدمة في ذلك مختلف الأساليب كالإرهاب والعنف والترحيل وخلافه. وكانت كلما احتلت أرضا عربية طردت سكانها منها، لأن مطلب اليهود هو الأرض خالية من سكانها.

3 - هدم القرى والمعالم العربية والإسلامية؛ وهو أسلوب نفذته إسرائيل بدهاء، إذ قامت بهدم العديد من القرى العربية، وإزالت الكثير من المعالم الإسلامية حتى تقطع خطة الرجعة أمام كل عربي يريد العودة لوطنه، وحتى لا تظل هذه القرى والمعالم كشواهد على عروبة فلسطين، ومن مم تعطي الحق للعرب في المستقبل للمطالبة ببلادهم، وهي تريد فوق هذا وذك وضع العالم أمام واقع جديد فرضته فرضا.

٥ - إقامة المستعمرات اليهودية : وحتى يتم للصهيونية تهويد الأرض الفلسطينية قامت ببناء العديد من المستعمرات اليهودية كإجراء متمم لسياسة هدم القرى وإزالة المعالم العربية والإسلامية. ومن بين أهداف المستعمرات أن تكون مراكز هجومية للعدوان على البلاد العربية المجاورة، وفي نفس الوقت تصد أي حركة ترمي لتحرير فلسطين. وبعد حرب ١٩٦٧م قامت إسرائيل ببناء العديد من المستعمرات في الضفة الغربية وسيناء والجولان حتى تؤكد وجودها في هذه المناطق، وكي تفرض على الأمة العربية وعلى العالم وافعا جديدا. وهي بهذه السياسة تهدف إلى عدم الانسحاب من أي أرض عربية احتلتها، بل ترى أن من حق اليهود الاستيطان في أي جزء من الأراضي المحتلة والتي تطلق عليها بالأراضي المحررة.

7 - تهويد التعليم عن طريق التدخل في المناهج والكتب المدرسية، فسوهت التاريخ العربي والإسلامي، وأظهرت للتلاميذ العرب أن قومهم لا تجمعهم أمذ، ولا يوحدهم هدف، وأنهم عبارة عن سعوب متنافرة ومتناحرة، يسغلون أنفسهم في صراع دائم فيا بينهم، كما

صورت لهم الفتح الإسلامي على أنه غزو للأقطار المختلفة، وسلب ونهب لخيراتها، وطمع في مواردها وإمكانياتها. وفي مقابل ذلك ركزت المناهج والكتب على عظمة الشعب اليهودي وعبقريته، وما قدمه للبشرية من جلائل الأعمال وعظيم الحدمات، وأبرزت النسخصيات اليهودية في كل علم وفن.

وغرست المناهج والكتب في أذهان التلاميذ مزاعم اليهود في حقهم بفلسطين، وأن العرب غزوا البلاد في فترة من التاريخ، كما فعل اليونان والرومان والفرس. وبدلا من تلقين التلاميذ الأسهاء الصحيحة للمدن والقرى والأماكن صاروا يصرون على ذكر أسهائها العبرية التي أطلقوها عليها بعد احتلالهم لفلسطين.

وتهدف إسرائيل من وراء هذا كله إلى زعزعة ثقة الطالب العربي بأمته وبدينه، والتسليم بالزعم القائل بأن فلسطين يهودية، وأن السعب اليهودي هو النموذج لشعوب العالم. وغايتها أن يفقد النسُّ الأمل حتى بمجرد التفكير بتحرير وطنه.

٧ ـ الأطراع التوسعية: وهو وسيلة وهدف في نفس الوقت، إذ تستخدم إسرائيل التوسع المرحلي للمحافظة على أكبر قدر من الأراضي التي احتلتها وتم لها تهويدها، وتتخذ من الأراضي الجديدة مناطق حامية عن المناطق التي احتلتها من قبل. وفي نفس الوفت تطمع إسرائيل في احتلال المزيد من الأراضي العربية، فسعارها لازال قائبا وهو من النيل إلى الفرات على الرغم من أنها أصبحت تتطلع اليوم إلى منابع النفط الذي تعتبره السلاح القوي المتبفي في أيدي العرب.

إن القضية بين العرب وإسرائيل ليست سياسية _ كها يتوهم البعض _ وإنما هي قضية قومية، وصراع على قطعة واحدة من الأرض، إنها في الواقع صراع فريقين يطالب كل منها عن عقيدة _ بالسيطرة والسيادة على نفس الأرض، لذلك فلا يمكن أن تكون نتيجة هذا الصراع _ مها طال _ إلا بانتصار أحد الفريقين، وبالتالي، أن بكون أحد الفريقين مالكا لهذه الأرض.

وهذه الأرض التي هي فلسطين ليست نهاية المطاف بالنسبة للأطباع الصهيونية، إنها بمثابة نقطة انطلاق، منها ينطلقون إلى الوطن العربي الكبير الذي يربدون له أن يصبح تحت نفوذهم وسيطرتهم. والمجتمع الإسرائيلي هو مجتمع حرب لا مجتمع سلم، لأن زعاء إسرائيل يدركون أن السلم خطر على مجتمعهم، وهم إن رفعوا سعار السلم فإنما بخدعون العالم، لأنهم بخفون وراء هذا السعار استعدادهم للحرب. إنهم يريدون أن يوهموا العرب بهذا السلم المزعوم حتى يركنوا إلى السكينه والهدوء، فيأخدونهم على حين غرة. ولذلك فلا حل للهضية الفلسطينية الا بالحرب، ولا بديل للعرب سوى الاستعداد لخوض معركة المصير، واسترداد أراضيهم وتحر بر قدسهم. فما أخذ بالقوة لا يسترجع إلا بالقوه. ولم يعرف التاريخ سعبا استرد حقه وأرضه بغير القوة، ولا سبيل للعرب في تحقيق النصر الكاسح على إسرائيل إلا بتوحيد صفوفهم، وجمع بغير القوة، ولا سبيل للعرب في تحقيق النصر الكاسح على إسرائيل إلا بتوحيد صفوفهم، وجمع كلمتهم، وتقوية جيوشهم، وحسد كل طاقاتهم. ومما لاسك فيه أن الرأي العام العالمي دائها مع القوى، ولا قيمة في حنى لا تسنده قوة. والعرب يملكون كل مقومان القوة ومفاتيح النصر، وما عليهم إلا سحذ الهمم وتفوية العزائم، وأن يحيوا سنة السلف الصالح في الجهاد لتحرير دبار الإسلام، ويسير وا على كتاب الله وسنة رسوله الكريم مؤمنين بقوله الكريم،

(إِن تَنْصُرُواْ ٱللَّهَ يَنْصُرْ كُرْ وَيُثَيِّتْ أَقْدَامَكُمْ)

(Y sie)

000

الحواشى

- (١) مؤسسة الدراسات الفلسطينيه «الفضية الفلسطينية والخطر الصهيوسي» بير وت ١٩٧٣ صفحة ٤٩٥ .
 - (٢) المرجع نفسه.
- (3) Lucas, N, The Modern History of Israel", Weidenfeld and Nicolson, London, 1974, P. 27.
- (4) Ibid, P. 29.
- (5) Ibid, P.30.
- (٦) نيودور هرنزل «يوميات هرنزل» ترجمة هلدا سعبان صابغ _ مركز الأبحاب _ منظمة التحرير الفلسطينيد، ط ٢،
 بير وت ١٩٧٣، صفحه ٨٩.
- إلى أرسكين تسيلدرز «الرغبة الحرساء ، من مواطنين إلى لاجئير» بحث ضمن كتاب تهويد فلسطين، اعداد وتحرير إبراهيم أبولغد، وترجمه الدكتور أسعد ررق _ مركز الأبحاب _ منظمه التحرير الفلسطينية. بيروب ١٩٧٢، صفحه
 ١٨٦.
- (8) Hurewitz, J.C, "The Struggle for Palestine" Greenwood Press, New York, 1968, P.27.
 - (٩) جانيت أو لغد «التحول الدبموغرافي لفلسطين» بحب بي كتاب تهويد فلسطير، مرجع سابق ـ صفحه ١٥٦.
 - (۱۰) كامل محمود خله «فلسطين والابتداب البريطاني ۱۹۲۲ ـ ۱۹۳۹» مركر الأبحاب، منظمه التحرير الفلسطينية. بعروت ۱۹۷٤ صفحة ۴۹۸.
- (11) Hurewitz, J.C., op. cit, P. 28.
- (12) Hurewitz, J C, op. cit, P. 28
- (13) Hurewitz, J.C., op cit, P. 28,
- (14) Hurewitz, J.C., op. cit, P. 28.

- (١٥) كامل محمود خله _ مرجع سابق .
- (١٦) لمزيد من المعلومات عن مقاومه عرب فلسطين للهجرة اليهودية في العهد العياسي محسن الرجوع الى. حبر به فاسمية «النساط الصهيوني في السرق العربي وصداه ١٩٠٨ _ ١٩١٨» مركز الأنحاب _ منظمة التحرير الفلسطينية بعروب ٧٣.
 - (١٧) جانيب أبو لغد ــ مرجع سابق .
 - (۱۸) کامل محمود خله _ مرجع سابق .
 - (١٩) المرجع نفسد.
 - (۲۰) جانیت أبو لغد ــ مرجع سابق صفحه ۱۹۳ .
 - (٣١) المرجع نفسد.
 - (٢٢) المرجع نفسه .
 - (٢٣) المرجع نفسه .

erted by Till Combine - (no stamps are applied by registered version)

- (24) Blake, G, "The Wandering Arabs" Geographical Magazine, Vol. LV, No. 3, December 1972, PP 179-182
- (٢٥) الياس سعد «الهجرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة» مركز الأبحاث _ منظمة التحرير الفلسطينية، بيروب ١٩٦٩،
 صعحة ٢٢٤.
 - (٢٦) المرجع نفسه .
 - (٢٧) المرجع نفسه.
- (۲۸) تيسير الناملسي «حركة الهجرة اليهودية بعد عدوان ۱۹۶۷» مركز الأبحاث، منظمه التحرير الفلسطينية، بهروت المال مفحة ٤٣٠)
- (29) The Statesman's Year Book, 1972/73, P. 1078.

(٣٠) المرجع نفسه .

(31) Black, G. OP. Cit.

- (٣٢) يوميات هرتزل ــ مرجع سابق صفحة ٧٦ .
- (٣٣) كامل محمود خله .. مرجع سابق صفحة ٤٨١ .
- (٣٤) محمد أمين الحسيني «حقائق عن قضية فلسطين» الهيئة العربيه العليا بفلسطين، القاهرة ١٩٥٤، صفحة ١١ _ ١٢.
 - (٣٥) جون رودي «حركبات استلاب الأراضي» في كتاب تهويد فلسطين ــ مرجع سابق صفحه ١٥٠.
 - (٣٦) يعتمد هذا الجزء من البحث اعتادا كليا على كتاب «العرب في إسرائيل» للمحامي صبري جريس.
 - (٣٧) أرسكين تسيلدرز_ مرجع سابق صفحة ١٨٦.
 - (٣٨) المرجع نفسه .
 - (٣٩) يوميات هرتزل ــ مرجع سابق صفحه ٣٥.
 - (٤٠) أرسكين تشيلدرز_ مرجع سابق صفحة ١٩٦ .
 - (٤١) المرجع نفسه ـ صفحة ١٩٩.
 - (٤٢) المرجع نفسه .
 - (٤٣) المرجع نفسه ـ صفحه ٢٠٣ .
 - (٤٤) المرجع نفسه .
 - (٤٥) المرجع نفسه.
 - (٤٦) المرجع نفسه ـ صفحة ٢٠٤ .
 - (٤٧) المرجع نفسه .
 - (٤٨) المرجع نفسه.
 - (٤٩) هنري كتن «فلسطين في ضوء الحق والعدل» مكتبة لبنان. بيروت ١٩٧٠ ـ صفحة ٤٥.
 - (٥٠) المرجع نفسد.
 - (٥١) المرجع نفسه _ صفحة ٤٦ .
- (52) Association of Arab-American University Graduates, Inc. Information Papers, No.2, Sept., 1970, PP.4-5.
 - (٥٣) ألمرجع نفسه .

- (٥٤) لمزيد من التفاصيل في هذا الموضوع يحسن الرجوع إلى التقارير الآتية.
- أ روحي الخطيب «تعرير أمانة القدس حول مواصلة سلطات الاحتلال العسكري الإسرائيلي اعتداءاتها
 لتغيير مدينة القدس حلافا لقرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة وبجلس الأمن الدولي ومنظمة اليونسكو»، عان ١٩٧٦.
- ب روحي الخطيب «تقرير مواصلة سلطات الاحتلال العسكري الإسرائيلي اعتداء اتها لتغيير أوصاع مدينة العدس والمدن والقرى الفلسطينية المحيطة بها وتهويدها جميعاً كمرحلة لتهويد المناطق المحتلة أجمع» عمان ١٩٧٧.
 - (٥٥) محمد أمين الحسيني _ مرجع سابق _ صفحة ١١٤ _ ١١٥ .
 - (٥٦) المرجع نفسه .
 - (٥٧) المرجع نفسه .
- (٥٨) أنيس صايغ «المستعمرات الإسرائيلية الجديدة منذ عدوان ١٩٦٧» دراسات فلسطينية _ مركز الأبحاب الفلسطينية، منظمه التحرير الفلسطينية _ بيروت ١٩٦٩ صفحة ٥١ _ ٥٣.
 - (٥٩) المرجع نفسه ـ صفحة ٥٥ .

- (60) The Times, June 25, 1976.
- (61) The Sunday Times, July 13, 1973.
- (٦٢) أنيس صايغ .. مرجع سابق صفحه ٥٦ .
- (63) Association of Arab-American Univ. Granduates, op. cit, P.5.
- (٦٤) المرجع نفسه .
- (٦٥) أنيس صايغ ـ مرجع سابق ـ صفحة ٥٩ .
 - (٦٦) روحي الحطيب ـ مرجع سابق .

- (67) The Times, November 25, 1976.
- (68) The Times, December 18, 1975.
- (69) The Times, June 25, 1976.
- (70) The Sunday Times, July 13, 1975.
- (٧١) نزبه قوره «تعليم الفلسطينيين: الواقع والمسكلات ـ مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية» ميروت ١٩٧٥ ـ صفحة ٨٠.
 - (٧٢) لمزيد من الاطلاع على التعليم في الأراضي المحتلة يحسن الاطلاع على المراجع الآتية:
- أ _ منير بسور وخالد مصطفى الشبيخ يوسف «التعليم في إسرائيل», مركز الأبحـاب _ منظمة التحـرير الفلسطينية، بيروب ١٩٦٩.
- ب _ صالح عبدالله سرية «تعليم العرب في إسرائيل» مركز الأبحاث _ منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت
 ١٩٧٣.
 - جـ _ نزيد قورة «تعليم الفلسطينيين» _ مركز الأبحاث _ منظمة التحرير الفلسطينية _ بيروت ١٩٧٥.
 - د _ صبرى جريس «العرب في إسرائيل» مركز الأبحاث _ منظمة التحرير الفلسطينية _ بيروت ١٩٦٧.

- (73) Palestine Papers 1917-1922, Seeds of Conflict, Compiled and Annotated by Doreen Ingrams.,
- John Murray, 1972, P.P. 75-76

 (74) Jansen, G.H. "Zionism, Israel and Asian Nationalism", The Institute for Palestine Studies, Beirut, 1971, P. 141.
 - (٧٥) المرجع نفسه .
 - (٧٦) المرجع نفسه ــ صفحة ١٤٢ .
 - .١٩٧٥/٤/٥ محمد الفرا «ما هي حقيفة الأطاع الصهيونية في سيناء» صحيفة الأهرام المصرية ١٩٧٥/٤/٠.



onverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ما طرأ على حدود فلسطين منذ الحرب العالمية الثانية

دكتور / عبدالرحمن الشريف



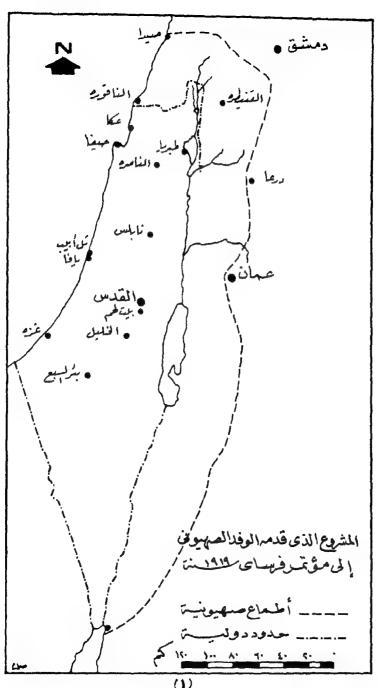
تعتبر الفضية الفلسطينية من أعقد قضايا العالم السياسية، فقد شغلت أذهان الملايين على مدى قرن من الزمان، وذلك لتعدد مظاهرها، وتسابك المصالح الأجنبية التي تتصارع من حولها، وتعمل على تصاعد التأزم، الأمر الذي يفتضي استراك جيل بل أجيال من الباحثين الموضوعيين، كل في مجال تخصصه لكشف جوانبها الغامضة، وتسليط الضوء على زيف الادعاءات المتناقضة، والتي استطاعت ـ بكل أسف ـ كسب السبن في إيهام الرأي العام العالمي.

كانت فكرة إنشاء دولة تؤوى يهود العالم ـ في أي مكان ـ حلما من الأحلام يراود الصهيونية الأوائل خلال القرن التاسع عشر. وقد استطاع هؤلاء في نهاية ذلك القرن رسم الخطط لوضع هذه الفكرة موضع التنفيذ، نم حددوا فلسطين مكاناً لها. وبعد عمل دؤوب دام نصف قرن، استغل غلاة الصهيونية خلاله الأوضاع العالمية، واستتمروا بشكل علمي ومنظم تناقض مصالح الدول العظمى، وجهل وفقر الدول الصغرى وشعوبها، وانسأوا في سنة ١٩٤٨م دولة صغيرة على جزء من فلسطين قابلة للتوسع، وصار لهم ما أرادوا.

اعتبر الصهاينة انشاء الدولة بداية العمل الجدي لتنبيت أركانها وترسيخ جذورها، وترويض السكان الأصليين لقبول الأمر الواقع، بعد أن قبل العالم بأجمعه وجودهم، وذلك برفع مستواها العسكري _ والاقتصادي والحضاري، بحيث تسبى جميع الدول المجاورة لها في جميع هذه المجالات. وكانت الخطة أن يدعوا أنهم محاطون بدول معادية، ولابد من تأمين حدود آمنة لدولتهم. وبعد كل بضع سنين تصل إلى وضع انفجاري تنوه بسكانها الذين يتزايدون عن طريق الهجرة، وتثفل بترسانات الأسلحة ومخازن التعوين والوقود والتي نخزن ليوم موعود.

عندها نفتعل حربا موضعيه خاطفة، توسع حدودها السياسية عقبها على حساب جاراتها مرة تلو الأخرى، إلى أن تصل أهدافها البعيدة، وهي أن تتحول إلى أكبر قوة ضاربة في المنطقة، وتصل حدودها ما بين النيل والفرات، وتتحكم بمصائر واقتصاد شعوب هذه المنطفة الأصليين الذبن يتحولون بالتدرج إلى مستضعفين، كما حصل للهنود الحمر في أمريكا.

erted by lift Combine - (no stamps are applied by registered version)



(1)

ورغبة في إلقاء مزيد من الضوء على زيف شعار الحدود الآمنة لدولة إسرائيل، هذا النسعار الذي بنال تعاطفا من معظم دول العالم، بل يجد ضهانا من بعض الدول العظمى، رأيت أن يفتصر حديني على تتبع خلق وتغير خطوط الحدود باستمرار، ولصالح توسيع دوله إسرائيل بأسلوب موضوعي.

ومن هنا كان عنوان هذا البحد «ما طرأ على حدود فلسطين منذ الحرب العالمية الأولى»، أي منذ وجود إقليم فلسطين ضمن حدود سياسية، بعد أن انسلخ عن الدوله العنهانية وحتى الآن. ولما كانت لمسكلة الحدود أبعاد جغرافية وتاريخية وحقوفية، وهي لا تتضح إلا في ضوء تطور الأحدات التاريخية في المكان، وجدت لزاما على الإلمام _ ولو بإيجاز _ بالفقران التالية:

- ١ _ موجز لجغرافية فلسطين .
- ٢ ـ ظهور الحركة الصهيونية في القرن التاسع عسر.
- ٣ _ الاستعار يرسم الحدود خلال الفرن العسرين .
- ٤ _ إيجاد دولة إسرائيل ضمن حدود مؤقته سنة ١٩٤٨م.
 - ٥ _ محاولات إسرائيل المستمرة لتوسيع الحدود.
 - ٦ _ الحدود الآمنة كشعار زائف .
 - ٧ _ الخاتمــة .

١ _ موجز لجغرافية فلسطين :

تشغل فلسطين الجزء الجنوبي الغربي من بلاد السام أو (سوربا الكبرى)، وتقع فها بين الساحل الشرقي للبحر المتوسط ونهر الأردن. وتبلغ مساحتها حسب حدودها زمن الانتداب البريطاني ٢٧٠٠ كم ، بما في ذلك ٧٠٤ كم م مساحة بحبرتي الحوله وطبربا ونصف البحر الميت. وتمتد فلسطين بسكل طولي على هيئة الإسفين من السال إلى الجنوب، بطول ٤٣٠ كم، ويختلف عرضها بين ٥٠ كم في النسال و ٩٠ كم في الوسط و ١١٧ كم (١) عند عرض رفح، سم تضيق باتجاه الجنوب على سكل منك رأسه على خليج العفية.

وتتكون فلسطين من أربع مجموعات فزيوغرافية مميزة في مظاهرها الطبيعية والبسرية (سكل ١) هي:

السهل الساحلي: ويمتد من رأس الناقورة عند الحدود مع لبنان سيالا حتى رفح عند الحدود مع مصر جنوبا، أي بامتداد يبلغ ٢٢٤كم. ويتكون السهل من رسوبيات حديتة رباعية، انحدرت إليه من المرتفعات المجاورة، وكذلك من الرسوبيات الساطئية والبحرية خاصة تلك التي تقذف بها التيارات البحرية من الغرب، والتي جاءت أصلا من التيل، وقد تسكلت بعض الكنبان الرملية الساطئية. وتبلغ مساحة هذا السهل نحو ٣٢٢٠ كم معظمه صالح للزراعة (٢).

ويقسم جبل الكرمل الذي يمتد من حيفا باتجاه الجنوب السرقي السهل الساحلي إلى قسمين: سهل عكا في الشيال وهو ضيق إجمالا، وسهل يافا (سهل سرعون) في الجنوب، والذي يزداد اتساعا حتى يصل عرضه إلى نحو ٢٢كم في منطقة غزه.

- ٢ الهضاب الوسطى: وهي في الأصل جزء من المحدب الجيولوجي الغربي في بلاد السام، والذي نتج عن الحركة الالتوائية المرافقة للحركات الألبية في الزمن الثالت. وهي إجمالا قليلة الارتفاع، تمتد طوليا من الشهال إلى الجنوب. ويمكن أن نقسمها إلى هسمين: القسم الأول جبال الجليل في السهال، وتعتبر امتدادا لجبل عامل في لبنان، وفيه أعلى قمة في فلسطين فرب صفد (جبل جرمق ويصل ارتفاعه إلى ١٢٠٨م عن سطح البحر). والقسم الثاني جبال نابلس والخليل، وتمتد طوليا ١٣٥٥كم، بعرض بقرب من ٢٠كم. ويفصل القسمين عن بعضها أراض منخفضة مختلفة، نتجت عن حركات انكسارية، أنتجت هضاب الناصرية وسهول مرج ابن عامر وبيسان. وتتكون الهضاب بوجه عام من صخور كلسية، تتضح فيها المظاهر الكارستية إذ تكثر فيها الكهوف، وتختفى المياه السطحية بسرعة، وتكنر الينابيع.
- ٣ الغور: وهو المنطقة المنخفضة التي تفصل هضاب فلسطين عن هضاب سرق الأردن، وقد نتج الغور في الأصل عن الانكسارات التلابية في منطقة المقعر الالتوائي الموجود بين المحدب الشرفي والمحدب الغربي، وقد انخفض فيها السطح إلى دون مستوى سطح البحر (ـ ٠٠٤م عند سطح البحر الميت).

ويجري في الغور نهر الأردن الذي ينبع من سفوح جبل الشيخ، وينحدر إلى منطقة الحولة (وهي بمستوي سطح البحر) نم يتجه جنوبا إلى بحيرة طبريا (ـ ٢٠٠م عن سطح البحر)، وبعد خروجه من طبريا يستقبل مياه نهر اليرموك القادم من الشرق وهو

أهم روافده، نم يواصل مجراه بطريق سديد التعرج إلى أن يصب في البحر الميت الغني بأملاحه لاسبا البوتاسيوم. وبشغل الجزء الواقع جنوب البحر الميت وادي العربة. مبلغ متوسط عرض الغور بين ٨ ـ ١٦ كم، ولذلك تنحدر الأرض باتجاهه بسدة من الجانبين السرقي والغربي، وتتكون أرضيته من سهول رسوبية حديثة ذات تربة تميل للملوحة. وببلغ طول البحر الميت ٢٧كم وأقصى عرض له ٢٦كم (٣)، وترتفع فيه نسبة التبخر، ولذا ارتفعت نسبة ملوحته إلى ٣٤٠ غم/لتر.

٤ ـ النقب: ويتكون من هضبة واسعة قليلة الارتفاع، تحتل الجزء الجنوبي من فلسطين، وتبلغ نحو للث مساحتها، تبدأ من منطقة بئر السبع، وتتجه جنوبا إلى العقبة. وتعتبر هذه الهضبة امتدادا طبيعيا لنسال صحراء سيناء باتجاه الشيال الشرقي.

المناخ وموارد المياه في فلسطين :

سود فلسطين مناخ حوض البحر المتوسط المعتدل، والذي بميل إلى الحرارة والجفاف صيفا وإلى البروده والأمطار سُتاء، غير أن موقع فلسطين ببن خطي عرض ٣٠٠ ـ ٣٣٠ س، وفي الزاوية الجنوبية السرقية للبحر المتوسط، جعلها تقع على حدود المنطقة سُبه الجافة، ففي جنوب فلسطين (النقب)، وفي منطقة الغور التي تقع في ظل مطر الهضاب، تفل الأمطار السافطة عن ٢٠٠ ملم سنوبا، وتبلغ مساحتها نحو نصف مساحة فلسطين.

أما النصف الآخر فتختلف أمطاره حسب الموقع والتضاريس، حيت تتراوح في الساحل بين ٦٥٠ ملم في عكا و ٣٠٠ ملم في غزه. وتختلف في الجبال بين ١٠٠ ملم في المطلة على الحدود النسالية و ٥٠٠ ملم في الخليل. وقد يتساقط الثلج في المناطق الجبلية في الستاء (٤).

ومن هنا كانت موارد المياه في فلسطين محدودة على عكس ما كان يسبع غلاة الصهيونية، فغير نهر الأردن الذي يحد فلسطين من الشرق، والذي ينبع من سفوح جبل السيخ، ويستقبل عددا محدودا من السهول من الأرض الفلسطينية، لا يوجد سوى نهرين صغيرين في السهل الساحلي، هها: نهر المقطع وبصب شهال حيفا، ونهر العوجا ويصب شهال يافا، وعدد من السيول غير الدائمة الجريان. ولكن تكثر العيون الفكلوزية في المناطق الجبلية بسبب طبيعة الصخور الكلسية، وتحوي السهول الساحلية غساء مائيا كافيا لتقوم عليه الزراعة.

ويغلب وجود (تربة البحر المتوسط) في جبال وسهول فلسطين، وكلها ترب غنية إجمالا، مما ساعد على انتشار الزراعة اعتادا على الأمطار منذ أقدم الأزمنة. ولكن هذا لا منفي أن محدودية موارد المياه تحدد مجال التوسع الزراعي على نطاق كبير، ولهذا خطط الصهاينة منذ البداية وقبل وجودهم في فلسطين لاستغلال مياه نهر الأردن والأنهار والسيول الساحلية من أجل مشاريعهم الاستبطانية.

وضع فلسطين قبل الانتداب البريطاني :

كانت فلسطين منذ الفتح العربي الإسلاميي عام ١٣٦٦م، بلادا عربيسية خالصة شعبا ولغة وديانة. وكانت تشكل جزءا صغيرا من الدول الإسلامية المتعاقبة، تتبع الحكم المركزى في المدينة أو دمشق أو بغداد أو القاهرة أو إسطانبول مركز الخلافة العثمانية. وبالتالي لم تعرف فلسطين الحدود السياسية. وحتى في عهد الدولة العتمانية كانب أراضيها جزئين من إبالتين مركزاهما دمشق وبير وت، وليس جزءا في إبالة واحدة. وفي عام ١٩١٨م، ولأول مرة في التاريخ سلخت فلسطين عن بلاد الشام، وصار لها حدود سياسية ترسم ويعاد رسمها حسب مخططات الاستعمار والصهيونية. وكان يعيس فيها نحو ٢٠٠٠٠٠ من العرب، علكون نحو ٥٠٧٠٪ من مساحة فلسطين، ويعيش معظمهم من إنتاج أراضيهم أو حيواناتهم. ولم يتجاوز عدد يهود فلسطين إذ ذاك ٥٠٠٠٠ نسمة، ولا يملكون سوى ٢٥٠٪ من مساحة الأرض. وكانت بك مساحة أرض فلسطين صالحة للزراعة.

٢ _ ظهور الصهيونية العالمية في القرن التاسع عشر:

ظهرت القوميات في أوروبا في القرن التاسع عشر وكرد فعل لانعزالية اليهبود نشط غلاتهم للترويج ليهوديتهم، وراحوا يدعون يهود العالم للتنظيم ليبعثوا فيهم روح إسرائيل ومجدها، مستمدين من التوراة والتلمود شواهد القوة والانبعات.

أعلنوا أن اليهودبة دين وشعب وقومية، ودعوا اليهود إلى التكتل كسعب، وإلى تعلم اللغة العبرية، وإلى ربط ولائهم إلى قوميتهم الجديدة لا إلى القوميات التي خلقوا فيها. وكان هذا هو بدء ظهور اليهودية بمظهرها الجديد الذي أطلق عليه اسم (الصهيونية)، نسبة إلى جبل صهيون في مدينة القدس. فنشأت المشكلة اليهودبة في معظم دول أوروبا، وتعمقت هذه المسكلة في

النصف الناني من القرن التاسع عشر، حتى تحولت إلى صراع وطني داخلي، حيث كانت عنصريتهم تظهرهم بمظهر الأجانب، وتظهر احتكاراتهم ورأسالهم كالاحتكارات ورؤوس الأموال الأجنبية. ولفد أبار ذلك حفيظة السعوب ضدهم فحاربوهم، وقد تطور هذا الصراع أحيانا إلى درجة الاضطهاد.

وعلى أتر الاضطهادات التي حلت باليهود في رومانيا وروسيا وبولونيا في عام ١٨٨١م اصدر سمحا بينكر - أحد زعائهم - كتابا أساه (التحرير الذاتي)، أوضح فيه أن العالم يحتمر اليهود لأنهم ليسوا أمة، ولأنهم أجانب في كل بلد يعيسون فيه، وليس من علاج لهذا الداء إلا بإيجاد قومية يهودية لشعب يعيش في أرض الوطن (٥٠). فأنار هذا النداء حماس غلاة اليهود، فألفوا جمعية باسم (عنساق صهيون) تدعو إلى إحياء اللغة العبرية وإلى الهجرة إلى فلسطين والسيطرة على أراضيها (٢٠).

أعلن اليهود إنر اجتاع عقدوه في عام ١٨٨٢م: «إن فلسطين يجب أن تكون وطنا للشعب اليهودي، وإن بالإمكان نقل أهل فلسطين العرب إلى الأقطار العربية المجاورة، لأنها بلاد واسعة وقليلة السكان». ولم يكن في فلسطبن وفتها أكبر من ١٢ ألف يهودي. نم أعلن إسرائيل زانكويل مؤسس المنظمة الصهيونية: «إن فلسطين وطن بلا سعب، فيجب أن تعطى لسعب بلا وطن. وإن واجب اليهود في المستقبل أن يضيقوا الخناق على سكان فلسطين العرب حتى يضطروهم إلى الخروج منها» (٧).

وأعلن تيودور هرتزل الصحفي النمساوي في كتابه (الدولة اليهودية) في عام ١٨٩٥م: «إن الحل لجميع مشكلات اليهود المضطهدين في هذا العالم هو قيام الدولة اليهودبة على رقعة من الأرض متسعة، تصلح لإنشاء وطن محدد لها» (١٨). وفي المؤقر الصهيوني العالمي الذي عقد في بال في سنة ١٨٩٧م الذي ترأسه هرتزل أجمعت الصهيونية العالمية على إنشاء وطن قومي للنسعب اليهودي، ونص في قراراته أن تكون مساحة البلاد كافية لحاجات خمسة عشر مليونا من اليهود المشتين في أنحاء العالم (١٩)، وأقر المؤفرون علم الدولة المنتظرة ونسيدها القومي، ورسموا هيكل الوكالة اليهودية التي ستتولي تنظيم يهود العالم وقيادتهم للعمل على تحقيق هذه الدولة.

غير أن هرتزل فسل في سنة ١٩٠١م في إقناع السلطان عبدالحميد لمنح اليهود امتيازات

دينية، نخولهم إنشاء المستعمرات وسراء الأراضي في فلسطين، رغم إغراءات اليهود المالية والاقتصادية ودعاياتهم الخادعة.

٣ _ الاستعبار يرسم حدود فلسطين ويطورها في القرن العشرين:

لو لم تتفق أحلام الصهيونية مع مصالح الاستعار وخططه منذ مطلع القرن العشرين خاصة بريطانيا لبقيت جميع فرارات الصهيونية ومخططاتها كأماني وأحلام. وعلى سبيل المثال حاولت بريطانيا منذ مطلع القرن إيجاد جبهة استعارية موحدة تضم بريطانيا وفرنسا وبلجيكا وهولندا والبرتغال وإيطاليا وإسبانيا لتحاشى الصدام فيا بينها، ولقطع الطريق على حركات استقلال المستعمرات، والوقوف أمام ألمانيا وحليفاتها. واتفقوا على تأليف لجنة من خبراء هذه الدول، تتولى دراسة الحلف الجديد، ضمت مشاهير المؤرخين وعلماء الاجتاع والجغرافيا والاقتصاد والنفط والزراعة وغيرهم. وقد اجتمعت هذه اللجنة في لندن سنة ١٩٠٧م. وقد جاء في الخطاب الافتتاحي لرئيس وزراء بريطانيا (هنرى كامبل بندمان) في تحديد مهمتها في الخياد على:

«إن الامبراطوريات تتكون وتتسع وتقوى ثم تستقر إلى حد ما، ثم تنحل رويدا رويدا ثم تزول، والتاريخ ملي عنل هذه التطورات، فهناك إمبراطوريات روما وأتينا والهند والصين وقبلها بابل وآسور والفراعنة وغيرها... فهل لديكم أسباب أو وسائل يمكن أن تحول دون سفوط الاستعار الأوروبي أو انهياره أو تؤخر مصيره وقد بلغ الآن الذروة، وأصبحت أوروبا قارة قديمة استنفذت مواردها وساخت معالمها، بينا العالم الآخر لايزال في شبابه، يتطلع إلى مزيد من العلم والتنظيم والرفاهية...؟ هذه هي مهمتكم أيها السادة، وعلى نجاحها يتوقف رخاؤنا وسيطرتنا...».

بعد دراسة مستفيضة دامت أشهرا قدمت اللجنة تقريرها إلى وزارة الخارجية البريطانية التي أحالته إلى وزارة المستعمرات لخطورته. وقد جاء في مقدمة التقرير تصنيفا لمصالح الدول المستعارية في العالم، نم انتقل إلى إتبات أهمية البحر المتوسط كشريان حيوي، وضرورة السيطرة عليه لحاية المصالح الأوروبية المشتركة. واستعرض التقرير الأخطار المحتملة على الاستعار، وصنفها إلى أولويات، ووجد الباحنون أن الخطر يكمن في البحر المتوسط، صلة

الوصل بين السرق والغرب. وعلى طول ساحله الجنوبي والشرقي وعلى جانبي البحر الأحمر وقناة السويس بينها، والبحر العربي والخليج العربي يعيس شعب واحد، تتوفر له من وحدة تاريخه ودينه ولغته ونقافته وآماله كل مقومات الترابط والاتحاد، وتتوفر في نزعاته التحورية وفي ثرواته الطبيعية، ومن كرة تناسله كل أسباب القوة والتحرر والنهوض. نم تساءل الباحنون في تقريرهم عن وضع المنطقة إذا توحدت فعلا آمال شعبها، وإذا دخلت الوسائل الفنية الحديئة والمكتسبات الصناعية إليها، وإذا انتسر التعليم وعمت النقافة في أوساط أفرادها، وإذا استغل أهلها ثرواتها.

يجيب التقرير على هذه التساؤلات: عند ذلك ستحل الضربة القاضية حتا بالإمبراطوريات الاستعارية، وستتبخر أحلام الاستعار بالخلود، فتتقطع أوصاله ثم يضمحل وينهار كما انهارت الإمبراطوريات الغابرة. نم يضع التقرير توصياته لتلافي هذا المصير، ومؤداها أن تعمل الدول ذات المصالح المشتركة على بقاء وضع هذه المنطقة المجزأ المتأخر، وإبفاء شعبها على ما هو عليه، ومحاربة اتحاده بأي رباط. وكوسيلة مستعجلة لدره الخطر أوصى التقرير بضرورة العمل على فصل الجزء الإفريقي من هذه المنطقة عن جزئها الآسيوي، واقترح لذلك إقامة حاجز بسري قوي وغريب على الجسر البري الذي يربط آسيا بإفريقيا، ويربطها معا بالبحر المتوسط، بحيث يسكل في هذه المنطقة وعلى مقربة من قناة السويس قوة صديقة للاستعار وعدوة لسكان المنطقة (١١).

وعلى ضوء هذه التوصيات سارت سياسة الدول الاستعارية جميعا في الوطن العربي منذ مطلع القرن العسرين، وعلى هديها يكننا تفسير مواقفهم من جميع الفضايا العربية وتصرفاتهم فيها قبل استقلال دول هذه المنطقة وبعده، ويوضح محتواها التقاء فكرة الصهيونية مع مصالح الاستعار، هذا الالتقاء الذي استغله زعاء الصهيونية بذكاء، واستنمروه إلى أقصى حد.

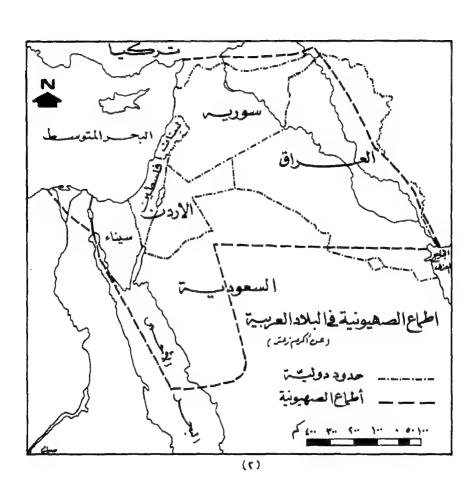
اتفقت بربطانيا بادى ني بدء مع زعاء الصهيونية على تأسيس دولة إسرائيل في فلسطين، فقد عرضت على مصر في سنة ١٩٠٧م اقتراحا يقضي باستيطان اليهود في سيناء، عرضت على الصهيونيين استيطان اليهود في أوغندة كمنطقة تجمع مؤفتة فبل نقلهم إلى فلسطين، لأن فلسطين كانت خارجة عن النفوذ البريطاني، وفسلت في ذلك. وأثناء الحرب

العالمية الأولى ألزمت بريطانيا نفسها بثلاتة اتفاقات أو عهود متناقصة مع نلاثة جهات مختلفة تتعلق بالمنطقة العربية (١٢)، ومنها فلسطين، وهي:

- مباحثات حسين _ مكاهون من تموز سنة ١٩١٥م حتى آذار سنة ١٩١٦م. وقد تعهدت بريطانيا من خلالها للحسين بتمكينه من تأسيس مملكة في جميع المشرق العربي، تمتد من أضنة ومرسين في الشيال، ومن حدود إيران والخليج العربي في الشرف، إلى المحيط الهندي جنوبا، والبحر الأحمر وسيناء غربا، بما في ذلك فلسطين بطبيعة الحال، مقابل مساعدة العرب لجيوش الحلفاء في القضاء على الدولة العنهانية. وفد ساهم العرب فعلا في زعزعة تركيا، لكنهم لم يحققوا شيئا من أمانيهم.
- اتفاقية سايكس ـ بيكو: أبرمت بريطانيا في آذار سنة ١٩١٦م مع فرنسا وروسيا معاهدة بطرسبرج لتقسيم أملاك الدولة العثمانية بعد القضاء عليها. وتنفيذا لهذه المعاهدة أبرمت بريطانيا وفرنسا اتفاقا تفصيليا لاقتسام الممتلكات العربية بينهها، أطلق عليها اسم اتفاقية «سايكس ـ بيكو»، في أيار سنة ١٩١٦م. وكان من نصوصه: تنسأ إدارة دولية في فلسطين، يعين شكلها بعد استشارة روسيا، وبالاتفاق مع بعض الحلفاء وممنلي شربف مكة. وتظهر في هذا النص نية بريطانيا المبيتة لمحو عروبة فلسطين ومن بم تهويدها.
- وعد بلفور: وهو تصريح سياسي صدر عن وزير خارجيه بريطانيا، وموجه إلى أدموند روتشيلد أحد زعماء الصهاينة في ١٩١٧/١١/٢م، وكان قد اقترن بموافقة حكومات الحلفاء قبل نشره، وبصورة خاصة ويلسون رئيس الولايات المتحدة. وبنص الوعد على ما يأتي: «إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى إقامة وطن قومي في فلسطين للشعب اليهودى. وسوف تبذل أفضل جهودها لتسهيل بلوغ هذه الغاية، على أن يفهم جليا أنه لا يجوز عمل شي قد يغير الحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية في فلسطين، ولا الحقوق أو المركز السياسي الذي يتمتع به اليهود في أي بلاد غيرها» (١٣).

وما إن انتهت الحرب العالمية الأولى بفوز الحلفاء واحتلال فلسطين حتى بدأت بريطانيا جديا في تنفيذ ما أضمروه لفلسطين. وكانت خطواتهم مدروسة، وتحظى بإقرار وتأييد دول الحلفاء، بحيت كان «يدور البحت فيا بينهم فقط حول حدود هذه الدولة وموعد إعلانها»، حسب تصريح المستشار السياسي للجنرال اللنبي الكولونيل ماينز تساغن (١٤). وكانت الدولة

nverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



العربية التي نشأت عفب الحرب بزعامة فيصل بن الحسين تسيطر على سوريا الداخلية من حلب إلى العقبة.

نسط زعماء الصهيونية مستخدمين كل السبل للتأبير على مؤقر الصلح الذي أعقب الحرب، وللاستراك في نخطيط المعاهدات والموائيق التي انبنقت عنه، موجهبن اهتامهم نحو هدفين: الأول محاولة وضع فلسطين تحت الحكم البريطاني، والتاني محاولة توسيع حدود فلسطبن إلى أقصى ما يستطاع، لأن تلك الحدود ستكون بمنابة حدود دولتهم المنتظرة في أول مراحل تكوينها.

ففي أيلول من عام ١٩١٨م فاجأت بريطانيا العرب بوضع فلسطبن محت إشراف (إدارة أراضي العدو المحتلة)، أي الاستمرار في الحكم العسكري، وادعت أن إجراءات الإدارة العسكرية لن تؤثر على التسوية النهاية في مؤتمر الصلح. لكنها اعترفت باللغة العبرية لغة رسمية، ومنحت اللجنة الصهيونية كنيرا من الامتيازات دون العرب (١٥٥).

وقدم المؤتمر الصهيوني العالمي إلى مؤتمر الصلح الذي عقد في فرساي في (كانون الباني الم المؤتمر الصهيوني العالمي إلى مؤتمر الصلح الذي عقد في فرساي الأردن وجنوب لبنان، مستندا إلى وعد بلفور، ومسيرا إلى موافقة جميع دول الحلفاء التامة والمسبعة عليه. (شكل ٢) ولم يكن اليهود قد بلغ عددهم في فلسطين ٥٠ ألف نسمة آنذاك، رغم نشاط الصهيونية العالمية في تهجير اليهود إلى فلسطين خلال ربع ورن.

ومن جهة أخرى تنكرت كل من بريطانيا وفرنسا في مؤتر الصلح لوعودها وعهودها للعرب، بل عارضتا افتراح إرسال لجنة تحقيق دولية إلى سوريا بما فيها لبنان وفلسطين للتأكد من رغبات السكان الحقيفية في الحكم. وقد وصلت إلى المؤترات قرارات المؤتر السوري ومئات العرائض التي تعبر عن رغبات سكان فلسطين، لكنها أهملت، كها أهمل تقرير لجنة كنج للحرين الأمريكية التي زارت المنطقة، واتصلت بسكانها، ورفعت تقريرها الموضوعي إلى مؤتر الصلح.

وقد انتهى مؤتمر الصلح في فرساي في ٢٨ حزيران من وضع ميثاق عصبة الأمم ومن

توقيعه، وتوصلوا فيه إلى استبدال تعبير الاستعبار بتعبير الانتداب لحل مساكل الأقطار التي كانت تحكمها تركيا أو ألمانيا، وصنفوا الانتداب، وأوضحوا طرف تطبيقه.

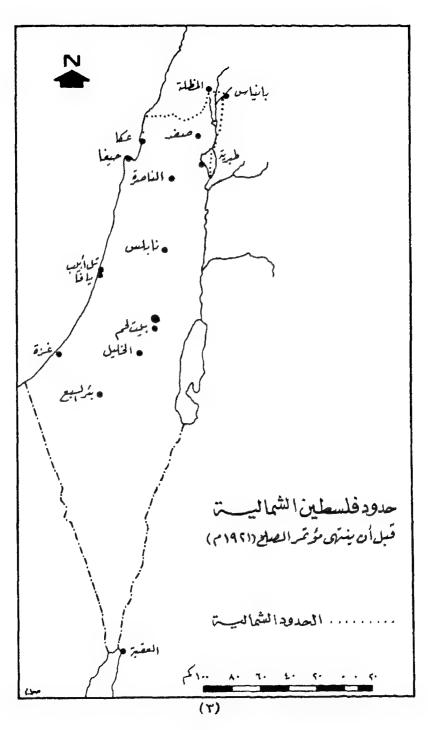
وفي ٢٥ نيسان ١٩٢٠م انعقد المجلس الأعلى للحلفاء في سان ريمو، وفرر وضع فلسطين والعراق تحت الانتداب البريطاني، ووضع سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي استنادا إلى ميناق عصبة الأمم. فغزت الجيوش الفرنسية سوريا، ودخلب الجيوش البريطانية من فلسطين إلى سرق الأردن، وباشرت من القدس عملية تهويد فلسطين.

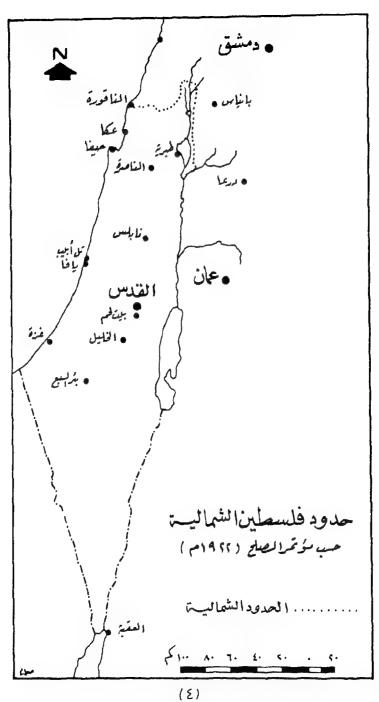
م أعلن مسروع صك الانتداب على فلسطين في عصبة الأمم في ٦ تموز ١٩٢١م، ولكن إقراره تأخر بسبب تصارع الحلفاء على مصالحها الاقتصادية خاصة أمريكا، إلى أن اتخذ مجلسا الشيوخ والنواب الأمريكيان فوارا مستركا بتأييد إنساء الوطن الفومي اليهبودي في فلسطين، وبإقرار صك انتداب بريطانيا عليها، وضروره عقد معاهدة مع بريطانيا تضمن المصالح الأمربكية بفلسطين (١٦).

أقرت عصبة الأمم مسروع صك الانتداب كما افترحته الجمعية الصهيونية على بريطانيا دون تبديل، وقد أسير في مفدمته إلى وعد بلفور وموافقة دول الحلفاء على إنساء الوطن القومي اليهودي ومسئولية الدولة المنتدبه في إنشائه، وأوضحت مواد المسروع سبل تهويد فلسطين والتخلص من سعبها، وذلك بإعطاء الدولة المنتدبة السلطة التامة في التنسريع والإدارة حتى تضع البلاد في أحوال سياسية وإدارية واقتصادية تضمن إنساء الوطن الفومي اليهودي... والاعتراف بوكالة يهودية صالحة لإسداء المسورة والمعونة إلى إدارة فلسطين في السئون الاقتصادية والاجتاعية وغيرها، وتسهيل هجرة اليهود ، والاستيلاء على الأراضي الأميرية والعربية والعربية للهود، وأن تكون الإنجليزية والعربية والعبرية لغات فلسطين الرسمية (۱۷).

وهكذا نجح الاستعار والصهيونية في وضع فلسطين تحت السيطرة البريطانية. أما بالنسبة لتقرير حدودها فقد طالب الصهائنة منذ البدء أن تضم فلسطين ضمن حدودها سرق الأردن وجنوب لبنان وجنوب غرب سوربا وصحراء سيناء. غير أن اتفاقية سائكس ـ بيكو اعتبرت فلسطين بين نهر الأردن وساحل البحر المتوسط ، ويفصلها عن مصر صحراء سيناء، ويفصلها عن لبنان خط يبدأ من رأس الناقورة على البحر إلى منتصف المسافة بينها وبين بحيرة الحولة،

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)





نم يتجد نحو الجنوب السرقي إلى بحيرة طبريا، نم إلى سمخ في جنوب البحيرة مباشرة (سكل ٣)

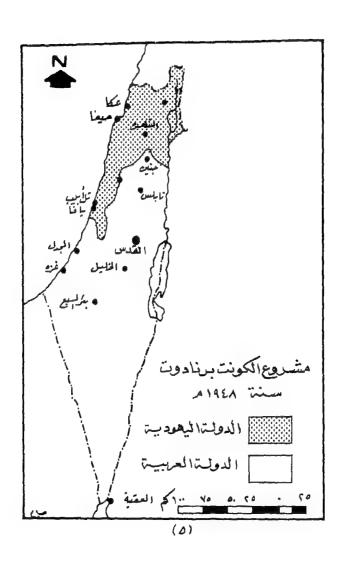
غير أن المفاوضين البريطانيين وبإلحاح من زعاء الصهيونية استطاعوا تعديل هذا الخط عدة مرات لصالح حدود فلسطين قبل الوصول إلى التسوية النهائية (١٨٠). وكانت المنطقة التي تلى هذا الخط سهالا تتبع الإدارة الفرنسية حتى تم توفيع اتفاق لويد _ كلمنصو في سبتمبر المام، فأصبح خط الحدود السهالي يمتد من رأس الناقورة إلى سهال بحيرة طبريا، وأدخلت طبريا ضمن فلسطين (شكل ٤)

وفي الأسبوع الأخير من أكتوبر ١٩٢٠م تم التوصل إلى وضع حدود مؤفتة، تبدأ من الناقورة غربا وتسير إلى الشرق باستفامة إلى مقربة الحولة، نم شهالا مسافة ٢٥ كم إلى نهر الحاصباني، ثم شرقا حتى بانياس وبركة رام، نم جنوبابخط مستقيم يقسم طبريا حتى سمخ وضمت بذلك الجليل الأعلى واصبعا باتجاه الشهال عرضه ١٢ كم • (شكل ٥)

تم زحفت هذه الحدود حسب اتفاقية باريس في ديسمبر ١٩٢٠م ضرقا، لتضم كل بحيرة طبريا وضريطا من ساحلها النسرقي عرضه في جنوبها ٤ كم، تم إلى نهر اليرموك يسير خط الحدود مع هذا النهر مسافة ١٥ كم (١٩١). ولا تتجاوز مساحة ما ضم إلى فلسطين جميعا مده ١٠٠٠ كم ، وهي مساحة تافهة لا تستحق أن تنحدر بربطانيا العظمى التي كانت لا تغيب عن ممتلكاتها السمس وتساوم حليفتها فرنسا عليها. ولكن يزول هذا العجب إذا تذكرنا أن الصهاينة كانوا من وراء هذا التغيير لتضم معظم موارد مياه نهر الأردن.

بقيت حدود فلسطين في عهد الانتداب البريطاني كما رسمت في سنة ١٩٢٠م، غير أن بريطانيا عملت علنا خلال هذه الفترة على تهويد فلسطبن، فعينت في حزيران ١٩٢٠م، أي قبل صك الانتداب ومعاهدات الصلح وعصبة الأمم الصهيوني هربرت صاموئيل أول مندوب سامي لفلسطين، الذي هود الإدارة، ووضع القوانين التي سهلت نفل ملكية أراضي الدولة إلى اليهود، والتي أنفلت كاهل الفلاحين حتى يبيعوا أراضيهم لتسديد ديونهم، وأعطى امتيازات توليد الطاقة الكهربائية واستغلال أملاح البحر المين والإسمنت والزيوت النباتية لليه ود، وفرض الحياية الجمركية لمنتوجاتهم، وشجع استيراد الحبوب والمنتوجات التي ينتج متلها العرب، واعتبر الوكالة اليهودية هيئة استشارية للسلطة، وأهم من هذا سهل الهجرة اليهودبة بستى

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



الوسائل (۲۰)، حتى بلغ عدد المهاجرين في عهده وحتى سنة ١٩٢٨م ١٠٣ آلاف مهاجر(٢١).

واستمرت سياسة بريطانيا على هذا النسق حتى نهاية عهد الانتداب سنة ١٩٤٨م، رغم استنكار العرب وكفاحهم وبوراتهم ضد الانتداب والصهيونية، ورغم وعود بريطانيا وسياسة لجان التحقيق وتقصى الحقائق والكتب البيضاء ومراوغاتها للعرب.

دخلت بريطانيا فلسطبن سنة ١٩١٨م، وفيها ٧٠٠٠٠ عربي و ٥٠٠٠٠ يهودي، وخرجت منها عام ١٩٤٨م بعدما نجحت في تكوين دولة إسرائيل في فلسطبن، وفيها ١٢٩٠٠٠ عربي، يهودي، وطردت العرب منها الذين تحولوا إلى لاجئين، ولم يبق منهم سوى ١٨٠٠٠ عربي، واستولت على أراضيهم، حيب قدر أن ٨٠٪ من مساحة إسرائيل أخذت من العرب حسب أحد القوانين التالية:

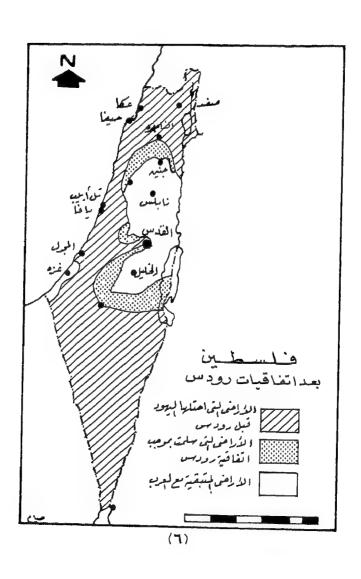
- ١ _ قانون المناطق المهجورة .
 - ٢ ـ لائحة الطوارى ً .
 - ٣ _ لائحة أملاك الغائس .
 - ٤ _ قانون أملاك الغائبين .
 - ٥ ـ قانون نفل الملكية .

٤ ـ تقسيم فلسطين وخلق دولة إسرائيل سنة ١٩٤٨م :

اعتمدت الصهيونية في محفيق مآربها خلال نصف قرن إلى حد كبير على بربطانيا، غير أنها منذ بدء الحرب العالمية المانية بدأت تتحول نحو أمريكا، حيث التقت أهدافها في خط واحد ، وأن أمريكا خرجت من الحرب كأقوى دولة في العالم، وتسعى لبسط نفوذها في كل مكان، ومنها المنطقة العربية التي كانت تحت النفوذ البريطاني أو الفرنسي. فوجدت في خلق كيان إسرائيل بمساعدتها مدخلا لها كقاعدة أمينة ورأس جسر بابت لامتدادها وسيطرتها. وكانت قد هيمنت على معظم دول الأمم المتحدة، وصارت تتحكم في قراراتها.

وأنناء الحرب العالمية المانية كانت بريطانيا وكل دول الحلفاء قد تنكرت لوعودها وعهودها المقطوعة للعرب، وبدأت تتسابق في إرضاء الصهيونية وكسب ودها متذرعة بمأساة اليهود في ألمانيا. وبذلك بدأ عهد التحالف الأنجلو - أمريكي - المصهيوني.

nverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



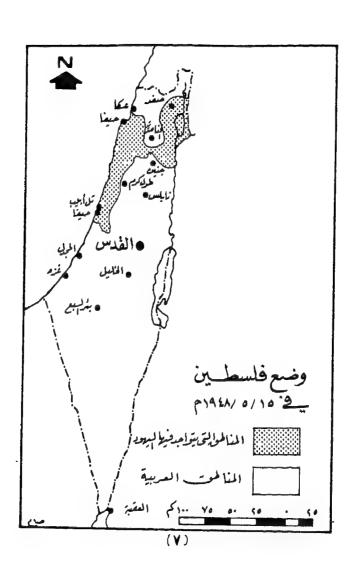
وحينا اطمأنت بريطانيا أنها هيأت فلسطين لتكون وطنا لليهود، وبعد دراسة المسكلة مع أطراف المؤامرة النلامة، أرسلت في نيسان ١٩٤٧م مذكرة للأمم المتحدة ذكرت فيها أنها عجزت عن التوفيق بين سعبي فلسطين العربي واليهودي، وطلبت إعفاءها من الانتداب على فلسطين، وكانت قد بدأت بسحب جيوشها فبل ذلك التاريخ بسهرين.

وفي ١٩٤٧/١١/٢٩م صدر قرار الجمعية العامة بتقسيم فلسطين بين العرب واليهبود بأغلبية الأصوات نتيجة لضغوط أمريكا بنسكل سافر لإنجاح الفرار، وقد كسف الفرد ليلينتال جانبا من هذه الضغوط (٢٦). وقال الكاتب الأمريكي ميلر بوروز: «الواقع أن التصوبت على التقسيم إنما فرض من جانب حكومتنا فرضا، وبعد أن التجأب هذه الحكومة من غير أن تخجل إلى اصطناع أساليب التهديد السياسي... وكان نجاح المسروع نصرا لا أخلاقيا، وكان برهانا مخجلا على أن أساليب التهويل والضغط الدبلوماسي غير المتحفظة تستطيع أن تسيطر على مؤسسة أنسئت لغرض نبيل» (٢٦).

- ويقضي مشروع القرار بتقسيم فلسطين إلى للانة أقسام ، هي: (شكل ٦)
- النطقة العربية: وتتكون من ثلات مناطق معزولة عن بعضها، هي: الجليل الغربي، ومنطقة المضاب الوسطى والغور الأوسط ما عدا منطقة القدس، ومنطقة الساحل من جنوب أسدود إلى الحدود المصرية. وتبلغ مساحتها ١٢٠٠٠ كم، أي ٤٤٤٪ من مساحة فلسطين، لا يملك اليهود منها سوى ١٠٠ كم، ويقطنها ٦٥٠٠٠٠ عربي و ١٠٠٠ يهودي.
- ٢ ـ المنطقة اليهودية: وتمتد من أقصى الشهال إلى أقصى الجنوب، وتحيط بالمناطق العربية الثلاث من كل جانب، وتبلغ مساحتها ١٤٢٠٠ كم أي نحو ٣٥٪ من مساحة فلسطين. ويملك العرب الذين يسكلون ٥ر٢٥٪ من سكانها نحو نلنى مساحتها.
- ٣ ـ الأماكن المقدسة: وتسمل منطقة القدس، وتقع في وسط المنطقة العربية الجبلية، وتسلم لجلس وصاية يتبع الأمم المتحدة. وكان يقطنها ١٥٠٠٠٠ عربي، ١٠٠٠٠٠ يهودي.
 أنظر الشكل .

تم أعلنت بريطانيا سحب آخر قواتها قبل ١٩٤٨/٥/١٥م، غير عابثه بواجبها كدولة منتدبة ولا بنداءات مجلس الأمن. وقد أخلت المناطق المخصصة لليهود أولا، فاستولى هؤلاء

nverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

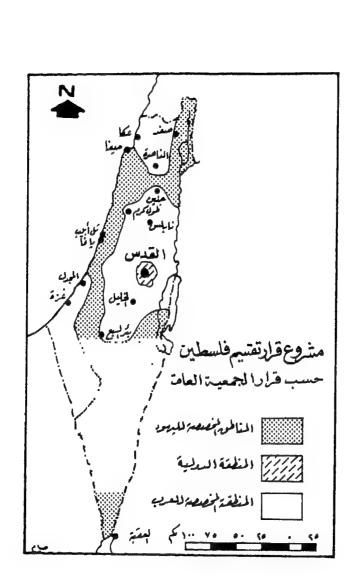


عليها، وسلمتهم خط استحكامات الدن (٢٤) في الجليل الأعلى وكبير من المعسكرات والمطارات بأسلحتها ومعداتها وحتى المراكز الحكومية، في حين بقيت تحافظ على واجبها في المنطقة المخصصة للعرب، فقاومت إدخال الأسلحة والمتطوعين وأي مظهر من مظاهر المقاومة. وقد أدت هذه السياسة إلى قتل وتشريد معظم العرب العزل المقيمين في المناطق التي مكسر فيها اليهود، وساءت حالة المناضلين العرب، وعم الذعر والسخط في كافة البلاد العربية . (شكل ٧)

فرأت بريطانيا أن الفرصة قد سنحت لتضرب الفلسطينيين ضربة فاصمة، وذلك بعزلهم نهائيا عن قيادة وتنظيم حركتهم، وتسليم هذه القيادة للجامعة العربية. وكانت نلات من دول الجامعة السبعة مرتبطة مع بريطانيا بمعاهدات، وكان لبريطانيا بموجبها إسراف كامل على جيوشها، وكانت الدول الباقية ضعيفة لا حول لها ولا قوة.

إزاء هذه الأحدان أعلنت الجامعة العربية في ١٢ نيسان ١٩٤٨م فجأة دخول الجيوش العربية بعد ١٥ أيار لتحرير فلسطين وإبطال فرار التقسيم، واتخذت الجامعة عدة فرارات فرعية اعتبرت كتنظيات ضرورية لسلامة الجيوش الزاحفة (٢٥)، هي:

- اعتبار الجيوش العربية هي الوسيلة الوحيدة الصالحة لحماية عرب فلسطين، ولـذلك
 توقفت المساعدات نهائيا ـ رغم ضآلتها ـ عن المجاهدبن الفلسطينيين.
- ٢ ـ حل جميع المنظات العسكربة السعبية في فلسطين، وتوقيف نشاطها، وإبعادها عن ميدان المعركة. وكانت النتيجة التخلص من الخطر الأساسي على كيان إسرائيل، وبالتالي استطاع اليهود تصفية العرب من كثير من المناطق عجزوا من الوصول إليها قبل دخول الجيوش العربية.
- ٣ _ عزل جميع الأحزاب والهيئات السياسية الفلسطينية عن مباشرة معالجه فضية فلسطين، وترك هذه المهمة للجامعة. علما بأن هذه الهيئات هي التي وقف بصلابة بوجه الخطط والمؤامرات، وقادت الكفاح ضد بريطانيا والصهيونية.
- ٤ _ وضع خطة عسكرية مستركة لجميع تحركات الجيوس العربية في فلسطين، وتكون هيئة فيادة عامة، وتعيين القائد الأعلى للجيس الأردني رئيسا لها، وبالتالي تعيين رئيس أركانه الجنرال البريطاني جون جلوب قائدا عاما للجيوس العربية بفلسطين.
- ٥ _ إعلان حالة الطوارئ والأحكام العرفية في البلاد العربية، وذلك لضرب الحركات الوطنية تحت شعار مكافحة النشاط الهدام.



وماذا كانت النتيجة؟ في ليلة ١٩٤٨/٥/١٥ م أعلن اليهود عن تشكيل دولتهم في القسم الذي منحتهم إياه الأمم المتحدة، وبدأت الدول بالاعتراف بها تباعا، وأخذت عصاباتها المدربة والمجهزة تطرد العرب من ديارهم، وحصلت بينها وبين الجيوش العربية معارك صورية، عقد على أئرها الهدنة بين الطرفين مرتان: الأولى بتاريخ ١٩٤٨/٦/٢٠م، والنانية في عقد على أئرها الهدنة بين الطرفين مرتان الأولى بتاريخ ١٩٤٨/٢/٨م، كان الجانب اليهودي يستغلها في لقط الأنفاس وفي استقبال الهجرة لاسيا المقاتلين والمرتزقة، وفي التسلح والتوسع ومزيد من طرد السكان العرب، في حين كان الجانب العربي يلتزم ببنود الهدنة حتى استطاع اليهود احتلال الجزء الذي خصصته لهم الأمم المتحدة، بالإضافة إلى أجزاء أخرى من الحصة العربية بعد أن طردوا سكانها.

وأخيرا جاءت كارثة اتفاقية رودس بين إسرائيل ودول المواجهة العربية منذ شباط حتى تموز من سنة ١٩٤٩م، والتي رسمت حدود الهدنة بين إسرائيل وكل دولة عربية على حدة (٢٦٠). وقد تنازل المفاوضون العرب خلالها عن مناطق جديدة كانت بيد العرب، وتعتبر من أجود أراضي النصيب العربي من فلسطين مثل منطقة المثلث بالإضافة إلى أراضي جميع النقب. وقد فوجي سكان القرى العربية بقرارات التنازل التي حولتهم إلى لاجئين. ورغم أن اتفاقية رودس عسكرية، ولا تمس المطالب التي تنتج عن التسوية النهائية إلا أن إسرائيل كانت تعلن باستمرار أن حدود الهدنة لسنة ١٩٤٩م هي حدود إسرائيل السياسية، ولن تتراجع عن شبر منها ، (نكل ٨)

وهكذا صار لدولة إسرائيل حدود عرفت فيا بعد بخطوط هدنة ١٩٤٩م، وتبلغ مساحتها عرب كم، أى نحو ١٤٦٪ من مساحة الحصة المقررة لها حسب قرار التقسيم، وحيل بين عرب فلسطين وتشكيل دولتهم في الجزء الذي خصصته لهم الأمم المتحدة. وضم شرق ووسط فلسطين، وتبلغ مساحته ٥٧٠١ كم، والذي عرف فيا بعد باسم الضفة الغربية إلى الأردن في نيسان سنة ١٩٥٠م، كما بقي الجزء الثاني في جنوب غرب فلسطين، ومساحته ٢٠٢ كم، والذي عرف فيا بعد باسم قطاع غزة تحت إشراف الجيش المصري، وجمدت القضية الفلسطينية عند هذا الحد رغم عشرات القرارت الصادرة عن مجلس الأمن أو الجمعية العامة الخاصة بالقضية أو بإعادة اللاجئين إلى أوطانهم.

ادعت إسرائيل أن أحكام الهدنة قد اكتسبت صفة الدوام، وبالتالي رفضت البحث في

الانسحاب عن شبر من الأرض العربية وتخطف قرار التقسيم. وهد دعمها في هذا الاتجاه «التصريح التلائي» الصادر عن أمربكا وبريطانيا وفرنسا في أيار سنة ١٩٥٠م والذي مفاده أن هذه الدول ستتدخل لحماية الحدود التي رسمتها اتفاقية الهدنة، أو في حالة استخدام القوة في المنطقة، وذلك لإعادة السلام والاستقرار (أي لإعادة سلام إسرائيل).

لم يحدث أي طارى على خطوط الهدنة في السنوات التالية سوى اعتداءات الجيش الإسرائيلي النظامي المتكررة على أراضي الدول العربية، حيث أدانت الأمم المتحدة معظمها (۲۷)، وسوى توسع إسرائيل المستمر في المناطق المنزوعة السلاح بينها وببن مصر وسوريا والأردن، حتى بلغت مساحة إسرائيل ٧٦٪ من مساحة فلسطين.

وقد حظيت إسرائيل بحياية الأمم المتحدة لحدودها مع مصر عقب حرب ١٩٥٦، وفتح أمامها خليج العقبة لأول مرة، واستطاعت بذلك الاتصال بدول جنوب شرق آسيا وشرق إفريقيا واستيراد البترول الإيراني. وكانت تعمل خلال هذه الفترة دون هوادة في استقبال المهاجرين، وفي رفع القوة القتالية لدى شبابها وشاباتها، وفي تكديس السلاح إلى أفصى فدر محكن، والحصول على المساعدات والقروض والهبات من كل مكان استعدادا لجولات قادمة.

وقد حدنت الجولة التالية في سنة ١٩٦٧، حيث بدأت إسرائيل في ٥ حزيران عدوانا شاملا على الدول العربية، كان من نتيجته احتلال كامل الأرض الفلسطينية، وكل جزيرة سيناء من مصر، ومنطقة الجولان وجبل الشيخ من سوريا وتشبثت فيها، وعملت على تهويدها والتخلص من سكانها العرب وتجريدهم من أراضيهم. ونجاهلت كل فرارات المنظهات الدولية وهكذا مضى ١٢ عاما على الاحتلال وهي تعرقل جميع مشاريع السلم بينها و بين الدول العربية حتى تكسب الوقت فيرضخوا لشروطها، أو حتى يحين الوقت وتستطيع أن تستوعب الأرض المحتلة فتضمها رسميا في النهاية لدولة إسرائيل، نم تبدأ بالتحضير لجولة تستوعب الأرض المحتلة فتضمها رسميا في النهاية لدولة إسرائيل، نم تبدأ بالتحضير لجولة

الحدود الآمنة كشعار زائف يخفي حقيقة أطهاع إسرائيل التوسعية:

لم يتوان حكام إسرائيل منذ تأسيس دولتهم سنة ١٩٤٨م عن التصريح بعدم افتناعهم بحدود الدولة، وكانوا يعتبرونها دائها مرحلة من مراحل التوسع، غير عابئين بفرارات المنظهات

الدولية المتكررة، إذ صدر فيا بين عامي ٤٧ ـ ١٩٦٧م ١٠٨ قرارات عن الجمعية العامة، و ٤٤ قراراً عن مجلس الأمن، و ١٠ قرارات عن مجلس الوصاية في جوانب مختلفة من النزاع (٢٨). وإليكم بعض الأمنلة من هذه التصريحات:

قال بن غوريون رئيس وزراء إسرائيل صراحة في سنة ١٩٤٨م: «ستنشأ في المستقبل ظروف، وعلينا أن نستغل هذه الظروف لتوسيح حدود الدولة، وإذا لم تنشأ هذه الظروف تلقائيا فعلينا أن نصنعها بأنفسنا» (٢٩). وأتسار بن غوريون أيضا في سنة ١٩٤٩م في حفلة تخريج الضباط اليهود أن اسرائيل بوضعها الحالي لا تمثل إلا جزءا مما يجب أن تكون عليه. وحث الضباط المتخرجين لعدم التواني لتحقيق هذه الغاية.

وخطب مناحيم بيغن زعيم عصابة أراغون ورئيس الوزراء الحالي في تل أبيب قائلا: «إن إسرائيل بوضعها الحالي لا تمثل إلا خمس ما يجب أن تكون عليه أرض الآباء، وإنه يجب العمل على تحرير الأربعة أخماس الباقية». وقال النائب آريه التان في الكنيست في مارس سنة ١٩٥٢م: «واجبنا إفهام العالم بصراحة أن غاية إسرائيل من حشد اليهود من أنحاء العالم وتكتيلهم بسرعة وكنافة هي أن تخلق حدودا لها بين العراق والسويس» (٣٠).

وجعل الكنيست الإسرائيلي شعاره «حدودك يا إسرائيل من الفرات إلى النيل»، وعززه بخريطة تشير إلى تلك الحدود . (سكل ٩)

وبعد حرب ١٩٦٧ أعلنت إسرائيل بلسان العديد من المسئولين فيها أنها لن تنسحب من الأراضي التي احتلتها إلا لحدود أمنة ومعترف بها، وبالرغم من صدور عدة قرارات من الأمم المتحدة ومنظاتها تنص على انسحاب إسرائيل من الأراضي المحتلة وعدم أحقية اكتساب الأراضي بالقوة.

تنظر الدول العربية إلى الحدود الآمنة التي يمكن الاعتراف بها تلك التي حددها قرار التقسيم سنة ١٩٤٧م للدولة اليهودية، لكن إسرائيل تنفي صفة الحدود الآمنة عن أية خطوط معروفة من قبل. فقد أوضحت إسرائيل صراحة في إجابتها على أسئلة الدكتور غونار يارىنج، ممثل الأمين العام للأمم المتحدة سنة ١٩٧١م، أن الحدود الآمنة والمعترف بها لم تتوفر أبدا بين إسرائيل والدول العربية، وبالتالي فإن من الواجب إنشاؤها الآن كجزء من عملية حفظ السلام، بحيث تستبدل قرارات وقف إطلاق النار بمعاهدات سلام، تنشى حدودا دائمة

ومعترف بها، لما يتفق عليه خلال مفاوضات بين الحكومات المعنية (^{٣١)}. وهذا يعني أن مفهومها للحدود الآمنة أوسع من أبه خطوط سابقة، وبالتالي فهي تعني التوسع.

وبالرغم من مطالبة إسرائيل بالحدود الآمنة إلا أنها لم تصرح حتى الآن عن الخطوط التي تريدها حدودا لها ولا عن طبيعتها الجغرافية، وبالإضافة إلى ذلك تصدر عن المسئولين الإسرائيليين تصريحات تبدو متناقضة في بعض الأحيان حول حدود إسرائيل ومستفبل الأراضي المحتلة، تمتل وجهات نظر مختلفة كحكام ومعارضة أو حمائم وصقور، ولكن تلك التصريحات تتفق جميعا على أمر واحد هو التوسع. وإلا فها معنى إجراءات عملية ضم القدس إلى إسرائيل عفب احتلالها في حزيران سنة ١٩٦٧م؟

وما معنى الإصرار على مصادرة أراضي العرب في الضفة الغربية وقطاع غزة والجولان وإفامة مستوطنات يهودنه عليها؟ وما معنى مطالبة إسرائيل بعدم الساح للقوات العسكريه بعبور نهر الأردن أو نزع سلاح سيناء أو معظمها أو الجولان في حالة الوصول إلى تسوبة؟

وكانت رئيسة وزراء إسرائيل جولدا مائير قد صرحت لجريدة «تاعز» اللندنيه في ١٣ مارس ١٩٧١م بأن على إسرائيل أن تحتفظ بمرتفعات الجولان والقدس وشرم السيخ مع طريق يؤدي إليه، مع نزع سلاح سيناء مها كانت التسوبات (٣٢).

ومشروع إيغال آلون للسلام عام ١٩٧٧ م خير ما يعبر عن مفهوم إسرائيل للحدود الآمنة، حيث بقول بأن البلاد العربية واسعة، وإن خسر العرب حربا فيمكنهم احتال نتائجها. أما إسرائيل فلا تستطيع أن تخسر حربا واحدة، لأن معنى ذلك القضاء عليها، ولابد في ضوء ذلك من أن بكون لإسرائيل حدود تستطيع الدفاع عنها. وبعد أن انتقد الخطوط السابقة أكد ضرورة إجراء مفاوضات مباشرة بين الأطراف المعنية لتحديد الخطوط النهائية، على أن يكون الحل ضمن إطار الأفكار العامة التالية:

أن لا تضم إسرائيل مواطنين عربا جددا بأعداد ذات أهمية إليها، وعلى إسرائيل أن تسرف إسرافا تاما على المناطق الاستراتيجية تجاه النسرق، وهي المناطق التي يسكنها العرب، والتي تقع بين جبال القدس ونابلس ونهر الأردن. غير أنه رأى منح العرب ممرا من الشرق إلى الغرب ليسهل الاتصال عبر أريحا ورام الله، وبحل بذلك مسكلة الكيان الفلسطيني. ورأى الون كذلك ضرورة وجود خط دفاعي فعال في مرتفعات الجولان لإحباط أي محاولة سورية

جديدة لمنع إسرائيل من استغلال مصادر مياهها، ومنع أي هجوم سوري مكنف. ورأى كذلك أن غطاع غزة الذي يسكنه الفلسطينيون بصورة مكتفة يمكن أن يسكل جزءا من الدولة الأردنية الفلسطينية، وتكون ميناؤها على البحر المتوسط، ويمكن ربطها بها بمر يستعمل لتأمين المواصلات، على أن تسرف إسرائيل على الصحراء الاستراتيجية بين غزة والعربس. ويشير كذلك إلى ضرورة إشراف إسرائيل على كنير من الموافع الاستراتيجية في سيناء، وضرورة الاحتفاظ بنرم السيخ وكل السريط بينه وبين إيلات. وأصر أن القدس عاصمة إسرائيل، ورفض أن تعود إلى وضعها المجزأ السابق، مع إمكانية وضع حل دبني يجعل لمعنلي الديانان الختلفة وضعا خاصا.

هذا ومشروع بيغن الذي قدمه في معرض مباحناته «السلميه» مع مصر سنة ١٩٧٨م ليس عنا ببعيد، إذ إنه يختلف في جوهره عن مسروع آلون، ولكن باسم جديد: هو مشروع الحكم الذاتي لسكان الضفة الغربية وقطاع غزة، وقد أصر فيه بيغن على بقاء المسنوطنات الإسرائيلية في الأراضي المحتلة، بل وأصر على حق توسيعها وبناء الجديد منها، كما أصر على عدم الاعتراف بالحقوق السرعية للسعب الفلسطيني. وما وبيقتا «كامب ديفيد» سوى صيغة جديدة لهذه الأفكار.

وفي أذار سنة ١٩٧٨م احتلت إسرائيل نحو خمس مساحة لبنان بذريعة الفضاء على الفدائيين الفلسطينيين وتأمين حدود إسرائيل السالية، ولم تنسحب منها إلا بعد تسليمها لفوات سعد حداد الكتائبي المعروف بولائه لها، ولاتزال ترفض دخول قوات الأمم المتحدة إلى الحدود حسب قرارات الأمم المتحدة تمهيدا لتفسيم لبنان وإنشاء دوبلة موالية لها على الحدود.

جميع هذه المساريع أو الآراء الإسرائيلية عن الحدود الآمنة تهدف إلى تبربر السيطرة على أراضي العرب، وهدر مبادئ عدم جواز اكتساب الإقليم عن طريق الحرب، وتجيز لليهود الانتقاص من سيادة الدول العربية على أراضيها، وتتجاهل أمنهم وحقوقهم. وهذا يذكرنا بالامتيازات الاستعارية التي كانت سائدة حتى عهد قربب، والتي كانت تعتمد على الغزو العسكري لتبرير التوسع الإقليمي، وقد أصبحت مرفوضة من المنظمة الدولية، وحلت محلها قاعدة عدم جواز استخدام القوة لتحقيق مكاسب إفليمية وسيادة القانون الدولي وضرورة إعادة الأراضي التي احتلت على هذا النحو.

الخاتمــة:

تبنت بريطانيا إنساء وطن فومي لليهود منذ كان فكرة، وعملت على تحقيقها تحت حماية عصبة الأمم، مم احتضنتها أمريكا وسائر الدول الاستعارية، وأنسئت دولة إسرائيل تحت علم الأمم المتحدة، وأخذت هذه الدولة في التوسع على حساب الأرض العربية بتسجيع وتأييد من تلك الدول، إذ تصرح أمريكا بمناسبة وبدون مناسبة أنها ملتزمة بحاية حدود إسرائيل، ولم تنقك تقدم لها المساعدات المالية والسلاح، وتحميها في المحافل الدولية، بل وتوجه فرارات تلك المحافل لصالحها، وتسند اعتداءاتها.

قامت إسرائيل على أساس انتهاك مبادئ القانون الدولي والاتفاقات الدولية، وعلى أساس إهدار حق تقرير المصير لسعب فلسطين، واغتصاب حفوفه وأرضه متسما بالعنف والالتجاء إلى السلاح، وباستمرار هي المعتدية على الشعب الفلسطيني والدول العربية المجاورة، وقد أدينت من الأمم المتحدة عشرات المران. وليس في جعبتها سوى التوسع المستمر إلى أن تحقق أهدافها البعيدة على مراحل زمنية مدروسة.

وبالتالي لم يبق أمام الحق الفلسطيني وسيلة أخرى غير إحقاق الحق بفوة السلاح. فإذا كانت القوى المعادية للقضية الفلسطينية قوية بحيث أجهضت نضالها على مدى نصف فرن من الزمان، ولم تمكنها من إحراز انتصارات حتى الآن، بل مكنت إسرائيل من تنفيذ خططها في التوسع، فإن هذا الوضع الأليم لا يفقدها حقها الأزلي، والذي لن بمخلى الفلسطينيون والشعب العربي عنه حنى تتاح الفرصة لتحقيقه في يوم من الأيام.

المصادر

- ١ _ إبراهيم سحاته _ الحدود الآمنه والمعترف بها _ مؤسسه الدراسات الفلسيطينيه. سيروب سنة
 - ٢ _ إبراهيم سريف ـ نهر الأردن ومساريع الري ـ بغداد سنه ١٩٦٢م.
 - ٣ _ أكرم زعيتر _ الفضية الفلسطينية . دار المعارف عصر ١٩٥٥ م .
- ٤ _ حسن صبري الخولي ـ سياسة الاستعمار والصهيونية تحاه فلسطين ـ المجد ١ ـ دار المعارف بمصر.
- ٥ _ الحكم دروزه _ ملف الفضيه الفلسطينية والصراع العربي الإسرائيلي (أمحات فلسطينية رقم ٣٤).
 - ٦ _ سالم الكسواني ـ المركز الفانومي لمدينه القدس . عمان ١٩٧٧م.
 - ٧ _ سفيي الرسيدات _ فلسطين تاريخيا وعبره ومصيرا _ بيروت ١٩٦١م.
- ٨ _ سفيق الرسيدات _ العدوان الصهيوني والمانون الدولي . مطبوعات الأمانة العامه لاتحاد المحامين
 العرب ١٩٦٨م.
- ٩ _ صطنطين خمار_ موسوعه فلسطين الجغرافية _ منظمه التحرير _ مركز الأبحات _ بير ون ١٩٦٩م.
 - ١٠ _ كامل محمود خله _ فلسطين والانتداب البريطاني ١٩٢٢ _ ١٩٣٩م _ مركز الأبحان.
 - ١١ _ الفرد ليلينتال _ ممن إسرائيل _ ترجمه حبيب نحولي وماسر هواري. كماب الملايين.
- ١٢ _ محمد عبدالرحمن حسبر _ العرب واليهود في الماضي والحاضر والمستقبل. منسأة المحارف الإسكدرية.
- ١٣ _ محمد عزه دروره _ الفضية الفلسطينية في مختلف مراحلها. الجزء الأول . منسورات المكتبة العصرية.
- 12 _ مصطفى مراد الدباغ _ بلادنا فلسطىن _ تسعة أجزاء. طباعة رابطة الجامعيين بمحافظة الخلبل. بير وب ١٩٦٥م.
 - ١٥ _ منسورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية _ سلسلة الوبائق الأساسيه _ بيروت ١٩٦٨م.
- ١٦ ـ الهيئه العامه للاستعلامات ـ ملف وبائق فلسطن الصادر عن وزارة الإرساد القومي المصر به جـ
 ١.
 - ١٧ ــ الهيئه العربية العليا ـ كاربة اغتصاب المياه العربيه سنه ١٩٦٤ م .
 - ١٨ ـ يوسف مجلي ـ فلسطين والمظهر الجغرافي لمسكلتها ـ مكتبة الأنجلو المصرية.
- ١٩ ـ وزارة الحارجية المصرية ـ تصريحات المسئولين الإسرائيليين . الفصل الرابع ـ حدود إسرائيل والمناطق المختلفة.

The combine (no stamps are applied by registered version

الحواشي

- (١) مصطفى مراد الدباغ ـ بلادنا فلسطين . الجزء الأول . الفسم الأول ص ٢٠ .
 - (۲) إبراهيم شريف _ نهر الأردن ومشاريع الري ص ٨ _ ١٧ .
 - (٣) يوسف مجلي _ فلسطين والمظهر الجغراني لمسكلتها _ ٢١ _ ٢٤ .
- (٤) مصطفى مراد الدباغ ـ بلادنا فلسطين ، الجزء الأول . القسم الأول ص ٣٧ وما بعدها.
 - (٥) شفيق الرشيدات ـ فلسطين تاريخا وعبرة ومصيرا ـ ص ٣١ .
 - (٦) محمد عبدالرحمن حسين ـ العرب واليهود في الماضي والحاضر والمستقبل ـ ص ٨١.
 - (Y) شفيق الرشيدات المصدر السابق ص٣٢ .
- (٨) حسن صبري الخولي _ ساسية الاستعار والصهيونية تجاه فلسطين المجلد ١ (ص ٦٦).
 - (٩) أكرم زعيتر ... القضية الفلسطينية ص ٢٨٨ .
 - (۱۰) حسن صبري الخولي ـ المصدر السابق ص ۱۱۲ ـ ۱۱٦ .
- (١١) الهيئة العامة للاستعلامات ـ ملى وبائق فلسطين الصادر عن وزارة الإرشاد القومي المصرية ـ ج ١ ص ٥٧.
 - (١٢) تنفيق الرشيدات ـ المصدر السابي . ص ١٧ ـ ٤٤ .
 - (١٣) محمد عبدالرحمن حسين ـ العرب واليهود في الماضي والحاضر والمستقبل ص ١٥٣.
 - (١٤) شفيق الرشيدات ـ العدوان الصهيوني والقانون الدولي ص ٣٧ .
 - ١٥) نىفىق الرشيدات _ فلسطين تاريخا وعبره ومصيرا ص ٦٦
 - (١٦) شفيق الرشيدات .. العدوان الصهيوني والقانون الدولي .. ص ٥٠ .. ٥١ .
- (١٧) حسن صبري الخولي _ المصدر السابق ص ٤٣٤ _ ٤٣٦ ومحمد عزة دروزه _ القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها. الجزء الأول _ ص ٢٦٣ _ ٢٧٠.
 - (١٨) كامل محمود خلة _ فلسطين والانتداب البريطاني _ ص ٨٤ _ ٨٠ .
 - (١٩) الهيئة العربية العليا لفلسطين ـ كارثة اغتصاب المياه العربية ـ أيلول ١٩٦٤م ص ٣ ـ ١٥.
 - (٢٠) أكرم زعتر _ القضيه الفلسطينيه .
- (٢١) محضر الجلسة ٢٥/٢٢ لعام ١٩٣٢م، تقرير رئيس لجنة الانتداب في عصبة الأمم والهجرة اليهودية إلى فلسطين.
 وضع الجامعة العربية.
 - (٢٢) الفرد ليلينتال ـ تمن إسرائيل . ترجمة حبيب نحولي وياسر هواري ـ الطبعة النانيه.
 - (٢٣) انظر شفيق الرشيدات _ فلسطين تاريخا وعبرة ومصيرا _ ص ١٧٨ .
 - (٢٤) وهو خط دفاعي أقيم في شيال فلسطين أثناء الحرب العالمية الثانية .
 - (٢٥) شفيق الرشيدات المصدر السابق ص ٢٥٣ ٢٥٦ .
 - (٢٦) أكرم زعيتر _ القضية الفلسطينية _ ص ٢٣٧ وما بعدها .

onverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- (٢٧) الحكم دروزة : ملف القضية الفلسطينيه والصراع العربي الإسرائيلي . مركز الأبحاب : أبحاب فلسطينيه رهم ٣٤ ص ٧٦.
 - (٢٨) إبراهيم سحاته ـ الحدود الآمنة والمعترف بها ـ ص ٣ ـ ٤.
 - (٢٩) إبراهيم سحاته _ المصدر السابق _ ص ١١ .
 - (٣٠) ورارة الحارجية المصرية ـ تصريحات المسئولين الإسرائيليين . الفصل الرابع ـ حدود إسرائيل والمناطق المحتلة.
 - (٣١) سالم الكسواني ـ المركز القانوني لمدينة القدس ـ عان ١٩٧٧ ص ٣١٧ ـ ٣١٨ .
 - (٣٢) المصدر السابق ص ١٤.

000

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التحشيد الفكرس والعسكرس الصهيونس تعبير عن الجبو بولتيكالتطبيقية

نافع قصاب



المقدمــة:

بعتبر البعض قضية فلسطين بأنها مجرد قضية طارئة، نسأت بعد الحرب العالمية الأولى مباشرة، واتخذت لها شكلا من الصراع المؤقت بين عرب فلسطين واليهود الوافدين إليها للسيطرة على فلسطين، مم انتهى هذا الصراع بقيام دولة لليهود فيها عام ١٩٤٨. وتصور القضية الفلسطينية على هذا النحو نفقدها الكبر من العناصر الرئيسية ذات العلاقة الوبيقة بقيامها.

فمحاولة طمس الصله بين القضية العربية وبين المطامع الاستعارية البعيدة الأزل بمحو أصولها الفائمة على الصراع بين العرب والمسلمين من جهة والاستعار من جهة بانية منذ القرون الوسطى، وذلك حينا استطاع الصليبيون أن بقيموا في فلسطين مملكة القدس اللاتينية عام ١٩٩٩م، وقد انتهت مملكتهم هذه على يد السلطان يوسف صلاح الدين بن أيوب في موقعة حطين في ٣ نيسان من عام ١١٨٧م.

ويمكننا أن نجزم بأن الأطهاع الاستعهارية في منطقة الوطن العربي كانت ولاتزال تمثل العنصر الأول في خلق قضية فلسطين وإبارتها، ولذلك التقت المصالح الاستعهارية مع مصالح الصهيونية العالمية على صعيد واحد، وراح الفريفان يعملان جنبا إلى جنب على أساس تبادل الخبرات والمصالح والخدمات، ويرسهان معا خطة إذلال العرب والمسلمين للسيطره على الوطن العربي والعمل على تجزئته. وبما أن فلسطين تقع في منطقة وسط بين جناحي الوطن العربي الإفريقي والآسيوى وهي بذلك تمل قلبه النابض بالأهمية الاستراتيجية، لمجاورته فناة السويس ـ شريان المواصلات البربطانية إلى الهند ـ فقد وضعت بريطانيا لها مصيرا معينا في تخطيطها السياسي والاستراتيجي، يساير أطهاعها وأطهاع الصهيونية، بجعلها مستقرا لليهود، حتى تصبح قاعدة تحمي مصالحها الاستعهارية في الوطن العربي.

والذي يتمعن في أصول النخطيط السياسي البريطاني للقضية الفلسطينية يجدها قد نمت وترعرعت من خلال النزعات والمفاهيم الجيوبولتيكية التي سادت الفرن التاسع عسر

والنصف الأول من الفرن العشرين، لغرض تدعيم أطاع الامبراطورمات الاستعارية الكبرى التي كانت قائمة آنذاك، وما وعد بلفور الذي صدر في تسرين الماني من عام ١٩١٧ إلا حصيلة تلك المفاهيم التي آمن بها وعمل من أجلها فاده تلك الدول الكبرى.

بعض المبادي الجيوبولتيكية ذات العلاقة بالقضية الفلسطينية :

ومن بين المبادئ الجيوبولتيكية التي تركت أصداء واسعة في المحافل الصهيونية هو ما جاء به ديما نجون الفرنسي الذي يرى في الجيوبولتيك العلم الذي يخدم الأغراض الوطنية عن طريني الدعاية والتعليم، ويهدف إلى تبرير الغايات السياسية التي تفف وراء دوله معينة (١). وهذا يعنى أن الجيوبولتيك تستخدم أجهزة الإعلام والتعليم والتربية كوسائل للتحسيد الفكرى لتحقيق ما ترنو إليه الدولة من أهداف. وتبحت الجيوبولتيك كذلك في قوه الدولة بالنسبة للأرض، وقد جاء هذا في مجله معهد الجيوبولتيك الذي تأسس عام ١٩٢٤ في مدينة ميونيخ. ويستند هذا الرأى على مبدأ «المجال الحيوى» الذى جاء به العالم الألماني فريد ريس راتزل Fr. Ratzel في كتابه الموسوم «الجغرافية السياسية» الذي صدر عام ١٨٩٧م، والذي مفاده (أن المجال الكبير يحفظ الحياة). وهذه دعوة صريحة إلى التوسع الإقليمي على حساب الدول المجاورة. ومما يؤكد هذا الانجاء أيضا أن القانون الأخير من القوانين السبعة التي وضعها هذا العالم في كتابة المذكور أنفا يجت على ضرورة الالتزام بهذا المبدأ، حبن ىنص على (أن التوسع الإقليمي المستمر يزداد حدة كلها زاد ضم أقاليم أكثر إلى مساحة الدولة حتى يصبح التوسع الإقليمي يتسجع إلى توسع أكبر وهكذا)(٢)، ولكن كيف يتم هذا التوسع والاحتلال؟ يجيبك على هذا المبدأ الجيوبولتيكي الذي ورد في كتاب العالم السويدي رودولف كيلين R. Kiellen الموسوم (الأسس اللازمة لقيام نظام سياسي)، الصادر في سنة ١٩٢٠، والذي بصف فيه الدولة بالقوة قائلًا: (إن القوة أهم من القانون في وجود الدولة، لأن القانون لا يمكن تطبيقه وتنفيذه إلا بالقوة).

وتعتبر الجيوبولتيك وثيقة الصلة أيضا بالتسلط الاستعاري والدراسات المتعلقة به، فالرغبة في تأسيس الامبراطوريات والدول الكبرى، والعمل على دعمها وتقويتها كانت الصفات المميزة لسياسة الدول المحوربة منذ ظهور النزاعات الفاسستية والنازية والنزعة العسكرية اليابانية. يقابل هذا ما كان لدى الدول الاستعارية الكبرى من ميل طبيعي للمحافظة على ما لديها من إمبراطوريات والعمل على توسيعها.

ولا يمكننا أن نعتبر الجيوبولتيكيين هم فقط أولئك الذين وضعوا أسس نظرياتها ومبادئها، أمثال (راتزل) و (كيلين) وغيرهم، وإنما يجب أن نضيف إليهم من تولوا الزعامة في تطبيق قواعدها ومفاهيمها. فالتاريخ يحدتنا عن عدد لا بأس به من قادة بعض الدول الذين تأبروا بمل هذه المفاهيم وعملوا في ضوئها، ومن أمئلة هؤلاء تيودور روزفلت الذي استطاع أن يحصل في عام ١٩٠٣م على منطقة قناة بنا، لتربط المحيط الهادي بالأطلسي، وبنجامين درزائيلي الذي اشترى لحساب الحكومة البريطانية عام ١٨٧٥م قسها كبيرا من أسهم قناة السويس، وسيسيل رومس الذي خطط لسيادة إنكلترا على الفارة الإفريقية من طرفها الجنوبي (الكاب) حتى طرفها السهلي (القاهرة)، وانوفون بسهارك الذي نجح في توحيد ألمانيا تحت علم واحد بعد حروب شنها الواحدة بعد الأخرى على النمسا وفرنسا والدانمارك. وأخيرا ارتر جيمس بلفور حروب شنها الواحدة بعد الأخرى على النمسا وفرنسا والدانمارك. وأخيرا ارتر جيمس بلفور الذي خطط بوعده الصادر عام ١٩١٧ قيام دولة الصهاينة على أرض فلسطين العربية. وهؤلاء يعتبرون في نظر علم الجيوبولتيك من أكبر قادة الجيوبولتيك التطبيفية حتى قيام الحرب العالمية الأولى وأتنائها.

أما المرحلة النانية من التطبيق الجيوبولتيكي فقد ظهرت بوادرها بعد الحرب العالمية الثانية مباسرة، ولاسيا على بد الصهابنة الذين استطاعت المبادى والجيوبولتيكية أن تسنى طريقها إلى عقولهم وترسخ في نفوسهم، ذلك لأن قسها كبيرا منهم فد عاصر فترة التغني والتمجيد بها أنناء الحرب العالميذ الأولى وما بعدها، حينا كانوا يعيشون في الأفطار الغربية. وإلى جانب المبادى الجيوبولتيكية التي سبق ذكرها آمن هؤلاء بمبدأ أهمية الموقع الجغرافي لفلسطين الذي جاء به العالم الإنكليزي هالفورد ماكندر H. J. Mackinder في بحنه الذائع الصيت «المحور الجغرافي للتاريخ» الذي ألقاه عام ١٩٠٤م أمام الجمعية الملكية البريطانية، فقد عبر في هذا البحث عن تأييده للوطن القومي اليهودي في فلسطين، وأكد أن اختيار هذا الوطن في الوسط الطبيعي التاريخي سيحمل اليهودي على توطين نفسه ونشر لوائه في هذه الربوع (٣). ومما تأمر به أيضا قاده الفكر الصهيوني تلك الآراء الجيوبولتيكية التي نادى بها أوتو ماول الألماني متوصل اليها الاحتلال (٤). وعلى هذا الأساس تعتبر الأراضي العربية المحتلة بعد عام ١٩٦٧م في نظرهم سوقا مكملة للبضائع والخدمات الصهيونية من جهة، ومصدرا هاما لعوامل الإنتاج يستفيد منها الاقتصاد الصهيوني من جهة ثانية. ومن المفاهيم الجيوبولتيكية التي آمن بها يستفيد منها الاقتصاد الصهيوني من جهة ثانية. ومن المفاهيم الجيوبولتيكية التي آمن بها يستفيد منها الاقتصاد الصهيوني من جهة ثانية. ومن المفاهيم الجيوبولتيكية التي آمن بها يستفيد منها الاقتصاد الصهيوني من جهة ثانية. ومن المفاهيم الجيوبولتيكية التي آمن بها

الصهاينة، ولازالوا يعملون من أجلها، هو مفهوم المجال الحيوى آلذى اعتبر الأساس الأول لنظريتهم الأمنية التي برروا بواسطتها توسعهم الجغرافي على حساب الأفطار العربيه المجاورة، باعتبار أن التوسع _ كما يفول الباحب الجيوبولتيكي رودولف كيلين _ وسيلة ضروربة للحياة (٥٠). وهذا بعني أن التوسع في مساحة الدول الجغرافية لخلق بجالها الحيوي الواسع يعني ضمان مركزها الدفاعي من جهذ، وحصولها على المواد الخام الضرورية لتطورها من جهة أخرى، وهو أمر في غاية الضرورة لإدامة بقاء الدولة، وبالتالي نموها وازدهارها.

ومن أجل وضع هذه المبادئ والمفاهيم الجيوبولتيكية موضع التطبيق والتنفيذ استخدام الكيان الصهيوني خططا متعددة الجوانب والأهداف، ظهرت بوادر تنفيذها بمختلف الصيغ على صعيد التربية والتعليم ومنظات السباب والمنظات النسائية بن مختلف طبفات المجتمع الصهيوني الأخرى، من أجل تحسيده فكريا وعسكريا ضد الأمة العربية وبناء دولته الكبرى المزعومة.

التحشيد الفكرى الصهيوني:

من أجل أن يخلق الكيان الصهيوني الرابض على أرض فلسطين العربية نوعا من السعور الذي يؤكد ضرورة توحيد المجتمع اليهودي بكافه قومياته وطبقاته كقوه ملزمة للدفاع والتضحية عن مصير كيانه وسلامة سكانه تارة، ومن أجل التوسع والاحتلال تارة أخرى، دأب يردد بسكل مخطط مدروس (الخطر العربي) المحيط به، الذي يريد دماره والقضاء عليه بسكل جماعي. ومن هنا جاء تأكيد قادة الكيان الصهيوني في تنقيفهم للفرد اليهودي على أساس أن العرب أعداؤه الألداء، ولا يمكن أن نأمن جانبهم في المستقبل. لذلك راحوا يملون عليه كيفية التخلص من العرب الفاطنين داخل الأراضي العربية المحتلة والذين هم بجوارهم بمختلف الوسائل والطرف، من أجل تحقيق الأهداف الجيوبولتيكية التوسعية. فتارة نرى أن الإعلام الصهيوني يتعمد إسماع المجتمع اليهودي التهديد والوعيد الذي تطلقه الإذاعات العربية ضدهم، وأخرى يعلمونهم بأنه ليس هناك خيار آخر: (إما أن تكسب الحرب، أو ترمى في البحر المتوسط أنت وأمتك) (١٠). هذا بالإضافة إلى أقوال زعماء الصهاينة والتي تؤكد على مبدأ التحسيد العدواني في الفكر اليهودي. فقد ورد على لسان (موسى شاريت) أحد رؤساء الوزراء السابفين في إحدى خطبه قوله: (إنني أدعو النسعب اليهودي في إسرائيل إلى العيس عبدأ السابفين في إحدى خطبه قوله: (إنني أدعو النسعب اليهودي في إسرائيل إلى العيس عبدأ

القوة، لأن الجيس مها بلغت قوته لا يمكنه أن بجفق أهدافه مالم يكن كل فرد في الدولة قويا. وعلى الشعب كله أن يكون قوة مدافعة ومستعدا للمعركة» (٧). أما بن غوريون فقد أعلن قائلا: (إن الجيس وحده لا يضمن النصر، والحرب في أيامنا هذه ليست حرب جيوس فحسب، بل هي حرب شعوب، وهي حرب الشعب بجميع طاقاته وإمكاناته، وكل فرد منا الرجل والمرأة، والكبير والصغير هو في الجبهة، سواء كان ذلك بإرادته أو بغير إرادته» (٨). كذلك (موشى ديان) فقد جاء على لسانه في خطبة نخرج إحدى الدورات التدريبية قائلا: «آباؤنا حصلوا على حدود ١٩٤٧م، ونحن حصلنا على حدود ١٩٤٩م، وأنتم حصلتهم على حدود ١٩٦٧، والجيل القادم سيقيم الحدود في المكان الذي يجب أن تكون فيه»(١). وفي نفس المصدر تصريح لابن غوريون بقول فيه: «إن خريطة إسرائيل ليست خريطة بلادنا، إن لدينا خريطة أخرى، فعلى الأمة الإسرائيلية أن تمد أراضيها من الفراب إلى النيل»(١٠٠). وترسيخا لهذه المبادئ والأهداف وجدنا أن حكومة الكيان الصهيوني سخرت وتسخر كل سي لديها من مؤسسات اجهاعية ونقافية ونواد ومدارس وصحافة وأدب لغرض هذا التحسيد، كما أن الإذاعة الإسرائيلية تبث دائها ولساعات عديدة في اليوم الأناشيد والموسيمي العسكريه التي تزيد من حماس المجتمع اليهودي (١١). كل هذه الوسائل مكنت القيادة الصهيونية من تحويل المجتمع اليهودي إلى قوة مقاتلة مسبعة بروح العدوان والحقد لتحقيق التوسع الجغرافي، وعلى حساب الأرض العربية، وتأسيس ما يسمى بإسرائيل الكبرى. ومن بين مظاهر التحسيد الفكرى الصهيوني هو تلقين المهاجربن اليهود الجدد وهم على ظهر البواخر بالنشيد الصهيوني المعروف، إذ يقول:

> «نعود للوطن وطننا إسرائيل إنه الآن صغير ولكنه سيكبر ويتسع سنبنيه بأيدينا هذه من الفرات إلى النيل»(١٢).

ومن السواهد التي أخذت القيادة الصهيونية تدلل بها على أن العرب يستهدفون كل فرد يهودي للقضاء عليه، هي الأعمال الفدائية التي قام بها رجال المقاومة الفلسطينية داخل الأرض المحتلة، متل حادنة الخالصة البطولية، واقتحامهم لمستعمرة سامير، وقيامهم بعملية

نهاريا، والأعمال الفدائية التي قاموا بها يوم ١٩٧٤/٩/٨م (١٢) والعملية الفدائية داخل السيغا في تل أبيب والتي تمت يوم ١٩٧٤/١٢/١١م (١٤). إن المتمعن بأهداف وخطط الحركة الصهيونية في مجال التحسيد الذهني يجد هناك توافقا جيوبولتيكيا بينها وبين ما كانت تتبعه النازية في ألمانيا قبل وخلال الحرب العالمية التانية، فملما تبنى الكيان الصهيوني جميع وسائل الإعلام لغرس وتعميق جذور مبادئه وأفكاره في العقلية اليهودية، وجدنا أن جميع الأبحاث والمقالات التي كان يصدرها معهد الجيوبولتيك في جامعة ميونيخ بألمانيا كانت تحت الشعب الألماني، وتوجهه نحو التمسك بالمبادئ النازية الاستعلائية ضد شعوب الأفطار المجاورة لها.

إن آنار هذا التحسيد أصبحت واضحة المعالم بين مختلف طبقات المجتمع اليهودي في فلسطين المحتلة. فقد أظهرت دراسة قام بها أحد علماء الاجتاع لمجموعة طلابية في المدارس الابتدائية أن ٦٠٪ من بين ١٠٦١ طالبا يهوديا قابلهم تتراوح أعهارهم بين ٩ ـ ١٤ سنة، أيدوا الإفناء الكلي للسكان العرب المدنيين المقيمين في فلسطين المحتلة، في حالة نشوب صراع مع الدولة العربية (١٥٠٠). كما أجري استفتاء آخر للمجتمع الإسرائيلي في أواخر عام ١٩٧٣ ـ بعد حرب تسرين الأول ـ تبين منه أن ٤٨٪ منهم مقتنعون بأن العرب مصممون على تدمير الكيان الصهيوني طال الزمان أم قصر (١٦٠). وهذا يدل دلالة واضحة على أن الحرب التشرينية تركت آبارا سيئة لدى المجتمع الإسرائيلي، وعملت على تقوية السعور العدائي لديه تجاه الأقطار العربية. كما أن غضب هذا المجتمع عقب الحرب المذكورة لم يكن بسبب سياسة نظامه التوسعية أو رفضه الانسحاب عن الأراضي العربية المحتلة، وإنما يعود إلى أن قادة هذا النظام لم يقوموا لحرز النصر بمثل ما قاموا به أتناء حرب ٥ حزيران سنة ١٩٦٧م.

وظهر تنامي الشعور بالحقد ضد العرب حتى بين الأوساط اليهودية المثقفة، فقد صرح أحد أطباء الأسنان اليهود في القدس واسمه (جاك لوين ايستاين) قائلا: «إن العرب لا يستهدفون استرجاع بضعة كيلومترات مربعة، ولكنهم ينوون تدمير إسرائيلي (١٧٠). ومن مظاهر نجاح سياسة التحشيد الذهني للفرد اليهودي هو ما قام به المجتمع الإسرائيلي من مظاهرات صاخبة بوجه (هنرى كيسنجر) وزير خارجية الولابات المتحدة الأمريكية السابق، حينا وصل إلى فلسطين المحتلة حاملا معه مشروع فك الارتباط والانسحاب الجزئي من سبه جزيرة سيناء، بعد أحداث الحرب التشرينية (١٨٥) إن هذه المظاهرات ما هى في الواقع إلا احتجاب سيناء، بعد أحداث الحرب التشرينية (١٨٥)

صريح لتوضيح الإيمان العميق الجذور الذي يؤمن به المجتمع الإسرائيلي تجاه ضرورة التوسع الجغرافي لما يسمى بإسرائيل. وهذا يعني أن المجتمع اليهودي أصبح يعرف تمام المعرفة الأبعاد الجيوبولتيكية التي تتوخاها دولتهم المزعومة. فكل فرد فيهم يعلم جيدا أن أرض فلسطين هي ليست كل الأرض التي قام عليها الكيان الصهيوني بحدوده الجغرافية عام ١٩٤٨م، بل هناك أجزاء أخرى يضمها (إطار إسرائيل الكبرى)، وهذه يجب تحريرها من الأجنبي المتسلط عليها، ولا بتم هذا التحرير إلا بجهود وقوة هذا المجتمع وإعداده العسكرى.

التحشيد العسكرى الصهيوني:

ونعني بالتحسيد العسكري تنشئة المجتمع اليهودي داخل الكيان الصهيوني تنشئة عسكرية من خلال مؤسسات ومنظات وأجهزة الدولة المتنوعة (١٩٠). إن الظاهرة المعقدة في هذا المجتمع أن لكل مجموعة فيه لغتها وتقاليدها وتقافتها وعاداتها الخاصة بها. وانطلاقا من هذا التركيب السكاني المعقد بدأ الكيان الصهيوني يولي اهتامه وعنايته قبل كل تني إلى صهر هؤلاء المهاجرين في بوتقة واحدة ذات لغة عبرية، ونقافة يهودية، وسياسة توسعية واحدة. لهذا يعتبر الكيان الصهيوني من أبرز الدول التي تستغل مجتمعها اليهودي بطاقاته وإمكاناته في سبيل تحقيق أهدافه وأطهاعه الجيوبولتيكية.

وقد تجسد هذا الأمر في إعداد وتوجيه المجتمع اليهودي توجيها عسكريا صارما، يتساير والمخططات التوسعية للقيادة الصهيونية.

ويهدف هؤلاء القادة من وراء هذا التوجيه العسكري تحقيق المبدأ الصهيوني القائل: «لأجل المحافظة على الدولة الصهيونية يجب أن يكون المجتمع إسبارطيا» (٢٠). لذا نراهم يولون الناحية العسكربة عنابة بالغة، حتى غدا المجتمع اليهودي داخل الكيان الصهيوني معسكرا واحدا أو جيسا متأهبا للقتال في كل وقت، له دوره الفعال في تنفيذ مخططات أولئك القادة.

ولغرض تحقيق هذا التوجيه اهتم الكيان الصهيوني بإنشاء الكنير من المنظات والمؤسسات لإعداد مجتمعه إعدادا عسكريا، يتناسب ومبادئ الصهيونية في التوسع. ومن هذه المؤسسات والمنظات:

١ ـ وزرارة التربية والتعليم :

تضع وزراة التربية والتعليم للكيان الصهيوني مناهجها الدراسية والتربوية منسجمة مع تنمية الوعي اليهودي في غرس المبادئ الصهيونية بنفسه، وتلقينه حسب ما يسمى بإسرائيل الولاء للشعب اليهودي، إلى جانب بن روح الحقد والكراهية تجاه السعب العربي. فهمي تدرس الطالب اليهودي النصوص التوراتية التي تحمه على القتال والتنكيل بالآخربن من غبر اليهود. فمنلا تعلمه أن يعامل سكان الأقطار العربية المجاورة لكيانهم بمنل ما جاء بتلك النصوص: (وأما مدن هؤلاء النسعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيبا فلا تستبق منها نسمة ما»(٢١)، حتى «لا بقف إنسان في وجهك كل أيام حياتك» (٢٢). كما تدرسه النصوص التي وردت في كتاب التلمود حيث يقول: «إذا ما انتصر اليهود في موقعة، وجب عليهم استئصال أعدائهم عن بكرة أبيهم، ومن يخالف ذلك فقد خالف النسريعة وعصى الله»(٢٢).

أما التدريبات الرياضية والكسفية الهادفة إلى تنمية الروح القتالية والعسكرية فهي تعتبر أبضا من أهم الدروس النظامية التي تدرس في المدارس الابتدائية، وبعطى للتربية العسكرية في المدارس النانوية عناية أكبر. وعلى هذا فالطالب اليهودي يتلقى منذ دخوله المدرسة الآبندائية وحتى إنهاء دراسته النانوية التدريبات العسكرية والكشفية التي تؤهله لأن يكون جنديا بكل ما في الكلمة من معنى.

وفي السنوات الأخيرة أولت وزارة التربية والتعليم الصهيونية اهتاما بالغا في تلقين الطلاب مناهج دراسية من شأنها تنمية الروح القتالية العدوانية في نفوسهم، وكذلك زيادة معلوماتهم عن واقع كيانهم الصهيوني. وتستهدف الوزارة من وراء كل ذلك وضعهم في جومهيأ للقتال في أي وقت (٢٤٠). فقد جعلت حصص التدريب العسكري في المدارس نحو ٢٧٢ حصة سنويا (٢٥٠).

أما طلبة الجامعات فقد أعد لهم نفس النهج في التدريبات والدروس العسكرية أنناء العطل الدراسية، حيث تمكنهم تلك التدريبات من الالتحاق بعد ذلك بالاحتياط الجامعي. وبعد تخريجهم من الجامعة ينضمون إلى الجيش لفترة محدودة. ونتيجة لهذه الجهود التي تبذلها وزارة التربية والتعليم في تنسئة الطلبة على اختلاف مستوباتهم، أصبح لهم شأن كبير في أيام التعبئة والاستنفار للحرب، فقد كان لهم دورهام في حرب عام ١٩٤٨م، واسترك الآلاف منهم

في الحملة العسكرية على سبه جزيرة سيناء عام ١٩٥٦م (العدوان النلائي على مصر)، كما قاموا ببذل مجهود كبير في بناء التحصينات كمستعمرات الحدود الصهيونية عام ١٩٦٧م، بالإضافة إلى تطوعهم للتبرع بالدم وقيادة الآليات أنناء حالات الطوارى. أما دورهم في حرب تشرين الأول عام ١٩٧٣م فلم يكن أفل سأنا من دورهم في الحروب السابقة.

٢ _ منظمات الشباب :

وإلى جانب نساطات وزارة التربية والتعليم الصهيونية هناك منظمات السباب التي دأبت الحكومة الصهيونية على إنساء وتكوين الكثير منها لتدريب المجتمع الصهيوني في مختلف قطاعات عمله. ومن هذه المنظمات ما يلى:

أ _ منظمة الجدناع :

تضم منظمة الجدناع أو ما تسمى (كتائب السباب العبري) الفتيان والفتيات الذين تتراوح أعهارهم بين ١٥ ــ ١٨ سنة بمن ولدوا في فلسطين المحتلة، وبين سن ١٣ ــ ١٨ سنة إذا كانوا من المهاجرين الجدد. أما الانضام إلى هذه المنظمة فهو اختياري، إلا أن السلطات الصهيونية سرعان ما استخدمت مختلف الوسائل لتسجيع وحمل السباب للانضهام إليها، حتى كاد الانتاء إليها أن يكون إحباريا (٢٦٠)، خاصة بعد أن أصبحت هذه المنظمة رسمية عام ١٩٥٤ لها قيادتها الخاصة المرتبطة بالأركان العامة للجيس الصهيوني. والهدف من إنساء هذه المنظمة هو غرس الروح القتالية في نفوس السباب اليهودي، وتأهيلهم للخدمة العسكرية. يضاف إلى ذلك محاولة اكتشاف ما لديهم من مواهب وإمكانات لاختيار نخبة منهم مؤهلين للالتحاق في كلياتهم العسكرية في المستقبل، ليتخرجوا منها ضباطا في الجيس (٢٧).

ويتناول منهج تدريب هذه المنظمة مختلف النساطات الرياضية والكشفية والأعمال البدوية، بالإضافة إلى تعليمهم الدروس الزراعية وعلم الآنار لهذا نراهم يقضون عدة أسابيع من عطلتهم الصيفية في إحدى المزارع أو بصحبة أحد علماء الآنار(٢٨٠). وتنظم لهؤلاء السباب سنويا العديد من الرحلات التي يزورون خلالها كافة أنحاء فلسطين المحتلة، ليقفوا على معالمها الجغرافية والتاريخية، وميادين المعارك التي تحت فيها(٢٩١). كما تقيم هذه المنظمة في كل

سنة أيضا مباراة في بطولة الرماية، وتعد منهجا لقطع فلسطين مسيا على الأقدام مرة كل عام، للتعرف على كل موضع جغرافي من البلاد (٢٠٠)، ويجري تدريب أعضاء هذه المنظمة عسكريا بمعدل يومين في كل شهر، بالإضافة إلى التدريب الجهاعي السنوي لمدة شهر واحد. ويتم هذا التدريب في مخيات ونواد ومعسكرات المنظمة الخاصة بها. كما يتعلم أعضاء الجدناع بناء نماذج للطائرات وكيفية تفكيكها، والتدريب على استعال مختلف الأسلحة، وينظم هؤلاء الأعضاء على شكل ألوية، يضم كل منها فئة معينة مثل ألوية للعال، وأخرى للفلاحين، وتالنة للطلاب. ويتلقى كل فرد من هذه الألوية تدريباته العسكرية حسب تخصصه، سواء أكان في جدناع البر أو البحر أو الجو.

وكانت نتيجة تدريب هؤلاء الفتيان والفتيات منعرة جدا للكيان الصهيوني، حيث أسهم هؤلاء الأعضاء البالغ عددهم نحو (١٧) ألف عضو في أعمال التحصينات وبناء المعسكرات في مختلف أنحاء فلسطين المحتلة، كما فاموا بشق طرق المواصلات، وتعهدوا بأعمال الإسعاف والإنقاذ ودعوات التعبئة بالطرق السرية، إضافة إلى الاشتراك في مناورات الجيش عن طريق تأدية بعض الخدمات العامة، كإعداد المطارات، ونقل المؤن والذخائر، وتهيئة المخيات للحراسة في المستعمرات عند الضرورة. ففي حرب الخامس من حزيران عام ١٩٦٧م متلا اشترك حوالي عشرة آلاف عضو من أعضاء منظمة الجدناع للقيام في المهات العسكرية النانوية، كأعمال السعاة والحراسة، وتوزيع أوامر التعبئة، ومكافحة الحرائق، والأعمال الطوعية في المستشفيات، وأعمال الصيانة في مصلحتي الماء والكهرباء، وفرز الرسائل في مكاتب البربد، والحلول محل العمال الناقصين في الصناعات الحربية (١١).

ب _ منظمة الناحال:

وهذه المنظمة شبيهة بمنظمة الجدناع في أهدافها وأساليب تدريباتها. وقد تأسست عام ١٩٤٨م بهدف تدريب الشباب اليهودي على الحياة العسكرية والمدنية معا. وهذا يعني أنهم يتقون التدريبات العسكرية لمدة ثلاتة أشهر، ثم ينقلون إلى المزارع الجماعية في مستعمرات الحدود، لفرض التدريب في المجال الزراعي والصناعي ولمدة ستة أشهر. والغرض من هذه التدريبات هو تنفيذ المتساريع الخاصة بالاستيطان، واستغلال الأراضي، وإعهار الصحارى والأراضي المهملة الأخرى التي يرفض السكان المدنيون استيطانها (٢٢).

ويقدر عدد الذين يلتحقون بمنظمة الناحال سنويا بحوالي (٣٥٠٠) فرد (٣٣)، أسهموا ني مختلف المعارك التي دارت منذ سنة ١٩٤٨م وحتى ١٩٧٣م.

٣ _ المنظمات النسائية:

أولت حكومة الكيان الصهيوني عنايتها الخاصة بالمرأة اليهودية، وحاولت إشراكها في التدريب والتنقيف العسكري والمدني. ومن هذا المنطلق أخذت المرأة اليهودية كمجندة تقوم بمختلف المهام، ومن جملة المهام إدارة مستودعات الأسلحة، والمستسفيات والمختبرات، ومحطات المخابرات اللاسلكية، كما أخذت تقوم بمختلف المهن كالطب والتمريض والصيدلة (٢٤٠)، هذا بالإضافة إلى الأعمال المكتبية وإدارة المعدات الإلكترونية وأجهزة الرادار وطبي مظلات الطائرات وقيادة السيارات، كما تفوم المرأة اليهودية بمهام الشرطة العسكرية، وتقدم المساعدة في الطائرات وقيادة السيارات، كما تفوم المرأة اليهودية بمهام الشرطة العلمين في المدارس الابتدائية في استقبال المهاجرين الجدد من اليهود، وتسد النقص في عدد المعلمين في المدارس الابتدائية في حالة الطوارئ، وغير ذلك كنير (٢٥٠).

ولم يقف دور المرأة عند هذا الحد، بل يتوزع نشاطها ليسمل العمل في جهاز الأمن الداخلي لمراقبة نشاط الفدائيين وتحركاتهم داخل الأراضي العربية المحتلة (٢٦).

وتقوم المجندات اليهوديات أيضا بمهمة الدفاع عن المستعمرات، إذ يحقق هذا الدفاع مرونة لازمة للجيس الصهيوني خلال العمليات الاختراقية والهجومية بدون أن يسغل نفسه بحياية هذه المستعمرات، ولذلك يخصص الكيان الصهيوني لكل مستعمرة وحدة عسكرية من المجندات، وتتألف كل وحدة من معلمتين وطبيبة ومدربتين عسكريتين، حيث تقيم في معسكرات خاصة داخل الخيام. ويتضمن برنامج التدريب العسكري استخدام السلاح والقنابل اليدوية وحفر الحنادق ونصب الأسلاك الشائكة والحراسة في الليل. كما تقوم المعلمات في أوقات الفراغ بتعليم أطفال المستعمرات، وهكذا .

- (1) Demangeon, A., Geographie Politique, in: Ann. de Geographie, 1932.
- R. Ratzel, Fr. Politische Geographie, 1897.
 - (٣) د. أسعد رزوق، إسرائيل الكيرى، ص ٤١٨ ـ ٤١٩ .
 - (٤) د. دولت صادق ، الجغرافية السياسية ، ص ٢١ .
- (5) Kiss, George: Political Geography into geopolitics, P. 630.
 - (٦) إيكال ألون. إنشاء وتكوين الجيش الإسرائيلي. دار العودة ، ترجمه عتمان سعيد بيرون ١٩٦٧. ص ١٢١.
 - (٧) المقدم هيتم الكيلاني ، دراسة في العسكرية الإسرائيلية، ص ٢٦ .
 - (٨) نفس المصدر السابق.
 - (٩) صحيفة النجم الأجمر السوفيتية في عددها الصادر ٩ آب ، ١٩٧٢ م .
 - (١٠) نفس المصدر،
 - (١١) صحيفة الدستور الأردنية في عددها الصادر ١٤ آذار ١٩٦٩ م .
- (١٢) فتحي الرملي _ الصهيونية أعلى مراحل الاستعار ، الطبعة الثانية ، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٨، ص
 - (١٣) صحيفة النورة العراقية في عددها الصادر يوم ١٩٧٤/٩/٩م.
 - (١٤) صحيفة الجمهورية العراقية في عددها الصادر يوم ١٩٧٤/١٢/١٢ م.
 - (١٥) اللواء محمود شيت خطاب ، الوجيز ني العسكرية الإسرائيلية، دار الفتح، بيروت، ١٩٧٢، ص ٥٧ .
 - (١٦) صحيفة المحرر اللبنانية في عددها الصادر ٨ كانون الأول ١٩٧٣ م .
 - (١٧) نفس المصدر السابق.
 - (١٨) مركز الأبحاث الفلسطينية ، بيروت ، ملف رقم ٢١٥ بدون رقم للصفحة .
 - (١٩) يستثنى من هذا المفهوم جميع القوات العسكرية النظامية للكيان الصهيوني.
 - (٢٠) حمدان بدر ، تعليم العرب في إسرائيل ، ص ٤ .
 - (٢١) الكتاب المقدس ، تثنية، الإصحاح العشرون ، نص ١٦ ص ١٨٦ .
 - (٢٢) الكتاب المقدس ، يشوع، الإصحاح الأول ، ص ٢٠١ .
 - (۲۳) عمر رسدي ، الصهيونية وربيبتها إسرائيل ، ص ٥١ .
 - (٢٤) اللواء محمود شيت خطاب ، الوجيز في العسكرية الإسرائيلية، مصدر سابق _ ص ٥٧ _ ٥٨.
 - (٢٥) معين أحمد محمود، الصهيونية والنازية ، ص ٢٠٩ .
 - (٢٦) اللواء محمود سيت خطاب ، الوجيز من العسكرية الإسرائيلية ، ص ٧٥ .
 - (٢٧) فؤاد اللحام، السبيبة الإسرائيلية، مجلة صوت فلسطين ، العدد ٧٣ دمشق ١٩٧٤، ص ٤٤.

nverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- (٢٨) سلمي حداد، الطلاب في إسرائيل ، مصدر سابق ، ص ٧٢ .
 - (٢٩) مازن البندك ، إسرائيل مجتمع عسكري ، ص ٥٥ .
- (٣٠) مجله صوت فلسطين عدد (٣٩) دور المرأة اليهودية ، دمشتى ، نيسان ١٩٧١ ص ٥١.
 - (٣١) سلمي حداد ، الطلاب في إسرائيل ، مصدر سابق ، ص ٧٢.
 - (٣٢) فؤاد اللحام ، مصدر سابق ، ص ٤٥ .
 - (٣٣) مازن البندك ، إسرائيل مجتمع عسكري ، مصدر سابق ، ص ٥١ .
 - (٣٤) مجلة صوت فلسطين العدد ٣٩ ـ دور المرأة اليهودية ، مصدر سابق ص ٥٠
 - (٣٥) مازن البندك ، مصدر سابق ص ٤٥ ـ ٤٦ .
 - (٣٦) صحيفة الأنوار اللبنانية في عددها الصادر في يوم ١٣ أب ١٩٧٢م.



المصادر

المصادر العربية:

إسرائيل الكبرى، مركز الأبحاث الفلسطينسي، بيروت		۱ _ د. اسعد رزق
المرابين الخبري، مرفو الا بحث المستعيسي، بروف		۱ ـ د. اسعد رزق
تثنية الإصحاح العشرون، ص ١٦ .		۲ _ الكتاب المقدس
يسوع، الإصحاح الأول نص ٣.		۳ _ الكتاب المقدس
0 1 0		
الوجيز في العسكرية الإسرائيلية، دار الفتح، بيروت	:	 ٤ ــ اللواء محمود شيت
۲۷۹۲م.		خطاب
إنسُساء وتسكوين الجيسُ الإسرائيلي، دار العودة،	:	٥ _ إيكال آلون
ترجمة عثهان سعيد، بيرون ١٩٦٧م.		
النزعة العسكرية للجيوب ولتيكا الإسرائيلية، رسالة	:	٦ _ جواد عبدجواد
ماجستیر، بغداد ۱۹۷۵م، غیر منشورة.		
الطلاب في إسرائيل، مركز الأبحاث الفلسطيني، بيروت	:	۷ _ سلمی حداد
۱۷۶۱م .		
الصهيونية وربيبتها إسرائيل، مكتبة النهضة المصرية،		٨ _ عمر رشدي
القاهرة ١٩٦٥م.		•
الصهيونية أعلى مراحل الاستعمار، دار الكاتب العربي،		٩ ـ فتحي الرملي
القاهرة ١٩٦٨ م .		# * #
الشبيبة الإسرائيلية، مجلمة صوت فلسطين، العدد		١٠ _ فؤاد اللحام
٧٣. دمشق، شباط ١٩٧٤م .		, -
إسرائيل مجتمع عسكري، دار الكفاح، بيروت	:	۱۱ _ مازن البندك
إسرائيل جست مستوي، دار المستع، بيروت ١٩٧١م.	•	
•	:	۱۲ _ مجلة صوت فلسطين
دور المرأة اليهــودية، عدد (٣٩)، دمشق،		الما الما الما الما الما الما الما الما
نیسان ۱۹۷۱م .		. 1 1011 . 1 411
ملف رقم (۲۱۵) ، بیر ون .	:	١٣ ــ مركز الأبحاث الفلسطيني

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١٤ _ معين أحمد محمود : الصهيونية والنازية، منسورات المكتب التجاري للطباعة.

بيروت ۱۹۷۱ م .

١٥ ـ د. نافع ناصر المصاب : محاضرات في الجغرافية السياسية والجيوبولتيك، مطبوعة

بالرونيو، مكتب الدوري، بغداد ١٩٧٢م.

١٦ ـ د. نافع ناصر القصاب : القضية الفلسطينية في مرآة علم الجيوبولتيك،

مجلة كلية الآداب، العدد الأول، الرياض ١٩٧٠م.

المصادر الأجنبية:

- 1. Demangeon, A., Geographie Politique, in: Ann. de Geographie, 1932.
- 2. Kieffer, J., E., Realities and World Power, 1952.
- 3. Maokinder, H. J. The Geographical pivot of History in: Geogr. Journal, London 1904, 1959.
- 4. Ratzel, Fr., Politische Geographie, 1897.



onverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قضية فلسطين وابعادها السياسية والجغرافية

بدر المسن القاسمي



إن أرض فلسطين التي تفع بين لبنان شهالا، وسوريا والمملكة الأردنية الهانسية شرقا، والبحر المتوسط غربا، ومصر جنوبا، تحتل مكانة استراتيجية هامة في خريطه العالم، من أجل ذلك لم تزل تتعرض لغزوات أجنبية منذ أفدم العصور، مع كونها أرضا عربيا لحها ودما منذ أن عرفها التاريخ من نحو أربعين قرنا قبل الميلاد. فقد أنبت عباقرة رجال التاريخ أمثال المؤرخ الغربي ابن خلدون وغيرهما أن الكنعانيين الذين عاشوا الغربي الأستاذ بريستد، والمؤرخ العربي ابن خلدون وغيرهما أن الكنعانيين الذين عاشوا فيها كانوا من العرب البائدة الذين هاجروا إليها من شبه الجزيرة العربية، فلاشك في كون أرض فلسطين عربية منذ أن قدمها إلينا التاريخ.

وفي عام ٢٢٠٠ ق. م نزح إليها من العراق سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وإلى ابنه إسمعيل ينتسب محمد صلى الله عليه وسلم، ويعتبره العرب جدهم الأعلى، وأنجب ابنه إسحاق يعقوب الذي يعرف بإسرائيل وأرسل الله موسى إلى بني إسرائيل في أرض مصر، وأتباع موسى هم يعرفون باسم اليهود، وهم يتكونون الآن من جنسيات متعددة، اعتنقت الديانة اليهودية، وآمنت بتوراة موسى عليه الصلاة والسلام.

دخل اليهود أرض فلسطين بعد موت موسى حوالي عام ١١٨٦ ق. م بقيادة يوشع بن نون، وتأسست لهم دولة أيام داود وسليان، غير أن دولتهم لم تدم إلا بضع سنوات، وبموت سليان عام ٩٣٥ ق. م انتهت عمليا دولة اليهود في فلسطين، واحتلها الآشوريون ٧٢١ ق. م، نم البابليون ٥٥٧ ق. م، وأخذ البابليون إلى العراق خمسين ألفا من اليهود الذين ظلوا بالأسر البابلي مدة طويلة.

وخضعت فلسطين بعد ذلك لحكم الفرس، تم الإسكندر، نم غزاها الرومان في أوائل القرن الميلادي الأول. وفي عصر الرومان لقي اليهود الباقون في فلسطين اضطهادا عنيفا وضخا، وتمكن درهان الحاكم الروماني من القضاء على بقايا نفوذهم عام ١٣٥م. وفي عام ١٣٦٠ أتم العرب المسلمون فتح فلسطين لتعود إلى عربتها الأصيلة (١).

لم تزل فلسطين عربية رغم تتابع غزوات الصليبيين والتتار والمغول ونابليون. وفي عام ١٤٥٧م جعل الأتراك العنمانيون أرض فلسطين جزءاً من ولايتي بيروت ودمشق العربيتين، وبقيت سلطتهم فيها حتى نهاية الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٨م، حينا احتلها الخلفاء، وظلت منذ ذلك التاريخ تحت الانتداب البريطاني الذي سلبها متآمرا مع الامبريالية

الأمريكية والدول الأخرى الاستعارية لعصابات الصهيونية عام ١٩٤٨م، لتكون دولة أسموها إسرائيل.

فمن هذه اللمحة التاريخية السريعة ، ومن هذا الأستعراض العاجل السربع، نرى أن اليهود لم يقيموا لهم دولة في فلسطبن إلا لبضع سنوات اغتصبوها فيه من العرب أصحابها الحقيقيين، وأن أرض فلسطين طوال تاريخها الطويل ورغم ما تعرضت للغزوات المتلاحقة ظلت عربية عبر العصور.

حركة الصهيونية وتطورها

الصهيونية حركة عنصرية تعتمد في بقائها وتخطيطها على أساسها العنصري القائم على التفوى العنصري، وهي تنتسب إلى جبل صهيون في جنوب بيت للقدس، وقد ورد ذكر هذا الجبل في مواضع عديدة من التوراة، فهي حركة يهودية تسعى بكل الوسائل إلى إعادة مجد بني إسرائيل، وبناء هيكل سليان على أنقاض بيت المقدس، والسيطرة على العالم كله، وهي حركة قديمة ذات جذور تاريخية عريقة، كانت ترمي منذ أقدم العصور إلى تنفيذ هذا المخطط، غير أن أخطر تحرك صهيوني بدأ منذ زمن الصحفي النمسوي تيودور هرتزل (١٨٦٠ _ ١٩٠٤م)، حين إنه قد وضع كتابا أوضح فيه أهداف الصهيونية في تجميع اليهود وتوطينهم في دولة يهودية، كما أنه حاول أن يستدر عطف السلطان عبدالحميد العتماني، فقابله في مايو عام ١٩٠١، وأغسطس عام ١٩٠٢م بهدف أن يحصل منه على وعد سلطاني باستيطان اليهود بفلسطين، ولكن محاولته أخفقت لعدم موافقة السلطان وفطنته لأبعاد المخطط الصهيوني في تهويد فلسطين.

وبعد ذلك حاول هرتزل النفوذ إلى بريطانيا لإقامة دولة يهودية في سبه جزيرة سينا، غير أن عدم وجود المياه في هذه المنطقة حال دون تنفيذ هذا المشروع. وعرضت بريطانيا فكرة إقامة دولة يهودية في أوغندا، غير أن المؤتمر اليهودي السادس الذي انعقد في ١٩٠٧م رفض المشروع، وأصر أن تكون فلسطين وطنا قوميا لليهود. وتوفي هرتزل عام ١٩٠٤م، والحقيقة التي تبعت على العجب أن بريطانيا ما كانت حينذاك تملك أرض فلسطين، والصهيونية ما كانت ستحقها حتى تصح منها هذه العروض والاتفاقيات.

ولابد هنا أن نسير إلى أن حركة هرتزل كانت تركز أولا على عقد مؤترات سنوية تضم كبار الصهاينة، وقد بدأت فعلا هذه المؤتمرات عام ١٨٩٧م في مدينة بال بسويسرا بعقد أول مؤتمر صهيوني ضم الكثيرين من الصهاينة، وتوصل إلى قرارات علنية وسرية، أما القرارات التي أعلنت فكان من أهمها تأسيس دولة لليهود في فلسطين، وحت اليهود على شراء الأرض في تلك المنطقة، وتنمية مواردهم المالية، وتشجيع الهجرة إلى أرض فلسطين، وإنعاش اللغة العبرانية. وكان كبار اليهود وأمرياؤهم في أمريكا والدول الأوروبية الأخرى في مساندة الحركة الصهيونية، والأسرة التي تولت كبرها في أسرة روتشيلد المعروفة.

أما المخططات أو القرارات التي أخفيت فهي ما أطلق عليه فيا بعد بروتوكولات حكماء صهيون، ولم تبق سرا بل نشرت باللغة الروسية والإنجليزية والعربية وغيرها من لغات العالم.

والواقع أن تعاليم التلمود وبروتوكولات حكماء صهيون إلى جانب التوراة تعد من الأسس التي تبتني عليها الصهيونية.

وعد بلفور وصك الانتداب

منذ عام ٥٩٧ في م حينا كان اليهود في أسر بابل بدأوا يحلمون بالعودة إلى جبل صهيون بفلسطين، وتأصلت هذه الأفكار كلما واجهوا حوادت الضغط والاضطهاد. وقد أدى التلمود أقدس كتبهم الدينية أكبر دور في رسم طريق العودة إلى فلسطين، ورغم أن جماعة حاخامات اليهود قامت بتأليفه في القرن الخامس الميلادي، ظل التلمود سرا مطمورا لم يذع إلا في القرن التاسع عشر وقرب نهايته.

لم تزل الحركة الصهيونية طوال الحرب العالمية الأولى فى خدمة القوى الاستعارية البريطانية، واستطاعت بفضل تسللها ونفودها إلى القادة البريطانيين أن تحصل على وعد من بلفور وزير الخارجية البريطانية، وهذا نص ذلك الوعد المسئوم:

«إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى إقامة وطن قومي في فلسطين للشعب اليهودي، وسوف تبذل أقصى جهدها لتحقيق هذه الغاية»(٢).

وما كان يحق لوزير الخارجية البريطاني أن يعطى هذا التصريح عن فلسطين الأحد رجال

المال اليهودي، إذ إن فلسطين لم تكن حينذاك مستعمرة بريطانية، وما كانت بريطانيا تملكها.

وانتهت الحرب العالمية الأولى بهزيمة ألمانيا وحلفائها، وعقد مؤتمر الصلح، شارك فيه وفد عربي لمطالبة الحلفاء باستقلال البلاد العربية في آسيا ووحدتها تحقيقا للوعود المتكررة.

وقد طالب المؤتمر الصهبوني المنعقد آنذاك من مؤتمر فرساي بإنشاء الدولة اليهبودية في فلسطين وشرقي الأردن وجنوبي لبنان، وكان من الطبيعي أن تعمل المدول الاستعارية المتحالفة مع الصهبونية العالمية لإقامة دولة يهودية تكون أداة للاستعار في تلك المنطقة، وتحتوى المشردين من اليهود، وتعتبر ركيزة استعارية في الشرق الأوسط.

فازت الصهيونية العالمية في مؤتمر فرساي بنصيب الأسد، ففي يونيو ١٩١٩م تم التوقيع في عصبة الأمم، ونص على ما عرف باسم الانتداب. وفي أبريل عام ١٩٢٠ انعقد المجلس الأعلى للحلفاء في سان ريمو، ووافق على وضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني، ووضعت بريطانيا صك الانتداب بمعاونة العناصر الصهيونية، جاء فيه:

«إن دول الحلفاء قد وافقت على وعد بلفور، وعلى أن تكون الدولة المنتدبة مسئولة عن تنفيذه، اعترافا بالصلة التاريخية التي تربط الشعب اليهودي بفلسطين» (٣).

ويتجلى تآمر الصهيونية العالمية بالاشتراك مع القوى الاستعمارية بوضوح في ربط صك الانتداب بوعد بلفور المشئوم الذي يعد باطلا لمخالفته القانون الدولي العام.

وقد اتخذت بريطانيا من الانتداب سبيلا لتمكين الصهيونية من تنفيذ مخططاتها في المنطقة العربية بإنشاء دولة يهودية في فلسطين، فسمحت بهجرة اليهود إلى تلك المنطقة من كل صوب وناحية لترجيح كفة الصهيونيين بإزاء العرب. ويجدر بالذكر أن في نهاية الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٨م كان ٩٠٪ من سكان فلسطين عربا، يعيشون فيها منذ القرن السابع الميلادي، حينا فتحها المسلمون في زمن عمر بن الخطاب _ رضي الله عنه _ وكان عدد اليهود لا يزيد فيها عن ٥٠ ألف نسمة، معظمهم من العرب الذين يدينون بالديانة اليهودية.

والواقع أن السياح للمهاجرين من اليهود كان الهدف منه إحلال اليهود محل الشعب الفلسطيني، وقد عين هربرت صمويل مندوبا ساميا على فلسطين في يوليو ١٩٢٠م بناء على توصية من وايزمان للحكومة البريطانية، فعمل لتنفيذ مخططات الصهاينة وأهدافها وتشجيع

الهجرة اليهودية إلى أرض فلسطين بشتى الطرق والوسائل، واتبع أسلوب الامتياز الصارخ القائم على تفضل اليهود في كافة نواحي الحياة على الأرض الفلسطينية، وحرمان العرب من كافة الحقوق التي يمكن من خلالها أن تكون لهم سيطرة أو نفوذ.

وملخص القول: إن الصهيونية العالمية قد استطاعت بهارسة أساليب الغدر والخيانة والمكر والاستكانة وبنفوذها على الدول المختلفة الاستعارية وتأثيرها البالغ على الأمم المتحدة أن تصدر قرارا بمشروع تقسيم فلسطين في ٢٩ نوفمبر عام ١٩٤٧م، ولقي هذا القرار معارضة عنيفة من الدول العربية. وفي ١٥ مايو عام ١٩٤٨ عند انسحاب الانتداب البريطاني سلمت بريطانية معسكراتها وما فيها من منشآت ومعدات حربية إلى اليهود، كما سلمت إليها أهم المدن العربية كحيفا، ويافا، وطبرية، وبيسان، والأحياء العربية في القدس الجديدة.

صلة الشعب اليهودي بأرض فلسطين

لاتزال الصهيونية العالمية تنفخ في أبواق الدعايات أن للشعب اليهودي المختار - في زعمهم - حقا شرعيا في أرض فلسطين، وأن فكرة العودة إلى أرض إسرائيل لها جذور تاريخية عميقة، غير أن الدراسة المحايدة لا تقر لهم بهذا الحق، بل الأصول العلمية الثابتة تفند مزاعم اليهود، وتثبت أن هذه أكذوبة محضة، وأن اليهود ليسوا من أصل فلسطيني واحد.

فإن التاريخ يروي لنا في صدى وحزم ودون تردد أو مواربة أن يهود العالم ينتمون إلى جنسيات مختلفة. فإن كثيرا من الأوروبيين وغيرهم فد اعتنقوا الدين اليهودي على أيدى مبشرين من اليهود، من هنا نراهم في أوربا من ذوي الشعر الأصفر والعيون الزرقاء، وفي الحبشة من ذوي البشرة السوداء والسعر المجعد، وفي الصين الصفر المغول، فالذي يقره العقل وتشهد له مبادئ علم الشعوب والأجناس هو أن ادعاء الصهاينة أنهم من أصل فلسطيني واحد كذب محض وتجن على الحقيقة.

يقول في ذلك الأستاذ أوجين بيتارأستاذ علم الأنثروبولوجيا في جامعة جنيف سابقا: «إن جميع اليهود بعيدون عن الانتاء إلى الجنيس اليهودي».

ويقول في موضع آخر في كتابه :

«إن العناصر التي تتألف منها جماعة اليهود متنوعة تنوعا عظيا» (٤)

أما الجذور التاريخية التي تربط الشعب اليهودي بأرض فلسطين في زعم الصهاينة فتقول عنها الكاتبة الأمريكية ايلين بيتى بعد تحليل رائع لتاريخ فلسطين:

«على أساس هذا السجل التاريخي نرى أنه ليس للأردن ولا لإسرائيل أية ذرة من الحق القانوني في فلسطين تشبه دعوى في كونها مضحكة دعاوى موسوليني عندما قام يطالب بامبراطورية روما الاستعارية القديمة.

من هو إذن صاحب الحق القانوني في فلسطين، ؟ هناك شعب واحد لا يكاد يذكره أحد، ويكاد يكون نسيا منسيا من الجميع، ونعنى به شعب فلسطين نفسه، أهالي فلسطين» (٥).

ويقول شموئيل اتينغر: الصلات بين الشعب اليهودي وأرض إسرائيل تكون واحدة من أغرب الظواهر في تاريخه الطويل (٦).

أما الدولة اليهودية التي قامت لفترة قصيرة كما تحدتنا عنها بعض المصادر في أرض فلسطين فلم تكن إلا دولة رمزية _ حتى في أقوى أيامها أيضا _ والسيادة الحقيقية كانت لمصر، وهذه الدولة الرمزية لم تدم إلا بضع سنوات في عمر التاريخ، لذا نجد معظم المؤرخين يعتبرون هذه الدولة حادنا طارئا.

يقول الأستاذ هـ . ج ويلز في كتابه «موجز التاريخ» :

«كانت حياة العبرانيين في فلسطين شبيهة بحياة رجل يصر على الإقامة في وسط طريق مزدحم، فتدوسه الحافلات والشاحنات باستمرار، ومن البدء حتى النهاية لم تكن مملكتهم سوى حادث طارىء »(٧).

ويقول الأستاذ هـ . د دونت في كتابه «مركز المدينة القديمة» :

«إنه لم يعثر لا على كتابة قديمة واحدة في فلسطين من شأنها أن تدل على وجود مملكة عربية لليهود هناك»(٨).

وتقول الكاتبة بلافاتسي :

«العملات النقدية التي ترقى في القدم إلى ما قبل آلاف السنين في فلسطين قد اكتشفت، والقبور التي خلفها الذين عاسوا في عصر موسى بفلسطين أيضا قد فتحت واكتشفت محتوياتها جميعا، فلم يعثر في جميع هذا على دليل واحد أو إشارة بسيطة تخبرنا عن وجود ما يسمى بأمة

يهودية أو سعب يهودي في تلك الأيام مطلقا. فإن كل ما يتعلق بهذه الأمة المزعومة غير موجودة في فلسطين لا في المقابر، ولا على النقود، وكأن كل سي قد تبخر بفعل السحر»(١٠٠).

هرتزل ودولة إسرائيل

أول من قام ببدء الحركة الصهيونية كحركة سياسية في الفرن التاسع عسر هو تيودور هرتزل، حيث يعتبر وم صدور كتابه «الدولة اليهودية» يوم ميلاد الحركة الصهيونية.

وهذا الكتاب في الأصل رسالة وجهها إلى أدمون روتشيلد وعموم أفراد أسرته النرية التي كانت مشاريعها التجارية منتشرة في أنحاء المعمورة ملتمسا منهم إنقاذ السعب اليهودي من أحدات الضغط والاضطهاد. وكان هذا الكتاب هو حجر الزاوية في تحقيق الحلم الذي كان يتساور إلى ذهول هرتزل وغيره من زعهاء الصهاينة.

وانتقل بعد وضع هذا الكتاب إلى مرحلة عملية، فعقد مؤتمرات الصهاينة، ويدل على جديته ما قال في افتتاح مؤتمر بال بسويسرا الذي انعقد عام ١٨٩٧م:

«إننا اجتمعنا هنا لنضع حجر الأساس في بناء البيث الذي سوف يأوي إليه اليهود». وركز على نلاث نقاط منذ أول يوم:

- ١ _ تشجيع حركة هجرة منظمة إلى فلسطين على أوسع نطاق.
- ٢ _ السعى المتواصل للحصول على اعتراف دولي بشرعية توطين اليهود في فلسطين.
 - ٣ _ إقناع كافة اليهود بالفكرة الصهيونية .

يقول هرتزل نفسه: لو أردت أن ألخص مؤتمر بال في كلمة واحدة لقلت: «في بال أسست الدولة الصهيونية، وبعد خمسين سنة على وجه التأكيد سيرى هذه الدولة جميع الناس».

وحاول هرتزل لإغراء السلطان عبدالحميد بخمسين مليون جنيه إذا ما سمح لليهود بأن يستوطنوا في فلسطين في ظل الحكم العثهاني، غير أن السلطان فد رفض الاقتراح في صرامة المؤمن وصراحة السياسي المحنك، بقوله:

«إني لا أستطيع أن أتخلى عن سبر واحد من الأرض، وإنى لا أستطيع الموافقة على تسريح أعضائنا وأنا على قيد الحياة».

وبعد ما باءت جهود هرتزل بالفشل في إغراء الدولة العيانية توجه إلى الغرب، وأجرى الاتصالات مع القادة البريطانيين، وحملهم على تأييد المخطط الصهبوني. والدوافع التي حفزت بريطانيا إلى مساعدة الصهبونيين في تنفيذ أهدافها هي تتلخص فيا يأتي:

- ١ _ رغبة بريطانيا في استالة العناصر الصهيونية في سائر أنحاء العالم.
- حعل فلسطين المتاخمة لعناة السويس وذات الأهمية الاستراتيجية البالغة منطقة نفوذها
 إلى مستعمراتها.
 - ٣ _ إيجاد مركز استراتيجي لها في العالم العربي.

وتحقيقا لهذه الأهداف أقامت بريطانيا أولا حكومة منتدبة، وبذلت قصارى جهودها لتنريد العرب الفلسطينيين وضغطهم وترجيح كفة اليهود، إلى أن وضعت مسروع تقسيم فلسطين، وأخيرا وافف الأمم المتحدة على مشروع التقسيم، رافضة جميع المبادئ الدولية الأساسية، وفي منتصف ليلة ١٥ أيار ١٩٤٨ غادر المندوب السامي البريطاني ميناء حيفا معلنا نهايذ الانتداب البريطاني، وفور ذلك أعلن اليهود قيام دولة إسرائيل، وقد اعترفت بها الولايات المتحدة بعد إحدى عشرة دقيقة من إعلان قبامها.

هكذا عمل الاستعار لخلق دولة ليس لها من مقومات الدولة شيئ. وليست هي إلا صورة بسعة للاستعار الصهيوني الحاقد في أرض عربية، بعد تسريد أكنر من مليون عربي من وطنهم السرعى.

مطامع الصهيونية وأهدافها الاستعمارية

الصهيونية كحركة دينية سياسية تهدف منذ نسأتها الاستيلاء على فلسطين، وتوطين اليهود فيها، وإعادة تشييد هيكل سليان مكان المسجد الأقصى المبارك، وجعل دولتهم تمتد من الفرات إلى النيل، والسواهد على ذلك كنيرة، من أهمها:

البخص اقتراح الرحاله اليهودي استودي هابرستي أن غند الدول اليهودية من شمال اللاذقية، ثم تتجه جنوبا بشرق مارة بحهاة فقلعة الحصن فبحيرة طبرية، تم محاذية لنهر الأردن حتى جنوبى البحر الميت، ثم متجهة غربا إلى البحر المنوسط.

- ٢ _ وجدت في خزانة روتسيلد خارطة كتب عليها مملكة إسرائيل، تضم هذه الخريطة فلسطين، والأردن، وسوريا، ولبنان، ووسط العراق وجنوبه، وصحراء سيناء، ودلتا النيل، والمدينة المنورة، والأراضى الواقعة في شهالها بين بني قريظة وبني النضير وخيبر.
- جاء في كتاب للحاخام ايزاكس نشره عام ١٩١٧م، تم قدمه في مؤتمر الصلح المنعقد في
 فرساى عام ١٩١٩م:
- لقد حان للعالم أن يعرف ما هي الحدود الحقيقية لدولة إسرائيل، زاعها أن هذه الحدود يجب أن تمتد من عينتاب شهالا إلى جنوبي البحر الميت، مشتملة على فسم كبير من تركيا ومعظم سوريا، وجميع الأراضي اللبنانية والفلسطينية.
- قدمت المنظمة الصهيونية العالمية مذكرة إلى مؤقر الصلح في فرساي بتاريخ ٣ شباط عام ١٩١٩م، تطالب فيها باحتلال جميع الأراضي الفلسطينية، مضافا إليها لبنان الجنوبي والقسم الجنوبي الغربي من سوريا وأراضي الضفة الشرفية من الأردن حتى بادية الشام، كما طالبت هذه المذكرة بجزء من الأراضي المصرية.
- ۵ _ جاء في كتاب الدكتور هوزين الذي طبع عام ۱۹۳۹ : «يجب أن يهاجر يهود أوربا الشرقية البالغ عددهم بضعة ملايين إلى فلسطين، ويحتلوا ضفتي الأردن، ويؤسسوا دولة يهودية صرفه، ئم تتوزع الهجرة ببن البلدان العربية المجاورة.
- رد في كتاب «فلسطين اليهودية» للنائب العام في فلسطين زمن الانتداب:
 «إن البلاد التي وعد اليهود بها في التوراة من البحر المتوسط حتى الفرات، ومن لبنان حتى النيل، هي البلاد التي منحت للشعب المختار».
- لا من الخارطة التي ساهدتها إحدى المبشرات في عام ١٩٤٣م للإمبراطورية اليهودية
 المقبلة كانت تشتمل على فلسطين بكاملها، والأردن، وسوريا، ولبنان، وقبرص أيضا.
- ٨ _ ألقى ابن غوريون خطابا في القدس المحتلة في ١٩ أيار عام ١٩٤٤م قائلا: إن خريطة فلسطين الحالية إنما هي خريطة الانتداب، وللشعب اليهودي خريطة أخرى يجب على الشباب اليهود أن يحقفوها، وهي خريطة التوراة التي جاء فيها: «وهبتك يا إسرائيل ما بين دجلة والنيل».
- ٩ ـ الصهيونيون يستخدمون اليوم اصطلاح دولة إسرائيل مكان أرض إسرائيل، وهو يحمل
 في طياته نية التوسع.
- ١٠ _ كل الدلائل تشير إلى أن الصهيونية تهدف سائر الأقطار العربية، وأن مهمة الصهيونية

لم تنته بخلق دولة إسرائيل أو اغتصاب أراضي فلسطين، بل إنهم يتشبعون منذ عام ١٩١٧م بتملك حوران في جنوب سوريا، واقترحت مذكرة المنظمة الصهيونية إلى المؤتمر الأعلى لمجلس الصلح عام ١٩١٩م، وجوب ضم جبل حرمون وجنوبسي لبنان إلى فلسطين.

وعندما استثنى كتاب تشرسل الأبيض في عام ١٩٢٣م شرق الأردن من فلسطين اعتبر الصهيونيون ذلك خسارة فادحة بالنسبة إلى قضيتهم يعلق وايزمان على ذلك في سيرته: لقد اعتبر كتاب تشرشل الأبيض عاملا خطيرا في تقليل تصريح بلفور، حيث فصل شرق الأردن عن منطقة النشاط الصهيوني.

في ضوء هذه الحفائق يمكننا أن ندرك أبعاد الخطر الصهيوني واستمرار الفكرة التوسعيه. وإذا نظرنا إلى المستقبل على ضوء تفهم الماضي لتوصلنا إلى ما ترمي الصهيونية العالمية متسترة ببعض المبادئ التقليدية ومتآمرة مع الدول الاستعارية الأمريكية والأوروبية.

الصهيونية وفكرة إسرائيل الكبرى

منذ أن فامت دولة إسرائيل في قلب الوطن العربي قبل نلاتين عاما لم تزل فكرة إسرائيل الكبرى تصاحب الزعاء الصهيونيين، وقد حققت الدولة الصهيونية بعض النجاح في معارك ١٩٥٦ في توسيع حدودها، واحتلال الأماكن التي ظلت تحت الحكم الإسلامي العربي طوال القرون، فارتسخت الفكرة في صلب الصهيونية، وازدادت مطامع الكيان الصهيوني، فلا نواجه اليوم حدوث دولة يهودية في رقعة صغيرة من وطننا، بل نواجه التحدي الكبير الذي يهدد كيان الدول العربية من فكرة إسرائيل الكبرى التي تهدف ابتلاع مواقعنا الاستراتيجية وأجزاء وطننا الحقيقية بأجمعها، وذلك باسم التحرير والاستقلال. وهذه الظاهرة تتطلب منا أن نقوم بالتصدي الكبير الذي يقف بوجه تحدي الصهيونية الخطر، إذ لابد أن تتساورنا المخاوف من خطة إسرائيل الثانية التي ترمي إلى تحقيق المكاسب الإقليمية والأطاع تتساورنا المخاوف من خطة إسرائيل الثانية التي ترمي إلى تحقيق المكاسب الإقليمية والأطاع تلاتين عاما من صدور فرار التقسيم الأول عن الجمعية العامة للأمم المتحده ١٩٤٧م.

ولا يمكننا أن ننخدع بالاعتقاد بأن إسرائيل تنوي التخلي عن أطماعها التوسعية التي

تتذرع بها من وراء ستار المطالبة بحدود آمنة ودائمة، بل إن الواقع يؤكد لنا صدق النــوايا الصهيونية لتحقيق مشروع إسرائيل الكبرى بشتى الوسائل، ومها تعددت الصيغ والحلول.

ومنذ أن ظهرت حركة إسرائيل الكبرى إلى المسرح العلني كانت فاتحة حركة جديدة، فيل: إنها رفعت شعار كل شيء، بمعنى المطالبة بكل شيء لنا.

وسرعان ما تحركت حركة إسرائيل الكبرى هذه إلى قوة هائلة ومنظمة على المسرح السياسي الإسرائيلي، فبعث المزيد من الثقة والحماسة في نفوس الطامعين بضم الأراضي المحتلة، والتقت مع مزايدات الزعماء التوسعية على صعيد واحد، نم كان فتوى الحاخام الأكبر بتكفير كل من يتخلى عن سبر واحد أو ذرة واحدة من الأرض الموعودة، وتصريح وزير السؤون الدينية في إسرائيل آنذاك زراخ فارها بنتغ بقوله:

«ها قد عدنا إلى أرضنا، ومن الآن إلى الأبد».

ومنذ ذلك الوقت أصبحت إسرائيل جوقة توسعية مرتفعة الأصوات، وانصرف رجال السياسة وزعاء الأحزاب إلى كسب تأييد الناخبين، محتجين بإصحاحات التوراة وآياتها لكي يبرهنوا على مزاعم إسرائيل وادعاءاتها التاريخية في شبه جزيرة سيناء وفطاع غزة ومرتفعات الجولان السورية والضفة الغربية للأردن (١٠٠).

فإن فكرة إسرائيل الكبرى التي تؤمن بها الصهيونية، والتي تسعى دولة إسرائيل المزعومة لتحقيقها، تبتنى على خطة ابتلاع كافة الأراضي العربية.

وتمسيا مع هذا المبدأ التوسعي، وتنفيذا لهذا المخطط الصهيوني دائها، يفكر زعماء الصهاينة في توسيع حدود إسرائيل، فتخرق القوات الصهيونية خطوط الهدنة متسترة بمصطلح «الحدود الآمنة» بتشجيع من جماعة الحاخامات والزعماء السياسيين.

وإن كتاب آر، كى، كرنجيا «خنجر إسرائيل» وحده يكفى لتقدير جسم الصهيونيين وجوع بقرهم الأرضي، حيث إنهم لايزالون يحاولون خرق الحدود للدول المجاورة رافضين كل القيم والمبادى الأخلاقية والقوانين الدولية، ومستهينين بقرارات الأمم المتحدة التي أصبحت لعبة في أيدى الدول العملاقة.

والحدود السياسية للدولة لها قيمة لا تنكر، وما أصدق تعبير اللورد كبروزون في كتابه «الحدود»: «الحدود كنصل موسى، يتوفف عليها نسوب الحرب أو استقرار السلم، وحياة السعوب أو فناؤها».

فعند كل اقتراحات الحلول والتسويات ينبغي لنا أن ندرك خطورة الحدود، وما لها من أهمية في حياة الأمم.

كانت إسرائيل تملك ٢٠٧٠٠ كيلو متر مربع، واحتلت في عدوان عام ١٩٦٧م أربعة أضعاف مساحة إسرائيل، فأصبحت مساحتها نحو ٨٧ ألف كيلو متر مربع. (راجع صحيفة الدستور الأردنية ١٤ أذار عام ١٩٦٨م).

غير أن كل الدلائل تسير إلى أن أطهاع زعهاء الصهابنة والخامات الإسرائيليين لم تكتمل بعد. نظرا إلى ذلك ينبغي لنا أن نكون على حذر دائها من عدونا.

نكبة فلسطين والشعب العربى الطريد

إن النكبة التي حلت بالعرب الفلسطينيين إتر قيام دولة إسرائيل ألجأت أكثر من مليون عربي إلى أن يتركوا وطنهم النسرعي، ويعيشوا حياة الجلاء، ولم يحدث ذلك اعتباطا، ولم يكن ليحدث باختيارهم، إذ لا يتصور أن تترك أغلبية المواطنين في قطر معين بلادهم لأقلية دخيلة، غير أن هذا الحادث الغريب قد وقع في فلسطين بمرأى من العالم ومسمع، وتحت مؤامرة القوى العملاقة نفسها، وأصبح الشعب الفلسطيني مشردا مضطهدا يعيش في جو وحشي إجرامي، ولايزال يعانى أنواعا من الويلات على أيدى الغاصبين الغاشمين.

وكل من يستعرض تاريخ دولة إسرائيل المزعومة يصدق الدكتور الصهيوني أوسكار ليفى في قوله:

«نحن (اليهود) لسنا شيئا إلا مفسدي العالم ومدمريه، ومحركي الفتن فيه، وجلاديه». (بروتوكولات حكهاء صهيونيون ص ٤٥).

إن الجرائم اللاإنسانية التي يرتكبها الصهاينة، والأعمال الوحشية والأساليب غير

الشريفة التي تتخذها وتمارسها القوات الإسرائيلية مع الشعب الفلسطيني يندى لها جبين الإنسانية حياء، وأحداث التنكيل بالعرب نهز ضمير كل إنسان. هذه هي الحقيقة التي دفعت المؤرخ العالمي الشهير آرنولد توينبي البريطاني إلى أن يقول بصراحة وصرامة:

«إن جرائم النازية ضد اليهود أقل انحطاطا إلى الدرك الأسفل من جرائم اليهود ضد الأبرياء العرب».

راجع كتابه فلسطين جريمة ودفاع طبع دار العلم للملايين، بيروت

ولا تحتاج هذه الحقيقة إلى التدليل أو البحث والاستفاضة، فإن ما اعترف به الكتاب الأجانب، وما أعدوا من مراجع ووتائق، فيه غنى وكفاية، غير أن الشي الذي يهم المسلمين جميعا هو التوتر الذي تشهده هذه القضية، وهزلنا بإزاء جدية الأعداء في التخطيط والمارسات وفي كل شي .

وقد أصبح من المعروف لدى الجميع أن فلسطين والقدس، والأقصى والأراضي كلهما ضاعت بين أطماع الدول الاستعمارية وبعض الدول العربية، وقام خنجر إسرائيل في قلب الأمة الإسلامية.

ورغم أننا نملك قوة استراتيجية هائلة، نملك الذهب الأسود الذي يدور حوله رقى الاقتصاد العالمي، والذي يدوّر عجلات الإنتاج في العالم، ونحتل المواقع الاستراتيجية الهامة، غير أننا مع كل ذلك قد أصبحنا لعبة في أيدي العابثين، فبدل أن نهاجم العدو المسترك لا نزال ننهض في المعارك الدامية ضد إخواننا، فالحروب الأهلية قائمة، والخلافات موجودة، ونار الاشتباكات الداخلية مستمرة، مع أن العدو الغاشم يجثم فوق صدورنا، ويسلب منا أرضا تلو أرض، ونحن نتخلي عن منطقة بعد منطقة.

inverted by fire combine - (no stamps are applied by registered version

الحواشسي

- (١) راجع فتوح البلدان للبلاذري ، دار النشر للجامعيين .
- (۲) عمر رشدى . الصهيونية وربيبتها إسرائيل ، ص : ۷۸
 - (٣) نفس المصدر، ص ٨٥.
- (٤) محمد عوض محمد : الاستعار والمذاهب الاستعارية ، القاهرة ، ص ١٤٧
 - (٥) ابلين بني : أزيلوا إسرائيل ص ٦٠،٦٠
 - (٦) من الفكر الصهيوني المعاصر ، بيروت ، ص ٣٩
 - (٧) قسطنطين خمار: الموجز في تاريخ القضية الفلسطينية ، ص ١٥
 - (٨) نفس المصدر، ص ٤٨، ٤٩
 - (٩) راجع : فلسطين والغزو التترى الجديد ، ص ٥ ، ٦
 - (۱۰) أسعد رزوق: إسرائيل الكبرى ، ص ٦٤٤

000

onverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عروبة الاماكن والبقاع فى فلسطين قبل دخول بنى اسرائيل

محمو د العابدي



حضارة ايبلا:

في سنة ١٩٧٤ بدأت بعنة آنار إيطالية أعهال الحفر والتنقيب في تل مرديخ على بعد سبين ميلا من حلب، فعثرت على أهم الكنوز الأثرية في جميع حفريات العالم، عندما وجدت مكتبة ضخمة تضم منات الألوف من الألواح الطينية المكتوبة باللغة العربية الأولى ـ التى تعرف خطأ باللغة السامية ـ اللغة التي كانت شائعة في غربي آسيا في قرني الهلال الخصيب في العراق والشام طوال عصر حضارة دويلا أيبلا ٢٤٠٠ ع. ٢٢٥٠ ق. م. ولقد كتب على هذه الألواح دروس لتعليم طائفة من كهنة المعبد، ولتخريج أفواج من موظفي الدولة، بالإضافة إلى المعاملات التجارية التي شملت هذه المرقعة من العالم الذي كان معروفا، يضاف إليه بلاد أسيا الصغرى وجزيرة قبرص. ومن أهم المدن التي كانت دولة ايبلا تتاجر معها مدن فلسطين القدس (أورساليم) وغزة ومدن اندترت ولم يعد لها ذكر؛ ومن الأسهاء عابر وداود وسليان، ومن العادات دهن جسم الملك بالزيت عند تنصيبه، ومن المعبودات داجون الذي صور على جسم العادات دهن بسم الملك بالزيت عند تنصيبه، ومن المعبودات الكنعانين.

حفريات رأس شمرا:

للشهال اللاذقية على الشاطئ السوري أجرت بعنة أنرية فرنسية حفريات في موقع رأس شمرا، استمرت ١٩٢٩ ـ ١٩٣١م، وأهم ما وجد فيها حروف هجائية، أكب العلماء على قراءتها، فتمكنوا من معرفة وقييز ٢٧ حرفا، ومقابلتها مع الكلمات السامية (والأصح العربية القديمة)، ولم يبق إلا حرف واحد. وبذلك تمكن العلماء من معرفة لغة كاملة لها قواميس واضحة وكافية، وهي تعود إلى أتفين قبل الميلاد، وامتدت حتى القرن الثامن قبل الميلاد، عندما خلفتها الحضارة الفنيقية أو الكنعائية الحديثة. وفي الحقيقة أنها الوارثة لحضارة ايبلا في كلماتها وخطوطها وأسمائها وعاداتها ومعبوداتها. واتضح أن الكثير مما كان يظن أنه أول ما ورد في التوراة أصبح الآن معروفا قبل ذلك بعدة قرون.

الخليل إبراهيم:

حوالي سنة ١٩٥٠ ق. م عبر إبراهيم أو ارتحل ما بين النهربن إلى بادية السام – إلى حاران مم غرب نحو أرض كنعان، وضرب خيامه في مدينة شكيم (نابلس القدية). وتقول التوراة إنه أفام فيها مذبحا. ولفد اكتشفت بعبة أميركية صفحة من الصخر بحجم الناقة، ونصبتها أمام الزوار مشيرة إلى أنه مذبح إبراهيم. ثم والى إبراهيم العبراني أو البدوي تنقلاته جنوبا مع مواشيه ورعاته واتباعه إلى أن ضرب خيامه في بيت إيل (إله الكنعانيين). ثم والى ترحاله إلى أن ضرب خيامه في مشارف مدينة (أورشاليم) عاصمه اليبوسيين (الكنعانيين). وبناء على رغبته رحب به كاهن المدينة واسمه (ملكي صادق)، واستضافه في مخدعه بالغار الذي بنيت عليه قبة الصخرة. ولدى البحت بين الضيوف والمضيف قدم إبراهيم عشر غنائم الحرب التي كان قد غنمها – قدمها لملكي صادق واثلا: إنه كوهين «إبليوم عليوم»، أي كاهن الله العلي، وكاهن تعني اليوم كلمة نبي التي لم يعرفها العبرانيون حتى تعلمها موسى من الله العلي، وكاهن تعني اليوم كلمة نبي التي لم يعرفها العبرانيون حتى تعلمها موسى من عليه ابنه مدين العربي. ولقد اعترف إبراهيم بقدسية مذبح ملكي صادق، وشرع يضحي عليه ابنه حسب رواية التوراة. ومعنى هذا أن صخرة أورشليم أو بيت المقدس كانت مقدسه فبل إبراهيم.

قرية أربع:

والى إبراهيم ترحاله كعادته حتى وصل إلى الرامة قبل وصوله إلى قرية أربع (الخليل القديمة). وتقول مصادر التاريخ: إنها كانت بلدة أربع بن عناق، فهي مدينة العناقيين الذين سهاهم العبرانيون باسم الجبابرة لشدتهم في الحروب. وكانت القرية تتكون من أربعة أحياء كل حي منها مخصص لواحد من أبناء عناق الكنعاني، أي العربي القديم. ومن أسهائها التي كانت معروفة فبل وصول إبراهيم إليها «حبرون» أو «حبرى»، (أي الصاحب أو الخليل)، وبقيت معروفة بهذا الاسم إلى ظهور الدعوة الإسلامية عندما أقطعها النبي صلى الله عليه وسلم لتميم الداري، وسمى أسهاءها الأربعة ـ حبرى والمرطوم وبيت عينون وبيت إبراهيم.

ولما ماتت زوجته سارة سمح له عفرون الحني بأن يكفلها (يدفنها) في مغارته. واستمر في ترحاله ما بين حبرون وبير السبع حتى أدى به التطواف إلى مصر، ولكنه أخرج منها، وعاد

ليمضي بقية حياته فيها، ودفن بجانب زوجته في (مكفيلة) الحشي. ولما مات إسحق بن سارة دفن هو وامرأته بقرب أمه وأبيه.

ولما كان يعقوب راجعا من مراعي بلاد حران مر بمدينة سكيم فحسدها على نجاحها، ودبر أبناؤه مكيدة لتخريبها ونهبها وذبح رجالها، وبعد فعلة بني إسرائيل هذه استمروا في سيرهم نحو الجنوب حتى مروا من بيت إيل (بيتين)، حيث ناجى يعقوب ربه، ووالى رحيله إلى الجنوب حتى وصل إلى أورساليم. وفي منامه رأى (إيل) إله الكنعانيين يخاطبه باسمه الجديد «إسرائيل».

هجرة بنى إسرائيل إلى مصر:

عاش إبراهيم وابنه إسحق وحفيده يعقوب في أرض كنعان معيسة الترحال أو البداوة، وعندما أجدبت هذه البلاد هاجر (يعقوب) وأبناؤه إلى مصر، حيت عاسوا في كنف ابنهم (يوسف) الذي تبوأ مركز مرموقا في حكومة ملوكها الغرباء (الهكسوس)، إلى أن نارت مصر على حكامها الغرباء، وصبت نقمتها على بني إسرائيل عملاء الهكسوس واضطهدوهم، لذلك أخذوا يفرون من هذه الحياة التي أصبحت لا تطاق، تدفقوا على البادية السورية مخربين مدمرين، ولدينا ونائق. تسجل هذه الفترة وهي المعروفة باسم «رسائل تل العارنة» التي يتضح منها أن تحوتمس الثالث أول فرعون مصري كون إمبراطورية، وذلك بافتتاحه بلاد فلسطين وفينيقيا وسورية، وأضافها إلى المملكة المصرية. ولقد وضع تقليدا اتبعه من أتى بعده من الفراعنة، خلاصته إبقاء حكام البلاد المفتوحة فيها على شرط أن يرسلوا له أبناءهم وبناتهم ليتربوا في قصر فرعون، وينشأوا على حبه وطاعته والاعتراف بفضله، وفي وجودهم لديه أحسن طبان لولاء أبنائهم. أما الشرط الثاني فهو أن يرسلوا له الجزية بما تنتجه بلادهم من الحبوب والخبور والجواري والعبيد.

واستمرت الإمبراطورية المصرية ناجحة في إدارة مستعمراتها في غرب آسيا حتى قام فرعون بالإصلاح الديني، وذلك بتغير المعبود من آمون إلى آتون. وهنا نار عليه كهنة معابد آمون ونغصوا عليه حياته. وانصرف لإخضاعهم عن الاهتام بشؤون المستعمرات في غربي آسيا، واغتنم الفرصة بعض أصحاب الطموح، فقاموا بمضايقة حكامه في فلسطين، وضيقوا عليه، وأخذ هؤلاء الحكام يرسلون إلى فرعون رسائل يطلبون فيها إرسال جنوده للدفاع عن

بلاده وقطع دابر الفساد، ولكن الفرعون كان مشغولا بالثورة الداخلية، ولذا فإنه لم يستطع الاستغناء عن أي عدد من الجنود. وكان يقول: نحتفظ بهذه الرسائل حتى تتحسن الأحوال. وأخذت هذه الرسائل تتجمع في ملحق بمكتبه في بلدة (تل العارنة) على بعد (١٨٠) ميلا للجنوب من القاهرة. وكانت الرسائل مكتوبة بلغات كثيرة أهمها اللغة البابلية وبالخيط المسارى. وبقيت هذه الرسائل مدفونة تحت الأنقاض حتى وجدت إحداها فلاحة من قرية تل العارنة، بينا كانت تجمع روث الحيوان لتتخذ منه وقودا. ولما وصلت هذه الآجرة أو اللوحة إلى علماء الآثار، وقرأوا ما كتب عليها ١٨٧٧م أخذوا يشجعون القروبين على إحضار ما يمكنهم إحضاره منها بأسعار مغرية. وبهذه الطريقة جمعوا نحوا من ثلاثائة لوح، بعضها بيضوي الشكل، وبعضها مستطيل بقياس ٢٠ × ٦٠ سم.

عرفنا منها رسالة بعث بها حاكم القدس واسمه (عبدي حبيه)، أي العبد الحبيب، جاء في رسالته: «إن العابير و يستولون على مدن الملك، ولم يبق لمولاي حكام هنا... كلهم هلكوا».

وهنالك رسالة من حاكم عكو (عكا) يقول فيها: «لقد زحف علينا الحثيون من الشهال جاؤوا من آسيا الصغرى، والعبيرى (يمكن العربان) قدموا من بلاد الجزيرة العربية. أنجدنا أيها الفرعون وإلا هلكنا».

وفي مدن مجدو وتعنك جنوبي حيفا قام الكنعانيون بالثورة على حكم مصر للتخلص منه والاستقلال في بلادهم وجاء في رسالة أمير مجدو: «إلى استار واسور من أمان أنير الذي حفظ حياتك إلى اليوم، أرسل قواتك مع مركباتهم، وابعث حصانك وجزيتك وهداياك وكل الأسرى الذين تحت أمرك ابعثهم إلى مجدو». هذه الرسالة وجدها المنقبون في خرائب تعنك، وهي رسالة من ضابط في مجدو وإلى المدينة.

ووجدت بين خرائب لاخيش (خان الدوير بين الخليل وغزة) رسالة كتبها واليها بالبابلية، قال فيها: «إذا لم ترسل جيش مصر بالعجل تضطر المدينة للتسليم للغزاة».

كانت أورشليم (القدس القديمة) إحدى المدن الأخيرة التي قاومت الغزاة مدة إلى أن تغلبوا عليها، فكتب الضابط الوطني المسمى (عبدي حبية) قال: خربت مدنهم، بلادهم ماتت جوعا، هم يعيشون كمعزى الجبل. وبلغ سوء الحال لدرجة أن قوافل الملك تحت أسوار المدينة،

ثم خرب الثوار أريحا وبيت مرسيم، ونهبوا الهيكل المصري في لاخيش، ودمروا الحصن المصري في غزة.

وفي رسالة أخرى من عبدي حبيه إلى الفرعون أخناتون قال فيها:

«... حتى لا تضيع جميع أراضي جلالتك التي ثارت عليّ، أما إقليم شيوى الواصل إلى جنتي كرمل فقد شق عصا الطاعة علي، وكذلك فعل أمراؤه. لقد كانت سفن جبيل المساعد القوي في بسط سلطتك على بلاد ما بين النهرين... أما الآن فقد احتل العابيري بلاد فرعون، ولم يبق لسيدي وال مطيع، إذ عصاه الكل ليحرص الملك على قطائعه من بلاده وليرسل المد، لأنه إذا لم يصل جنود هذه السنة ذهبت ممتلكات الفرعون سدى وأنا وإخوتى كي نموت مع سيدنا الملك.

وفي رسالة أخرى طلب من عيدي حبيه أمير القدس إحدى وعشرين فتاة من أبكار بلاده يمتع بهن ردخه في قصره الفرعوني.

الخسروج :

أوعزموسى إلى قومه بني إسرائيل بالحروج من مصر على دفعات صغيرة، تتألف كل دفعة من ٥ ــ ٧ أشخاص.

وفي خلال ثلاث سنين تكامل عددهم في «كفار عصبون» في مكان العقبة الحالية، حيث عاشوا نحوا من اثنى عشر عاما. وكان كلما طلب منهم الاستعداد للتوجه إلى أرض كنعان التي ادعوا بأن الله وعدهم بها كان الذعر يملأ قلوبهم ـ وهم جيل الذل والعبودية ـ ولما ينس من هذا الجيل توجه بهم إلى أرض مدين، بلد شعيب النبي العربي، الذي كان موسى قد تزوج اثنتين من بناته، وهناك عاشوا في حماية شعب مدين خسا وعشرين سنة، مات في خلالها الجيل السابق، ونشأ جيل بادية وحرب، ولكنهم كانوا قد فقدوا كل ما كان الآباء يعلمون من علم مصر وحضارتها، وحتى إنهم انقطعوا عن مزاولة عبادتهم الخاصة بهم.

من بلاد الكنعانيين:

ولما اقترب موسى من أرض كنعان أرسل رجلا من كل سبط من أسباط إسرائيل الاتنى عشر، يتجسسون أخبار البلاد التي هم متوجهون إليها، ولما عادوا قالوا له: إنها تفيض لبنا وعسلا، لكن فيها جبابرة لا قبل لهم بهم.

قال لهم: «انظروا إلى الأرض ما هي، والشعب الساكن فيها أقوي أم ضعيف، قليل أم كبير، وكيف هي الأرض التي هو ساكن فيها أجيدة أم رديئه، وما هي المدن التي هو ساكن فيها أخيات أم حصون، وكيف هي الأرض أسمينة أم هزيلة، أفيها شجر أم لا، وتشددوا فخذوا من تمر الأرض».

«فصعدوا وتجسسوا الأرض من برية صين إلى رحوب، وصعدوا الى الجنوب وأتوا إلى حير ون، وكان هناك بنو عناق... وأتوا إلى وادي إسكوال، وقطعوا من هناك زرجونة بعنقود واحد من العنب، وجملوه بالدقرانة بين اثنين مع شيء من الرمان، نم رجعوا من تجسس الأرض بعد أربعين يوما»(١).

وكان جوابهم لقائدهم ونبيهم موسى: «ذهبينا إلى الأرض التي أرسلتنا إليها، وحقا إنها تفيض لبنا وعسلا، وهذا نمرها، غير أن السعب الساكن في الأرض معتز، والمدن حصينة عظيمة جدا، وليس لنا طاقة على حربهم».

إلا أن اننين من رجال البعنة يشوع وكالب قالا: بل في طاقتنا حربهم. فرفعت كل جماعة صوتها وصرخت، وبكى السعب تلك الليلة، وتذمر على موسى وعلى هارون جميع بنسي إسرائيل، وقال لهما كل الجهاعة: ليتنا متنا في أرض مصر أو ليتنا متنا في هذا القفر. ولماذا أتى بنا الرب إلى هذه الأرض لنسقط بالسيف، تصير نساؤنا وأطفالنا غنيمة، أليس خير لنا أن نرجع إلى مصر؟ فقال بعضهم لبعض: نقيم رئيسا ونرجع إلى مصر.

كانت برية بير السبع أو النقب أول ما يجب أن يعبره بنو إسرائيل، لكن سكانه منعوهم من دخول بلادهم، فاضطروا إلى السير شرقا مجتازين وادي عربة، إلى بلاد آدم لكن الآدوميين رفضوا أيضا أن يسمحوا لهم باجتياز بلادهم، مما أجبرهم على مواصلة السير شرقا وراء الجبال إلى تخوم البادية مما وراء نهر الموجب إلى ما يقارب موقع العقبة، نم اتجهوا شها لا حتى دخلوا

وادي اليتم (وادي الإثم) الذي لاقوا في اجتيازه الأهوال، ولم يتنفسوا الصعداء إلا بعد أن وصلوا إلى أرض الحسمي إلى الشرق من موقع مدينة معان الحالية مبتعدين عن الوديان العميقة، حتى اصطدموا بالمؤابيين، ولما فرغوا منهم جابهوا مقاومة حسبون بقيادة ملكها سعون، واستمروا في زحفهم حتى حاربوا العمونيين في ربتهم (عان الحديثة). وفي الجنوب الغربي وعلى ربى الجبال المطلة على الغور مات موسى وتولى القيادة يضوع.

أول مظاهر الاغتصاب :

هنا تلا عليهم يشوع ما جاء في سفر التنبية، وهي توراة موسى على لسان إلههم الخاص المسمى يهوه، فقال: «مدن عظيمة حسنة لم تبنوها، وبيوت مملوءة بكل خير لهم تملأوها، وصهاريج محفورة أيضا لم تحفروها، وكروم وزيتون لم تغرسوها... أنا الرب إلهك يدخلك أرضا صالحة ذات أنهار وعيون تتفجر في غررها ونجدها، أرض حنطة وشعير وكرم وتين ورمان، أرض ريت وعسل، أرض لا تأكل خبزك بتقتير ولا يعوزك فيها شيء، أرض حجارتها الحديد ومن جبالها تقطع النحاس. إنك جائز إلى الأردن لتدخل وتملك أمما أعظم منك ومدنا عظيمة ومحصنة للسهاء. إذا أدخلك الرب إلهك الأرض التي أنت سائر إليها لترتها، أبسل واستأصل أمما وجهك الحتيين والجرجاشيين والآموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليابوسيين، سبع أمم أعظم وأكتر منك، وأسلمهم الرب إلهك، وضربتهم فأبسلهم إبسالا (أهلكهم)، لا تقطع معهم عهدا، ولا تأخذك بهم رأفة، ولا تصاهرهم ابنتك، لا تعطيها لابنه وابنته لا تأخذها لابنك، لأنها تغوي ابنك عن اتباعي، فيعبد آلهه أخرى، فيشتد غضب الرب عليكم ويبيدكم سريعا، بل تقضون مذابحهم، وتكسرون أصنامهم، وتقطعون غاباتهم، وتحرقون تماتيلهم بالنار، لأنك شعب مقدس للرب إلهك، واختارك أن تكون له أمة خاصة من وتحرقون تماتيلهم بالنار، لأنك شعب مقدس للرب إلهك، واختارك أن تكون له أمة خاصة من جميع الأمم التي على وجه الأرض».

لقد كان في هذا الكلام دافع كبير لبني إسرائيل لاستعال أقسى الطرق وأعظم أنواع السدة في تقتيل أهل المدن والقرى التي كانت تتهاوى أمامهم بسبب تفرقها وتستيت قواها، هذا وما سجلته نوراتهم عن فظائع الفتح ليجد فيه اليهود في الوقت الحاضر أوضح هداية لما يجب أن يعملوه مع أحفاد بني كنعان.

عواصم اليهود:

استغل يسوع الميل المتأصل في سعبه _ بني إسرائيل _ من حيث اغتصاب ملك الغير، فقسم عليهم أرض كنعان (فلسطين) من جبل السيخ سالا إلى بئر السبع جوبا، وأصبح لكل سبط منطقة خاصة به، يحارب من أجل اغتصابها.

عاشت الأسباط معيسة البداوة حتى استطاع داود أن يغتصب الملك من أبناء سلفه ساول، واتخذ مدينة حبرون (الخليل) عاصمة له مدة سبع سنين ونصف السنة، م جند كل فواه حتى اغتصب مدينة أورسليم اليبوسية وانتقل إليها.

طلب داود من الفنيقيين أن يبنوا له فصرا على جبل صهيون، للغرب من أورسُليم، كها طلب ابنه سليان أن يبنوا له هيكلا لعباده إله إسرائيل، ولقد هدمت مدينة داود، كها هدم هيكل سليان، ولم يبق منها باق على سطح الأرض.

لقد انقسم الإسرائيليون فيا بينهم بعد سليان، وأصبحت أورسليم عاصمة لدولة بهوذا الضعيفة في الجنوب، أما الدولة النانية التي بقيت تسمى إسرائيل فقد جعلت عاصمتها مدينة سكيم (نابلس الفديم)، نم انتقلت منها مسافة ١١ كم للشيال الشرقي، واتخذت بلدة (ترصة) على رأس نبع الفارعة عاصمة لها. ولما أراد عمري ملك إسرائيل توجيه شعبه إلى جهة الغرب بنى على تل الشومر الواقع على ١١ كم للنيال الغربي من شكيم مدينه سياها «السامرة»، وهي المدينة الوحيدة التي بناها الإسرائيليون في طول فلسطين وعرضها. ولما خربت السامرة أعاد بناءها الملك هرودس، وسياها «سبسطية»، على اسم أوغسطس سبسطوس قيصر الرومان، كمل بنى هرودس مدينة في الشيال سياها طبرية، على اسم طباريوس قيصر الرومان.

في وادي قدرون للنرق من القدس وفي أسفل بلدة سلوان تظهر أبنية يظن البعض أنها يهودية، والحقيقة ليست كذلك، فإنها فد أقيمت على الطراز المصري واليوناني والروماني، مع أن السكان أعطوها أسهاء مغلوطة، هي: طهطور فرعون، وهرم زكريا، ومقبرة يعقوب. وليس لليهود فيها أي أبر.

من هذه الدراسات الأنرية نرى أن جميع المواقع والأمكنة في فلسطين عربية قديمة، أضيف إليها بعض المدن في عصر اليونان والرومان فيا بعد، وأغلب المدن الكنعانية في فلسطين

تنسب إلى معبود خاص، فمتلا بيسان _ بيت شاغان _ وهي الحية معبود الكنعانيين، ومنلها بيت دجن نسبة إلى المعبود داجون الذي ظهرت رسومه كجسم سمكة ورأس إنسان، ومنلها ساليم نسبة إلى إله شاليم إله الكنعانيين، م أضيفت إليها كلمة «أور» بمعنى مدينة.

الاستيطان اليهودي في فلسطين :

اعتبر يهود سرقي أوروبا غرباء في دولها، وكانت كل دولة ترجع ما ينسأ فيها من مؤامرات واضطرابات إلى الأقلية اليهودية فيها، لذا أخذت تضطهدها ونحاول الخلاص منها.

وكان رد الفعل عند أغنياء اليهود في العالم العطف على هؤلاء المستضعفين من أبناء ملتهم، مما حملهم على التفكير بإيجاد وطن يجدون فيه الأمن والاطمئنان، واتجهت أنظار زعائهم إلى فلسطين نظرا لما تدعيه اليهودية من صلتها الروحية بفلسطين. وأصبحت الإعانات تدفع لكل من يهاجر إليها ويعيس فيها.

ورأت الزعامة اليهودية أن توجد حيا مستقلا باليهود بجانب كل مدينة عربية كبيرة، فكان حي (مونتيفوري) وحي (ميوشيرم) في القدس، وحي تل أبيب في يافا، وحي هدار الكرمل في حيفا. وكانت أول مستعمرة يهودية مستقلة قد أقيمت سنة ١٨٦٨م في أراضي ملبس العربية، وسموها «بتاح تكفا».

في المؤتمر الصهيوني الأول الذي عقد في مدينة بال بسويسرة سنة ١٨٩٧م اقترح بروفسور سابير و تأسيس صندوق مالي لامتلاك الأراضي في فلسطين، وبعد سبع سنين (١٩٠٤م) صرح المفكر الصهيوني «أوسيسكين» بقوله: «حتى نتمكن من إيجاد طائفة يهودية مستقلة، نم دولة يهودية على أرض إسرائيل، من الضروري أن تكون كل أرض إسرائيل أو معظمها ملكا لليهود، وبدون حق ملكية الأرض لن تكون لإسرائيل دولة ولو كنر سكانها».

واقترح امتلاك الأرض من طرق :

١ ـ سراء الأرض بالاختيار من أصحابها .

٢ _ مصادرة السلطات الأرض اللازمة للكيان اليهودى .

٣ _ امتلاك الأرض بالحرب .

مع مجي الحكومة الإسرائيلية الجديدة برئاسة مناحيم بيغن زعيم كتلة ليكود المعروف عنه تطرفه الواضح إزاء التمسك بالأراضي العربية، تدخل سياسة الاستيطان مرحلة جديدة، تتسم بالتوسع من حيث العدد والمساحة والسرعة في الإنجاز.

فمناحيم بيغن يؤمن _ 19٧٧/٥/١٩ _ بأن المناطق العربية المحتله جزء من أرض إسرائيل، ويدعو إلى الاستيطان فيها،وأن الاستيلاء على الضفة الغربيه في نظره لا بعتبر ضها أو مصادرة، لأن الإنسان لا يضم ما يخصه، وهو لا يعتبر الضفة الغربية مناطق محتلة، وإنما مناطق محررة.

ويبرز بيغن نظرته هذه في تصريح له بتاريخ ١٩٧٧/٦/٢٠م بأن للسعب اليهودي حقا تاريخيا نابتا في أرض إسرائيل، والتي تضم في رأيه الضفة الغربية، ويدعو إلى إقامه مستوطنات جديدة فيا أسماه بأرض الوطن. وهذه النظره الني عبر عنها مناحيم بيغن تسنند على بروتوكولات حكماء صهيون الني تنص في أحد بنودها على ما يلي. «يجب في السياسة أن نعلم كيف نصادر الأملاك بدون أي تردد إذا كان هذا العمل يمكننا من القوة والسيطرة».

أقامت إسرائيل منذ عام ١٩٦٧م وحتى يومنا هذا تلابة خطوط استيطانية في منطقة الضفة الغربية وغور الأردن.

الخط الأول: في الأغوار بمحاذاه الحدود السرقية، أي نهر الأردن والبحر المين والهدف من هذا الخط إيجاد مستوطنات مدنية تساند المستوطنات والمواقع العسكرية الممتدة على تلك الجبهة.

الخط الناني: بقع على السفوح الشرقية لجبال نابلس.

الخط النالت: يقع على حدود الضفة الغربية مع إسرائيل، ويقوم بفصل القرى العربية في سال الضفة عن القرى العربية في منطقة المتلت، وقد أقيمت في الأغوار حتى عام ١٩٧٦م (١٥) مستوطنة زراعية متصلة بسبكة من الطرق الني تمب إقامتها بهدف ربط هذه المستوطنات.

وثيقة يسرائيل كينغ:

اعتبرت هذه الوبيقة، التي سميت بهذا الاسم نسبة إلى واضعها يسرائيل كينغ ـ حاكم

لواء الشهال في وزارة المداخلية الإسرائيلية ـ ونشرتهـا صحيفـة عال همسار بتـاريخ ١٩٧٦/٩/٧م، من أخطر الونائق ضمن المخططات الإسرائيلية لتهويد الأراضي العربية أو الاستيلاء عليها بالاستيطان، وتهدف الوبيقة أو المسروع إلى تستيت الأقلية العربية وتهجيرها في منطفة الجليل، حيث تعيش أكثرية العرب في إسرائيل، ودمج الباقين في المجتمع اليهودي.

ويقترح كينغ في مشروعه لمواجهة هذه النسبة المطردة من العرب توسيع الاستيطان اليهودي في المناطق التي تبرز فيها الكتافة السكانية العربية، ويزيد فيها عدد السكان العرب على عدد السكان اليهود بدرجة تفوق الحد المقبول، ويقترح كذلك تخفيض عدد السكان في التجمعات السكانية العربية القائمة، وتعميق الاستيطان اليهودي.

مخطط غوش إيمونيم الاستيطاني :

تقوم جماعة غوش إبمونيم بتنفيذ مخططات استيطانية في مختلف أنحاء الضفة الغربية، وتركز نساطها بصورة خاصة في منطقة نابلس. وقد عملت هذه الجهاعة على دعم حكومة بيغن، لأنها تعرف بأن بيغن بدعمها ويؤيدها في الاستيطان بسهال الضفة الغربية وفي منطقة القدس.

وقد قامت حركة إيمونيم فورفوزكتلة ليكود في الانتخابات الأخيرة بعقد اجتاع دعت إليه أعضاءها الفعالين من جميع أنحاء إسرائيل، وانخذت عده فرارات، من بينها: توسيع الزخم الاستبطاني في المناطق العربية، وحب الشبان اليهود في الولايات المتحدة على الهجرة إلى إسرائيل والاستيطان فيها.

المستوطنات التي أقامتها إسرائيل في الأراضي العربية المحتلة :

قامت إسرائيل ضمن إجراءاتها في الأراضي العربية في الفترة بين عام ١٩٦٧، وحتى تشرين تاني ١٩٦٦م بإنساء ٣١ مستوطنة في الضفة الغربية، بالإضافة إلى إنساء ١١ حيا يحيط بمدينة القدس. أما في الهضبة السورية فقد أقامت ٢٩ مستوطنة، وفي فطاع غزة وشال سيناء ١٩ مستوطنة، منها ١٤ في غزة، و ٥ شال سيناء.

استلاب أراضي قريتي إقرت وكفر برعم

كانتا أول قريتين تم استلاب أراضيهما عنوة واقتدارا إنر قيام الدولة في إسرائيل، ومع ذلك لم يضعف طول الزمن ولا الأمر الواقع إحساسهما بضرورة النضال من أجل حقوقهما.

وعلى الرغم من كل أساليب القهر التي لابست حكاية القريتين منذ البداية، فلقد ظل السكان صامدين لأكثر من (٣٠) عاما يصرون على حقوقهم، ويناضلون من أجلها مستخدمين كافة الوسائل.

وأخيرا نجحت القريتان في أن تكسب هذا النضال معناه العميق، عندما تظاهر سكان القريتين بين أطلالها المهدمة، ووقع الاستباك بينهم وبين قوات الأمن الإسرائيلي. الذي أسفر عن إصابة (٨) إسرائيليين، تم اعتصموا داخل الكنيسة الموجودة في كفر برعم _ إصرارا على حقوقهم _ على الرغم من اعتقال أربعة عسر سخصا يمتلون قيادات القريتين.

ماذا تحقق لهما ؟

لقد أنمر أيضا نضال القريتين الذي لم تنقطع أنفاسه خلال (٣٠) عاما في تأكيد حقيقة هامذ، وهي أن الحق العربي لن يموت لا بالزمن ولا بالأمر الواقع إذا ما اتصل الجهد من أجل استرداده.

بل الأكنر من هذا النضال الأعزل والمتوحد للقريتين قد استطاع أن يضع السلطات الإسرائيلية الآن على الرغم من كل أدوات قهرها، بين اختيارين:

- اما أن ترضخ لمطالبها في العودة، فتعطى بذلك الأمل لقرى عربية كثيرة حدث لها
 نفس الذى حدث للقريتين .
- ٢ ـ أوأن تكسف أكثر فأكثر عن قبح الوجه الإسرائيلي إزاء الأقلية العربية، وتنهار بذلك
 خطط الإسرائيليين.

كانتا أول القرى :

كها كانت القريتان أول القرى التي جرى استلاب أرضها في أعقاب حرب ١٩٤٨م

عندما غيرت إسرائيل الدولة من طلاق امتلاكها للأرض العربية تغييرا جذريا.

ذلك أن فيام الدولة قد أعطى الإسرائيليين فرص الاستخدام الكامل لوسائل إرهاب العرب وإكراههم على ترك القرى والأراضي، وأوكلت المهمة إلى الجيش الإسرائيلي الذي ركز جهوده في البداية على قرى الجليل الذي يضم أكثرية عربية.

وكانت قرية إقرت في الجليل الغربي أول القرى التي نفذت فيها هذه السياسة الجديدة.

في نوفمبر عام ١٩٤٨م وعلى وجه التحديد في الخامس من هذا السهر تسلم سكان القرية أمرا من الحاكم العسكري للمنطقة بأن يغادروا الفرية لمدة أسبوعين، رينها يتم الانتهاء من بعض الأعمال العسكرية في المنطقة. ولقد قيل للسكان يومها أن يأخذوا من حاجياتهم فقط ما يكفيهم هذه المدة القصيرة، لأنهم عائدون. وترك السكان القرية إلى قرية الرامة قرب عكا.

وبعدها بعشرة أيام فقط أخليت بنفس الحجج القرية النانية كفر برعم من سكانها الذين أبعدوا إلى بيوت اللاجئين في قرية 'الجس العربية التي تبعد (٣) كيلو مترات من أراضي قريتهم.

واكتسف الأهلون في القريتين الخديعة، وطفقوا يبحتون عن حقوقهم في كل مكان: في مكتب الحاكم العسكري للمنطقة، وفي مكتب وزير الدفاع، ولدى الأحزاب، دون جدوى. وتجرأ سكان قرية إقرت، فقدموا طلبا إلى محكمة العدل العليا في إسرائيل، يختصمون وزير الدفاع، ويطلبون إعادتهم إلى القرية. وردا على الدعوى المقامة نسف الجيس بيوت القرية المهجورة.

وفي عام ١٩٥٣م حدث نفس السيئ. قدم سكان القرية البانية كفر برعم طلبا بانيا إلى محكمة العدل العليا يطلبون العودة إلى قريتهم، وكانوا يدركون بحكم التجربة السابفة ما الذي سوف يفعله الإسرائيلبون، وكانت مظاهرة القوة هذه المرة أكثر ضخامة، وتم استدعاء أهل القرية جميعا ليشهدوا الطائرات الإسرائيلية وهي تدك دورهم في القرية التي يملكونها منذ ٦٥٠ عاما.

بـن جوريــون يكذب:

وأعطيت أراضي القريتين للمستوطنات اليهودية الجديدة، وأقام حزب المابام على أراضي إقرت (٢٤ ألف دونم) عددا من الكيوبتزات أبرزها من الكيوبتزات أبرزها آلون وسموراه.

ووفف بن جوريون الذي كان وزيرا للدفاع يومها ليقول أمام الكنيست: «إن هدم القريتين لم بصدر بأوامر مني»، على الرغم من أن الجيس هو الذي قام بالمهمة.

في الجليل سملت نفس الظروف ١٢ قرية عربية، أكره سكانها على تركها عنوة واقتدارا. وامتدت هذه السياسة فسملت أكنر من ٢٥٠ فرية تقف الآن أطلالا مهدمة، بعد أن أجبر سكانها على هجرها، وبعد أن استولت الكيوبتزات والمستوطنات الإسرائيلية على أراضيها (مليون دون).

قوانين مفضوحة:

بالطبع حاول الإسرائيليون أن يدعموا هذا العمل بمجموعة من القوانين المفضوحة:

١ _ قانون الغائبين :

الذي بنص على أن كل صفقة جرت بصورة عفوية بين القبم على أملاك الغائبين ـ الذي هو الدولة ـ وبين أية مؤسسة أخرى ـ المستوطنات الجديدة ـ فيا يتعلق بملك ظنه القيم في ساعة إجراء الصفقة (ملك غائب) متل هذه الصفقة لا تعتبر باطلة، وتبقى نافذة المفعول، حتى ولو نبت بعد ذلك أن ذلك الملك لم يكن في تلك الساعة ملك (غائب).

٢ _ قانون الدفاع :

الذي أعطى للحكام العسكريين في المناطق صلاحية الإعلان عن أية مناطق كمناطق أمن مغلفة، لا يسمح بدخولها أو الخروج منها إلا بتصريح من الحاكم العسكري.

٣ ـ قانون الأراضي غير المفلوحة :

الذي يعطي لوزير الزراعة حق الاستيلاء على أية أراض في حالة عدم اقتناع

الوزىر بأن صاحب الأرض قد بدأ أو أنه على وسك أن يبدأ في فلاحة أرضه.

وكان يكفي أن مصدر الحاكم العسكري قرارا باعتبار منطقة ما منطقة أمن مغلقة حتى يمنع أصحابها من الدخول إليها. وبالطبع تكفي فترة زمنية صغيرة لتبور الأرض وتجدب، لأن أحدا لا يرعاها، ومن نم يكون من حق وزير الزراعة طبقا لقانون الأرض المفلوحة نفل ملكيتها إلى المستوطنات الزراعية، لأن الوزىر لم يقتنع بأن صاحب الأرض الممنوع عن أرضه قد بدأ أو أنه على وشك أن يبدأ في فلاحة أرضه.

معنى القضية ودلالتها:

وفي الحقيقة فإنه ليس هناك قرية عربية واحدة نجت من مصادرة أراضيها، وكانت المبررات تتغير في كل مرة، فقد صودرت منذ عام ١٩٤٨م مساحة ٤١٨ ألف دونم من الأراضي الزراعية حسب قانون أملاك الغائبين، و ٧٠ ألف دونم من أملاك الوقف الإسلامي، و ٢٠٥ آلاف دونم حسب قوانين المناطق المغلقة ومرور الزمن. وعلى كل هذه الأراضي أقيمت مستوطنات الإسرائيليين.

ومع كل هذا لم تتوفف عرب إسرائيل عن النضال من أجل أراضيهم، وكانت مصادرة الأرض تلقى دائها المعارضة العنيفة والمتصلة في بعض الأحيان. وفي ظل هذا المناخ نمت جماعة الأرض التي لم يكن صدفة أن اختارت هذا الاسم بهدف أساسي، هو تعزيز نضال عرب إسرائيل من أجل الحفاظ على أرضهم والنبات في مواقعهم.

هذه المطالبة المستمرة بإعادة الأرض، والتي لم يقتلها اليأس على الرغم من كل هذه السنوات، وعلى الرغم من العسف الإسرائيلي، تعكس حسا عميق الجذور في أواسط السكان العرب، حتى إن كل من يحاول الاستهانة بها أو يبدي استعدادا لقبول التعويضات عن أرضه يتعرض فورا لنوع من النبذ الاجتاعي، بل إنه يعتبر في أعين أصدقائه وجيرانه خانسا للمصلحة القومية.

إن القضية في جوهرها لا تخص إذن الفريتين وحدها، هذه القرى التي تضمها قائمة طويلة: الفابسية، وأم الفرج، وسعار، والدامون، والرويس، وصفوريا وغيرها. قرى تضم ٣٠

ألف نسمة أكرهوا على أن يتركوا أراضيهم وقراهم في الجليل حتى تقوم مكانها مستوطنات الإسرائيليين.

هل هو الخوف من أن تواجه إسرائيل في حالة السياح لهؤلاء القرويين بالعودة إلى قراهم مطالبه العرب الآخرين بحقهم في العودة.

ومنلما كتبت صحيفة عال همشار على لسان إسرائيل هرتز أحد قادة المابام: «إن الغالبية العظمى من هؤلاء يطالبون بإعادتهم إلى قراهم، وهم يرفضون بيع حقوقهم في أراضيهم رغم ظروفهم المادية السيئة، وهم أيضا يرفضون الاندماج في القرى الجديدة، ويصرون على موقفهم. إن قضية الأراضي ليست مجرد قضية تعويضات، ولكنها تكتسب في نظرهم عمقا هو في النهاية تعبير قومى عن ارتباطهم بجشكلة فلسطين، وذلك ما يفسر رفضهم للتعويضات طوال هذه المدة الزمنية».

لقد كان استلاب أراضي القريتين خرقا للاعتبارات الأساسية للقانون بل إن القريتين يسكان في أيديها حكما من محكمة العدل العليا، بنص على أنه ليس هناك ما يحول دون عودتهما إلى أراضيها، ومع ذلك فلقد ضرب بحكم القانون عرض الحائط. إن الإسرائيليين غير قادرين على التعايش السلمي، لأنه يناقض الفكرة الأساسية التي قامت من أجلها إسرائيل، لأنه ضد الطبيعة والكيان. إن معنى عودة سكان القريتين إلى أرضها هو أن ينهار الأساس الذي تقوم عليه فكرة الدولة ذاتها.

تم هما في النهاية تكسفان لكل سكان المنطقة التي جرى احتلالها بعد عام ١٩٦٧م جهد الإسرائيليين الذي يهدف إلى احتوائهم بنعومة الثعابين.

لكل هذه الاعتبارات علينا واجب المساندة لسكان القريتين اللتين لم تنقطع أنفاسها في النضال طوال (٣٠) عاما.

مصادرة أراضي بدو السبع:

بعد احتلال جنوب فلسطين مباشرة أجرت إسرائيل تحقيقا في أراضي النقب التي تسكنها قبائل بير السبع في عشرين عشيرة، بلغ عدد سكانها سنة ١٩٤٥م نحوا من عشرين ألف

نسمة، وبناء على تلك الدراسة بدأت سلطات الاغتصاب بعمليات إجلاء البدو عن أراضيهم. بدأت العملية الأولى بالطلب من إحدى العشائر أن تغادر مضاربها لمدة أسبوعين،ريثها تتم عملية المناورات العسكرية. وبعد مضى الأسبوعين تبين أن الأرض طوقت بالأسلاك النسائكة. وأعلنت منطقة عسكرية مغلقة، لا يجوزدخول المدنيين إليها. ولكن الأمر لم يطل كثيرا حتى أقيمت عليها عدة مستوطنات وقرى يهودية، مثال ذلك مستعمرة (عرَّض) التي ضم إليها ٤٥ ألف دونم، ونمت حتى أصبحت مدينة صناعية. ومثلها مستعمرة (ديمونا) التي أنشى فيها مفاعل ذرى. وتعددت عملية الخداع هذه حتى سلبت معظم الأراضي من أصحابها العرب، وقدرت لها تعويضات رمزية. وفي ٢٩ حزيران سنة ١٩٦٦م قام أكثر من أربعين سيخا من شيوخ عربان النقب بعقد اجتاع طالبوا الحكومة أن تؤجل تنفيذ مشروع بناء ٣٠٠ وحدة سكن حتى يتم التعويض على أصحاب الأرض التي صادرتها السلطات، بحجة تنظيم إسكان البدو. وتكلم مع الشيخ موسى العطاونة قائلا: إنه لا يعارض في تنظيم إسكان البدوء لكن قضية الأرض هي قضية البدوجيعا، ورغم أن البدوي خلق صابرا ومعتادا على الظروف الصعبة إلا أن قضية الأراضي هي قضية حياة أو موت لنا ولأجيالنا القادمة. ونحن نريد أن نلفت نظر العالم إلى أننا بموجب المعاهدة المعقودة بين الهاجناة والعرب في أثناء حرب سنة ١٩٤٨م اتفق على أن يبقى العرب في أملاكهم. وبعد توقيع الاتفاقية هذه بأسبوعين طلب إلى بعض العرب بأن يرحلوا عن أراضيهم بعض الوقت لكنهم لم يعادوا إلى أراضيهم حتى يومنا هذا رغم الوعود المعطاة لهم، وأقيمت على تلك الأراضي مدن، أشهرها ديمونا وعرض، بالإضافة إلى مستعمرات أخرى. والآن تتردد نغمة توسيع هذه المستعمرات اليهبودية على حسباب الأراضي العربية، دون أن يؤخذ رأى أصحاب الأراضي أو الاعتراف بحقوقهم فيها.

في بداية عام ١٩٧٦م سمح للبدو الذين ثبت ملكيتهم بطريقة الحيازة أن يحفظوا لأنفسهم ٢٠٪ من الأراضي، وأن يتقاضوا تعوية لم عن ٣٠٪، وتصادر الحكومة الخمسين في المئة المتبقية. وقد رفض البدو هذا العرض.

ثم قدمت عدة اقتراحات لجميع البدو في مراكز معينة على هيئة مستوطنات مدنية في مختلف أنحاء النقب. وقد أقيمت مستوطنتان: واحدة منها أسمتها (تل شيفا) قرب بير السبع وقد ماتت في مهدها، وأما الأخرى (كفار شوفال) كانت أحسن حظا من سابقتها.

ثم وقع وزير المالية «سمحا إيراخ» أمرا يقضي بعزم الحكومة على مصادرة ما مجموعه ٢٦٦٠٠ دونم من الأراضي القريبة من مستعمرة (ديمونا)، يقصد إقامة صناعات حربية عليها. وفي الخامس من كانون الأول سنة ١٩٧٧م نشر القانون الذي أعطى مهلة شهربن لتقديم الاعتراضات من فبل الأشخاص الذين يدعون بملكية الأراضي المصادرة. وظهر مؤخرا أن الإنذاران لم ترسل إلى أصحابها إلا بعد فوات الوقت لتقديم الاعتراضات. وبناء على مرور الوقت المعين أصدرت السلطات أمرا قضائيا بإزالة عدد من بيوت البدو المفامة على تلك الأراضي. وفي الأسبوع الأول من أيام عام ١٩٧٨م قامن الجرافات بتنفيذ تلك الأوامر بالقوة، فأزالت ما مجموعه 20 بيتا وكوخا وخيمة قبل أن يسمح لسكانها بحمل أمتعتهم منها، بل جمعوا في جهة معينة تحت حراسة الجنود المسلحين. وحينا أنهي كل شي فيل لهم: إن ركام بيوتهم ألقى في مقبرتهم.

كتب البروفسور إسحاق بيلي الأستاذ بجامعة تل أبيب في جريدة الجروساليم بوست، التي تصدر في القدس المحتلة تفاصيل المأساة المحزنة التي يعيشها بدو النقب في ظل الحكم الإسرائيلي. ومما ذكره:

«إن بدو النقب البالغ عددهم خمسة وتلاتين ألفاً يعينسون في رعب دائم من رجال الحرس «الأخضر»، وهم مجموعة من عصابات أنشأها «إيل تسارون» وزير الزراعة لمطاردة البدو في كل مكان، فهم ينسفون بيوتهم دون أن يسمح لهم بإخلائها، ويضر بون النساء والأطفال دون سفقة، ويقطعون عنهم مياه السرب. وإذا اعتدى جمل بطريق الخطأ على مزرعة يهودي فإن رجال الحرس الأخضر يذبحونه على الفور، وإذا اعتدى قطيع من الماشية على حقل أطلقوا على الفطيع النيران من الرشاندات»(٤).

ويروى الكاتب قصصا عن الفظائع التي يرتكبها الحرس تذكرنا بفظائع النازيين، فهو يروي متلا فصة سيخ بدوي عمره ثهانون عاما، أخذه رجال الحرس من مضرب قبيلته في سيارة، نم تركوه في الصحراء تحت الشمس المحرقة على بعد عشرين كيلو مترا دون ماء أو طعام ليعود إلى بيته ماشيا. ويروى كيف أحرقوا كتبا لطالب مدرسة بعد أن ضربوا الأم، وأزالوا البيت، وعبثوا بالمتاع.

هذا بالإضافة إلى مصادرة أراضي البدو، وإتلاف محاصيلهم على نطاق واسع، وتهجيرهم

من مواطن سكناهم إلى مواقع محددة في السيال يمنع عليهم مغادرتها وإلا تعرضوا للقتل. هذا بالرغم من أن بدو النقب يعتبرون من رعايا إسرائيل.

قرى اللطرون:

مازال أهل قرى اللطرون (عمواس ويالو وبيت نوبا) يناضلون من أجل العودة إلى أراضيهم التي استولى عليها العدو بعد أن قام بهدم القرى وحرائتها لإحفاء معالم جريمته الرهيبة في أعقاب حرب حزيران. وقد بعث أهالي الفرى الثلاث إلى سلطات العدو يؤكدون تمسكهم بحقهم في أرضهم، وفي الرجوع إلى قراهم، ورفضهم لأية حلول أخرى لمسكلتهم. وفيا يلي نص المذكرة التي قدموها للحاكم العسكري الإسرائيلي في الضفة الغربية المحتلة بهذا النسأن (٥):

«قبل سنتين داهمنا جيش الدفاع الإسرائيلي، وطردنا من بيوتنا، وبعد أكثر من أسبوعين هدم قرانا الثلاث: عمواس، ويالو، وبيت نوبا... طالبنا مرارا وتكرارا بإرجاعنا إلى أراضينا، ولكنهم لا يعيروننا آذانا صاغية.. عرضوا علينا بناء بيوت لسكننا ولكن بعيدا عن قرانا فرفضنا. اليوم وبعد سنتين جاءوا لمساعدتنا يريدون تقديم بعض النقود لفتح دكاكين وتقديم بعض الماشية من بقر وغنم وسيارات وقائمة أخرى من المساريع نختار منها ما نريد، وجميع هذه المساعدات تكون بعيدة عن أراضينا وقرانا، في حين أنهم يمنعوننا من زيارة أراضينا... ماذا يريدون؟ لماذا لا يغادرون أراضينا بعدما ارتكبوا أفظع جناية بهدم بيوتنا على كل ما نملك من متاع وأثاث؟ أعيدونا إلى قرانا وأرضنا فسنعيش في الخيام والكهوف حتى نعيد بناء ما هدمتم، لا نريد منكم أية مساعدة إلا إعادتنا إلى قرانا».

والمعروف أن العدو الإسرائيلي كان قد دمر بعض منازل قرية يالو بعد وقف إطلاق النار في ١٨ حزيران، ثم عادوا وأتموا تدميرها كاملة في ١٨ حزيران، وكان عدد سكانها إذ ذاك يزيد على ألفين وخمس مئة شخص، ويبلغ عدد البيوت التي هدمت حوالي خمس مئة بيت.

وأما قرية بيت نوبا فقد جرى هدم كل بيوتها بعد الحرب مباشرة، وكان يسكنها حوالي ثلاثة آلاف وست مئة شخص، فقد هدمت بكاملها أيضا.

تهويد القدس:

تضع إسرائيل قضية تهويد القدس في المرتبة الأولى عَلَى سلم الأفضليات بالنسبة للاستيطان، فهي في صراع مع الزمن لأنها تعلم أن قضية عروبة القدس لا يمكن أن يتنازل عنها أي زعيم أو مواطن عربي في نطاق التسوية الشاملة، لذلك فهي تحاول خلق أكبر قدر ممكن من الأمر الواقع فيها. وقد أصدرت لذلك مجموعة من القوانين والأنظمة، من بينها قانون يقضي بزيادة نسبة السكان اليهود فيها، كما قامت ببناء أحياء سكنية تحيط بالقدس في جميع الجهات لربطها بقلب إسرائيل، وإغلاق المنافذ العربية بأحياء يهودية، ولإحكام هذا الربط قامت إسرائيل ببناء المستوطنات القريبة في الضفة الغربية، لتكون خط دفاع عن الأحياء السكنية اليهودية التي تحيط بالقدس، فمنطقة كفار عصيون هي خط دفاع عن الأحياء السكنية المهودية التي تحيط بالقدس بالقرب من بيت لحم وبيت جالا والمنطقة السكنية في تل بيوت ومستوطنة هارجيلا بالقرب من بيت جالا والمساكن المزمع إقامتها على جبل الرأس.

وتعتبر منطقة الخان الأحمر (معلى أدوميم) على طريق القدس _ أريحا خط دفاع عن الأحياء السكنية المقامة شرق القدس إلى الشهال من جبل الطور والمسهاة (هارهتسفيم) والتابعة للجامعة العبرية ومستشفى هداسا.

أما النبي يعقوب والنبي صمويل والمستوطنة المزمع إقامتها على أراضي قرية جبع العربية إلى الشيال الشرقي من القدس، فتعتبر خطدفاع عن المساكن المقامة في المنطقة الشيالية من القدس، على التلة الفرنسية ورامات إشكول. وتقوم إسرائيل الآن بالتخطيط لاستغلال ١١٠٠ دونم فر قرية عناتا لإقامة منطقة صناعية، تستوعب جميع المصانع المقامة في القدس بشطريها.

ضم القدس:

في ٢٧ حزيران سنة ١٩٦٧م أصدر الكنيست الإسرائيلي تشريعا يقضي بتوحيد القدس، وفد تألف هذا التشريع الواسع من ثلاثة قوانين:

الإسرائيلية على أية منطقة من على أية منطقة من فلسطين.

- ٢ ـ قانون ينص على الوصول إلى الأماكن المفدسة في مدينة القدس إلى المؤمنين من جميع الأديان، وفرض عقوبات يبلغ أقصاها الحبس مدة سبع سنوات لأي شخص يقوم بتدنيس أو مخالفة قوانين الأماكن المقدسة أو المس بالسعور الديني لأى شخص آخر.
- ٣ ـ قانون ينص على الساح للحكومة الإسرائيلية بتوسيع نطاق سلطة البلديات، دون التقيد بالإجراءات المطولة النافذة حاليا.

وبذلك أصبحت القدس تحت السيطرة الإسرائيلية، كما جعلت الليرة الإسرائيلية في هذا التاريخ العملة الرسمية الوحيدة في المدينة.

وجرى توسيع نطاق بلدية القدس ليشمل بالإضافة إلى قطاعي المدينة مطار قلندية في الشيال وقبر راشيل (رامات راحيل) في الجنوب والعيزرية في الشرق.

وفي ٩ حزيران قامت السلطان الإسرائيلية بإزالة جميع الحدود الفاصلة بين قسمي المدينة، وكذلك جميع نقاط الحدود الفاصلة بين شطري المدينة، وكذلك جميع نقاط الحدود العسكرية.

بادرت بإجراء تغييرات كئيرة في حائط المبكى، فألحقت أضرارا في الأماكن المقدسة والمباني التاريخية، أدت إلى تشريد عدد من السكان. وقد اتخذ العمل حول الحائط شكلين: الأول يرمي إلى تحويل المنطقة المحيطة بالحائط إلى مزار إسرائيلي، والثاني يرمي إلى اقتفاء أثر المعبد الثاني عن طريق البعثات الأنرية.

وفي ١١ حزيران سنة ١٩٦٧م قامت بتدمير المنطقة الواقعة أمام الحائط أو المبكى، أي الحي المرسلامي.

وفي ١ أيلول من تلك السنة فتح الإسرائيليون بوابة المغاربة في الطرف الجنوبي من الحائط، وهي ملك الوقف الإسلامي، كمدخل عمومي إلى الحرم السريف، وتقرر عدم دفع رسوم الدخول، وكان الوقف يفرض رسم دخول لا يتجاوز ليرة إسرائيلية.

ولقد قاوم العرب أي اندماج مدني مع إسرائيل، واعتبر ذلك مخالفا للقانون الدولي الذي

يحرم على سلطات الاحتلال تغيير الأسس القانونية والإدارية في أرض محتلة، وفي الوفت نفسه طالبوا باحترام الملكية الخاصة من حقوق الأفراد.

ومنذ سنة ١٩٦٧م بدأت إسرائيل تبني مساكن شعبية لإسكان اليهود في القدس القديمة، لأنها لن تصبح عاصمة إسرائيل فعلا إلا بإعادة الحياة اليهودية إليها، لذا فقد قامت بسلسلة من الأعهال العدائية في القدس العربية لتغيير معالمها من الناحيتين المادبة والروحية. ففد صادرت الأملاك، ووضعت يدها على المصارف، وهدمت المباني، ونهبت المخازن، ونشرت الإرهاب بحيت نزح ألوف من السكان العرب، وتركوا بيوتهم، وفروا هاربين. وقد منعتهم من العودة إلى بيوتهم.

وكانت قد استولت على ١١٦ ألف دونم داخل السور وخارجه، وأقامت عليها أبنية طوقت المدينة بالأبنية السكنية والعسكرية والصناعية على الطراز الحدبث المغاير للطراز العربي الفديم، بحيت لا يشعر الزائر أنه يعيس في مدينة مقدسة قديمة.

كما صادرت ٣٠٠ دونم بين القدس وسعفاط، وضمتها إلى المنطقة التي أطلق عليها اسم «حي إشكول» في السيخ جراح لإقامة وحدات سكنية عليها.

يضاف إلى ذلك امتلاك مساحات واسعة داخل السور وخارجه، مما سيؤدي إلى إزالة الأبنية التاريخية والحضارية ظلما وعدوانا، ومخالفات صريحة للقوانين الدولية ومقررات هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن، وشرعية حقوق الإنسان وقرارات اليونسكو.

تحدتت صحيفة التايمز اللندنية عن الإجراءات الإسرائيلية لتهبويد القدس العربية المقدسة وتغيير طابعها ومعالمها الدينية وأضافت أن مشروعات البناء التي نفذتها إسرائيل خلال السنوات العشر الأخيرة غيرت إلى حد كبير الطابع الروحي للمدينة المقدسة بصورة منيرة.

ورغم مزاعم إسرائيل في إدماج المواطنين العرب مع القادمين اليهود إلا أن الأحداث الأخيرة التي سُهدتها القدس المحتلة وبقية المناطق العربية المحتلة أنبتت للعالم بصورة قاطعة أن سكان هذه المناطق ينظرون إلى الإجراءات الإسرائيلية على أنها كارثة.

وعلى الرغم من تحديد ارتفاع المباني داخل السور بأربعة طوابق وفي خارجه بتهانية طوابق فإن طراز البناء شوه ملامح المدينة التاريخية.

تقول جريدة معاريف الصادرة في ١٩٧٧/٥/١ م:

في مطلع عام ١٩٦٨م أصدر وزير المالية الإسرائيلي أمرا استند فيه إلى قانون الأراضي لعام ١٩٤٣م، قانون الاستملاك للصالح العام، وقد تضمن هذا القرار وضع اليد على ما مساحته ١٦٦ دونما من الأراضي العربية داخل البلدة القديمة من مدينة القدس، بهدف ما يسمى إعادة تعمير الحي اليهودي.

وقد كلفت بتنفيذ هذا الأمر مع كل انعكاساته شركة تعمير وتطوير الحي اليهودي بالبلدة القدية من القدس.

وقد وضعت هذه الشركة هدفا معلنا لنفسها، هو تعمير الحي اليهودي وتطويره كأبر قومي وديني وتاريخي من خلال التأكيد على طابعه الخاص، لإخلاء السكان العرب وجلب سكان يهود إلى الجمي بدلا منهم.

لقد قامت السركة المذكوره خلال السنوات التسع التي مرت على إنسائها بإخلاء أكنر من ستائة عائلة عربية من المنازل التي كانت تسكنها، والواقعة في المنطقه التي سملها أمر وزبر المالية الصادر عام ١٩٦٨م. وكانت السركة تلجأ في معظم حالات الإخلاء إلى استصدار أمر من المحكمة بذلك، بسبب رفض السكان العرب ترك منازهم بصورة رضائية. وهكذا تكررت مشاهد قيام رجال الشرطة بإخلاء العائلات العربية من منازها وإلقائها إلى السارع. وجلب عائلة يهودية لتحل محلها، بعد أن يتم إدخال تحسينات وترميات على هذا المنزل.

وقد قامت فئة من اليهود برئاسة البروفيسور عوزي أورنان ـ وهو أستاذ في الجامعة العبرية بالقدس ـ بتبني الدفاع عن وجهة النظر العربية، بعد أن اتضح لها مدى الظلم الذي لحق بالعائلات العربية التي أخليت من بيوتها بالقوة.

ويقول البروفسور أورنان: إننا ببساطة أمام استغلال لسلطات قانونية تخالف الأهداف التي وضعت من أجلها، وأنه لا يجوز السكوت على هذا الأمر.

وفي سهر أيار من العام الماضي (١٩٧٦م) قام أورنان على رأس وفد من اليهود بمفابلة وزبر الإسكان السابق أبراهام عوفر، وأبلغوه بأنهم يرون أن الأعال التي تفوم بها النسركة التي تطلق على نفسها _ شركة تعمير وتطوير الحي اليهودي _ إنما تمس بالأخوة بين الطوائف المختلفة، وتشكل عقبة في طريق التألف والسلام. وطالب الوفد الوزير بالتوقف عن إخلاء العائلات العربية في البلدة القديمة. وقد رد عوفر على الوفد بقوله: إنه يتبنى وجهة نظر معاكسة، وإنه يرى عدم وجود أساس للإسكان المنسترك بين العرب واليهود، لأن ذلك يوجد المشاكل. وكذلك رئيس إدارة التمركة المذكورة يشارك الوزير عوفر في رأيه.

وفي حوار جرى لمناقشة قضية إخلاء السكان العرب من البلدة القديمة أنار رئيس السركة إلى صعوبات السكن المسترك بين اليهود والعرب، وأكد على ضرورة زبادة عدد السكان اليهود في البلدة القديمة، وذلك حتى يكون بالإمكان فتح مدرسة لأطفال العالائلات اليهودية هناك. وكذلك قال رئيس الشركة: إننا ما نزال في فترة نسمع فيها عن حوادت وضع المتفجرات وإلقاء القنابل. وقال: إن سكان الحي اليهودي معزولون وفلقون، وهم ليسوا أبطالا، كما أنهم قله، مقابل آلاف العائلات العربية في البلدة القديمة.

إن عدد العائلات العربية التي ما تزال تسكن ما يطلق عليه اسم الحي اليهودي لا يتجاوز أصابع اليدين، وينتظر مصير هذه العائلات المصير الذي حل بالعائلات التي سبقتها. وبالإضافة إلى هذه العائلات فإن هناك نحو ثلاثين عائلة أخرى تقطن في نسارع السلسلة، ويتهددها خطر الإخلاء.

مصادرة أراضي الخليل:

بعد أسبوع من حرب حزيران سنة ١٩٦٧م وصل إلى مدينة الخليل (٣٧) يهوديا منهم الشبان والفتيات ورجال الدين، معلنين أنهم جاءوا ليمضوا أول عيد فصح يهودي في مدينة الآباء بعد تحريرها، وأسرعوا لاحتلال فندق عربي بالقوة، ولما لجاً صاحبه إلى الشرطة الإسرائيلية لم تستطع إخراجهم، إلا أنهم وعدوا بمغادرته حالما ينتهي العيد.

وبدلا من ذلك بدأ عددهم يزداد بمن ينضم إليهم من القادمين الجدد، وفي صباح العيد خرجوا من الفندق، وقد زاد عددهم على مئة سخص، بسكل مظاهرة تجوب سوارع المدينة،

وأسرعوا إلى الحرم الإبراهيمي السريف، وهم يرددون نسيدا معناه: «نحن ورنة الخليل، وقد عدنا إليها، وسنبنيها كها نرىد لتكون لنا، ستكونون بعيدين في أراضي أجدادكم هناك... بعيدا.. هناك.

ولما طالبتهم الشرطة بإخلاء الفندى رفضوا وتقدموا إلى رئيس بلدية الخليل طالبين منه إخلاء خمسين بيتا ليسكنوها، فقال لهم: وبأي حق أخرج صاحب البيت لتسكنوه؟ عندئد حاولوا الاعتداء عليه.

وتفاديا لما قد يحصل نقلهم الحاكم العسكري إلى مركز السرطة، حيث عاسوا فبه مده هم وعيالهم الذين لحقوا بهم.

وفي ٢٣ نيسان سنة ١٩٦٩م دخلت إلى الخليل عدة سيارات كبيرة، تنفل المثات من الشبان والشابات وهم يحملون أعلام اسرائيل، وقاموا بمظاهرة في شوارع المدينة، انتهت بدخولهم الحرم الشريف، وهم يغنون ويرقصون.

ولما كنرت تعدياتهم وتحرشاتهم فررت سلطة الاحتلال بناء مستوطنة لهم. ففي ١٥ أيار سنة ١٩٧٠م قرر مجلس وزراء إسرائيل توطين (٢٥٠) عائلة يهودية في الخليل، بناء على أنه لا يجوز أن تخلو مدينة الآباء من يهود يسكنون فيها.

كريات أربع:

وفي ٢٤ نيسان ١٩٧١م أعلن الحاكم العسكري أن سلطات الحكم العسكري قررت إغلاق منطقة تقدر مساحتها بثلاتة آلاف دونم من الأراضي الواقعة شال شرقي المدينة لأغراض عسكرية، وبذلك لن يسمح لأي عربي بدخولها، وبعد أسبوع قامت السلطات المحتلة بإنزال القوات المسلحة في هذه الأرض، وأخذت تحيطها بالأسلاك السائكة، وبدأت عمليات توصيل المياه ومد أسلاك الكهرباء، وبعد قليل بدأت عمليات البناء وإقامة المباني والمتاريس تحت الأرض، وأحضرت البيوت الجاهزة للإسراع في إيواء المستوطنين.

هذه المستعمرة هي التي أطلق عليها الاسم القديم لمدبنه الخليل (قرية أربع) التي كانت موجودة بهذا الاسم الكنعاني، قبل أن يصل إليها إبراهيم الخليل عليه السلام، وهي ناحية

سكنية في موقع استراتيجي، بدأت بثلابين شخصا، وأصبح عددهم يزيد على سبعة آلاف، جيعهم رجال مدربون على استعال السلاح. ومن الجدير بالذكر أن جميع الأبنية التي أخذت تطوق الخليل من الشرق والجنوب قد بنيت على غرار النكنات العسكرية بالإسمنت المسلح وبطوابق تحت الأرض تستعمل كمستودعات للأسلحة والتموين والملاجئ.

وأصدر الحاكم العسكري لمنطقة الخليل أمرا بالاستيلاء على الأملاك الممتدة من الرامة في مسارف الخليل من السال حتى مستعمرة كريات أربع على امتداد نلانة كيلو مترات، لشق طريق تؤدي إلى المستعمرة، عرضها أربعة أمتار، هكذا اتجه التركيز على توسيع كريات أربع، وتوفير الإمكانات لتنظيمها وتجميلها على حساب المواطن العربي ومن أرضه. ومن ذلك تركيب مقسم متطور بلغت تكاليفه أربعة ملايين ليرة. وبواسطة هذا المفسم الجديد يستطيع, أي مسترك الاتصال بأية مدينة في المناطق المحتلة أو بأية مدينة في أوروبا وأميركا بصورة مباشرة، دون اللجوء إلى تسجيل المكالمات لدى المقاسم المختلفة.

ولم يظهر سكان كريات أربع أي حسن نية نجاه سكان مدبنة الخليل، كها كان يزعم فادة إسرائيل، وهي تدرك مدى تعلق المواطن الخليلي بمقدساته، وخاصة الحرم الإبراهيمي السريف الذي يعتبره رمزا دينيا وقوميا ووطنيا، ويؤكد وجود وكرامة وحياة المواطنين.

ومن هنا أخذت سلطات الاغتصاب تعمل على تفكيك هذا الارتباط بين المواطن ومقدساته عن طريق امتهان حرمة هذه المقدسات، فصاروا يدخلون الحرم بأحذيتهم القذرة، مصطحبين أطفالهم وصاحباتهم وحتى كلابهم، وأخذوا يلقون النفايات في كل ناحية منه. ولما لم تستطع دائرة الأوقاف الإسلامية المستضعفة رد هذا الأذى رفعت السجاد الثمين الذي يفرش فوق أرض الحرم خسية عليه من التلف. وبسبب تراكم الأوساخ عند المدخل أصبح المسلم يدخل منتعلا لئلا تتلوت فدماه. وتجلت هذه التعديات في الاحتجاج الذي بعتته وزارة الأوقاف الإسلامية.

دخل عدد من السياح إلى الحرم الإبراهيمي، فسلمهم أحد مستوطني كريات أربع بوقا،
 ووقفوا أمام الضباط والجنود، وأخذوا ينفخون فيه ويضحكون بصوت عال، بالاشتراك
 مع الجنود والضباط، ينم عن استهتارهم بالمكان.

- ٢ صحاحراس الحرم على وقع أقدام في داخل الحرم، وقد تبين لهم أن ثلاثة من اليهود المسلحين تسلقوا الجدران، ونزلوا لباحة الحرم، وفتحوا الباب السرقي ليدخل سبعة آخرون، حيث داسوا السجاد وبعثروه ونقلوه، كما أدخلوا معهم أكلا وشرابا، وتراشقوا بزجا جات السراب وعلى مرأى من مستسار الحاكم العسكري الذي كان قد حضر بناء على طلب من مدير الأوقاف الإسلامية، ومكنوا حتى الصباح، ومنعوا المسلمين من دخول الحرم حتى ما بعد فوات وقت الصلاة.
- " مأعلن مدير أوقاف الخليل في الساعة العاسرة من ليلة الجمعة ٣٠ كانون نانى ١٩٧٦م أن نائب الحاكم العسكري بالخليل اتصل به وأبلغه رغبته في فتح أبواب الحرم النسريف أمام المستوطنين اليهود في تلك الليلة، لأنهم يرغبون في إقامة طقوس دينية، وأنه أبلغهم عدم استطاعته فتح الأبواب، فرد عليه الحاكم الإسرائيلي بأن الأمر صادر من وزير الدفاع الإسرائيلي. وبالفعل ذهب نائب الحاكم المذكور إلى الحرم، وطلب إلى الحراس أن يفتحوا الأبواب على مسئوليته، وتم فتح الأبواب الشرقية الجديدة، ودخل المستوطنون ومكنوا في الحرم من الحادية عشرة ليلا حتى الرابعة صباحا، وقاموا بصلواتهم بحضوره.

إن فتتح الحرم الإبراهيمي الشريف في الليل سابقة لم نجر في التاريخ، وإن ما تعرض له هذا المسجد، وبأسكال مختلفة ليلا ونهارا، تأباه الحريات العامة وحرمات المقدسات والحقوق الدينية.

هذا بعض ما أدى إلى قسمة الحرم الشريف إلى قسمين: إسلامي، ويهودي. ولأول مرة في التاريخ يصبح لليهود حق في هذا المكان الذي لم يبنوه، ولقد اغتصبوه من يومه، وحافظوا على قدسيته هذه السنين الطوال.

وفي تشرين الأول الأول سنة ١٩٧٦م زاد الاحتكاك بين الطرفين: الطرف المسلح، والطرف الأعزل إلا من إيمانه بحقه، حتى وصلت الأمور إلى تمزيق الكتب المقدسة وتدنيسها وإتلافها، مما أعجز السلطان عن الوصول إلى حل. وزاد الطين بلة بدعة الحاجام المهووس ليفنجر عندما أقام جنازة لبعض ورقات وجدت ممزقة في الفسم الذي اغتصب وخصص لصلاة

اليهود، ولقد ولدت له عبفريته أن يضعها في توابيت الموتى، وأن يقيم لها جنازة هزت البلاد كلها وأفلت الزمام _ ولولا صبر العرب على هذا الضيم لتطورت الأمور إلى فتال _ وقام بدفن الورقات الممزقة في مقبرة اليهود بالخليل، في مواكب حافلة سار فيها أرقى طبقات اليهود.

قرية دير أبو مشعل والإرهاب الإسرائيلي :

مازال أهالى فرية دير أبو مسعل التي تقع على بعد خمسة عسر كيلو مترا شهال غرب مدينة رام الله يتعرضون لأغرب نوع من الإرهاب عرفه سكان الضفة الغربية والعالم، فمنذ أربعين يوما وأهالي هذه القرية التي يبلغ عددهم أكثر من ألف نسمة يتعرضون لهجهات ليلية من قبل جماعات من المسلحين الإسرائيليين، يرتدون الملابس العسكرية. فبعد منتصف الليل من كل يوم تتسلل مجموعات من هذه العصابات الإسرائيلية يقدر عددها بستين رجلا إلى داخل القرية، وتبدأ بإطلاق الرصاص في الهواء، وبالضرب على أبواب المنازل وخلع أيادي الأبواب.

وبعد أن يتأكد المهاجمون بأن السكان قد استيقظوا من نومهم يحذرونهم بعدم الخروج من بيوتهم وإلا سيقتلون رميا بالرصاص.

وتقوم هذه الجهاعات بكسر النوافذ بواسطة قطع من الحديد، ثم يدخلون مسدساتهم من داخل النوافذ المحلية، ويطلقون عيارات نارية بدون رصاص داخل غرف النوم لإرهاب السكان وخصوصا الأطفال والنساء والشيوخ. وقد حدث في أحد البيوت أن أصيبت إمرأة بنوبة قلبية عندما ظنت أن ابنها قد قتل نتيجة لإطلاق النار عليه، وقد نقلت هذه المرأة إلى أحد مستشفيات رام الله للمعالجة حيث مازالت تعالج هناك.

ولا تكتفى هذه العصابات والمخربون الإسرائيليون بهذا القدر من الإرهاب، بل تقوم أيضا بتحطيم كل ما تجده خارج البيوت من أوان الزهور وأوان المياه، وكذلك تقطع الأسلاك الكهربائية عن البيوت التي تملك مولدات كهربائية.

وخلال هذه الهجهات كانت هذه المجموعات تقول لأهالى دير أبو مشعل بأنها تتكلم باسم مساعد الحاكم العسكرى لمنطقة رام الله، وأنها تنوي الاستيطان في القسم القديم من القرية الذي يطلق عليه الأهالى اسم (تلة البغلة)، وكذلك يريدون الاستيطان في الجبال المحيطة بالقرية، كما يحذرونهم من البقاء في بيوتهم وقريتهم.

وقد لاحظ سكان دير أبو مشعل بأن المتسللين يتكلمون العربية بلهجة مكسرة، وبالإضافة إلى ذلك يتكلمون العبرية وعدة لغات أجنبية، مما يشير إلى أنهم من جماعات الاستيطان الاسرائيلية.

ولمواجهة هذه الهجيات الإرهابية المتواصلة، قررأهالي أبو مشعل التظاهر في رام الله للفت أنظارأهالي الضفة لأوضاعهم المتردية وطلب الحاية. وقاموا فعلا بهذه المظاهرة في رام الله يوم الثلاناء الموافق ١٩٧٧/٥/١١م.

غير أن الحياية لم تأت من سلطات الحكم العسكري، حيث نسبت هذه الهجهات إلى أهالي قرى عربية مجاورة، لخلافات بين هذه القرى ودير أبو مشعل على المياه. وكأنه لا يعلم بأنه لا يوجد فرد واحد في الضفة الغربية بأكملها يسمح له بحمل السلاح أو إطلاق النار، وكما لا يعلم أيضا بأنه توجد شبكة مياه متكاملة في دير أبومشعل تحت إشراف سلطة مياه الضفة الغربية، ولا حاجة بها للهاء من القرى المجاورة!!

ونتيجة لموقف سلطات الاحتلال المتواطئ مع الإرهابيين الإسرائيليين قرر أهائي دير أبومشعل حماية أنفسهم بأنفسهم، والتصدي للهجهات الإرهابية، وقرروا تكوين مجموعات من شباب القرية مسلحة بالعصي والحجارة لحهاية القرية. ولكن عندما علم الحاكم العسكري بموقف الأهالي هذا توجه إلى القرية (ليلة ١٩٧٧/٥/١٦م) وفرض منع التجول عليها، وأمر جميع السكان بالتزام بيوتهم اعتبارا من الساعة النامنة مساء، ووعد الأهالي بالحهاية. وبقيت في القرية وحدة إسرائيلية عسكرية حتى الساعة العاشرة مساء، وبعدها غادرت هذه الوحدة القرية. وفي نفس الليلة عادت الجهاعة الإرهابية للتسلل داخيل القرية، مستعملة نفس الأساليب الإرهابية السابقة.

وبعد هذه التجرية قرر أهالي دير أبو مشعل عدم النوم قطعيا، والسهر لحماية قريتهم وممتلكاتهم وأراضيهم، وقد ساند رؤساء بلديات رام الله والبيره والبلديات المجاورة موقف

أهالي دير أبومشعل، وقاموا ليلة ١٩٧٧/٥/١٢م بالسهر في دير أبومشعل حتى منتصف الليل تضامنا مع الأهالي.

وبعد .. فإن أوضاع قرية دير أبو مشعل أصبحت على النحو التالي :

- ١ _ الأهالي مصممون على عدم مغادرة قريتهم أو أراضيهم .
- ٢ ـ الأهالي مصممون على الدفاع عن أنفسهم، وهم الآن لا يذهبون إلى حقولهم أو أعهالهم، وينامون نهارا ويسهرون ليلا، لمواجهة الإرهابيين الإسرائيليين.
- توقف النشاط الاقتصادي في القرية، وأغلقت المدرسة الابتدائية فيها، وذلك لأن
 الأطفال في القرية لا ينامون من الذعر.
- عازال الإرهابيون الإسرائيليون يأتون ليلا إلى القرية، ولكنهم لا يقتربون من البيوت،
 بل يطلقون النار من حول القرية.
- ٥ ـ واختتم التقرير بدعوة موجهة إلى السكرتير العام للأمم المتحدة، وإلى قناصل الدول الأجنبية في مدينة القدس المحتلة، من أجل زيارة القرية والاطلاع على الأوضاع التي يعيشها أهلها تحت وطأة الهجمات الإرهابية التي تشنها عصابات المستوطنين الإسرائيليين عليهم.

مدن وقرى عربية أعطاها اليهود أسياء عبرية

	الخليسل:	۽ القدس :	في لوا:
حبرون	الخليل	مناحات	المالحة
دماتزاه	الدواعة	حي نفتوح	لفتا
سدر موشیه	عراق المنشية	صور بعل حاتسسور	تل العا
نحلاه	صميل	سدة حسيد	حوارة
عيت قسوريم	السوافير الشرقية	ستورسن	ساريس
ملوجوت	الفالوجة	أسمون	كفرمندة
يوناتان	كرتيا	ي القدس نفسها:	أسياء فب
جد يراه	قطية	ز حاييم شابيرو	كرم لوي

	1 11	
•	احتيس	

عراق سويدان

المسمية الكبرى

هربيا

هوج

حتا

بیت دارس

حمامة

بير السبع

سدة يوات

كرميناه

سد موته

رفا حاه

زمودت

نتسانيم

بير شيبا

مسميع شالوم

في لواء القدس: ميدان عودة صهيون ساحة باب الخليل شارع ما من الله عودة صهيون عقبة الشاعر هاليفلي حارة المغاربة طريق سليان|القانوني شارع المظليين خارج باب العمود جبعات همفتار محلة الشيخ جارح بیت محسی باب المغاربة مشقات لداخ حارة الشرف حياد سوق الحصر حبر حاييم عفبة درويش سونية هالكوث عقبة غنيم ديرح ساعر طريق المجاهدين نتساناه العوجا بير ساسابيم عسلوج الياقيم أم الزينات هبونيم كفر لام برقاي وادى عارة شفا عام شفا عمرو الونيم طبعون جيشر هزيف الزيث سيغيف ميعار بيت هميمك كريكات

	Ç. 33
تسفات	صفد
قرية شمونه	الخالصة
رايال	الدردارة
برعام	كفر برعم
يعين باروخ	النسبرية
كرين زمراه	الرأس الأحمر
كفار خناس	المنصورة
مرجوليوث	هونين
	Applications
عزرياه	البرية
نس زيونا	وادي حنين
مسهار ایالون	القباب

معوناه

ترشيحا

	الخليال :		في لواء القدس :
محسيتاه	ديرابان	اجهود	البير وه
بيت عارف	دير طريف	بفعات بيت	البطوف
		فتوفسا	
رحفوت	ديران	بیت شغان	بيسان
	Magaziningus	حارود	جالود
بركون	العوجا	كوخف هاريان	كوكب الهوى
كفار عقرون	عاقر	طيرة تسفي	الزراعة
ارش اف	عرسوف		
بیت داجان	بيت دجن	طفرياه	طبرية

الحرم -

أو سيدنا على

طبرية الشجرة عين شقاع شفوت عام بيت ليد غزيت الطيرة جلموع فقوعة زيتا جفرين أريحا يريحو تحسون باب الواد باتياس حرنمون

onverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الحواشسي

- تعرف (بیت إیل) باسم (بیتین) ، وهي من قضاء رام الله، على بعد ٢٥ كم شيال شرق القدس.
 - (١) صبين : أول مومع بين التيه وبلاد الأدوميين في شرهي الأردن.
 - رحوب : مرج بین صین وحبرون (الخلیل) .
 - إشكول: اسم وادى من أودية الخليل اشتهر بكروم عنبه .
 - الزرجونة : العود الذي ينصب عليه فروع الكرمة .
- الدقرانة: عود ترفع عليه الدالية، والمقصود كها يظهر من الصورة أن اثنين من مزارعي وادي إشكول حملا تطفا من العنب على عود امتد من كتف الواحد إلى كتف الآخر.
 - (۲) سفر العدد الإصحاح ۹۳: ۱۸ ۲۵.
 - (٣) سفر العدد الإصحاح ١٤: ١ ٤.
 - (٤) الدستور في ١٩٧٨/٦/١٠ .
- (٥) وقد عتل الكثيرون من أهالي القرى أثناء الحسرب وخسلال عملية التدسير الشاملة، عن جريدة الدستور
 ٣/٩٦٩/٨٠.

000

المصادر

- ١ _ مصطفى الدباغ _ بلادنا فلسطين في عشرة مجلدات _ لبنان .
- ٢ _ روحي الخطيب : أمين القدس، تهويد القدس جزآن ، طبع عمان ١٩٧١ _ ١٩٧٢.
- حتاب المواقع والمعالم الطبيعية والبسرية والجغرافية في فلسطين/ نسر مركز الأبحاث الفلسطيني ـ
 بيروت سنة ١٩٧٣م _ قسطنطين خمار.
 - قسطنطين خار: موسوعة فلسطين الجغرافية ـ مركز الأبحات ـ بيروت ١٩٦٩.
 - ه بيروت ١٩٦٨.
 - ٦ _ محمود ألعابدي : محنة بيب المهدس طبع عمان سنة ١٩٧٠ .
 - ٧ _ محمود العابدي : قدسنا _ طبع مصر سنة ١٩٧٢ م .
 - ۸ محمود العابدى : من تاریخنا ـ المجموعة الرابعه ص ۱۹۳ ـ ۲۱۰ طبع عمان ۱۹۷۸.
 - ٩ _ مجلة المفتطف من مكتسفات رأس سمرا (أوغاريب) ص ٤٠ يناير سنة ١٩٣١.
 - ١٠ _ الدكتور عفيف بهنسي _ حضاره ايبلا ، مجلة العربي الكويتية سبتمبر ١٩٧٧.
- ۱۱ _ إسرائيل تطلق أسهاء عبرية على مواقع عربية _ نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية _
 ۱۹۷۱/۸/۱٦
 - ١٢ ـ قرى اللطرون _ جريده الدستور عيان ١٩٦٩/٨/٣٠ .
- ١٣ ـ مكرم محمد أحمد _ استلاب أراضي فريتي إفرت وكفسر برعم في جريدة الجمهـورية _ مصر ١٩٧٢/٦/١٨.
 - ١٤ _ قريه دير أبو منسعل _ جريده الدستور ٢٠/٥/٢٠ .
 - ١٥ _ مصادرة أراضي بير السبع _ جريده الدستور ١٩٧٨/٥/١٠ .
- ١٦ مصادرة الأراضي : حسن زكي نسيبة ، عبدالحميد الجعبري في جريدة القدس الصادرة في مدينة '
 القدس تاريخ ١٩٧٧/٦/٥.
- الاستيطان الإسرائيلي، مديرية الدراسات والأبحاث في وزارة الأعلام الأردنية جريدة الدستور
 ١٩٧٧/٧/٣٠/٢٩.

ملحوظـــة:

كل ما نسرته جريدة الدستور مأخوذ عن الجرائد العبرية زياده في التحفظ والالتزام.

onverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المشكلة الفلسطينية مشكلة دينية عنصرية أم اقتصادية

دکتور / فوزی السدی



مقدمــة:

في هذا الوقت الذي نبحث فيه المشكلة الفلسطينية، نجدها تدخل منعطفا جديدا وخطيرا بالنسبة لأغلبية الفلسطينيين بشكل خاص وللأمة العربية بشكل عام.

فالاقتراحات الأخيرة التي طرحت لحل هذه المسكلة المستعصية لا تأخذ بعين الاعتبار أمورا جوهرية، إما لأنها قد غابت عن أعين المتفاوضين، أو لأنهم قرروا تجاهلها نهائيا لعدم استطاعتهم إدراك خطورتها وأهميتها. وبالخقيقة أن هذه الأمور الجوهرية تحمل في طياتها قضية حياة أو موت لكنير من الفلسطينيين، إذ من يسلب مصدر رزق إنسان يسلبه أيضا حياته.

بالطبع هناك خلاف جذري بين الطرفين المتنازعين على تلك الأمور التي أعتبرها شخصيا جوهرية لحل تلك الأزمة المستعصية. فالصهاينة مازالوا يجاولون إقناع العالم بشكل عام والمتفاوضين بشكل خاص أن كل ما يهدفون إليه من السيطرة على فلسطين هو إيجاد وطن قومي يجمع شتات اليهود، وبشكل ملجأ ضد الاضطهاد العنصري والسياسي اللذين قاسى منها اليهود الكثير، ولذلك فإنهم يحاولون عدم الإفصاح عن مساحة تلك الدولة التي يهدفون إلى تحقيقها. فبعد مرور ثلاثين عاما على تأسيس ذلك «الوطن» لم يكن له في أي يوم حدود دولية رسمية، إذ إنهم يريدون الاستيلاء على أكبر مساحة ممكنة من الأراضي الطيبة الخالية من سكانها الشرعيين قبل الجلوس على طاولة السلام، وهذا جوهر القضية. وما موافقتهم (أو اقتراحهم) على منح الضفة الغربية وقطاع غزة نوعا من الحكم الذاتي إلا مناورة يعلمون اقتراحهم) على منح الضفة الغربية وقطاع غزة نوعا من الحكم الذاتي إلا مناورة يعلمون كافيا يساعدها على الوقوف على أرجلها دون الارقاء بأحضان إحدى اللول الأجبية أو إسرائيل نفسها. فالصهاينة اقتفوا أثر الصليبيين، وعرفوا أين تقع الأرض الطيبة، فأنشأوا على تلك الأراضي خالية من سكانها الأصليين.

لقد قام المزارع الفلسطيني معظم تلك الأساليب بنده، ولم يمكن الصهائة من تحفيق حلمهم لولا تآمر العديدين عليه وإرغامه في النهاية على الجلاء عن أرضه وأرض آبائه وأجداده بالقوة، وعندئذ ففط تم للصهاينة حلمهم، واحتلوا معظم الأراضي الخصبة أولا، بم جميعها في عام ١٩٦٧م، وتركوا المزارع العربي يعيش على حفنة الصدقات الدولية مذلولا بائسا هائها على وجهه بين خيام اللاجئين. وقد مر ما ينوف عن التلابين عاما وهو لايزال يعيس تحت أصعب ظروف البؤس والاضطهاد، رغم الوعود العديدة بإنصافه وإرجاعه إلى أرضه ووطنه.

سأحاول في هذا البحث المختصر إظهار الأساليب والطرق التي اتبعتها المؤسسات الصهيونية اليهودية في الاستيلاء على أرض هذا إلمزارع العربي وسلبه مورد رزفه الوحيد، بالإضافة إلى بيته ووطنه وعزته وكرامته. ففي هذه الأمور بكمن جوهر الصراع، وباعتقادي أنه لن يحل نهائيا ما لم تؤخذ هذه الأمور بعين الاعتبار. هذا وسأتناول تركيب الملكية الزراعية في فلسطين قبل عام ١٩٤٨م، م أنتقل إلى الأساليب التي حصل بموجبها اليهود على الأراضي الفلسطينية.

١ - تركيب الملكية الزراعية في فلسطين قبل عام ١٩٤٨م:

قبل الخوض في دراسة مراحل تطور المسكلة الفلسطينية علينا فهم تركيب الملكية الزراعية في فلسطين منذ أواخر الحكم العنهاني إلى قبيل انتهاء الانتداب البربطاني على فلسطين، إذ إن نظام ملكية الأراضي فيها يختلف عن منيلاته في الدول العربية من الناحيتين: التاريخية، والجغرافية. ففي بلاد تعتمد على الزراعة تقوم الحكومة بفرض جباية ضرائبها حسب إنتاجية الأرض.

وقد صنفت إنتاجية الأرض في فلسطين إلى سبعة عسر صنفا، ولا يهمنا هنا سوى ذكر أربعة أنواع (١) بشكل مختصر، وهي:

النوع الأول: وبشمل الأرض الأكثر خصبا، وتقع على السهل الساحلي، حيث تسود مزارع البرتقال الكبيرة، وكذلك في سهل مرج ابن عامر وجزريل، وسهلي الحولة وطبربا، وهي مصنفة من النوع الجيد.

والنوع الثاني: ويسمل الأراضي الهضبية، حيث تختلف التربة بسكل كبير، ويعتمد الإنتاج على كمية الأمطار السنوية، وهي مصنفة من النوع المتوسط، وأهم حاصلاتها الزيتون والكرمة والنين. وقد بذل المزارع الفلسطيني عليها جهدا كبيرا، وحول سفوحها شديدة الانحدار إلى مصاطب منتظمة.

والنوع الثالث: ويسمل الأراضي الواقعة تحت سطح البحر في وادي الأردن ـ بين بحيرة طبريا والبحر المين. وقد صنفت أراضيها بالنوع الفقير، وتعتمد في حالة انعدام الأمطار على الرى من النهر، إما بواسطة المضخات أو الراحة.

والنوع الرابع: ويسمل منطقة النقب في جنوب البلاد، وهي منطفة صحراوية جافة وفقيرة بالزراعة إلا في بعض المناطق التي تتوفر فيها التربة الحسنة والرى.

وقد قدرت المصادر الرسمية مساحة الأراضي الجيدة بحوالي ٢٠٠٠ر٢٧٤ر٣ دونم* (أو ما يعادل ١٠٠٠ر٨١٨ فدان)، والأراضى المتوسطة الجودة بحوالي ٢٠٠٠ر٨١٨ دونم، (أو ما يعادل ١٣٠٢ر٤٤٢٦ فدان)، والمناطق الفقيرة في النقب والهضبة الوسطى بحوالي ٢٠٠٠ر٢٦٤ر٣٢ دونم، (أو ما يعادل ٢٠٠٠ر٣١٣/٣ فدان) (٢٠).

ومن هذا نلاحظ أن الأراضي الجيدة قليلة نسبيا (حوالي تلث مساحة الأراضي المتوسطة)، ولذلك فقد كان الملاك العرب يهتمون بتملك جزء من هذه الأرض، ومتى تحقق للمالك ذلك لا يفرط به خاصة إذا كان مورد رزقه الوحيد. أما الإقطاعيون الكبار فكان البعض منهم يتاجر بجزء من أرضه (أو بأجمعها) إذا ما وجد الظروف الاقتصادية ملائمة لذلك، أما المزارع الصغير _ إذا كان له أرض في هذه المنطقة _ فقلما يسعى إلى بيع أي قسم منها، بل العكس يسعى إلى زيادة حيازته منها إذا استطاع.

ونظرا لعدم توفر سجل عقارات رسمي منتظم وإثباتات معتمدة عن توزيع الملكية أيام العثمانيين في فلسطين، لذلك لا توجد إحصائيات عن هذا التوزيع حسب الفئات المختلفة، ولا عن المساحات التي تخص الإقطاعيين الكبار أو المتوسطين أو الصغار.

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



شکل رقم(۱)

وإن المساحات المذكورة في سجلات الطابو (الكوسان) التي كانت قد أجريت أيام العمانيين ليسب صحيحة، إذ كانب تعطي مساحات أفل من الحفيقة في كنير من الأحيان. ويذكر المطلعون على توزيع الملكيه العفارية في هذه المنطقة أن الاعتاد على مشل هذه السجلات قد يعطى أفكارا خاطئة. ولكن بعد نحرى كنير من المصادر يمكن القول: إن الشي الذي يمكننا التأكد منه أنه كان يوجد في الأفاليم التي كانت ضمن حدود فلسطين الحالية تطور منتظم لتركز الملكيات العقارية في أيدي أفليه من السكان الذين كانوا يقيمون بما عرف فها بعد بسوريا الكبرى.

وفقا لإحصائيات رسمية أخذت في عام ١٩٠٩م في نلانة «سناجق» (أقاليم)، وهمي القدس، ونابلس، وعكا، فقد كان هناك ١٦،٩١٠ عائلة تشتغل بالزراعة على مساحة تقدر بحوالي ٧٠٠ره٧٨ دونم، أي بمتوسط ٤٦ دونم للعائلة الواحدة. كما وجد أن ٦٧ في المائة من مزارعي سنجق القدس، و ٦٣ في المائة من مزارعي نابلس، كانوا يملكون قطعا من الأرض مساحة الواحدة أقل من ٥٠ دونم للعائلة. لكن على الجانب الآخر كان يوجد عدد صغير محدود من الملاك يسيطر على مساحات شاسعة فيا بينهم.

ووفقا لمسح أجري في العقد الثاني من هذا القرن، فإن نفس المصدر يذكر أنه قد وجد الحكون ٢٠٠٠ و١٣٠ دونم، بمتوسط ٢٢ ألف دونم للعائلة. أما في قضاءي غزة وبئر السبع فقد كان هناك مساحة تبلغ أكتر من مليوني دونم بحوزة ٢٨ عائلة. كما وأن إحدى عشرة عائلة كانت الواحدة منها تسيطر على أكر من مائة ألف دونم. أما توزيع الملكيات الكبيرة في الأقضية الأخرى فقد كان كما هو ظاهر في جدول رقم (١).

ومن هذا الجدول نلاحظ أن أكبر إقطاع كان موجودا في قضاءي عكا ونابلس ـ طولكرم (من حيث المساحة)، وأصغره في قضاءي يافا وحيفا (ضمن مناطني التربة الخصبة).

وبناء على نفس المصدر فإن أكبر إفطاع في فلسطين كان لعائله سرسق اللبنانية التي كانت تملك في سهل مرج ابن عامر حوالى ٢٣٠٠٠٠٠ دونما، كما أن حوالي ٢٥٠ عائلة إقطاعية أخرى كانت تملك فيها بينها ما يعادل ١٤٠٠/٥٠٠ دونم، وهذا يقارب كل ما كان يملكه المزارعون الصغار في فلسطين آنذاك، أي بمتوسط ١٦٥٥/٠٠ دونم للعائلة الواحدة، وكانت غالبية

هذه العلائات تفيم في بيروت أو دمشق عندما انفصلت فلسطبن عن سوريا ولبنان عفب انسحاب العنهانيين وتعديل الحدود بين المنطقتين الفرنسية والبريطانية في هذه المنطقة، لذلك لم

يجد عملاء الصهاينة صعوبة كبيرة في إقناع هؤلاء الإقطاعيين ببيع أراضيهم في المنطقة البريطانية بأسعار مغرية (كما سنبين فيا بعد)، بما ساعد على توغل واتساع نفوذ الاستيطان الصهيوني في فلسطين منذ بداية القرن العشرين. وفد أخذ هذا الاستيطان ثلاث مراحل رئيسية، كان لها تأثير كبير على تعقيد المنسكلة الفلسطينية.

جدول رقم (١) توزيع الملكيات الكبيرة في بعض الأقضية الفلسطينية قبل حلول الانتداب البريطاني ×

متوسط المساحة العائلية ××	مساحة أراضيهم (بالدونم)	عدد الملاكين الكبار	القضاء
9771	۲٤٠٫٠٠٠	47	القدس والخليل
٣٦	177,	٤٥	يافسا
727.	171,	٥	نابلس وطولكرم
19	118,	٦	ا جنیــــن
92	121,	10	حيفا
10470	۱۲۳٫۰۰۰	٨	الناصــرة
712	۱۵۷٫۰۰۰	٥	عكــا
14174	۷۳٫۰۰۰	٦	طبريسا

A. Granott : The Land Systems of Palestine (London: Eyre & Spottswoode, 1952), بالمصدر : المصدر

^{× ×} لم تتوفر هذه الإحصائيات في المصدر الأصلي، وهي من عمل الباحث مع التقرب.

شکل رقم (۲)

٢ ـ المراحل التي اتبعتها المؤسسات اليهودية ـ الصهيونية لاستيطان فلسطين
 ونتائجه الاقتصادية والسياسية:

أ) المرحلة الأولى : الحصول على الأراضى العربية قبل عام ١٩٢٠ م :

لقد باشر اليهود الحصول على الأراضى العربية فل فلسطين منذ الثانينات للقرن الماضي، بحيث قامت هيئان خيرية يهودية في تطوير مستعمرتين زراعيتين بالقرب من صفد وطبريا، مؤلفة في الغالب من المواطنين اليهود، بينا بفيت الأقلية الأخرى المقيمة في القدس قارس حياتها المدنية ـ الدينية دون الاكتراث بالزراعة. ولكن بعد عمليات اضطهاد اليهود في روسيا قامت جماعة من الشباب اليهودي بتنظيم حملة للهجرة إلى فلسطين، وتأسيس أول مستعمرة زراعية إلى الجنوب الشرقي من يافا، دعيت ريشون لتسيون (Rishon Lezion) حيث قام بتمويلها في البداية البارون «هيرش» وجمعيته اليهودية، نم دعمها بعد ذلك البارون «مروتشيلد» الذي قام فيا بعد بتأسيس مؤسسة للاستيطان اليهودي في فلسطين، أخذت تعرف فيا بعد «بمؤسسة بيكا (P.I.CA).

ومع أنه كانت توجد مؤسسات أخرى تعمل للحصول على الأراضي العربية أتناء الحكم العثماني، إلا أن مؤسسة «بيكا» بقيت أهم مؤسسة متخصصة بنبراء الأراضي الفلسطينية قبل الحرب العالمية الأولى وحتى أوائل العشرينات من هذا القرن. ومع أن السلطات العتمانية كانت تمانع في انتقال الأراضي إلى الأجانب في فلسطين، إلا أن المنظات الصهيونية ـ اليهودية استعملت طرقا ملتوية وسياسرة لتسجيل تلك الأراضي باسمها. وعندما استلمت السلطات البريطانية الانتداب على فلسطين منعت عملية انتقال الأراضي لمدة عامين (بين ١٩١٨ إلى البريطانية الانتداب على فلسطين منعت عملية ان المساحة التي كان قد حصل عليها اليهود قبل هذا العام قد بلغت ٢٠٠٠ ومن، (أي ما يعادل ٥٠٪ من مجموع مساحة فلسطين تقريبا). ويعتقد البعض أن جزءا منها قد تسرب إلى اليهود خلال إغلاق السجلات ".

(راجع شکلی رقم ـ ۲ و ۳) .

فمن دراستنا لشكل (رقم _ ٢) نلاحظ تركز المستوطنات اليهودية على السهل الساحلي ووادي نهر الأردن الأعلى (منطقة الحولة وطبريا). وتربة هاتين المنطقتين قد صنفت بأنها جيدة الإنتاجية (شكل رقم _ ١)، ولم يكن هناك مستوطنات يهودية على الهضبة الوسطى _ سوى

شكل رقم (٣) - 279 -

انتين حول مدينة القدس _ وكذلك الحال في سهل مرج ابن عامر. هذا وقد بلغ عدد المستوطنات اليهودية التي أنشئت أثناء الحكم العنهاني ٢٤ مستوطنة، (إحدى وعشرون منها كانت تابعة لمؤسسة بيكا) (٤). وقد بقي الوضع على هذا الحال تقريبا حتى عام ١٩٢٠م (سكل رقم _ ٣)، إلا أنه بدأ بظهر توغل في سهل مرج ابن عامر (مستوطنتان)، وأخرى في منطقة النقب. وباستيناء هذه المستوطنة الأخيرة فإن معظم تلك المستوطنات قد أنسى في مناطق زراعية أو ذات إمكانيات زراعية كبيرة بعد تطويرها إذا ما توفرت الأموال والتقية (كمنطقتي الحولة وعتليت).

ب) المرحلة الثانية: الحصول على الأراضي الفلسطينية ما بين ١٩٣١ ـ ١٩٣٩م:

لقد ذكرنا أعلاه أنه في سبتمبر (أيلول) ١٩٢٠م كان لليهود حوالي ٢٠٠٠٠٠ دونم، (أو ما بعادل ٥٦٥٪ من مجموع مساحة فلسطين). وقد كان عدد اليهود آنذاك حوالي ٢١٠٠٠ نسمة، (أو ما يعادل ١٠٠٠٪ من مجموع سكان فلسطين تقريبا)، أما السكان العرب فكانوا حوالي ٥٤٢٠٠٠ نسمة (٥٠٠ وقد ابتدأ أعداد اليهود تتزابد منذ حلول الانتداب البريطاني طمعا في الحصول على أراضى جديدة داخل أملاك المستوطنات التي كانت تقيمها المنظات الصهيونية بسرعة في فلسطين. وفي عام ١٩٢٢م بلغ عدد اليهود ما يقارب من ٢٩٧٥٨ نسمة، منهم حوالي ١٧٠٠ر١٥ نسمة (أو ما يعادل ١٨٪ من السكان اليهود) يقيمون على أراضى زراعية (١٠).

لكن بعد إعلان وعد بلفور (١٩١٧م) ودعمه معنويا وماديا من قبل المنظات الصهيونية خارج فلسطين، بدأ الصراع الحقيقي للاستيلاء على الأراضي العربية بستد بعنف. وقد علم العرب (كما علمت المنظات الصهيونية ووزارة الخارجية البريطانية) أن عبارة «وطن قومي لليهود» كانت تحمل في خفاياها معنى «دولة يهودية»، لذلك فقد لاحظت الهيئات الفلسطينية العربية أن حياة شعبها مرتبطة في النهاية بأمرين أساسيين، هما: فضية انتقال الأراضي، والهجرة اليهودية إلى فلسطين. ومن جهة أخرى فقد رأت المنظات الصهيونية في امتلاك الأراضي بصورة فعلية وخلق علاقة قوية بين المستوطنين اليهود والأرض الأسلوب الوحيد لامتلاك فلسطين بكاملها في المستقبل. ولعل مذكرات «وايزمن» هي أحسن ما يلقي الأضواء على الطربقة التي اتخذها الصهاينة «لصهينة» أرض فلسطين في هذه الفترة وانتزاعها من أصحابها. يقول وابزمن في مذكراته: (٧)

«وفى شهر بناير (كانون ناني) من عام ١٩١٧م رأيت أنه فد حان الوقت لعمل نبي عاسم، وللحصول على تصريح فاطع واضح، يحفظ لليهود آمالهم في فلسطين. ولهذا قدمت في ذلك الشهر مذكرة أعددتها مع اللجنة الصهيونية إلى «السير مارك سايكس»، بم عقدت معه عدة مؤترات في سأنها، وأخيرا رفعت المذكرة وهي الأولى من نوعها _ إلى الحكومة البربطانية. وخلاصتها ما يلى:

- السعب اليهودي في فلسطين يعني اليهود الموجودين الآن في فلسطين أو اليهود الذين سيهاجرون إليها في المستفبل، وعلى الحكومة التي ستحكم فلسطين أن تعترف بهؤلاء اليهود على أنهم السعب اليهودي، ولهذا السعب أن يتمتع بكافة حقوقه المدنية والفومية والسياسية.
- ٢ _ على الحكومة أن توافق في الحال على تأسيس سركة يهودية لاستعار فلسطين باسم اليهود، ويجب أن لا تقتصر مساعدة الحكومة على شراء الأراضى، ولكن بجب أن تنفل إليها جميع الأراضى الأمبرية كذلك.
- على الحكومة التي ستحكم فلسطين أن تسهل ليهود العالم حرية الهجرة إلى فلسطين،
 وأن تعطيهم كذلك حق الجنسية الفلسطينية، نم حرية سنزاء الأراضي».

وبناء على هذه السياسة فقد سرعت المنظات الصهيونية منذ حلول الانتداب البربطاني تعمل بشكل جنوني للحصول على امتيازات سياسية، لكي تضمن سرعة انتقال الأراضي إلى أيدي الصهاينة أكثر من ذي قبل. وقد كان أهم عمليتين قامت بها هذه المنظات هو تأمين تعيين مندوب سامي صهيوني ليدير شؤون الانتداب، وبسهل عملية اغتصاب الأراضي لحق اليهود. (وقد نم ذلك بتعيين السير «هير برت صموئيل» H. Samowl أحد الذين صاغوا وعد بلفور ـ ومعاون له صهيوني آخر يدعى «لورمان بنتوبس Norman Bentwich» كنائب عام ـ (وألبرت هيامسون Albert Haymson)

أما العمل النائي الذي قامت به المنظات الصهيونية فكان تأسيس «الصندوى القومي اليهودي» Jewish National Fund ليقوم بسراء وتطوير واستيطان الأراضي التي يحصل عليها في فلسطين بالنيابة عن الشعب اليهودي عامة. (وقد كان هذا الصندوق مدعوما برؤوس أموال كبيرة من تبرعات المؤسسات والهيئات اليهودية والأفراد في جميع أنحاء العالم). وهكذا ففد

ضمنت المؤسسات الصهيونية العمل على نطاقين: الناحية التسريعية ـ القانونية، والناحية المالية ـ القومية.

وما إن استلمت الهيئة البريطانية الصهيونية الحكم على فلسطين حتى أصدرت قانونا للهجرة في أغسطس (آب) ١٩٢٠م، الذي وضع الحد الأعلى للهجرة إلى فلسطين بـ ١٥٥٠٠م، الذي وضع الحد الأعلى للهجرة إلى فلسطين بـ ١٩٥٠م الذي وضع الحد الأعلى للهجرة إلى فلسطين بـ ١٩٥٠م الفواين الأومي يهودي في السنة الأولى. أما القوانين الأخرى وتسجيلها، وإجراء تسوية للملكيات المتنازع عليها، لكي تصبح عملية الحصول عليها أسهل. وأهم هذه القوانين فانون كان يخفي في طياته عملية حماية الفلاح العربي ضد إمكانية طرده من أرضه من قبل الإقطاعيين، إلا أنه كان له التأثير المعاكس، نظرا لوجود مساحات ساسعة مملوكة من قبل هؤلاء الإقطاعيين المتغيبين عن البلاد والمقيمين في لبنان أو سوريا. وبينا كانت العلاقات بين الفلاحين والإقطاعيين علاقات باستطاعتهم التوقف عن دفع الإيجار عن أراضيهم لأولئك الملاك الغائبين، لأن هذا القانون بعطيهم «حماية حق الاستغلال» Tenancy Right وكذلك فهو يحميهم ضد إمكانية الطرد من يعطيهم وجود سوق على الإيجار من الفلاحين، كما عليهم دفع ضرائب عالية عليها، هذا عاجزون عن الحصول على الإيجار من الفلاحين، كما عليهم دفع ضرائب عالية عليها، هذا بالإضافة إلى وجود سوق نشطة وأسعار مغرية للأراضى من قبل السهاسرة العديدين آنذاك، بالإضافة إلى وجود سوق نشطة وأسعار مغرية للأراضى من قبل السهاسرة العديدين آنذاك، تدخل عندئذ هؤلاء العملاء، ودفعوا أسعارا مرتفعة للإقطاعيين سمن أراضيهم.

وهكذا فقد استخدمت الساسرة بالعشرات في العشرينات وبالمئات في أوائل الثلاثينات من هذا القرن لشراء الأراضي للصهاينة، وما إن زادت قوة وخبرة الصندوق القومي اليهودي في الحصول على الأراضي حتى أصبح له حوالي ٩٠٪ من مجموع الأراضي التي حصل عليها اليهود إلى هذا الوقت. وقد قامن هذه المؤسسة خلال هذه العمليات في تطوير وتنفيذ ما سمي فيا بعد «بسياسة قومية للحصول على الأراضي»، تهدف إلى تحقيق ما يلي (١):

١ _ ملاءمة قطعة الأرض المراد سراؤها لاستيطان اقتصادي يهودي شامل.

٢ ـ مكانة قطعة الأرض في بناء وتحقيق أغلبية يهودية، بحيث تضمن عملية الشراء ضم قطع الأرض إلى الأخرى التي سبق شراؤها من قبل، وبذلك يتم تدعيم المناطق اليهودية المعزولة وتوسيع رقعتها.

- عاولة تجنب عزل المستوطنات لكى لا تقع فريسة لغزو «السعب العربي الحافد».
- ك _ إذا ما أصبح الجو الدولي غير ملائم للحصول على جميع أراضي الدولة المتفق عليها (المقترحة) أو على جزء منها، فإن الحصول على الأراضي النائية سيساعدهم أمام الهيئات الدوليه والدول العظمى على فرض وجودهم في المناطق التي هي عرضة للفقدان إذا ما فامت مفاوضات جدية مع العرب. (قارن هذه السياسة مع سياستهم للمناطق المحتلة عقب حرب عام ١٩٦٧م، وما يحصل الآن في المفاوضات الأخيرة بالنسبة لسيناء والضفة الغربية وهضبة الجولان).
- ولتحقيق هذه السياسة فقد سنت الوكائة اليهودية (التي تشرف على الصندوق القومي) قوانين خاصة منها (۱۰):
- أ _ إن الأرض التي نحصل عليها ستصبح ممتلكات يهودية، وسيكون حق الملكية مسجلا باسم الصندوى القومي اليهودي، إن هذه الممتلكات هي ملك غير متنازع عليه للسعب اليهودي فاطبة.
- ب _ إن الوكالة ستتولى الاستيطان الزراعي مبنيا على العمال اليهود، وسيكون استخدام اليهود في كل الأعمال والمساريع التي ستقام على هذه الأراضي واجبا ومتفقا مع المبادئ العامة الأساسية للوكالة.
- جـ _ إن العفود المبرمة مع مستأجري أراضي الصندون القومي تفرض غرامات وطردا نهائياً إذا استخدم المستأجر عالا غبر يهود على أرضه.

وقد كانت أول صفقة ناجحة لهذا الصندوق شراء أكثر من مائتي ألف دونم في سهل مرج ابن عامر (أخصب سهول فلسطين) ما بين ١٩٢١ ـ ١٩٢٥م من عائلة سرسق اللبنانية، وكانت هذه المساحة تسمل ٢٢ قرية، تقطنها ١٧٤٦ عائلة مؤلفة من ٨٧٣٠ سخصا. وكانت نتيجة ذلك أن أزيلت تلك القرى، وأجلي أهاليها وستتوا، وتألب عليهم البرد والجوع، وفتكت بهم الأمراض، كما اضطر كثيرون منهم إلى الجلاء النهائي، (فهاجروا إلى أمريكا)، وحل الصهاينة مكانهم. تم عاد آل سرسق فباعوا بعد ذلك أراضي أخرى من هذا المرج للصهاينة، حتى إنه لم يبق في يد العرب منه إلا القليل (١١٠). كما نجحت هذه المؤسسة في شراء وادي الحوارث (على السهل الساحلي وجنوبي مدينة حيفا) من آل الطيان (٨٤-٢عyan) ، ومساحته تقدر بـ ٥٠٥ (٣١ دونم (عبلغ ٤١ ألف جنيه فلسطيني).

أما الصفقة النانية فكانت في سهل الحولة، وتقدر مساحته بحوالي ١٩٥٠٠٠ دونم، باع منها بعض السورين غير المفيمين في فلسطين حوالي ١٠٠ر كدونم (١٢)، ونتيجة لمثل هذه الصفقات، ولإجلاء الفلاحين عن هذه الأراضي وغيره، فقد فامت اضطرابات شدبده في البلاد (خاصة في عامي ١٩٢٥ و ١٩٢٦م)، مما أدى إلى تعديل قانون انتفال الأراضى بحيث سمل مادة تنص على أنه إذا طرد فلاح من أرضه بسبب بيعها فإنه «يجب أن محتفظ بأرض كافية في مكان ما تسمح له أن يعيل نفسه وعائلته». ومع أنه من الأراضى التي حصل عليها ما ببن الحربين العالميتين كانت أراضى غير مزروعة من قبل، إلا أنه صحيح أبضا أن مساحات أكبر كانت مزروعة ومسكونة. وكانت الوكالة اليهودبة تلجأ إلى حيلة خاصة، وهي أن تسترط على البائع أن لا نتم الصفقة ما لم تكن الأرض خالية من الفلاحين تماما. ولذلك كنيرا ما كان الملاك يتبعون طرقا عديدة لإفناع هؤلاء التعساء بالرحيل عن أراضيهم قبل وصول اليهود اليهادية).

ونتيجة لهذا التلاعب في تنفيذ القانون السابق فقد قامت في البلاد مظاهرات واضطرابات خطيرة ودامية، مما دعا حكومة الانتداب إلى استبدال ذلك القانون بفانون آخر، يهدف إلى «حماية المزارع»، وذلك بمنع طرده من أرضه إذا استطاع إببات حق استغلاله لتلك الأرض لمدة عام على الأفل. ولكن الملاك أخذوا يلجأون إلى حيلة جديدة أخرى، وهي تأجير أراضيهم التي ينوون بيعها في المستغبل إلى بعض الفلاحين لمدة تقل عن العام، أو عدم منع نفس الفلاح حق استغلال تلك الأرض مانية بعد انتهاء الموسم الزراعي.

ومع وجود هذه التغرات في القانون الجديد، إلا أن مساحة الأراضي التي تمكن اليهود من شرائها في أوائل النلانينات كانت أقل بكنير مما كان عليه الوضع في عام ١٩٢٩م، حيت وصلت مساحة الأراضي التي اشتراها اليهود إلى ١٥ر٦٥ دونم، بينا بقيت في الأعوام التلاتة الأولى من الثلانينات تتأرجح حول ٢٠٠٠/١ دونم (١٤). ولكن ما إن ابتدأت وفود المهاجرين اليهود تصل من غربي أوربا (محملة بالمال) ابتداء من عام ١٩٣٣م حتى أخذت أسعار الأراضى بالارتفاع نتيجة لازدياد الطلب على الأراضى العربية، فعاد الساسرة والعملاء إلى نشاطهم السابق في شراء الأراضى، فارتفعت المساحة المشتراة في عام ١٩٣٤م إلى ١٩٢٤م دونم، وفي العام التالي إلى ١٩٥٥م ودنم، وهو أعلى حد وصلت إليه تلك الصفقات منذ اضطرابات عام ١٩٢٥م.

وقد اعترف الصندوق القومي اليهودي بأنه لم يستطع إيجاد استغلال مباسر لمنل هذه المساحات الشاسعة، لذلك فقد وضعت كاحتياطي لضان عملية الاستيطان في المستقبل عند حصول أزمات سياسية أو فرارات معاكسة لعملية انتقال الأراضي في فلسطين. وهذا ما زاد من حدة النورة الفلسطينية مرة أخرى، وقد قام الأهالي أيضا بأطول إضراب عام عرفته البلاد، حيث استمر الإضراب لمدة ستة أشهر من عام ١٩٣٦م، ولم ينته إلا بعد تدخل بعض الدول العربية، إلا أن النورة بقيت مستمرة إلى عام ١٩٣٩م، عندما اضطر العرب إلى إيقاف أعالهم العسكرية، نظرا لاندلاع نيران الحرب العالمية النانية، وإعلان الأحكام العرفية في فلسطين.

وهكذا فقد تبين أنه خلال الفترة ما بين ١٩٢٠ _ ١٩٣٦م استطاعت المنظات الصهيونية من خلال نشاطاتها المكثفة أن تحصل على حوالي ١٩٣٠ دونم، (وإذا أبعدنا منطفة النقب تكون المساحة للأراضي الزراعية معادلة لحوالي ٢٥٠٠٠٠ دونم، وهذه المساحة تقارب المساحة التي كان قد نحصل عليها اليهبود قبيل عام ١٩٢٠م، وبذلك أصبحوا يملكون حوالى التي كان قد نحصل عليها إلى أراضي النقب)، وهذا يعادل حوالي ٥٪ من مجموع مساحة فلسطين (١٦).

ولكن بناء على الاحصائيات الرسمية فإن مساحة الأراضي اليهودية غير الصالحة للزراعة قد قدرت آنذاك بحوالي ٢٢٪ من مجموع أراضيهم، أي ٢٥٨ر٢٥٨ دونم). وقد أضيف إلى ممتلكاتهم حوالي ٢٠٠٠٠ دونم من الأراضي الحكومية الزراعية العارب ١٩٣٥م ما يقارب ١٩٣٥م ما يقارب ١٩٣٥م دونم فقط(١٧).

هذا ولم تتوفر الإحصائيات عن مصادر هذه الأراضى بأجمعها، إلا أن مصادر الوكالة اليهودية أعطت معلومات عن مصادر حوالي نصف هذه المساحة، كما هو ظاهر في جدول (رقم _ ٢).

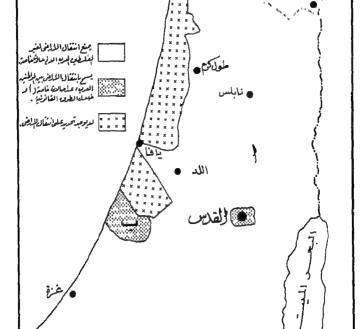
فمن جدول (رقم - ٢) نلاحظ أن ٢٥٦٥٪ من مجموع هذه الأراضي التي توفرت المعلومات عن مصادرها كانت قد اشتريت من الإقطاعيين الغائبين عن فلسطين، و ٢٠٤٦٪ من مجموع الأراضي اشتريت من الإقطاعيين المقيمين في البلاد، بالإضافة إلى ١٣٦٤٪ اشتريت من مصادر أخرى (كأراضي حكومية ومن الكنائس والشركات الأجنبية). وبالحقيقة

فإن جزءا بسيطا (٤ر٩٪) من مجموع هذه الأراضى قد بيع من قبل المزارعين الصغار خلال هذه الفترة، وإن حوالي نصفها كان قد انتقل إلى أيدي اليهود قبل عام ١٩٢٠م، أي قبل تجسد خطر الاستيطان الصهيوني لفلسطين.

وهناك مصادر أخرى تشير إلى أنه منذ تأسيس مؤسسة «بيكا» حتى عام ١٩٣١م فقد حصلت على مساحة ٢٠٩٥ ورنم، ومنها ٢٨٥ و ٢٨٠ د. (أو ما يعادل ٤٩٤٪ من مجموع الأراضى المشتراه من الإقطاعيين الغائبين، و ٢٨١٩ د. (أو ما يعادل ٢٠٠٣٪) من المزارعين المقيمين على أراضيهم. أما بين ١٩٣١ ـ ١٩٣٥م فقد زادت هذه المؤسسة ٢٠٥٠٠ د. إلى ممتلكاتها، منها ١٠١٥ د. من الملاك الكبار، و ٢٠٤٠ د. من المزارعين الصغار (١٨٠٠). أما بالنسبة لمشتريات شركة تطوير الأراضى الفلسطينية (٣٠٥.٥٠) ما بين ١٩١٠ ـ ١٩٣٠م فقد حصلت على ٢٩٣٠م ٢٠٠٠ د. في منطقة بشر السبع. ومن المبقية ١٩٣٧م د. (أو ما يعادل ٢٩٣١٪) اشتريت من الإقطاعيين الكبار، و ٢٥٢٥٨ د. (أو ما يعادل ٢٩٣٨٪) من المزارعين الصغار. أما بين عامي ١٩٣١ ـ ١٩٣٥م فإن هذه الشركة حصلت على ١٩٣٨م ١٥٠٥ د. منها ١٩٤٨م ١٩٥٤ د. (أو ما يعادل ١٩٨٥٪) قد اشتريت من الإقطاعيين الكبار، و ١٩٢٤م أو الكبار، و ١٩٢٥م أو الكبار، و ١٩٢٥م أو الكبار، و ١٩٨٥م د. (أو ما يعادل ١٩٨٥٪) من المزارعين الصغار. أي أن خلال ٢٥ عاما استطاعت هذه الشركة أن تحصل على ما يعادل ١٩٨٥م د. (أو ما يعادل ١٩٨٥٪) من المزارعين الصغار. أي أن خلال ٢٥ ما يعادل ١٩٨٧م د. (أو ما يعادل ١٩٨٥٪) من المزارعين الصغار. أي أن خلال ٢٥ ما يعادل ١٩٨٥٪) من الإقطاعيين الكبار، و ١٨٥٠م د. (أو ما يعادل ١٩٨٥م) من المؤلوكة أن تحصل على ما يعادل ١٩٢٥م د. (أو ما يعادل ١٩٨٥٪) من المزارعين الصغار. أي من المزارعين الصغار. أي أن خلال ٢٥ ما يعادل ١٩٨٥م) من الإقطاعين الكبار، و ١٨٥٠م د. (أو ما يعادل ١٩٨٥٪) من المؤلوكين.

هذا ومن ناحية توزيعها الجغرافي فإن معظم ممتلكات اليهود إلى هذا الوقت كانت في المناطق السهلة ذات التربة الخصبة، خاصة في السهل الساحلي وسهل مرج ابن عامر، كما هو واضح من الجدول التالي: (٢٠)

Lie Control of the state of the



المنطقة المحددة البيع في فلسطيون سنكانة م شكل رقسم (ع)

المساحة بالدونم	المناطق السهلية
٨١٢ر٤٥٥	السهل الساحلي
101,.79	سهل مرج ابن عامر
۲۵۲ر۱۱۱	وادي نهر الأردن
٨١٨ره٤	سهل الحولة
۷۵۲٫۲۶۸	الجموع
477,714	المنطقة الهضبية
١٩٤٠/٠ وهذا أقل من ٥٪	الجموع الكلي
من مساحة فلسطين)	

وإن كتيرا من هذه الأراضي قد تحول إلى مستوطنات يهودية، كما يظهر من مقارنة نسكلي (رقم ٢ و ٣),

جـ _ أساليب الحصول على الأراضي العربية ما بين ١٩٣٩ _ ١٩٤٨م :

لقد شاهدنا أنه خلال الثلانينات من هذا القرن استدت حدة الاضطرابات في فلسطين، وأخذت شكل تورة سعبية بين عامي ١٩٣٦ _ ١٩٣٩م. وقد كانت الهيئات الفلسطينية تطالب بإيقاف الهجرة اليهودية إلى فلسطين، ومنع انتقال الأراضي إلى اليهود وهكذا فعندما اندلعت الحرب العالمية النانية حاولت الحكومة البريطانية تهدئة الأحوال في فلسطين، فأرسلت لجنة لدراسة الأوضاع الاقتصادية في البلاد وأسباب الاضطرابات. وقد أوصت هذه اللجنة (لجنة ماكدونالد) بعد زيارتها للمنطقة في عام ١٩٣٩ بعدة توصيات، عرفت فيا بعد «بالكتاب الأبيض» (McDonald White Paper). وقد كان أهم توصياتها تحديد عمليات بيع الأراضي في فلسطين. وبناء على ذلك فقد أصدرت حكومة الانتداب عام ١٩٤٠م تشريعات جديدة بهذا الخصوص، أهمها تقسيم البلاد إلى بلات مناطق: (٢١) (شكل رقم ٤).

المنطقة «أ»: وتشمل أراضي عامة خالية تقريبا من المستوطنات اليهودية، معظمها في الجليل الغربي والهضبة الداخلية وشهال ألنقب. وقد جعل أمر الحصول على الأراضي من قبل

توزیع المستوطنات الیهودیت فی فلسطین ستهانت شکل رقس (ه) - ۱۷۹ -

اليهود ممنوعا، إلا عن طريق الأساليب القضائية. (وقد قدرت مساحتها بحوالي ٦٣٪ من مجموع مساحة فلسطين).

المنطقة «ب»: وتشمل سهول مرج ابن عامر وجزريل وشرفي الجليل (سهولة الحوله وطبريا) وبيسان والجزء النمالي من سهل شارون الساحلي بالإضافة إلى المنطقه الواقعة شمال شرفي غزة وجنوبي النقب. وقد جعل بيع الأراضى فيها مرتبطا بأعمال التطوير و «تعزيز» الممتلكات السابفة من أجل مساريع، بعتبرها المندوب السامي ذات فائدة عامة. (وهناك مصدر آخر يذكر أن بيع الأراضى في هذه المنطقة مسموح بين المواطنين العرب فقط إلا في حالات خاصة) (٢٢).

وفد فدرت مساحتها بحوالي ٣٢٪ من مجموع مساحة فلسطين .

المنطقة «ج»: وتسمل معظم أراضى السهل الساحلي وخليج حيفا وجنوبسى يافا، بالإضافة إلى منطقة القدس. وقد جعل البيع في هذه المناطق مسموحا للطرفين، وقد دعيت هذه المنطقة «بالمنطقة الحرة» (Free Zone)، وقد قدرت مساحتها حوالي ٥٪ من مجموع مساحة فلسطن.

ومن دراستنا لهذه الخريطة نلاحظ أن الصهاينة قد أعدوها بأيديهم لتلائم مصالحهم الخاصة، ولتعمل على تلطيف حدة اضطرابات العرب خلال هذه الفترة الحرجة (انتصارات ألمانيا المبدئية في أوربا). فأولا نجد المنطقة «أ» هي منطقة هضبية، ومعظم أراضيها قد صنفت إما من الدرجة المتوسطة أو الفقيرة، وتحتاج إلى رؤوس أموال طائلة لتطويرها في ذلك الوقت، لذلك لم يكن الصهيونيون توافين آنذاك لافتنائها، مع أنها كانت تسمل معظم أراضي فلسطين (٢٣٪). أما المنطقة «ب» فقد كان اليهود قد حصلوا على معظم أراضيها الصالحة للزراعة، وأنسأوا أيضا عليها المستوطنات لتنبت حقهم السرعي فيها (شكلي رقم ٥ و ٦). لذلك فقد تجاهلوها في الوقت الحاضر، واتكلوا على اتباع الطرق الشرعية أو القانونية التي كانوا يسيطرون عليها تقربا، كها أنهم كانوا يعتمدون على بعض السهاسرة الموتوق بهم لتسجيل يسيطرون عليها تقربا، كها أنهم كانوا يعتمدون على بعض السهاسرة الموتوق بهم لتسجيل الأراضي المشتراة باسمهم، نم نقلها إلى اليهود «بالطرق الشرعية». أما المنطقة «الحرة» فقد كان اليهود بحاجة ماسة لها لتدعيم وجودهم فيها، ومحاولة تطويق الممتلكات العربية التي لا كان اليهود بحاجة ماسة لها لتدعيم وجودهم فيها، وحاولة تطويق المتلكات العربية التي لا يزال أفرادها يرفضون بيعها. وقد كان اليهود قد حصلوا على حوالي نصف هذه المنطقة من يزال أفرادها يرفضون بيعها. وقد كان اليهود قد حصلوا على حوالي نصف هذه المنطقة من قبل ٢٣٠).

توزيع المستوطنات اليهودية في فلسطين سنكهانة شكل رقم (٦) - ٤٨١ -

جدول رقم ۔ ۲

توزيع مشتريات اليهود لبعض الأراضي الفلسطينية حسب نوع ملكيتها السابقة (١٨٧٠ ـ ١٩٣٦م)

الأراض التي استحصل عليها	من الزارعين الصعار	الأراحي ألتي استحصل عليها	من الإقطاعيين القيمين	الأراغي التى استعصل طليها :	من الإطاعين النائيين	مجموع المساحة	الفترة
7.	بالدونم	%	بالدوثم	%	بالدونم	(بالدونم)	
_	_	YA	١٨.٨٠٩	_		۰٬۰۷۳ ،۰۷۳	1444 _ 1444
۷۲۶۷	40. YE1	١ر٦	۲،٦٧٨	44.4	14.4.1	(*)4•,41A	1911 _ 1891
٣ر٤	ه ۹۰ ره	۸ر۳۳	49,974	77.7	44.514	**) \\A, Y4 •	1918_19-1
۸ر۳	۳٫۹۰۰	۸ر۲۰	71.887	کره ۷	74.44	1.7.177	1977_1970
1,7	۳٫۲٦٠	٤ر١٢	78,771	ለ ጌ٠	1474.1	۱۹۹٫٦٧٨	1977_1977
۲۸٫۳	17,980	۲۳۲	٤٥٤ و٣٣	ەرەئ	٤٣٠٣٨	97.544	1977 _ 1978
٥ر٢٢	ه ۲٫۹	77,7	۸۷۷ره۲	۸ر۲۶	7,1.4	٤١،١٥٠	1977_1977
غ ر\$	78,701	۲۲۶۲	۱٦٧٫٨٠٢	٦ر٢٥	۳۵۸،۸۷٤	(¿)7A1/9VA	المجمسوع

A Granott : The Land Systems in Palestin p. 277. : الصدر

معتمدا على مصادر الوكالة اليهودية.

- (أ) يضاف إلى الأراض التي اشتريت من الإقطاعيين المقيمين، مساحة ٤٨٠٢٦٨ دوغا اشتريت من مصادر أخرى.
 (ب) يشمل هذا العدد مساحة ٨٠٨٨٦ دوغا اشتريت من مصادر أخرى.
 - (جـ) يشمل هذا العدد مساحة ٣٥،٨٣٩ دونما (أو ٣٠٪) اشتريت من مصادر أخرى .
 - (د) يشمل هذا العدد مساحة ٩١،٠٠١ دونم (أوع و ١٣٪) اشتريت من مصادر أخرى .

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



شکل رقسم (۲)

_ 844 _

وهكذا فمن خلال استغلال النغرات الموجودة في هذه الفوانين فإن حيازات اليهود قد ازدادت بسكل مستمر خلال الأربعينات، ولو أن الزيادة كانت بشكل أبطأ عما عهدناه في أوائل النلانينات. فمنلا ازدادت حيازات الصندوق القومي اليهودي لوحده من ٢٠٠٠٧٠٠ د. في سبتمبر (أبلول) عام ١٩٣٩م إلى ٢٠٠٠٥٨٠ د. في سبتمبر عام ١٩٤٦م، مع أن أقل من نلت هذه الزيادة ظهر في سجلات الحكومة ضمن مستريات اليهود خلال هذه الفترة، وأن مصادر الوكالة اليهودية (التي كانت تشرف على هذا الصندوق) تبين أن حوالى ٢٠٠٠٠د. (٩٧٪ من مجموع المساحة السابقة) قد حصل عليها من منطقتى «أ» و «ب»، (حيث كان انتقال الأراضي إلى اليهود ممنوعا)، ومنها ٢٠٠٠٥٠ د. كانت مملوكة سابقا من قبل اليهود، (وسجلت خلال هذه الفترة)، و ١٩٠٠، و ١٩٧٠ د. كانت العرب، بما فيهم الإقطاعيون اللبنانيون والسوريون الغائبون عن فلسطين (٢٠٠٠ و والإضافة إلى ذلك فقد استطاع اليهود الحصول على والسوريون الغائبون عن فلسطين (٢٠٠٠ و والإضافة إلى ذلك فقد استطاع اليهود الحصول على والسوريون الغائبون عن المنطقة الحرة (٢٠٥).

ومع أن أغلب هذه الصفقات كانت مخالفة للتشريعات الصادرة في عام ١٩٤٠م إلا أن هذا العمل يدل على التأثير الذي كان يمارسه الصندوق القومي اليهودي من أجل تحقيق أطاعه وسياسته القومية، وكذلك فإنه يدل على تساهل ومعاضدة السلطات الحاكمة لمتل هذه الصفقات. وقد كانب حيازه الأرض من أجل تحقيق أطاعه في إنشاء المستوطنات الزراعية العامل الأول من وراء هذه الصفقات، ولكن ظهر فيا بعد أهداف جديدة، وهي: العامل الاستراتيجي والأمني، والعامل القومي للسياسي. فالعاملان الأولان كانا يهدف إلى المصول على أراض واسعة أو متصلة أينا أمكن ذلك، أما العامل التالث فكان يهدف إلى المصول على الأراضي في مناطق المعدود (الشهالية والشرقية). ولذلك فقد كانت تلك الأراضي عبارة عن بعضها البعض، وهكذا مع مرور الزمن أصبح الهدف الثالث هو الأهم، خاصة بعد صدور مخطط تقسيم فلسطين عام ١٩٣٧م من قبل لجنة «بيل Peel الأهم، خاصة بعد صدور مخطط تقسيم فلسطين عام ١٩٣٧م من قبل لجنة «بيل Peel على أراضي في المناطق التي كانت خارج الدولة اليهودية المقترحة. وإن دراسة خريطة توزيع على أراضي المشتراة من قبل اليهود عام ١٩٤٧م (شكل رقم ـ ٧) تظهر مدى نجاح هذه السياسة في تغيير حدود الدولة اليهودية المقترحة. وقد وصف هذه السياسة الاستيطانية التوسعية بعيدة النظر، خبير الأراضي الميهودي البراهيم غرانوط» بقوله:

«إن حدود دولة إسرائيل الجدبدة والتي تسير بشكل متعرج وغريب كانت قد صممت بنجاح اليهود في خلق سياسة الأمر الواقع، إذ إن كل الأجزاء التي قد توغل إليها المستوطنون اليهود قد دمجت ضمن حدود الدولة، بيها تلك الأجزاء التي لم يكونوا فيها أقوياء، أو لم يكن لديهم الوقت لغرس «أوتادهم»، بقيت في الغالب خارج حدود الدولة...»(٢٦).

وقد كان رد فعل العرب إزاء تزايد مساحة الأراضى اليهودية أن أسسوا مؤسسة تدعى «صندوق الأمة» ـ وهو مشر وع مشابه للصندوق القومى اليهودية ـ ، لكن على صورة أصغر، وقد جاء هذا الجواب متأخرا للأسف، فقد ساعد على إيفاف انتقال الأراضي إلى اليهود، وبدأ في شراء الأراضي التى كان ينوى ملاكها بيعتها. ورغم أن المنافسة كانت قوية بين هذه المؤسسة وسياسرة اليهود إلا أنه استطاع أن يشهر الخونة، ويحاول منعهم من بيع أراضيهم لليهود. (وقد استعملت القوة في بعض الأحيان ضد الخونة. وإذا راجعنا السجلات الرسمية الحكومية عن مشتريات اليهود خلال الفترة فإننا نجد أن مجموع ما سجل باسم اليهود بين المحكومية عن مشتريات اليهود خلال الفترة فإننا نجد أن مجموع ما سجل باسم اليهود بين المحكومية كان حوالي ٢٠٠٠ د. في العام).

هذا وقد كانت المنظات والمؤسسات اليهودية ـ الصهيونية تمارس ضغوطا قوية على حكومة الانتداب لكي تعمل على تحويل أجزاء كبيرة من أملاك الدولة إلى استغلالها الحاص، رغم أن مساحات واسعة كانت مسكونة من قبل المواطنين العرب منذ أجيال طويلة، ومع أن الإنجليز قد قاوموا معظم تلك الضغوط، إلا أن مساحة تقدر بحوالي ١٩٥٠، و١٩٥ د. رأت طريقها إلى أيدي اليهود، إما عن طريق البيع أو التأجير لمدد مختلفة (٢٨).

وهكذا فإن الإحصائيات الرسمية تظهر أن مجموع مساحة الأراضي المسجلة باسم المؤسسات اليهودية المختلفة حتى عام ١٩٤٥م قد وصل إلى ١٩٩٨ر١٩٩١ د.، (أو ما يعادل ٧ر٥٪ من مجموع مساحة فلسطين)، بينا الأراضي العربية كانت ١٢٥٧٦٦٦٢ د.، (أو ما يعادل ٥ر٨٤٪)، بالإضافة إلى منطقة بئر السبع (التابعة للقبائل البدوية) فقد كانت مساحتها حوالي ١٢٠ر٥٧٣٥، د.، أو ما يعادل ٢١ر٠٤٪ من مساحة فلسطين) وحيث إن هذه الأراضي هي ملك للعرب أيضا تحت «حق الاستغلال غير المتنازع عليه»، فإن مساحة أراضي العرب تصبح ٢٣٦ر٣٣٥، د.، (أو ما يعادل ٢٦ر٨٨٪ من مجموع مساحة فلسطين)، بالإضافة إلى جزء من الأراضي العامة، والتي بلغت مساحتها آنذاك حوالي ١٩٢ر١٩٤ر١ د.، (أو ما يعادل رقم ـ ٣).

جدول رقم ۔ ٣:

توزيع ملكيات أراضي فلسطين حسب نوعها وما ورد في السجلات الرسمية لعام ١٩٤٥*

المساحة (بالدونم)	نوع الملكية
(1)17,777,078	للعرب
1, 291,799	لليهود
	أراضي غير موزعة
۱۱۰ر۷۵۵ و ۱۰(۲)	وغير زراعية في النقب
(") 1, 29 1, 79 .	أراضي عامة
۲7,777,17	المجموع :
	(1) \ Y, Y \ \ \ \ \ \ \ \ \ \ \ \ \ \ \ \

- * المصدر · المرجع السابق : Village Statistics P. 19
- ** بالنسبة للتوزيع الإقليمي للممتلكات كل طرف يمكن مراجعة :

فوزي الأسدي : «قضية فرض الحدود الدولية والنزاع العربي _ الإسرائيلي»

مجلة كلية الأداب : جامعة بنغازي _ العدد السادس (١٩٧٤) ص ٥٣ _ ١٨٨٠.

- ۱) منها ۱۵۰ر۲۶۲ د. بملکها «أخرون» ـ ونسبتها تعادل ۵۵ر۰٪ من مساحة فلسطين.
- ۲۱) تسویة ملکیة هذه الأراضی لم تتم قبل انتهاه الانتداب عام ۱۹۶۸م، لکتها حسب العرف نخص هبائل النقب.
- (٣) لقد حسن من هذه الملكية حوالي ٤٩٠٧٠٠ د. ، وأضيفت إلى ممتلكات العرب لأن الزراعة عليها ملك للعرب.

هذا ومن ناحية توزيع الأراضى الزراعية حسب نوع ملكيتها فقد كان العرب أيضا علكون معظمها كما هو واضح من الجدول التالى:

توزيع ملكية الأراضي الزراعية في فلسطين عام ١٩٤٥ *

النسبة المئوية	المساحة (بالدونم)	نوع الملكية
%\£,\Y\	۷٫۷۹ <i>۷</i> ٫۱۲۹	للعـــرب
%\Y,\YA	۱٫۱۷٦٫۷٤۵	لليهـــود
%5,67	۲۳۱٫٦٦٤	أراضي عامية
10-500	۸۲۵ره ۲۰۲۰	المجموع :

نفس المرجع السابق ص ١٩ .

ومن جهة أخرى وفقا لتقديرا «غرانوط» فإن مجموع مساحة الأراضي التي تمكن اليهود من الحصول عليها إلى يونية (حزيران) عام ١٩٤٧م بلغت ٠٠٠ر١٥٨٥٠ دونم، منها حوالي ١٨١ر دونم حصل عليها عن طربق الامتيازات من حكومة فلسطين، بالإضاف. ف إلى ٠٠٠ر١٢٠ د. حصل عليها من الكنائس والشركات الأجنبية ومن حكومة الانتداب _ عدا الامتيازات _، لذلك يكون مجموع ما اشترى من الملاك العرب إلى ذلك الوقب حوالي ٠٠٠ر٠ ٥٠ (أو ما يعادل ٥٧٪ من مجموع المساحة) قد حصل عليها من الإقطاعيين العرب الكبار، حوالي ١٦٪ من تلك المساحه الكلية قد اشتريت من الحكومة والكنائس والسركات الأجنبية، وإنه يقدر أيضا أن ما حصل عليه من الزراعيين الصغمار كان حوالي نصف مليون دونم، (أو ما يعمادل ٢٧٪ من مجموع المساحة) (٢٩). إلا أن هذا الكاتب لا بعطينا معلومات كافية لنعرف كيف توصل إلى هذه التقديرات، وهي تظهر أيضا متضاربة مع إحصائيات الوكالة اليهودية عن توزيع نوع الملكية حتى مارس ١٩٣٦م، حيث ذكرت تلك المصادر أن ٦ر٥٠٪ من مجموع الأراضي المستراة كانب من الإقطاعيين الكبار غير المقيمين، و ٦ر٢٤٪ من الإفطاعيين الكبار المقيمين في البـــلاد، و ٤ر١٣٪ حصل عليها من «مصادر أخرى»، وما تبقى (وهو ٤ر٩٪) اشتريت من المزارعين الصغار أو «الفلاحين». هذا مع العلم أن حوالي ٤٠٪ من هذه المساحة كان قد حصل عليها قبل عام ١٩٠٠م (جدول رقم ـ ٢).

إلا أنه يوجد مصدر يهودي آخر يذكر أن من بين الأراضى التي حصلت عليها مؤسسة «بيكا» وسركة تطوير الأراضى الفلسطينية» و «الصندوق القومي اليهودي» ما بين عامى ١٨٨٠ ـ ١٩٣٥م كان حوالي ٨٠٪ منها مؤلفا إما من فطع كبيرة بيعت في غالبيتها من قبل إقطاعيين غائبين عن البلاد أو من امتيازات حكومية، كما يضيف هذا المصدر أنه حتى من بين الأراضي التي اشتراها اليهود والصندوق القومي اليهودي ما بين ١٩٣١ ـ ١٩٤٧م فإن ٥٠٪ منها على الأقل كان بمثابة قطع كبيرة. ولذلك فإنه يصل إلى الاستنتاج التالي: «إن غالبية الأراضي التي حصل عليها الصندوق الفومي منذ بداية أعماله إلى عام ١٩٤٨م كانت من أصحاب القطع الكبيرة الذين كانوا في كتبير من الحالات إقطاعيين غير مقيمين في اللاد» (٢٠٠٠).

الخلاصية:

من هذا التحليل المختصر نلاحظ أنه رغم تضافر جميع جهود الإداريين البريطانيين - اليهود في فلسطين وخارجها، والأموال الطائلة التي أغدقتها المؤسسات والمنظات اليهودية - الصهيونيه، بالإضافة إلى أموال المهاجرين الأوربيين اليهود، فإن مجموع ما استطاعت هذه القوى أن تحصل عليه لم يزد عن ٧٪ من مجموع مساحات فلسطين، أو أقل من ٦٪ إذا اعتبرنا الأراضى التي اشتريت من المزارعين العرب ففط . هذا وإن نصف هذه المساحة قد حصل عليه قبل صدور وعد بلفور وظهور الخطر الصهيوني للاستيلاء على فلسطين. كما وأن جزءا بسيطا من هذه المساحة كانت قد استريت من المزارعين العرب الصغار، أما القسم الأكبر فقد بيع من قبل الإقطاعيين الكبار، وخاصة من أولئك الذين كانوا مقيمين خارج البلاد أنساء فترة الانتداب البريطاني عليها. وبالطبع فإن مثل هذه المساحة لم نكن كافية لإفامة الدولة اليهودية المفترحة. وهكذا لما فنسلت كل الجهود «الإغرائية» للحصول على الأراضي العربية، اليهودية المفترحة. وهكذا لما فنسلت كل الجهود «الإغرائية» للحصول على الأراضي العربية، فامت المنظات الصهيونية بالاتفاق مع الحكومة البريطانية وغيرها من الدول الكبرى بعرض فامت الفضية الفلسطينية على هيئة الأمم المتحدة لكي يتمموا «الدراما» بطربقة «شرعية ودولية».

ومن الغريب والمضحك أن توصي الهيئة المؤلفة لدراسة القضية الفلسطينية (UNSCOP) بتفسيم فلسطين، ومنح الدولة اليهودية المقترحة حوالي ٥٦٪ من مجموع مساحة فلسطين، أي إنها أضافت إلى ممتلكات اليهود هبة تقدر بنصف مساحة فلسطين ـ وكان ذلك النصف

الأحسن للأسف - ، وقد أبقت للعرب أفل من ٤٣٪ من مساحة فلسطين، ومعظمه يقع في المناطق الهضبية الوعرة أو الجافة. وبالطبع لم يكن أمام المواطنين العرب سوى رفض هذا المشروع الجائر رفضا قاطعا، لأن ذلك القرار يعني بالحقيقة التنازل عن بمتلكاتهم تلقائيا للغرباء عن البلاد، والقبول بالعيس بعيدين عن مورد رزقهم الأوحد. ويظهر أن هذا ما كان بتوقعه الصهيونيون الذين كانوا يستعدون منذ أمد طويل لمتل هذا اليوم، فجندوا عصاباتهم الإرهابية ضد الفلاح العربي الأعزل من السلاح، وأرغمته على ترك أرضه ووطنه، بعد أن عزلت قراه ومدنه عن بعضها البعض، وسفكت دماء نسائه وأطفاله الأبرياء (كمجزرتي دير ياسين في أبريل سنة ١٩٤٨م، وعين الزيتون في ٩ مايو من نفس العام، وغيرها من المجازر، وذلك قبل إنسحاب القوات البريطانية رسميا من فلسطين).

وهكذا نتيجة لهذه الأعمال الإرهابية استطاعت المنظات الصهيونية الاستيلاء على حوالي ٧٧٪ من مجموع مساحة فلسطين، وذلك قبل دخول الجيوس العربية لتحرير فلسطين سنة ١٩٤٨م، أي إن ذلك الاحتلال فد تم بوجود ومعرفة ومساعدة القوات البريطانية، وقد شمل ذلك الاحتلال ضم حوالي ٩٥٪ من الأراضي الجيدة (درجة أولى)، و ٦٤٪ من الأراضي المتوسطة الجودة. وبذلك فقد تم للصهيونيين تحقيق الحلم الذي لم تستطع تحقيقه بقوة المال أو الحداع والتضليل «المنسروع» خلال ربع قرن من الصراع المتواصل، والتلاعب بالقوانيين والسجلات، أو من خلال توصيات اللجان الملكية المتعددة. هذا ولكي تكمل فصول «الدراما» فقد عادت تلك المنظمات الصهيونية فاحتلت ما تبقى من فلسطين عام ١٩٦٧م، بالإضافة إلى مصادرة أملاك اللاجئين الغائبين عن البلاد، وحتى كنير من أملاك المواطنين المقيمين، (كما حصل في قرى كفر برعم وقلقيلية وعمواس والقسطل التي أزيلت عن الوجود وغيرها). وقد سار كل هذا ـ باعتقادي ـ حسب المخطط الصهيوني الذي كان قد رسم منذ أوائل القرن العشر بن.

000

الحواشسي

- (1) Fawzi Asadı, 'Geographic Elements in the Arab-Israeli Conflict, 'The Journal of Palestine Studies, Vol. VI. No. 1 (Autumn, 1976), pp. 79-92.
- (2) Sami Hadawi: Land Ownership in Palestine (New York). The Palestine Arab Office, 1957), p
- (3) John Ruedy, 'Dynamics of Land Alienation,' in 1. Abu-Lughod (edit.): The Transformations of Palestine (Evanstone: Northwestern University Press, 1971), p. 126.
- (4) Abraham Granott: The Land Systems of Palestine (London: Eyre & Spottswoode, 1952), p.

 159
- (5) Walid Khalidi (edit.): From Haven to Conquest
 (Beirut; The Institute for Palestine Studies, 1971), Appendix I.
- (6) Abraham Granovsky: The Land Issue in Palestine (Jerusalem; Keren Kayemet Le Israel Ltd., 1936), p. 11
 - (٧) حسى التربكي. هذه فلسطين (بونس السركه البونسيه للتوزيع (١٩٧١)، ص ١٣٢.
 - (٨) المرجع السابي ، ص ٥٨ S.Hadawi .
- (9) Abraham Granott : Agrarian Reform and the Record of Israel (London: Eyre & Spottswoode, 1956),

p. 32 and J. Ruedy, p. 129.

- (١٠) المرجع السابق J. Ruedy, P. 130
- (۱۱) يوسف هيكل : فلسطبن قبل وبعد (الانتداب البربطاني) ــ بيرون. دار العلم للملابين، ۱۹۷۱. ص ۱۱۷.

راجع أيضا: . The Shaw-Commission Report , 1930 p . 118.

(12) Village Statistics- 1945: A Classification of Land and Area Ownership in Palestine (Reprinted with explanatory notes by Sami Hadawi, Beirut,

PLO, Research Center, 1970), p. 28

اعتمد السيد سامي حداوي ـ المسنول السابق عن ضرائب الأراضي في حكومة الانتداب على

فلسطين ـ على دراسة ميدانية قام بها الدكتور فايزصايغ، حيث وجد من تحرياته الحقلية أن اليهود فد استروا ما لا بقل عن ٤٦١/٢٥٠ دونما من الإفطاعيين الأجانب الغائبين عن فلسطين، وذلك بقتصر على المناطق التي أجرى فيها تحرياته، وقد ألحق عائمة بأسهاء الإفطاعيين والأراضي التي باعوها للمؤسسات اليهودية ـ الصهيونيه .

- (۱۳) راجع التفاصيل في : . Government of Palestine : Survey of Palestine 1945, Vol. 1, p. 289.
 - (١٤) المرجع السابق Village Statistics, p. 25
 - (١٥) نفس المرجع .
 - (١٦) المرجع السابق A. Granovsky, p. 46
 - (١٧) نفس المرجع ، ص ٤٧ .
 - (١٨) نفس المرجع ، ص ٤٣ _ ٤٤ .
- (١٩) لم يميز المصدر السابى ببن الملاكين الكبار المهيمين وغير المقيمين في حالة الأراضي المستراة من قبل سركة تطوير الأراضي الفلسطينية، إلا أنه على رأي «غرانوط» فقد كانب مستريات الصندوق القومي اليهودي حتى عام ١٩٣٠ قد وصل إلى ٢٧٠٠٠٧ دوغا، منها ٢ر٨٨٪ من الإقطاعيين الفائين، و ٥ر٩٪ من المزارعين الصغار،
- (٢٠) نفس المرجع ص ٤٥ ـ ٤٦ (إن هذا التوزيع لا يتوافى مع التوزيع المذكور سابغا إذ إن هذا التوزيع لا بحوى أراضى منطعة النقب).
 - (٢١) المرجع السابق ، ص ١٣٢ .
 - (٢٢) راجع مفتاح خريطه توزيع مناطق البيع حسب توصيات لجنه «ماكدونالد» لعام ١٩٣٩.
- (23) Walter Lehn, 'Zionist Land: The Jewish National Fund, 'The Journal of Palestine Studies, Vol. III, no. 4 (Summer, 1974), p. 90
- (٢٤) نفس المرجع ، ص ٩١ (ولإظهار تحيز حكومة الانتداب في تسجيل حيازات اليهود في هده الفترة راجع أيضا ٩١ (Govt, of Palestine: Survey of Palestine Vol. I, p. 244
- مع أن «غرانوط» يذكر أن الصندوق القومي اليهودي قد استحصل حتى نهاية عام ١٩٤٧ على هي المركزة والمعاربة والمع
 - (٢٥) المرجع السابق ص ٣٧ _ ٣٨.
- (٢٦) راجع ما قاله أيضا «يهودا هريل» (Yehuda Harel) قائد المستوطنين في منطقة الجولان مخاطبا أبناء المسنوطنات اليهودية هنا:

«إن إسرائيل هي دولة بدون حدود، ولا يوجد النان هنا أو في الخارج متفعان على هذه الحدود. وإن ما نملكه هو حيتها استطاع النسعب اليهودي إقامة مستوطنات له. وإن النبي الجدير بالذكر أنه خلال المانين سنة الأخبرة لم يتخل اليهود عن أية مستوطنة بإرادته، وأن هذا النسعب يشعر أنه

iverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version

بمجيئه إلى هنا (الجولان) قد دفع الحدود إلى هذه البقعه».

كيا ورد ني جريدة : . New York Times, 31 , Aug. 1975

A. M. Lesch, 'Israel Settlements in the Occupied Territories, 1967-77,' : مقتبسا من مقالة : 'JPS, Autumn 1977 p. p. 26-48

(۲۷) المرجع السابق J.Ruedy معتمدا على ما ورد ني :

Survey of Palestine, Vol. 1, pp. 262-265, and supplement, p. 31.

- (۲۸) نفس المرجع .
- A Granott: Agraraian Systems ۲۷۸ المرجع السابق ص ۲۹۸)
- (30) Etraim Orni : Agraraian Retorm and Social Progress in Israel, '(Jerusalem: 1972)
 کیا ورد فی المقالة السابقة للکاتب "W. Lehn" حاشید، ص ۹۵.



onverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اصول المشكلة الإريترية و مستقبلما

دکتور / معمد سعید



ترجع فكرة كتابة هذا البحث لدي إلى مرحلة الدراسة النانوية، عندما بدأنا نسمع عن - التحركات الأولى للنورة الأريترية في أوائل الستينات، ولم نكن نعلم في حينها لماذا قامت التورة الأرينرية؟ ولمادا تحارب أنيوبيا؟ فقد كانت المكتبة العربية خالية تماما من أي كتاب يتناول المسكلة الأريترية، مما زاد في غموضها وغموض نورتها.

وفي بداية التحاقي بجامعة دمشق في نهاية الستينات، ولقائي مع بعض طلبة الجامعة من الأشقاء الأربتريين، وضحت الصورة تماما في ذهني عن المشكلة الأربترية، من كثرة الأسئلة التي كنت أطرحها على هؤلاء الزملاء. وعلى الرغم من وضوح الصورة أمامي، إلا أن فقر المكتبة العربية من المراجع والكتب المختصة مازال قائما، مما أخرني عن الاطلاع الدقيق ومن م إنجاز هذا البحث.

وفي أوائل السبعينات التقيت مع بعض الأخوة الأريتريين في القاهرة، وتزودت منهم ببعض المعلومات عن المسكلة الأريترية على سكل كتيبات صغيرة وبعض النشرات الصحفية. وفي العام الماضي نشرت جبهة التحرير الأريترية وثائق الخارجية الإبطالية وونائق الأمم المنحدة حول أريتريا، بالإضافة إلى بعض الكتيبات الأخرى. وقد كانت هذه الوئائق بمتابة الركيزة التي اعتمدت عليها في كتابة هذا البحث، بالإضافة إلى المقابلات الشخصية التي قمت بها لبعض المسئولين في التورة الأريترية، ومن يعملون بإخلاص من الأشقاء العرب لدعم هذه النورة، لينال الشعب الأريتري المسلم حقه في الحرية والاستقلال.

وقد حاولت من خلال البحث إبراز عدد من النقاط الهامة:

قثلت النقطة الأولى منها في التركيز على عدم الترابط بين أريتريا وأتيوبيا، وإبراز ذلك من خلال الدراسة التاريخية التي وردت في بداية البحث، بالإضافة إلى تخصيص مبحت خاص لهذا الموضوع، ركزت فيه على مناقشات الأمم المتحدة. كما استهدفت من وراء الدراسة التاريخية أيضا إعطاء القارى العربي فكرة موجزة عن تاريخ الهجرات العربية، ودخول المسيحية والإسلام إلى بلد شقيق، تجهله غالبية الشعوب العربية والإسلامية، نتيجة للحصار

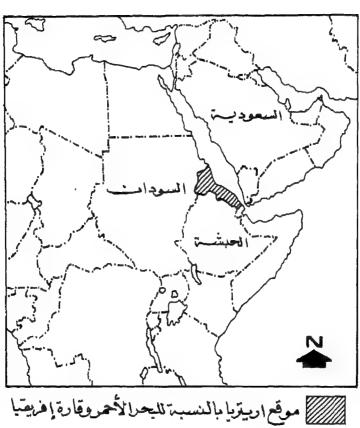
المحكم الذي مارسه ويمارسه الحكام الأثيوبيون لكتم أي صوت أو قلم ينادي بعروبة أو إسلام أريتريا. وعلى الرغم من قلة المراجع التاريخية عن أريتربا باللغة العربية أو الإنجليزية، إلا أنني وجدت في كتاب المناضل الأريتري عنهان صالح سبى عن تاريخ أريتريا خير معين في هذا الموضوع، وخاصة فها يتعلق منه بالتاريخ القديم.

أما النقطة البانية فهي إلقاء الضوء على الظروف المحلية والأنيوبية والمدولية التي أحاطت بالمسكلة الأريترية، ومن نم لتوضيح شرعية فيام جبهة التحرير الأريترية ومطالبتها بالاستقلال. وقد وضح ذلك من خلال دراسة الموقف الأمريكي في الأمم المتحدة، والمهارسة الأنيوبية أنناء الحكم الفيدرالي، ومن نم إلغاؤه من طرف واحد.

وتوضح النقطة التالنة، أن الخلاف الأريتري المسلم ـ الأريتري المسيحي لم ينشأ على طول التاريخ الأريتري قديمه وحديثه، دون تدخلات خارجية في شئون أريتريا. وقد أشرنا إلى ذلك من خلال دور كل من أنيوبيا وبريطانيا في تعميق شقة هذا الحلاف.

أخيرا قام الباحث بالتركيز على تطور الثورة الأريترية، وإيضاح الكيفية التي انعكست بها الخلافات الأريترية على هذه الثورة، محاولا في نفس الوقت التأكد على الدور الواجب عمله لكل من الدول العربية والثورة الأريترية خلال الظروف الدولية الحالية الصعبة لتأمين حل ومستقبل أفضل للقضية الأريترية.

000



شکل (۱)

مدخل إلى جغرافية أريتريا:

تفع أريتريا على الطرف الجنوبي الغربي من البحر الأجمر، وبحدها من الشرق والسيال البحر الأجمر، بينا يجدها من السيال الغربي والغرب جمهورية السودان، أما من الجنوب فيحدها كل من جيبوتي وأبيوبيا، شكل (١)، وتبلغ مساحة أريتربا ١١٩ ألف كيلو متر مربع، مقسمة إداريا إلى ٨ محافظات، وهي:

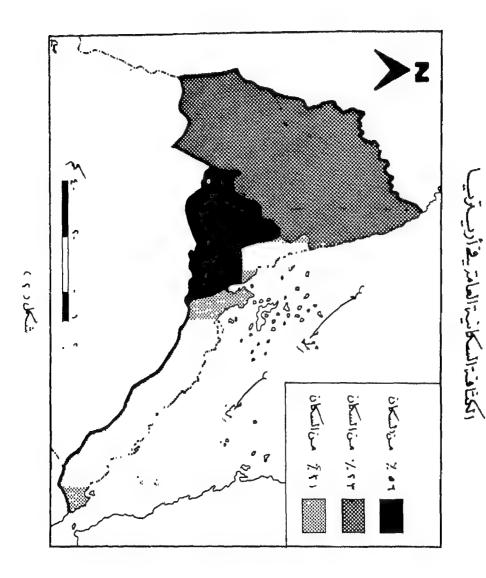
- عافظة حماسين ، وعاصمتها أسمرا، وهي عاصمة البلاد، وبصل عدد سكانها إلى حوالي ٣٠٠ ألف نسمة.
- ٢ ـ محافظة البحر الأحمر، وعاصمتها مصوع التي تعتبر الميناء الرئيسي لأريتريا، ويصل عدد سكانها إلى حوالى ٥٠ ألف نسمة.
- عافظة دنكاليا، وعاصمتها عصب التي تعتبر الميناء الثاني لأريتريا، ويصل عدد
 سكانها إلى ٣٠ ألف نسمة.
 - ٤ _ محافظة الساحل ، وعاصمتها نقفة .
 - ٥ _ محافظة كرن ، وعاصمتها كرن .
 - ٦ _ محافظة سراى ، وعاصمتها عدى وقرى .
 - ٧ _ محافظة اقلى قوازي ، وعاصمتها عدى قيح .
 - ٨ _ محافظة بركة ، وعاصمتها أغوردات .

ويتبع أريتريا عدد من الجزر يصل إلى ١٢٦ جزيرة، أكبرها جزيرة دهلك.

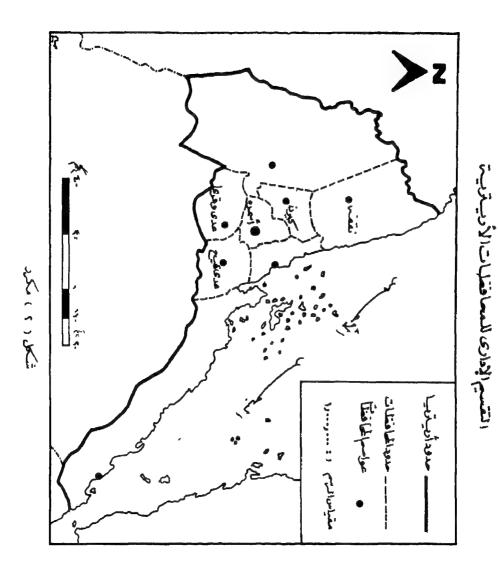
وتنقسم أريتريا إلى وحدتين متميزتين تتمثلان في الهضبة الأريترية، والسهول الساحلية والغربية.

وتتكون الهضبة الأريترية من جبال يتراوح ارتفاعها بين ٦٠٠٠ _ ٨٠٠٠ قدم فوق سطح البحر، وتكون هذه الهضبة التقسيات الإدارية لكل من سراي واقلى قوزاي وحماسين. وعلى الرغم من أن هذه الأقسام النلانة لا تشكل سوى ٤٪ من مساحة أريبريا إلا أنها تحتوي على ٥٦٪ من السكان.

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



_ 899 _



_ 0 * * _

تنحدر الهضبة شهالا إلى محافظة كرن، حيث تنخفض المرتفعات إلى ٤٠٠٠ قدم، وتبدو الجبال انهدامية، لا تلبث أن تحول إلى هضاب في الشهال الأقصى عند انحدارها إلى منطقة طوكر في السودان، وتنحدر إلى الشرق انحدارا شديدا إلى سهول البحر الأحمر، في حين أنها تتدرج ببطه نحو سهول السودان. وتكون هذه المنطقة بأكملها المديرية الغربية (كرن، وبركة، والساحل) التي تضم 36٪ من مساحة أريتريا و ٣٣٪ من السكان _ (شكل (٢).

ويعتنق السكان الأريتريون كلا الديانتين الإسلامية والمسيحية، فبيها ينتشر المسلمون في كل المقاطعات الأريترية، ويشكلون ٦ر٥٠٪ من السكان (١) ـ شكل (٣)، يتركز المسيحيون في مقاطعات الهضبة الأريترية، ويشكلون ٤٩٠٤٪ من السكان.

ويعتبر نهر ستيت (عطبرة في السودان) أحد روافد النيل أهم أنهار أريتريا، لكونه دائم الجريان، ويشكل الحدود بين أريتريا وأثيوبيا. أما نهر خور بركة والقاشي فهها من الأنهار الموسمية، وينشآن عن تجمع مياه الأمطار الساقطة على الهضبة.

وتسقط الأمطار بشكل غزير على مركز الهضبة، حيث تصل إلى ٤٥ بوصة سنويا، بينا تنقص في بركة إلى ٢٥ بوصة، وفي مصوع وعصب ٣/٧ بوصات على التوالي.

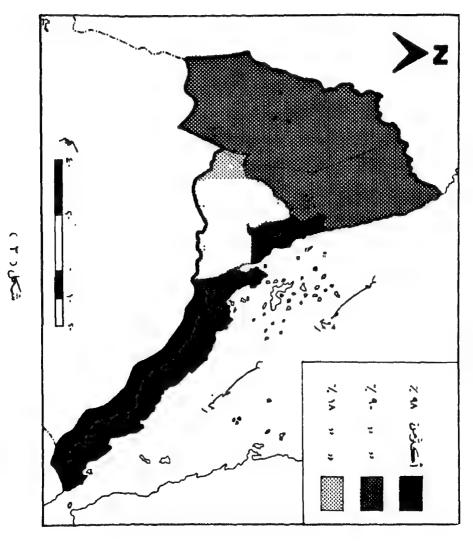
ويبلغ عدد سكان أريتريا ٣ مليون تقريبا(٢)، يعمل منهم ٧٨٪ في الزراعة، والباقي في الأعال الإدارية والمهن الأخرى، ومنهم ١٠٠ ألف عامل صناعي يعملون في (٤٠٠) مصنع (٣).

كها يوجد في البلاد ١٠ مليون من الماشية، بالإضافة إلى شبكة جيدة من المواصلات تربط بين المدن الأريترية، ويصل طولها إلى ٣٠١٦ كيلو مترات من السكك الحديدية.

أولا: الجذور التاريخية للمشكلة الأريترية:

تتضمن هذه الجذور الكيفية التي تكون بها السعب الأريتري، والنقافات والديانات والدول التي أثرت ومرت بأريتريا.

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



نسب موزيع السكان المسلمين في أرير تربيا

١ _ هجرة الساميين والعرب إلى أريتريا:

لا نستطيع هنا في هذه المنطقة المتاخمة إلى بلاد العرب السعيدة (اليمن) أن نوجد حدا فاصلا بين هجرة العرب وهجرة الساميين إلى أريتريا، وذلك لتتابع الهجرات إليها من اليمن.

فقد عرفت أفدم هجرة إلى أربتريا عندما هاجرت عدة قبائل من اليمن أمنال حبسات وأجعازبان وغيرها منذ القرن الخامس قبل الميلادي، ليستفروا في الهضبة الأرترية وهضبة التجراي، وينشئوا مملكة أكسوم المشهورة فيا بعد، التي قامت على أساس الاستقرار والزراعة، بعد أن كان السكان الأصليون من الكونسيين (٤) بعتمدون على الصيد والرعي.

توقفت الهجرات العربية بشكل مؤقت عندما تدخل الإغريق البطالمه في البحر الأحمر، وأسسوا مرفأ «عدوليس» في منتصف القرن النالت قبل الميلاد، إلا أن هذه الهجرات ما لبئت أن استؤنفت في ما بعد الميلاد بين عام ٢٣٢م و ٢٥٠م.

وفد تكونت مملكة أكسوم في عهد سبأ وحمير خلال القرن الأول الميلادي، وكانب امتدادا لها، حتى إن لقب حاكمها نجاش (نجوس) لم يكن يعني في بداية الأمر إلا جابي ضرائب، كان يبعته ملوك سبأ وحمير إلى جالياتهم هناك لجمع الضرائب، ولم يلبن أن حول مع الزمن إلى ملك.

ولم يقطع السبئيون صلاتهم بوطنهم القديم، بل ظلت أنظارهم متجهة إليه، وتمنل ذلك بإرسالهم الحملات الحربية والتدخل بسئونه، واحتلالهم له فترات من الزمن.

وإنر اجتياح قبائل البجة الحامية منذ القرن الثامن الميلادي للهضبة الأرترية، اندنرت أكسوم كمملكة موحدة، وظهرت بدلا منها ممالك صغيرة مستقلة، ولكنها ما لبثت أن توحدت بعد أن أحست بخطر التجراي حين اعتلى إلكونو عرض الحبنسة في عام ١٢٧٠م، وتولى حكم أقاليم الهضبة الأرترية الثلانة (حماسين، سراي، اكلى قوزاي) ملك البحر (بحر نجاس). وقد سمى بذلك على الرغم من عدم سيطرته على السريط الساحلي الذي كان بيد قبائل البجة الشرسة.

وتوالت الهجرات العربية إلى الساحل الإفريقي في القرن السادس للميلاد، وضمت هذه الهجرات بطونا من حمير عرفوا بقبيلة (البلى أو البلو).

بعدها وردت من الجزيرة العربية مجموعة من قبيلة بني يونس إلى عيذاب في غرب أرتر ما، تلتها قبيلة ربيعة ومجموعات من القبائل القحطانية والجهنية، التي قدمت من مصر إلى الساحل الأريتري، ولم يمض وقت طويل حتى رجعت قبيلة بني يونس إلى الحجاز نتيجة خلافها مع ربيعة على استثبار المعادن.

وتعتبر قبيلة الرشايدة آخر من نزح من الحجاز إلى الساحل الأريتري، وذلك في عام ١٨٥٠م.

أخيرا يمكننا أن نضيف الهجرات الفردية التي كانت تحدث من جراء الحروب في الدولة الإسلامية، كالحرب بين الأمويين والعلويين، أو بين الأمويين والعباسيين، أو بين العباسيين والعلويين وغيرها.

٢ ـ دخول المسيحية إلى أرتريا:

تعتبر الرواية التي كتبها الكاهن روفينوس (Rufinus) الذي توفى سنة ١٠٤م عن دخول المسيحيه إلى أرتريا وأكسوم من أرجح الروايات، ويذكر فيها أن مجموعة من تجار مدبنة صور قاموا برحلة تجارية قاصدين الهند، وفي الطريق توقفت سفينتهم في ميناء عدوليس على الساطئ الأريتري، ولسبب أو لآخر اعتدى أهل الميناء وأغرفوا من فيها، عدا شابين صغيرين أكبرها فرومنتيوس (Frumentius)، والآخر أديسيوس (Edesius). فباعها أهل الميناء إلى ملك أكسوم الذي سر بها، وعين فرومنتيوس أمينا على حساباته ورسائله، بينا جعل الثاني ساقيه الخاص. وبقيا مفربين من الملك حتى بعد وفاته، حيث أصبحا وصيين على الملك الصغير عيزانا.

خلال هذه الظروف استطاع فرومنتيوس أن يقنع الملك عيزانا باعتناق الدين المسيحي، وذلك في عام ٣٥٠ ميلادية. بعدها سافر فرومنتيوس إلى الإسكندرية، وطلب من البطربرك أتيناسيوس إرسال مطران إلى أكسوم لرعاية شئون المسيحيين، فوجد فيه البطريرك خير من يقوم بهذه المهمة، وعينه مطرانا على أكسوم (٥٠). أما أودبسيوس فقد رجع إلى صور، وروى على روفينوس ما حدث.

اقتصر اعتناق الدين المسيحي في عهد الملك عيزانا على فئه قليلة من الناس، وكانت المسيحية تتسرب ببطء سديد بين القبائل الوننية خلال فرنين من الزمان.

ومما دعم المسيحية في الهضبة الأرترية قدوم تسعة من المبشرين السوريين السريان، هاربين إلى أكسوم بعد أن رفضوا قرارات (أفزوس) سنة (٤٣م، ومجمع ٤٥١م، وترجموا الإنجيل إلى اللغة الجعزية.

ويعتنق حاليا ٨٠٪ من مجموع السكان المسيحيين في أرتريا المذهب الأرئوذكسي، بينا يعتنق باقي السكان كلا من المذهب الكانوليكي والبروتستانتي، اللذين انتشرا مع قدوم الاستعار الأوربي للهضبة الأرترية.

٣ ـ دخول الإسلام إلى أريتريا:

ترجع صلة العرب بالشاطئ الأربتري إلى بداية ظهور الإسلام، حيث أشار الرسول صلى الله عليه وسلم إلى بعض أصحابه بالهجرة إلى الحبشة بعد أن تعرضوا لأذى قريش، وتزايد عدد المهاجرين المسلمين إلى أكثر من مئة رجل فارين بدينهم.

وكانت المرحلة التالية لدخول المسلمين، إلى أرتريا عندما تكررت غارات الفراصنة على ميناء جدة في عامي ٦٣٠، ٦٤٠م من ميناء عدوليس (الذي وصلت إدارته إلى مرحلة كبيرة من الإهمال، نتيجة الصراع الروماني الفارسي الذي أقحم اليمن وأكسوم في حروب طويلة)، مما اضطر العرب الأمويين إلى الاستيلاء على جزر دهلك وشاطئ مصوع وعدوليس في عام ١٨٥ هـ (٧٠٧م). وقد أقام الأمويون هناك القلاع والحصون، وأمنوا طرق التجارة، فازدهرت البلاد، وشجع العرب على استيطان المنطقة.

وكان فتح العرب المسلمين لهذا الشاطئ بداية الانتشار الواسع للإسلام في شرق إفريقيا. وتعتبر القرون الئلاتة التي تلت القرن السابع الميلادي فترة تصاهر فيها العرب النازحون مع قبائل البجة التي اكتسحت المنطقة والقبائل الكوسية القديمة، وعن طريق المصاهرة والتجارة انتشر الإسلام، حتى إن المؤرخ الإيطالي كونت روسيني يسير إلى قيام ولايات إسلامية عربية مزدهرة في دهلك والشواطئ الأريترية في القرن التامن الميلادي. ويعتقد بأن

قبائل الدناكل في جنوب أريتريا، والسعهر في ضواحي مصوع، تعد من أقدم سكان أريتريا اعتنافا للإسلام. كما انتشر الإسلام بين فبائل الساهو، التي تسكن في المنطقة المعتدة من خليج زولا إلى مرتفعات اكلى قوازي، في القرن الرابع عشر الميلادي، عن طريق أسر دينية عربية، أسهرها قبيلة (بيت نسيخ محمود). أما قبائل الساحل والبني عامر فقد انتشر الإسلام بينها ابتداء من القرن العاشر الميلادي. كما كان لعائلة (عد سيخ حامد ولد نافعو تاي) تأثير كبير في نشر الإسلام بين قبائل الحباب والبني عامر، ولها حتى الآن زوايا لتعليم الدين، وهناك العديد من الأسر الدينية الأخرى التي قامت بنشر الإسلام في مختلف البقاع الأرترية.

وقد تحول خلال الفرن التاسع عشر عدد من القبائل المسيحية الناطقة بالتجري إلى الدين الإسلامي، وأهمها فبائل الماريا، والمنسع، والبلين، والبيت جوك، والحباب بفروعها الثلامة، (بين أسقدي، عد تكليس، عتاريام)، كما اعتنقت الإسلام بعض القبائل الوتنية. ويرجع إسلام هذه القبائل إلى جهود التسيخ محمد عتمان المرغني، مؤسس الطريقة الختمية في أرتريا، الذي أوفده تسيخه أحمد بن إدريس من مكة في عام ١٨١٧م، وبصحبته محمد على السنوسي مؤسس الطريقة السنوسية في ليبيا. وقد افترقا عند وصولها إلى مصر، حيث ذهب الأول في اتجاه الجنوب، والثاني في اتجاه الغرب.

كما انتشر الإسلام في الهضبة الأريترية بين قوم عرفوا باحتراف التجارة يطلق عليهم الجبرتة، وينتسب إليهم المؤرخ المصرى الجبرتي.

وهكذا انتتر الإسلام في سواحل أرتريا وأجزائها السمالية والغربية وفي قسم من هضبتها عن طريق عدوليس وباضع (مصوع)، وهي الطريق نفسها التي دخلت منها المسيحية من قبل. ولم ينحصر الإسلام في السواحل الأريترية، بل امتد عبر أريتربا إلى داخل الحبسة، حتى تألقت عدة ممالك إسلامية عربية، عرفت ببلاد الطراز الإسلامي(١).

ويعزو أولندورف Ullendorff في كتابه «الأنيوبيون» سرعة انتشار الإسلام في سواحل أريتريا والحبشة إلى رغبه هؤلاء القوم في النجاة من الاسترقاق، حيث يمنع الإسلام استرتاق المسلم. بينا يذكر ترمنجهام في كتابه «الإسلام في أتيوبيا» أن اعتناق الإسلام كان يوحبي بالانهاء إلى أخوة عالمية، دون أن يكلفهم ذلك الانسلاخ من بيئتهم وعاداتهم.

٤ _ الحكومات والدول التي حكمت أريتريا:

بعد أن هزمت أكسوم ونشأ إلى الجنوب منها مملكة الأمهرا الهجينة (٧)، وتولى الحكم فيها إيكونو أملاك (٨) (الذي أسس ما سعي بالبيت السلياني بعد قضائه على أسرة زاقوي ١٢٧٠ م)، أظهر هذا الملك عداء شديدا لمهالك الطراز الإسلامي التي انتشرت من سواكن حتى زيلع (١)، وبدأ حربا دينية كانت الأولى من نوعها في المنطقة، استهدفت هذه المهالك. ومن المرجح أن هذه الحرب لم تكن أسبابها الحقيقية دينية في بادى الأمر، وإنما كان هدفها السيطرة على طرق التجارة والموانى الأريترية التي كانت بيد المسلمين، ولكن هذه الحرب والعداء الذي أظهره إيكونو كان له نتائج خطيرة، تمنلت في سلسلة من الحروب الدينية، وعلى مدى القرون النلاثة التي تلت حكم إيكونو، كما تركت آتارا سلبية على طبيعة العلاقة بين أتباع الطائفتين الإسلامية والمسيحية، لاتزال تعاني منها البلاد حتى الآن.

استمرت غارات ملوك الحبسة الجدد على ممالك الطراز الإسلامي بشكل مكتف، وأخذت الحرب بعدا آخر بمحاولة عدد من ملوك الأمهرا طلب مساعدة الدول الأوربية أمثال الملك إسحاق وابنه زرا يعقوب والملكة هلينا وابنها لينا دنقل، وذلك فيا بين عامي ١٤٢٠ و ١٥٢٠م. وكان من نتيجة هذه التصرفات أن احتل الأسطول البرتغالي أهم الموانى البحرية على الشواطئ الأريترية والصومالية.

ففى العاشر من نيسان (أبريل) ١٥٢٠م وصل الأسطول البرتغالي إلى مصوع قادما من الهند بقيادة نائب الملك البرتغالي، الذي أجرى مقابلة مع بحر نجاشي، وحول مسجد مصوع إلى كنيسة (١٠) بعد أن أحرق المدينة.

وعلى الرغم من أن الحرب خلال المئة عام المذكورة كانت في معظمها في صالح الأحباش، مما نتج عند دفع الجزية لهم من قبل الأمارات الإسلامية، إلا أن هذه الحال لم تدم طويلا، إذ سرعان ما توصل أحمد بن إبراهيم - وهو أحد فرسان سلطنة عدل (١١) - إلى السلطنة، وأخلص في تقوية جيشه، واستولى على سلطنة هرر، وبرقضه دفع الجزية للبنا دنقل (ملك الحبشة) احتدمت الحروب بينها في عام ١٥٢٣م، تلك الحروب التي كان من نتيجتها هزيمة لبنا دنقل، واجتياح الإمام أحمد (كان قد سمى نفسه إماما للمسلمين) لمملكة الحبشة بأسرها.

وإذا كانت هذه الحروب قد اتسمت بالقسوة ضد المؤسسات المسيحية الحبسية، فإغا يبررها ما كان يفعله ملوك الأحباس بنساء المسلمين. وأمام هذه الضغوط اضطر لبنا دنقل لطلب النجدة من البرتغال التي أرسلت بدورها حملة عسكرية بقيادة كريستوفر، وصلت إلى مصوع في عام ١٥٤١م بعد موت لبنا دنقل، واتجهت الحملة من مصوع إلى الجبال حيث اتصلت بقلاوديوس الذي تولى العرش بعد أبيه، وشنوا حربا على الإمام أحمد كان من نتيجتها إصابته وجيشه بخسائر كبيرة نتيجة للأسلحة النارية المعادية، غير أن الإمام استنجد بالأتراك في اليمن. وبعد أن أمدوه بعدد من المدافع والفرسان وسحق نصف القوة البرتغالية وقتل قائدها كريستوفر، أعاد القوة التركية إلى اليمن، مما أفسح المجال لقلاوديوس والبرتغاليين من الانتصار عليه، وتوفي متأترا بجراحه في عام ١٥٤٢م.

وعلى الرغم من الاحتلال البرتغالي للسواحل الأريترية، إلا أن الفائدة المادية المباشرة للبرتغال لم تتمتل إلا في الجزية التي كان يدفعها أمراء هذه المدن. ويبدو أن البرتغاليين لم يبنوا في مصوع أو دهلك أية كنائس أو قلاع رغم إلحاح الملك الحبشي على ذلك (١٢).

على أنر هذه التطورات ، كان لابد لأمراء المالك الإسلامية في مصوع ودهلك وزيلع وسواكن من الاستعانة بالأتراك المسلمين ضد البرتغاليين المسيحيين، ليس هذا فقط بل هناك أسباب اقتصادية أخرى تتمنل في أن البرتغاليين لم يأتوا إلى المنطقة لتنشيط التجارة، بل لمنع مرورها من البلاد العربية، ومرورها بطريق رأس الرجاء الصالح، مما جعل الحالة الاقتصادبة في كل موانى البحر الأحمر تقريبا في غاية السوء.

قام الأتراك بمنازلة البرتغاليين في عدة معارك في المحيط الهندي، ولكن دون جدوى، حيث كانت القوة البرتغالية البحرية لا يستهان بها. وفي عام ١٥٥٤م ألحق الأسطول العثهاني بقيادة سنان باشا الهزيمة بالبرتغاليين قرب الساحل الأريتري بين مصوع وسواكن، وفي عام ١٥٥٧م استولى الأتراك على مصوع وسواكن وباقى سواحل البحر الأحمر، وطرد البرتغاليين إلى غير رجعة.

وفي خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، اتسمت العلاقة بين الحبشة وأريتريا بالهدوء والسلام. بل وأكنر من ذلك فقد عقدت اتفاقية بين الامبراطور فاسيلاداس (١٣) من جانب، والباشا التركي ونائب مصوع من جانب آخر، تنص على حماية الحبشة من المبشرين

الكاثوليك، بقتلهم ومنعهم من دخول الحبشة، وهكذا انقلبت الأوضاع القديمة، وأصبح الإمبراطور يعتمد على المسلمين لحماية مملكته من البرتغاليين الكاثوليك.

وفي الهضبة الأريترية كانت قبائل البجة قد سيطرت على سفوحها وأجزاء فيها منذ القرن النامن، حيث قضت على مملكة أكسوم، واحتلت شواطئ البحر الأحمر (١٤). ولم تضعف سيطرة البجة على المرتفعات الأريترية إلا بعد انتقال الملك من أسرة زاقوي في الحبشة إلى الأسرة السلهانية في عام ١٢٧٠م.

وعلى الرغم من استمرار العلاقات الودية بين بعض إمارات الهضبة الأريترية، وعلى رأسهم أمارة دبارو (افلى قوزاي، سراي) وملكها بحر نجاش وملوك الحبشة. إلا أن معظم هذه الإمارات كانت ترفض دفع الضرائب لزعامات التجراي، وفضلت الحرب معهم، كما حدث لرأس ولد ميكائيل زعيم (هز زقا) الذي اشتهر بحربه ضد الامبراطور يوهنس (يوحنا).

وفي باقى المناطق الأريترية حكم آل الفونج العرب المسلمون (الذين هاجروا إلى السودان من الجزيرة العربية منذ القرن النامن الميلادي) منطقة تمتد من خور بركة في أريتريا حتى سنار في السودان. ومن المرجح أن حكمهم في أريتريا بدأ في القرن الرابع عشر الميلادي، حيث كان يحكم سلطان بيت الدجن (سلطنة العنسبة) حوض الدجن (القاس).

وقد توسعت ملكة الفونج في غرب أريتريا ومصوع بما فيها سلطنه الدجن، وحكموا حتى عام ١٧١٩م حيث انتقل الحكم إلى بيت عين سمس الذي كان قد حكم في منطقة عنسبة (عين سبأ) من قبل. نم انتزع الهمج من الزنوج الحكم من هؤلاء السلاطين، حتى قضى عليهم محمد على باشا والي مصر عند فتحه السودان ١٨٢٠م.

ويدعى بعض المؤرخين بأن آل الفونج كانوا يدينون بالولاء للنجاشي، ولكن ما يدحض هذا أن بيت الدجن الذين كانوا على صلات قرابة مع آل الفونج قد حاربوا جيش الحبشة عندما غزا مملكة الدجن في عهد الملكة فاطمة عام ١٦٦٩م. كما أن لبيت الفونج علاقات طيبة مع الباشا التركي في موانى البحر الأحمر (سواكن ومصوع)، والذي كان بدوره عدوا لملك الحبشة.

أما في جنوب نرق أريتريا على ساحل البحر الأحمر، فقد سيطر الدناكل (عفر) (١٥) على طرق القوافل التجارية المتجهة إلى الحبشة، ويحترف معظم الدناكل الرعي، ومنهم من يعمل باستخراج الملح وتصديره. وقد عرف الدناكل بشدة مراسهم ولا بخضعون لغريب، فقد أبادوا معظم البعثات الأجنبية التي وطئت أرضهم، كالحملة المصرية ١٨٨٧م، والبعنة الإيطالية الكسفية ١٨٨١م التي تذرعت بها إيطاليا بعد ذلك لاحتلال السواحل الأريترية، بحجة حفظ الأمن والنظام.

استمرت السواحل الأريترية تحت الحكم التركي حتى مطلع القرن التاسع عشر، ومنذ بداية هذا القرن، قام محمد علي باشا والي مصر باحتلال الحجاز بطلب من تركيا في عام ١٨١١م. نم لم يلبث أن بسط نفوذه على الساحل الأريتري. وبالرغم من الإصلاحات التي قام بها، إلا أن هذه السيطرة لم تلبث أن تعثرت بسبب الحروب السورية ١٨٤٠م، وتدخل الدول الأوربية لتسوية المسألة المصرية _ العثمانية. وتناوبت الحكومة المصرية والتركية السيادة على الساحل الأريتري حتى عام ١٨٦٥م، حيث أصدر السلطان العثماني فرمانا، وضع فيه ميناءي سواكن ومصوع تحت إدارة خديوي مصر، في مقابل دفع مبلغ ١٧ ألف جنيه ذهبا. واستمرت المنطقة تحت الإدارة المصرية حتى عام ١٨٨٥م عندما احتلتها إيطاليا.

وحدتت خلال الإدارة المصرية عدة حوادث هامة تمثلت في تجدد مطامع الحكام الأتيوبيين في السواحل الأريترية، فقد عرض الرحالة البريطاني هنري سولت على رأس ولد سلاسي حاكم تجراي غزو الساحل الأريتري، بحجة فتح أبواب الحبشة للتجارة مع أوروبا. وأقنع الحكومة البريطانية بأن تمده بكمية من الأسلحة، ولكن ولد سلاسي لم يتحمس للمشروع، واستفاد من الأسلحة في حروبه الداخلية.

وبعد تولى سباقاديس الحكم طلب أسلحة من الحكومة البريطانية ١٨٢٦م، للاستيلاء على الساحل الأريتري، بحجة ضرورة حماية الحبشة من التوسع العثباني الإسلامي. وباركت بريطانيا ذلك، ووصلت شحنات كبيرة من الأسلحة إلى مصوع، فاحتجزها النائب. وبعد مقتل سباقاديس ١٨٣١م، واعتلاء ووبي السلطة، وطد الآخر علاقته بفرنسا، وطلب منها تزويده بالأسحلة لغزو الساحل مقابل إعطائها خليج زولا، ورفضت فرنسا طلبه لأمرين: أولها خشية فقدانها صداقة محمد على والي مصر، وتانيها أن ووبي يعدها بما لا يملك.

قام ووبي في عام ١٨٤٣م بهجوم واسع على سهول سمهر فاصدا احتلال مصوع، م سن غارات أخرى في العام التالي على أقاليم كرن والبني عامر والحباب، وأعمل فيها السلب والنهب. وأمام هذا الأمركان لابد من الاستعانة بالخديوية المصرية لحفظ النظام والأمن.

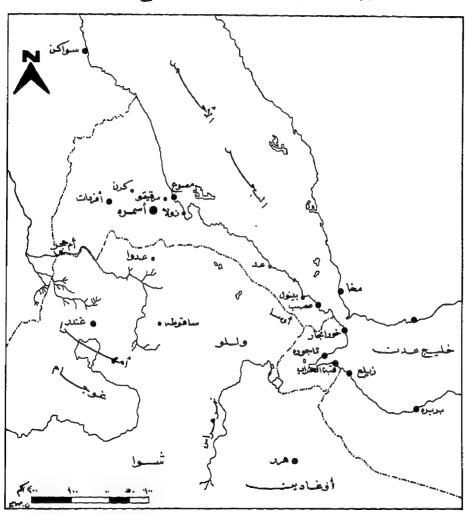
وفي عام ١٨٧٧م أراد إسماعيل باسا خديوي مصر أن يستولي على أجزاء من الهضبة الأريترية والهضبة الأنيوبية لتأمين ظهير السواحل الأريترية والصومالية (١٦٠). فشن الجيس المصري عدة حملات على الحبشة في تسربن البانى (نوفمبر) ١٨٧٥م وآذار (مارس) ١٨٧٦م، انتهت بإبادة الحملة الأولى، والهزيمة في الحملة النائية، نظرا لتضامن يوهنس ملك عدوا، ومينليك ملك شوا ضد الغزو المصري، وقد احتفظت مصر بعد حملاتها الفائيلة بالمناطق الإسلامية في أريتريا، وهي سواحل البحر الأحمر ومرتفعات الحباب وكرن وحوض البركة والقاش، حتى احتلها الإيطاليون في عام ١٨٨٥م.

نسطت إيطاليا في عقد عدة اتفاقيات مع سلاطين الساحل الأريتري، كانت بدايتها عن طريق المبشر سابيتو عام ١٨٦٩م الذي استرى قطعة أرض صغيرة من السلطان إبراهيم بن أحمد سلطان عصب. وفي ١٥ آذار (مارس) ١٨٨٣م عقد الكونت أنتولي اتفاقية تجارية مع السلطان محمد حنفرى زعيم الدناكل، وطدت النفوذ الإيطالي في سلطنة أوسا والدناكل. وقد نصت الاتفافية على أن بضمن السلطان سلامة القوافل الإيطاليه، مقابل أن تتولى السلطات العسكرية الإيطالية صيانة الأمن في ساحل الدناكل.

وسرعان ما رحبت بريطانيا بالمساريع الإيطالية الاستعارية عندما أخبرت إيطاليا في عام ١٨٨٤م ـ «أن الحكومة المصرية عاجزة عن الاستعرار في التمسك بكل ساحل البحر الأجر الإفريقي، وأنه لا مانع لدى بريطانيا من احتلال بعض المواني الأربترية». وانتهزت إيطاليا فرصة مقتل أحد الرحالة الإيطاليين في بلاد الدناكل لتنفيذ مخططها، خاصة وأنها اطمأنت إلى موافقة بريطانيا. واعتبارا من ٢٥ يناير (كانون الثاني) ١٨٨٥م احتلت الفوات الإيطالية مرسى بيلول (١٧) شهال عصب، تلته باحتلال مصوع في ٥ فبراير من العام نفسه، وفي ٣١ مايو (أيار) ١٨٨٨م استكملت إيطاليا احتلال كامل الساحل الأريترى. وفي عام ١٨٨٩م احتلت إيطاليا مدينة كرن ومقاطعات أكلي قوزاي، وسراى، ومدينة أسمرا التي نقلت إليها إيطاليا الإدارة من مصوع، لتصبح عاصمة

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

خربيلة القرن الإفسريق (أواخرالقرن التاسع عشر)



شکل د ع)

البلاد، وخاصة بعد أن وصل إليها الخط الحديدي فها بعد في عام ١٩١١م. وبحلول الفاتح من يناير (كانون باني) ١٨٩٠م أصدرت إيطاليا مرسوما ملكيا بتأسيس مستعمرة أريتريا، بعد أن وحدت الأقاليم المختلفة على البحر الاحمر، مع المرتفعات التي احتلها الجيس الإيطالي. وسميت البلاد باسم أريتربا إحياء للاسم اليوناني القديم للبحر الأحمر (سينوسي أريتريوس).

ولم تقف أطاع إيطاليا عند هذا الحد ، بل رغبت في بسط نفوذها على كل الحبسة، فحاولت أن تستفيد من التنافس الفائم بين الإمبراطور يوهنس (١٨٠) (ملك الملوك)، ومينليك ملك إقليم شوا (الذي كان يطمع في انتزاع عرش ملك الملوك لنفسه)، فعقدت مع الأخير معاهدة صداقة في عاصمته انكوبر في عام ١٨٨٣م، وقعها مكونن (والد هيلاسيلاسي). وقد اعترف مينليك بسيادة إيطاليا على أريتريا، وأهدت مينليك مزيدا من الأسلحة، وعقدت معه معاهدة أوتشيالي التي ظنت إيطاليا بها أن الحبسة فد أصبحت تحت حمايتها، نظرا لأن النص الإيطالي للهادة ١٧ من المعاهدة يتضمن: «أنه يجب على الحبسة أن تكون اتصالاتها مع الدول الأخرى عن طريق إيطاليا»، بيها بتضمن النص الحبسي بأنه «يكن للحبشة أن تتصل بالدول الأخرى عن طريق إيطاليا». ورفض مينليك التفسير الإيطالي للهادة، مم ألغاها مما أدى إلى نشوب الحرب بينهها، حيث نسبت معركة عدوا النهيرة، شكل (٤) التي خسرت فيها إيطاليا نشوب الحرب بينهها، حيث نسبت معركة عدوا النهيرة، شكل (٤) التي خسرت فيها إيطاليا

وقد أسفرت هذه المعركة عن عقد معاهده في أديس أبابا في عام ١٨٩٦م، اعترف فيها مينليك بحق إيطاليا في البقاء في أريتريا. وكان مما عمق العداوات بين أريتريا والحبسة، تصرف مينليك تجاه الأسرى الأريتريين، حيث قطع أيديهم وأرجلهم من خلاف.

واعتبارا من عام ١٩٠٠ م عفدت بين مينليك وإيطاليا عدة معاهدات لتخطيط الحدود بين أربتريا وأنيوبيا، انتهت بمعاهدة ١٦ مايو (آيار) ١٩٠٨م في أديس أبابا، ونصت المادة الأولى منها على أن خط الحدود بين أريتريا وإقليم تجراي، يسبر من أقصى نقطة سرقي نهر موسا في الاتجاه الجنوبي الشرقي في خط مواز للساحل، وعلى مسافة ٦٠ كيلو مترا منه حتى يتقابل مع الحدود الصومالية. وكانت إيطاليا من قبل قد عقدت اتفاقيات لرسم الحدود بين أريتريا والسودان.

واستقرت الأحوال والأمن في أريتريا خلال الاستعار الإيطالي، كما ازدهرت البلاد بشكل ملموس، ماعدا قضايا التعليم التي لم تعرها إيطاليا أي اهتمام.

وبنشوب الحرب العالمية التانية، وانهزام دول المحور أمام الحلفاء، احتلت قوات الحلفاء أريتريا في عام ١٩٦٢م، وأسندوا إدارتها إلى بريطانيا، التي بقيت فيها حتى عام ١٩٦٢م.

ثانيا: الجذور الحديثة للمشكلة الأريترية:

وتتمنل هذه الجذور بدور كل من بريطانيا وأنيوبيا في تعميق الخلاف بين الطائفتين الأريتريتين، بالإضافة إلى نتائج ممارسة الاتحاد الفيدرالي.

١ ـ دور بريطانيا في تعميق الخلاف بين المسلمين والمسيحيين :

يظهر هذا الدور واضحا من ممارساتها السلبية التالية :

- أ _ إنارتها للمشاكل الطائفية قبل الاحتلال، حيت وزعت الإدارة البريطانية منشورات في عام ١٩٤١م تعد فيها الشعب الأريتري بالعودة إلى وطنه الأم أنيوبيا إذا ما تعاون معها في طرد الطليان.
- ب تفسيم بريطانيا للمحافظات الأريترية على أساس نقافي وديني، حيث جعلت اللغة العربية والتجرينية لغة التعليم في مدارس المناطق الإسلامية، واللغة الإنكليزية في المناطق المسيحية. فقد كانت ترمى من وراء ذلك إلى تقسيم أريتريا كلها إلى منطقتين: الأولى إسلامية تتبع السودان، وتضم محافظات أغردات وكرن ونقفه، والثانية مسيحية (١١) وتتبع أتيوبيا، وتضم الهضبة والشواطئ الأريترية.
- ج تدبير المخابرات البريطانية لمذبحة أسمرا التي راح ضحيتها ٥٠ مواطنا مسيحيا على أيدي القوات السودانية العاملة في الجيش البريطاني، وذلك لتعميق الخلاف بين طوائف السعب الأريتري، وإنجاح مشروع التقسيم، الذي لم تخفه، فيا بعد عند مداولة المشكلة الأريترية أمام هيئة الأمم المتحدة.

دور أثيوبيا وقيام الأحزاب السياسية لكلا الطائفتين في أريتريا:

- أ _ نسطت أبيوبيا في إرسال الأموال إلى أريتريا، عن طريق بعض عملائها من رجال الكنيسة الأرثوذكسية، للدعاية لها بضم أريتريا إليها.
- ب _ القضاء على جمعية حب الوطن (تأسست في عام ١٩٤٣م، وضمت جميع طوائف السعب الأريتري) أنناء اجتاعها في بيت جرجيس ١٩٤٦م، عن طريق عملائها الذين هددوا المجتمعين بالموت إن هم اتخذوا قرارا يدعوا إلى الاستقلال.
- جد _ قامت أثيوبيا بعدها بخلق حزب مؤيد لها باسم حزب الاتحاد مع أتيوبيا كان معظمه من المسيحيين، وكان السرارة الأولى في تقسيم الشعب الأريتري.
- د _ وأمام ذلك كان لابد للمسلمين من إنشاء حزب يمثلهم ، فأعلن في بداية عام ١٩٤٧ تأسيس حزب الرابطة الإسلامية الأريترية. وحدد الحزب الجديد أهدافه بالاستقلال التام، ووحدة التراب الأريترى. وأختير السيد محمد إبراهيم سلطان علي سكرتيرا عاما لها. كما نشأت أحزاب أخرى صغيرة تمثلت في:
 - (١) الحزب التقدمي الحر.
 - (٢) حزب أريتريا الجديد.
 - (٣) الجمعية الأريترية الإيطالية.
 - (٤) حزب المحاربين القدماء.
 - (٥) حزب المثقفين.
 - (٦) حزب أريتريا المستقلة.
 - (٧) الحزب الوطني.

وقد تحالفت هذه الأحزاب فيا بعد (١٩٤٩م) لتكون الكتلة الاستقلالية الأريترية، كبا أنشأت هذه الأحزاب صحفها الخاصة التي كانت تصدر بالعربية والتجرينية، ومنها جريدة الاتحاد، جريدة صوت الرابطة الإسلامية، جريدة الاتحاد والتقدم.... إلخ.

٣ _ الحكم الفيدرالي الأثيوبي ونتائجه :

أحيلت قضية تصفية المستعمرات الإيطالية (أريتريا، ليبيا، الصومال) إلى الجمعية

العمومية في دورتها العادية الثالثة في عام ١٩٤٨م، وذلك على أبر فشل دول الحلفاء الأربع إيجاد حل لها.

ومنذ البداية طالب مندوب الأرجنتين بالاستقلال الفوري، وأيده مندوب المملكة العربية السعودية، بينا تقدمت بريطانيا بمشروعها لتفييم أريتريا، إلا أنه هزم بأغلبية صوت واحد. كها أوصت كل من الصين والاتحاد السوفيتي وبولونيا ولبنان ويوغسلافيا وأوكرانيا وتسيكوسلوفاكيا وروسيا البيضاء والباكستان منح الاستقلال للإقليم.

وفي عام ١٩٤٩م شكلت الجمعية العامة لجنة من بورما وغواتيالا والنرويج والباكســـتان وجنوب إفريقيا للتأكد من رغبات السكان.

وبعد انتهاء مهمة اللجنة في أريتريا، كان لكل عضو منها وجهة نظر مختلفة، فقد اقترحت بورما وجنوب إفريفيا اتحادا مشروطا يتلاءم وكرامة البلدين وسيادتها المحلية، بينا طالبت غواتيالا والباكستان بالاستقلال التام لأريتريا بعد مدة أقصاها عشر سنوات، تبقى فيها تحت وصاية الأمم المتحدة. أما مندوب النرويج، فقد ردد مع شي من التحريف المسروع البريطاني بالتقسيم.

وفي عام ١٩٥٠م قدمت الجمعية العامة مشروعات مقترحة من بعض الدول الأعضاء، كان أهمها مسروعات كل من الاتحاد السوفيتي، والولايات المتحدة، والعراق، والباكستان، وبولونيا. ومعظم هذه المساريع تدعو إلى الاستقلال، إما الفوري أو بعد مدة لا تتجاوز الئلاث سنوات، فيا عدا المشروع العراقي الذي يدعو إلى تكوين جمعية وطنية منتخبة تقرر الحل الذي تراه مناسبا، والمشروع الأمريكي الذي يدعو إلى اتحاد أريتريا مع أبيوبيا، على أن تتمتع بحكم ذاتي تحت سيادة التاج الأتيوبي.

وقد عارض مندوب بريطانيا مشاربع الاستقلال، محتجا بأن سكان أريتريا يتألفون من أجناس ذات لغات وتقاليد وأديان مختلفة.

وتحدث ممثلو الأحزاب السياسية عن وجهات نظرهم، حيث نادى تدلا بابرو السكرتير العام لحزب الاتحاد مع أنيوبيا، مبررا ذلك بالروابط التاريخية والجغرافية والنقافية

والاقتصادية، كما تحدث السيد إبراهيم سلطان باسم الرابطة الإسلامية والكتلة الاستقلالية. فأوجز مطالب الأوبتريين بالاستقلال وصيانة وحدة الأراضي الأريترية.

وبعد التصويت على المساريع المقدمة فاز المسروع الأمريكي، حيث ألقت الولايات المتحدة بثقلها السياسي لنجاح مسروعها، وأقرت الجمعية العامة المشروع الأمريكي بأغلبية كا صوتا مقابل ١٠ أصوات، وامتناع ٤ عن التصويت، وأصدرته بتاريخ ٢ ديسمبر (كانون أول) ١٩٥٠م باسم القرار الفيدرالي رقم ٣٩٠، ويتلخص القرار بالنقاط التالية:

- (١) تصبح أريتريا وحدة متمتعة بحكم ذاتي في إطار اتحاد مع أثيوبيا تحت سيادة الناج الأتيوبي.
- (٢) يكون للحكومة الأريترية سلطات تشريعية وتنفيذية وقضائية في حقل الشئون المحلية.
 - (٣) تختص الحكومة الاتحادية بسئون الدفاع والخارجية والمالية والمواصلات.
- (٤) يجتمع مجلس فيديرالي امبراطوري مؤلف من أعداد متساوية من الأريتريين والأبيوبيين مرة كل سنة على الأقل، لإسداء النصح والمسورة فيا يتعلق بشئون الاتحاد.
 - (٥) تكون الجنسية واحدة في الاتحاد.
- (٦) تكفل الحكومة الاتحادية وكذا الأربترية التمتع بحقوق الإنسان والحريات الأساسية دون تمييز، من حيث الجنسية واللغة والدين.
- (٧) يكون هناك مندوب للأمم المتحدة في أريتريا يساعده خبراء، يعينهم السكرتير العام للأمم المتحدة، ويعدون مشروعا للدستور الأريتري.

وصادق الإمبراطور هيلاسيلاسي على نص الاتحاد الفيدرالي في ١١ سبتمبر (أيلـول) ١٨م/ ١٠٥، وانضوت أريتريا نحت لواء ما يسمى بالاتحاد الفيدرالي.

وقد علق مندوب الاتحاد السوفيتي على القرار الفيدرالي «بأن مسروع الاتحاد يعتبر زواجا ضد إرادة أحد الطرفين، وأنه زواج لا يسمح بالطلاق، وذكر أن كتيرا من الوفود أعربوا عن تأييدهم للاستقلال، ولم يختلفوا إلا بالنسبة إلى الوسائل وفترات الانتظار».

و بذلك ربطت أريتريا _ على الرغم من معارضة أغلبية شعبها _ بالإمبراطورية الأتيوبية، مقابل ثمن بخس قبضته الولايات المتحدة تمن مشروعها، وذلك بإقامة القواعد العسكرية في الأراضي والشواطئ الأريترية.

وبعد إعداد الدستور، وانتخاب الجمعية التمتيليه الأرىترية (البرلمان) في ٢٥ و ٢٦ مارس (آذار) ١٩٥٢م، وانتخاب تدلا باير رئيسا لمجلس الوزراء، سلمت الإدارة البريطانية السلطة رسميا إلى الحكومتين الأريترية والأنيوبية، ورفع العلم الأريتري إلى جانب العلم الأتيوبي.

وعلى الرغم من عدد النواب المتساوي من المسلمين والمسيحيين في البرلمان (٣٤ مسلم ٣٤ مسيحي)، إلا أن تسكيل إدارة الحكومة قد شغلت بنحو ٩٠٪ من المسيحيين، نتيجة التواطؤ الإنكليزي ـ الأنيوبي، وذلك بهدف إشعار المسلمين بالغبن، ومن ثم خلق صراع أريتري يمنع الاستقرار، ويكن الحكومة الأنيوبية من التدخل.

وفرض ممثل الإمبراطور نفسه كرئيس فعلي لأريتريا، إذ تدخل في كل سأن من سئون الدولة، وأوقف الصحف، وحل الأحزاب السياسية والانحاد العام لنقابات العمال. كما استولت أنيوبيا على حصة أريتريا من الجمارك، وخنقت الاقتصاد الأريترى بكل الوسائل.

وإزاء ذلك اتخذ البرلمان الأريتري بأغلبية ساحقة قرارا بتاريخ ٢٥ مايو (آيار) ١٩٥٤م، طلب فيه من رئيس الوزراء إنذار الحكومة الأنيوبية بوجوب إعطاء الضهانات اللازمة لسيادة الدستور الأريتري. وبدلا من عمل رئيس الوزراء تدلا بايرو بالقرار، خضع لأوامر الإمبراطور وقدم استقالته، كها استقال معه حليفه علي موسى راداي رئيس البرلمان. وانتخب البرلمان وبشكل تآمري على نواب الكتلة الاستقلالية (أسفها ولد ميكائيل) رئيسا للوزراء، مقابل انتخاب إدريس محمد آدم رئيسا للبرلمان، ولكنه أقيل بعد عشرة أشهر لكونه من الكتلة الاستقلالية، واستبدل بحامد فرج الموالي للسلطة. وعلى الرغم من احتجاج ممثلي الأحزاب السياسية في الأمم المتحدة على سياسة أثيوبيا، إلا أن وفدهم عاد خائبا. واستمرت عملية إلغاء الاتحاد خطوة تلو الأخرى، وأصبح البرلمان الأريتري ألعوبة بيد رئيس الورزاء، الذي استغله وأنزل العلم الأريتري، كما ألغى الإشارات الأريترية. وفي ١٩٦٢/١١/١٤م أعلنت البرلمان المزيق اللعبة نفسها باستغلال البرلمان المزيف.

ثالثا: الترابط بين أثيوبيا وأريتريا، حقيقته ومداه ·

كثيرا ما رددت أثيوبيا وغيرها من الدول ذات المصلحة في وثائق الأمم المتحدة عبارة

حفوق أنيوبيا التاريخية في أربتربا. فقد جاء في البيان الذي أدلى به (المستر أتو اكليلو أبتي ولد) وزير الخارجية الأنيوبي، في ١٠ نيسان (أبريل) ١٩٥٠م، أمام بعنة الأمم المتحدة: «خلال تجوالكم في أريتربا وأسوبيا، تمكنتم من أن تلاحظوا بأنفسكم التطابق التام في الأقاليم والناس الذبن توحدوا معا منذ آلاف السنين تحت اسم أنيوبيا، باستنناء خمسين عاما من الحكم الإبطالي لأريتريا، فقد شاهدتم الناس أنفسهم بعاداتهنم القومية وأزيائهم، وأريافهم وافتصادهم الزراعي المقائل في القطرين، أن الريف الأريتري ينبابه كل المشابهة تقريبا المشاهد الأنيوبية»، مم يقول: «لقد شاهدتم العهامات ذاتها وأساليب السلوك ذاتها، وأساليب الملوك ذاتها، وقد استمعتم إلى لغتينين سبيئيتين شديدتي القرب من الأمهرية، وها لغة تجرينيا ولغة تجري اللتان تكتبان كما تكتب الأمهرية غاما» (٢٠٠). «وفي عدوليس بالقرب من مصوع شاهدتم تذكارات تلك الفترة العظيمة من إمبراطورية أكسوم التي امتد تأثيرها إلى أقاصي بلاد العرب ومصر، والتي كان ميناؤها مدينة عدوليس القدية تلك» (٢٠٠).

هذه هي الحقوق التاريخية والتقافية لأتيوبيا في أريتريا، فها هي حفيقتها؟ ولنبدأ من حيت الوزير.

إن مدينة عدوليس ميناء أكسوم لم تنشئه أكسوم، وإنما أنسأه اليونانيون البطالمة، فقد كانت السواحل الأريترية عرضة للغزوات والاحتلال والنزوحات الخارجية، فتطورت هذه السواحل بمعزل عن الداخل الأتيوبي، حتى من الناحية اللغوية، حيث طورت أكسوم (بعد اضمحلالها أمام ضربات قبائل البجة البدوية) لغة هجينة خاصة بها سميت بالأمهرية (٢٢)، وهي تختلف كثيرا عن لغات التجري أو التجرينية.

كما توالت على الساحل الأريتري بعد اليونان، كل من الفرس والرومان، نم العرب الأمويين عندما فتحوا دهلك والساحل الأريتري اعتبارا من عام ٨٤ هـ ٢٠٧٩م، وأقاموا فيها القلاع والحصون (٢٤)، وخلال القرون الثلاثة التالية بقيت معظم الشواطئ الأريترية تحت سيطرة قبائل البجة الرعوية الحامية الأصل، والتي دفعت الجزية للدولة العباسية. وبعد الانتشار المكثف للإسلام على الشواطئ الأريترية نشأت ممالك الطراز الإسلامي من سواكن حتى زيلع في الصومال، وكانت مع أسرة زاقوي في الحبشة تقوم على حسن الجوار، إلى أن بدأ

إيكونو أملاك منذ ١٢٧٠م حربا دينية واسعة النطاق ضد هذه المالك، وكانت الأولى من نوعها، استهدفت في حقيفة الأمر السيطرة على طرف التجارة (٢٥) حتى استطاع أحفاده الذين حكموا الحبشة خلال الفترة بين ١٤٢٠ ـ ١٥٢٠م، إجبار هذه المالك على دفع الجزية، حيت كانت الحرب لصالح الأحباش. وفيا عدا ذلك خضعت السواحل الأريترية منذ عام ١٥٤٧ للمستعمرين البرتفال، حتى طردهم الأتراك في عام ١٥٥٧م (٢٦). فأين هي إذن الحقوق التاريخية والنفافية لأبيوبيا في أريتريا؟ فعلى امتداد تاريخها الطويل لم تستطع أتيوبيا أن تحكم أو حتى تفرض حاكما معينا على أي من السواحل الأريترية أما مناطق الهضبة فقد خضعت ببن الحين والحين لنفوذ ملوك الحبشة وبشكل اسمي فقط، هذا قديا، أما حدينا فيجدر بنا أن نورد الادعاءات الأبيوبية التي عبر عنها وفد النرويج في بعثة الأمم المتحدة خدمة لأغراض سياسية، إضافة للرسالة التي أدلى بها وزير الخارجية الإيطالي إلى رئيس بعئة الأمم المتحدة كرد على هذه الادعاءات.

ففد جاء في الفقرة ١١٠ من تقرير بعنة الأمم المتحدة إلى أربتريا الخاص بوفد النرويج ما نصه:

«لا حاجة بنا إلى العودة إلى الماضي البعيد لهذا الأمر، بل يكفى أن نذكر الأحداث التي جاءت من خلالها إيطاليا إلى أثيوبيا. ففي عام ١٨٦٩م حازت إيطاليا على شريط من الساحل قرب مصوع، وفي ١٨٨٥م احتلت مصوع التي كانت حتى ذلك الحين يدبرها مصريون بعقد إيجار من الإمبراطور الأنيوبي، نم جاءت هزية الإيطاليين في عام ١٨٨٧م حين تحطمت حامية دوقلي قرب مصوع على يد حاكم أريتريا من قبل الإمبراطور وقد انتهت سلسلة المعارك والمعاهدات أخيرا إلى المعاهدة الإيطالية ـ الأثيوبية سنة ١٩٠٠م. وفيها تخلت الحكومة الأنيوبية عن القسم الجنوبي من أريتريا لإيطاليا... هذه الوقائع تبرهن على ممارسة أتيوبيا لسيادتها على أقليم أريتريا، وتقدم تعليلا مطولا لادعائها التاريخي بإعادة تكامل أجزائها» (٢٧).

ولن نعلق هنا على رأي وفد النرويج، بل سنورد رسالة وزير الخارجية الإيطالية الكونت سفورزا، التي أرسلها إلى رئيس بعثة الأمم المتحدة في أريتريا في ١٧ نيسان ١٩٥٠م. والتي جاء فيها:

«تشرفت الحكومة الإيطالية باستلام رسالتكم المؤرخية في ٣ آذار (مارس) ١٩٥٠م،

المتضمنة فرار بعنة الأمم المتحدة لأجل أريتريا بدعوة الحكومة الإيطالية للتعبير عن وأيها في مستقبل أريتريا، ولتزويد البعتة بمعلومات قد تفيدها، وفقا لقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة.

سر الحكومة الإيطالية أن تقبل منل هذه الدعوة، وهي على استعداد للإجابة عن الأسئلة التي تضعها البعنة، وكذلك لتقديم المعلومات، نظرا للتجربة الطويلة التي اكتسبتها خلال سبعين عاما من إدارتها المباشرة لأريتريا، مما يجعلها في مركز تقديم المعلومات.

تمة نقطة أولية يجب توضيحها، تتعلق بماضى أريتريا التاريخي، والطريقة التي تشكل بها. احتلت إيطاليا عدة أجزاء من أريتريا بين ١٨٦٩م ١٩٠٣م، ولم تأخذ أيا منها من أنيوبيا. فقد وضعت إيطاليا قدمها في دانكاليا، وكان يسكنها وما يزال مسلمون عقدن مع مضايخهم اتفاقات حماية. أما الشهال الأقصى من الساحل، بما فيها منطقة مصوع وجزر دهلك إلى حدود السودان، فإن سكانه مسلمون تابعون للإمبراطورية العتهانية التي لم تكن لها هناك غير سلطة ضعيفة بواسطة خديوي مصر. وقد أسست إيطاليا مركزها هناك بواسطة اتفاقيات مع مصر ١٨٨٥م.

أما الأرض الداخلية، في المنخفضات الغربية، أي المنطقة الواقعة بين نهري قاس وستيت، التى يقطنها شعبا باريا وكوتاما، فقد كسبتها إيطاليا باتفاقية ملائية بين إيطاليا وبريطانيا العظمى وأنيوبيا في ١٩٠٣م.

وأما المرتفعات فمع أنها خضعت في بعض الأحيان لزعماء تجراي الإقطاعيين، فقل أن اعتبرت جزءا متما للإمبراطورية الأبيوبية، بحيث إن الملك منليك دعا القوات الإيطالية إلى احتلال مقاطعة أسمرا في رسالة تاريخها ١٠ آذار (مارس) ١٨٨١م. إن منطقة المرتفعات إلى جنوب أسمرا (اقلي قوزاي وسراي) خضعت لإدارة إيطاليا منذ ١٨٩١م، وأخيرا اعترف بها على أنها جزء من أريتريا في المعاهدة الإيطالية ـ الأنيوبية، أي في ١٠ نموز (يوليو) ١٩٠٠م.

أحد الأسباب لذكر المعلومات السابقة هو استبعاد الخطأ النسائع بأن حرب ١٨٩٥ - ١٨٩٦م بين إيطاليا والإمبراطور مينليك قد نسبت بسبب الخلافات الإقليمية، وإنما نسبت بسبب الخلافات حول تفسير المعاهدة الإيطالية _ الحبشية، المعروفة بمعهدة أوتشيالي، التي رأت الحكومة الإيطالية آنذاك أنها تؤسس نوعا من الحمايه الإيطالية على أتبوبيا بأكملها، وهو

تفسير لم يقبله الإمبراطور مينليك، ومع أن الحرب لم تكن في صالح إيطاليا، فإن الإمبراطور مينليك ترك حدود أريتريا دون تغيير» (٢٨).

وبعد هذا لا نظن أبدا أن أي غموض أو ادعاء مازال فائها إن كان من فبل أنيوبيا أو من قبل ومن قبل أنيوبيا أو من قبل وفد النرويج. ولا حاجة بنا إلى تكرار تأكيد أنه لم يكن لأبيوبيا في أي حقبة تاريخية سلطة مباشرة أو فعلية على أريتريا (٢١).

رابعا: جبهة التحرير الأريترية ومراحل تطور الثورة الأريترية:

هاجر منذ عام ١٩٥٨م عدد كبير من العال الأريتريين نتيجة الإرهاب الأنيوبي إلى عدد من دول الشرق الأوسط. وفي نهاية عام ١٩٥٨م تكونت حركة التحرير الأربتربة في بورسودان بزعامة محمد سعيد إدريس، حيث قامت بتنظيم خلابا سربة سباعية في معظم المدن الأريترية، ولم تكن تؤمن حركة التحرير بالمقاومة المسلحة، ولكنها لعبت دورا كبيرا في تعبئة الجماهير الأريترية سياسيا.

وفي القاهرة تبلورت فكرة إنساء جبهة التحرير الأريترية في أذهان الزعماء الأريتريين الذين لجأوا إليها، وخرجت إلى حيز الوجود برئاسة إدريس محمد آدم (رئيس البرلمان الأربتري) ١٩٦٠م، تدعمه مجموعة من العمال والطلبة من الجماليات الأريترية في الأقطار العربية المجاورة.

وفي العام التالي أعلن حامد إدريس عواتي ـ رحمه الله ـ التمرد المسلح ضد الاحتلال الأثيوبي معتصها بالجبال في ١٩٦١/٩/١م ، ـ بعد إعداد معنوي لجهاهير السعب عن طريق بعض علهاء المسلمين الوطنيين في ريف المنطقة الغربية ـ بصحبه عدد من المقاتلين. وبنت الجبهة هذه الحركة العفوية، وأمدتها بكميات محدودة من السلاح، بم شراؤها من الأقطار المجاورة بأموال التبرعات. وعلى الرغم من وفاة عواتي في العام التالي، إلا أن زملاءه في السلاح تمكنوا من تطوير الكفاح المسلح، وخاصة بعد أن انضم إليها تسعة من ضباط الصف الأريتريين، الذين خدموا في الجيس السوداني فترة طويلة. وتحولت الانتفاضة العفوية إلى بورة مسلحة منظمة، انسجاما مع أهداف التحرير التي حددها دستور الجبهة بالاستقلال الوطني

الكامل، عبر الكفاح المسلح، الذي تدعمه جهود سياسية وديبلوماسية في الخارج، مع الحفاظ على وحدة التراب الأريترى.

وبعد عدة عمليات عسكرية ناجحة، وفي منتصف عام ١٩٦٤م، تمكنت الجبهة من إنساء نواة لجيس تحرير قوامه ٢٥٠ مفاتلا، وذلك عندما وجدت النورة الأريترية دعما مالية وعسكريا من سوريا، تمتل في ٢٠ قطعة من السلاح الروسي الكلاشينكوف، مما ساعد على تطوير الكفاح المسلح حتى شمل كل الريف الأريتري.

مراحل تطور الثورة الأريترية:

مرت النورة الأريترية _ ككل النورات التحررية في العالم _ بعدة مراحل منذ نسأتها حتى الوقت الحاضر، نتيجة للظروف المحلية والدولية التي مرت بها النورة الأريترية وأبيوبيا. و يمكن تلخيصها بأربع مراحل متميزة:

المرحلة الأولى ١٩٦١ ـ ١٩٦٨م : مرحلة المجلس الأعلى :

على الرغم من ضعف النورة الأريترية في هذه المرحلة، إلا أن أهم ما يميزها وحدتها المتاسكة في كل المناطق الأريتربة. وتتلخص أهم أحدانها بالنقاط التالية:

- ١ _ الصراع بين تنظيمي حركة التحرير وجبهة التحرير، مما أدى إلى تصفية حركه التحرير.
- ٢ ... اجتاع كسلا ١٩٦٥م الذي انبق عنه تفسيم أريترا إلى خمس مناطق للمقاومة الذاتية، هذا التقسيم الذي أتبت فسله في عام ١٩٦٧م، لسلبياته العديدة، وخاصة في عمال توزيع السلاح. اللذي أنر فيه دور الصراعات الإقليمية والطائفية والقبلية الأربترية.
- ٣ ـ دخلت التورة في عام ١٩٦٧م في معركة غير متكافئة مع القوات الأنيوبية، كان من نتيجتها أن شنت هذه القوات حرب إبادة جماعية للمدنيين الأريتريين في مديرية البحر الأحمر، والمديرية الغربية، ومحافظة كرن، واكلى فوزاي. وصل فيها حجم الخسائر على النحو التالى:
 - ٦٦٥٠٠ من الجمال والبقر والماشية .

٦٨٦ قتيل.

۲۳۸ قریسة .

٧٠٠٠٠ لاجي إلى السودان.

خعف قيادة المجلس الأعلى، وضعف القيادة العسكرية في كسلا، أدى إلى المرحلة التالية من النورة.

المرحلة الثانية ١٩٦٩ ـ ١٩٧٧م : مرحلة انقسامات الثورة الأريترية :

حاولت النورة الأريترية في هذه المرحلة الاستفادة من أخطاء الماضي بعقد العديد من المؤتمرات، ولكن سرعان ما تحولت هذه المؤتمرات إلى أداة للانقسام. وكان من أهم أحداث هذه المرحلة.

الناطق المؤتر أدوبحة العسكري ١٩٦٩م، ومن أهم قراراته أنه تم في هذا المؤتر توحيد المناطق الخمسة، إلا أن مجموعة من القيادة العامة العسكرية للجبهة قامت بخرق قرارات المؤتر، واعتقلت ٨ نهانية من القيادة العامة لإيجاد مركز قبلي وإقليمي قوي يخدم مصالحها الذاتية وهيمنتها على الساحة الأريترية، أو بالأصح هيمنة المنطقة الغربية على كل أستات التراب الأريتري، نم عقدت اجتاعا أعلنت فيه حل المجلس الأعلى، وأعلنت نفسها فيادة عامة لجبهة التحرير الأريترية (المجلس الثوري). وكانت النتيجة أن قام عدد كبير من أعضاء مؤتمر أدوبحة بعقد اجتاع في «سدوحاعيلا» أعلن على أثره تشكيل قوات التحرير السعبية. ولنفس الأسباب انفصل ٤ أعضاء من القيادة العامة، وعقدوا اجتاعا في «عويل»، تم فيه إعلان تنظيم قوات التحرير الأريترية (عويل)، كها انفصل آسياس أفورقي عن القيادة العامة مع مجموعة قليلة من المسيحيين.

٢ - في تسرين الأول (أكتوبر) ١٩٧١م عقدت القيادة العامة (المجلس النوري) مؤتمرا تنظيميا عاما للثورة الأريترية سمي بالمؤتمر الوطني الأول، وقد استبعدت من هذا المؤتمر قوات التحرير الشعبية، وانبتق عن المؤتمر قيادة وقرارات وونائق. وأهمها إدانة قوات التحرير الشعبية بسبب انشقاقها، وقرار تصفيتها الذي أشعل نار الحرب الأهلية فيا بعد، وقرار آخر بالتقليل من أهمية اللغة العربية.

٣ ـ وفي بيروت عفد اجتاع في ديسمبر ١٩٧١م كان الهدف منه توحيد الفصائل
 النلائ التي انسلخت عن المجلس النورى، وهي:

- (١) قوات التحرير السعبية .
- (٢) قوات التحرير الأريترية (عويل).
 - (٣) مجموعة آسياس أفورقي.

ونجح الاجتماع، وأصبحت الفصائل النلات قوة واحدة سميت بقوات التحرير الشعبية، وأعلنت أنها على استعداد للوحدة مع المجلس النوري عن طريق الحوار الديموقراطي.

المرحلة الثالثة ١٩٧٧ ـ ١٩٧٥م : مرحلة الحرب الأهلية :

١ _ أسباب الحرب الأهلية :

يظهر لنا في بادئ الأمرأن انسقاق قوات التحرير السعبية، ومن نم قرار المجلس النوري بتصفيتها، هو السبب في اشتعال الحرب الأهلية.

وعلى الرغم من أن هذا قد بصبح سببا مباسرا للحرب، إلا أن السبب الحقيقي لها هو الصراعات الشخصية والقبلية والإقليمية التي حاولت فرض هيمنتها، وفرار التصفية الذي اتخذه المجلس التوري كان يتضمن هذا النوع من الهيمنة على النورة أكثر منه قرارا لصالح الذورة الأريترية.

٢ _ حـ ب أسـما:

في أثناء الحرب الأهلية انتقل الصراع بين قوات التحرير الشعبية والمجلس الثوري إلى قرب أسمرا، وبذلك انتقل التدمير من المناطق الإسلامية إلى المناطق المسيحية المسيحية العالمية والمخابرات الأمريكية (٢١) والسلطة الأتيوبية لوقف الحرب الأهلية، ليس حبا بالثورة الأريترية، بل للحفاظ على أرواح وممتلكات المسيحيين.

وتوقفت الحرب الأهلية، ولكنها سرعان ما تحولت بالتسيق إلى حرب ضد الفوات الأثبوبية وحصار لأسمرا.

٣ ـ التدفق المسيحى على الثورة:

أخذت جموع كبيرة من المسيحيين التوافد على الشورة الأريترية، وبنسكل يدعو للاستغراب والتساؤل من نغير موقفهم، بعد أن كانوا يسكلون في الماضي القريب الفوات الخاصة التي قاومت بها أنيوبيا التورة في الهضبة الأريتربة. وللإجابة على هذا التغيير في الموقف يمكننا حصره في مجموعتين من الأسباب:

تتعلق المجموعة الأولى منها بالتغير الحقيقي في ميول المسيحيين تجاه أتيوبيا، وبدامة هذا التغير حدن أنناء الحكم الفيدرالي لأربتريا، حين دهش المسيحيون الأريتريون من قيام أثيوبيا بمنع تدريس اللغتين الرسميتين لأريتريا - العربية والتجربنية - لتحل محلها اللغة الأمهربة الغريبة، بعد أن كانوا بعتقدون بأن نقافتهم ولغتهم ستزدهر في ظل حمابة أتيوبيا المسيحية، «كها عمدت السلطات الأمهربة إلى الاستئسار بالمراكز العليا في الإدارة الأريترية، وقد دفع مظهر التعييز الذي اتسم بالاستئتار والتعالي المواطن المسيحيي الأربترية والذي إلى إعادة النظر بالأخوة الأربترية - الأنيوبية».

وسقط هيلاسيلاسي في عام ١٩٧٤م ووصل الجنرال أمان عندوم الأريتري الأصل إلى رأس السلطة، إلا أن الأمهريين لم يسمحوا أن يكون على رأس دولتهم أرسري ولوكان مسيحيا، وأعدم ضمن سلسلة إعدامات دموية قام بها السفاح منجستو هيلي ماريام.

- أما المجموعة الثانية من الأسباب فقد برزت بعد أن لاحظت المخابرات الأمريكية واتحاد الكنائس العالمي والقيادات المسيحية المحلية انتصارات البورة الأربترية، وسيطرتها على كل الريف الأريتري، مما دعا هذه المؤسسات والقيادات لتقوم بعملية تعبئة ساملة للمسيحيين للتطوع في النورة، حتى يكون لهم دور أكبر في قيادة البورة، ومن مم قيادة البلاد.

وأتبتت نتائج الحرب الأهلية إضعاف النورة الأريتربة، وبالتالي عدم استطاعتها حسم الصراع لأي من الأطراف، كما أعطت الفرصة لظهور القيادات المسيحية والسيوعية، وانحسار دور المسلمين في قيادة الثورة (٣٢).

المرحلة الرابعة ١٩٧٥ ـ ١٩٧٨ م :

يمكن حصر أهم الأحداث في هذه المرحلة بالنقاط التالية :

١ ـ المؤتمر الثاني التنظيمي العام لجبهة تحرير أريتريا (المجلس الثوري) في عنسبة ١٩٧٥م، وأهم قراراته السياسية:

- وقف الحرب الأهلية (التي كانت فد توقفت من قبل).
 - ـ التأكيد على استخدام اللغة العربية .
 - ـ توحيد فصائل المهاومة .

وهد استخدم في ومائقه العبارات الاستراكية، واستولت عليه الفيادات السيوعية (٣٣).

٢ _ مؤتمر الوحدة في الخرطوم ١٩٧٥/٩/١ م :

تطبيقا لفرار توحيد فصائل المفاومة فقد دعي لمؤتسر وحدة يعقد في الخرطوم في ١٩٧٥/٩/٨ بين المجلس التوري وفوات التحرير السعبية. وقبل انعقاد المؤبس، وفي ١٩٧٥/٨/٢٣م، أرسلت اللجنة الإدارية (القيادة العسكرية المؤقتة في الميدان) لقوات التحرير الشعبية رسالة موقعة من آسياس أفورقي رئيس اللجنة برفض الحضور إلى الحرطوم. إلا أن البعنة الخارجية (القيادة السياسية) لقوات التحرير الشعبية، وعلى رأسهم ولد آب ولد ماريام وعيان صالح سبي وثلاثة من زملائهم وقعب اتفاق الوحدة مع المجلس النوري الذي مثله أحمد محمد ناصر رئيس المجلس وخمسة من زملائه، وذلك في ١٩٧٥/٩/٨م.

ورغم كل الاتصالات التي قامل بها القيادة السياسية مع القيادة العسكرية لقوات التحرير الشعبية، إلا أن الأخيرة ظلت رافضة لاتفاى الوحدة، محتجة بأنها لن تجلس مع المجلس النوري باعتباره مجرم حرب ومسئول عن حرب أهلية. ودعا آسياس أفورقي وأنصاره في اللجنة الإدارية والمقاتلين إلى اجتاع عقد في منطقة شهال بحسري في الميدان - في اللجنة الإدارية وروا فيه رفض مفررات الوحدة في الخرطوم. وبالمقابل عقدت القيادة السياسية اجتاعا في دمشق ١٩٧٦/١١/١م أعلنت فيه عدم نخليها عن مقررات الخرطوم

الوحدوية، وفي نفس الوق عقد اجتاع للتفاهم مع اللجنة الإدارية، وعقد الاجتاع في الخرطوم في الفترة من ٣/١٨ إلى ٣/٩٧٦/٣/٢٩م، بين بميلي القيادتين، أصرت فيه اللجنة الإدارية برئاسة آسياس أفورفي على رفض مقررات الوحدة في الخرطوم، وتقدم بافتراح تجميد مقررات الخرطوم مع مفررات شهال بحري على السواء. وهذا يعني استمرار حالة الانقسام في الساحة، وعلى أبر ذلك حددت الفيادة السياسية (البعنة الخارجية) موقفها من اللجنة الإدارية على النحو التالى:

«إن البعد الخارجية، وبعد أن وصلت الأمور بينها وبين اللجنة الإدارية إلى هذا الحد، فإنها تعلن عن إنهاء علافتها التنظيمية باللجنة الإدارية، وتعلن عن نخليها عن أي مسئولية نجاهها، وتحملها ما سيترتب على موقفها، وتترك المسألة بكاملها لجماهير ومقاتلي قوات التحرير السعبيه ليقولوا كلمتهم».

وبناء على تمسك البعنة الخارجية باتفاقية الوحدة، ورفضها كل ضغوط آسياس أفورقي لتجميد هذه الاتفاقيه، أصدرعضوان من اللجنة الإداربة بيانا يعلنان فيه تأييدها للوحدة، ويستنكران مواقف العناصر الانفساميه، وأصدرا بيانا تضمن تلخيصا لتاريخ تأسيس اللجنة الإدارية ومواقفها، وأسار إلى بعض السلبيات التي مارستها اللجنة الإدارية:

- طرح السعارات التقدمية، وتسخيرها لخدمة أهدافهم الذاتية والطائفية والإقليمية.
- ممارسة الإرهاب ضد المقاتلين والجهاهير بالاعتقالات والاغتيالات ومصادرة الأملاك تحت سعار التأميم.
 - ـ تسريد وتصفيه المهاتلين القدماء من الميدان.
 - تجاهل اللغة العربية التي تسببت في إبارة الحساسيات بين أبناء السعب الواحد.

وأصبح الانقسام بين مؤيدي الوحدة ومعارضيها شيئا لا مفر منه، وانشقت قوات التحرير السعبية ليخرج منها الجبهة الشعبية لتحرير أريتربا بأغلبيتها المسيحية المتحالفة مع الأقلية الإسلامية في المنطقة الشرقية، بينا بقيت فوات التحرير بأغلبية إسلامية.

وعلى الرغم من الادعاء بالتقدمية والماركسية التي ينادي بها حزب الشعب الذي بنتظم فيه معظم أتباع آسياس أفورقي، وهو حزب يشبه حزب العمل في المجلس الثوري، إلا أن

السبب الحفيفي لعدم فبوله لمقررات الوحدة في الخرطوم يرجع إلى أسباب طائفية، تتمثل بخوفه من أن تنصهر تنظيمه المسيحي في الغالبية الإسلامية في المجلس النوري.

٣ ـ عقدت مؤنمرات للتنظيمين الجديدين، حيث انبتق عنها فرارات وقيادة جديدة.

٤ ـ تراجع المجلس النوري عن اتفاقية الوحدة التي وقعها مع قوات التحرير السعبية في دورته التالثة في أغسطس ١٩٧٦م، على أساس أن طرفا من هذا التنظيم (جبهة أسياس أفورقي) رفض الاتفاقية.

نتيجة رفض المجلس البوري لاتفاق الخرطوم، وقيامه بالقضاء على القيادات الوطنية والإسلامية المؤسسين للنورة، فقد حدت فيه انسقاق من المسلمين، وانضموا لقوات التحرير الشمبية.

7 - كما حدث انساق آخر ضمن المجلس التوري من قبل المسيحيين، وسمى بالفالول (الرافضين)، وكان سببه الحقيقي هو عدم استطاعة المسيحيين السيطرة على المجلس النوري، بالإضافة إلى سعورهم بوجوب دعم آسياس أفورقي، حيث انضم معظم المنشقين إلى الجبهة النسعبية بزعامة حروي تدلا بايرو.

٧ ـ وأمام ضغط الجهاهير الأريترية والدول العربية حدتت لقاءان لتوحيد الفصائل التلاثة، وباءت كلها بالفسل، وإن تم في بعض الأحيان تنسيق عسكري ببن المجلس الثوري والجبهة السعبية.

٨ ـ وكانت أهم هذه اللفاءات اتفاقية للوحدة في الخرطوم بتاريخ ١٩٧٧/١٠/٢١م بين المجلس التوري والجبهة السعبية، وفسلت أيضا (استبعدت قوات التحرير الشعبية التي أعلن آسياس أفورقي عن رفضه لأي لفاء معها) (٢١)، حيب إن كلا من الطرفين تمسك بموقف وشر وطه التعجيزية في اجتاع لاحق، عقد في حقات (١٩٧٧/١١/٣٠م، وانتهى الاجتاع إلى الفسل التام وتبادل الاتهامات والنيران أحيانا.

٩ ـ ظهرت خلال هذه الفترة جبهة جديدة من المقاتلين بقيادة سلطان عفر (الدناكل)
 العجوز، اتسمت بطابعها الإسلامي، كرد فعل للاتجاهات الماركسية في الثورة.

١٠ _ امتدح المجلس النوري النورة الأنيوبية في تصريح له في بيروت، واعتبرها تورة سعبية تعدمية وسقيقة للنورة الأريتربة، كها هاجم الدول العربية (الإمبربالية) إرضاء للحكم الشيوعي، وتبع ذلك رحلات سرية إلى الدول السيوعية.

11 ـ الهزائم العسكرية : وقد تجسدت هذه الهزائم بانسحاب النوره الأريترية من كافة المدن الرئيسية إلى الريف. وقد كان آخرها ما ذكره الناطق باسم الجبهة السعبية في باريس عن الهجوم الأنيوبي المدعم بالفوات الكوبية والخبراء السوفييت، وانسحاب النوار من آخر معافلهم على البحر الأحمر (كعمل تكتيكي) (٣٥) ونزوح أكسر من ١٠٠ ألف لاجمى الجبال.

ثالثا: مستقبل المشكلة الأريترية:

قبل أن نبدأ بتقييم مستقبل المسكلة في أريتريا، يجدر بنا أن نورد إمكانية فيام الدولة في أرىتريا من وجهة نظر الجغرافيا السياسية، حتى ىكون حديننا ذا معنى عند مناقسة ما يحيط بالمسكلة في الحاضر والمستقبل.

١ ـ إمكانية قيام دولة مستقلة في أريتريا:

بمعرض الحديث عن إمكانية ومقومات قيام دولة مستقلة في أريتريا لن أبدي رأما في الموضوع قبل أن أعرض بعض الآراء المنصفة في هذا الصدد حتى لا نتهم بالانسياف وراء عواطف معينة، ولذا فإننا سوف نستعرض بعض بنود المذكرة التي رفعها وفدا غواتيالا وباكستان إلى الأمم المتحدة، والمتعلقة بالوضع السياسي العام في أربتريا(٢٦).

- إن من يؤبدون قضية الوحدة أسرفوا في التصوير العاطفي لسوء الوضع، لكي يتوصلوا إلى الاستنتاج بأن الإفليم لا يستطيع في الوقت الحاضر أن يكفي نفسه من الناحية الاقتصادبة، ولن بغدو قادرا على ذلك في المستفبل. ومن الناحية الأخرى، فإن مؤيدي مبدأ الاستقلال بالغوا أيضا بالإمكانيات المفبلة لأريتريا، وأكدوا بصورة عاطفية أيضا أن القطر بفدر على نحفيني استفلال اقتصادي كامل في فترة قصيرة.

- کلا الرأبین مبالغ فیه ، وکلاهها خاطی .
- وعلى كل توجد حقيقة لا تنكر: فل أن يوجد في الوقت الحاضر قطر في العالم بمكن القول عنه: إنه مستفل من الوجهة الاقتصادية. إن فكرة تبادل الاعتاد الاقتصادي فد حلت حاليا محل المفهوم القديم عن الكفاية الذاتية.
- ومن وجهه أخرى من الصعب، بل من الخطأ، أن نقدر فدرة أريتريا الاقتصادية في ضوء
 الوضع الراهن فقط، دون الحدس عن الحفيفة الهائلة بأن الظروف القائمة غير عادية.
- جاءت معظم المعلومات إلينا عن الوضع الافتصادي في الإقليم من الإدارة البريطانية، ومن الواضح أنها تميل إلى تأييد الموقف السياسي للحكومة البريطانية من المسكلة.
- المنتجات الزراعية الرئيسيد في أريتربا هي: الحبوب، الألياف النباتية، البن، التبغ، القطن، الحوامض، الفواكه.
- إن تربية المواشي مصدر جيد للتروة في أربتربا لإنتاج الألبان واللحوم وصناعة الجلود
 وتصديرها.
- إن الإحصاءات عن الإنتاج الزراعي غير تامة ولا كافية، وليس لها الفيمة الفعلية للإحصاءات المعنادة بسبب الظروف الفائمة.
- الحقيقة المنتشره عن التعدين هي أن العديد من مناجم الذهب توجد في المرتفعات والمنخفضات على السواء. بلغ إنتاج الذهب ١٩٤٠م حوالي ١٧٠٠٠٠ أونصة، وبدأ يبلغ إنتاجا بابنا مع احتالات كبرى للازدباد. ثم خربت المناجم الرئيسية أو أغلقت أو فككت، فقد نأنرت بالنساطات الإرهابية بنفص الأمن في القطر، ففي ١٩٤٩م لم يكن الإنتاج سوى ٨٠٠٪ ٢ أونصه.
- من من المعروف أيضا أنه يوجد مخزون من الحديد والنحاس والنيكل والميكا والأسبستوس،
 كما وجدت آنار للمنغنيز والتيتانيوم والمغنزيوم والكروم، ولكن المعلومات المتوفره قليلة بسكل عام.

- _ وقد عرفنا أيضا أنه خلال السنوات الأخبرة من النظام الإيطالي استخرج البترول المحلي من جزر دهلك خارج مصوع، ولكن ظروف الحرب حالت دون إتمام هذه التطلعات.
- لدى أريتريا عدد كبير من الصناعات التي تستمد أهميتها من جودة نوعيتها. فالصناعات سديدة التنوع، ويكن تقدير ذلك بما يلى: صناعات كيميائية، لحوم محفوظة، زبدة، جبن، أسهاك محفوظة، بيرة، نبيذ، مشروبات روحية، كحول، أواني زجاجية، أوان صينية، بورسلان، نقاب، ورق، منتجات طبية وصيدلية، بضائع جلدية، أزياء، حبال نباتية، زبوت نباتية وسمكية، صمغ عربي. ومعظم هذه المنتوجات يصدر، كها توجد منتوجات للاستهلاك المحلى كالصابون والسجاير والإسمنت والعطور،
- تمتلك أريتريا ساحلا يمتد ١٠٠٠ كيلو متر، وأرخبيلا هاما من الجزر في البحر الأحمر الذي هو من أغنى بحار العالم. إن صناعة الأساك واستغلال الموارد البحرية ستكون من أغنى جوانب اقتصاد أريتريا وأكثرها احتالا للتطور.
- من الناحية الجغرافية، تضم أريتريا منطقتين مختلفتين عام الاختلاف؛ مرتفعان حماسبن وسيراي واكلي قوزاي، والمنخفضات الغربية والشرقية. وكلتا المنطفتين تتمم الأخرى من الناحية الاقتصادية بتنوع منتوجاتها الحيوانية والنباتية والمعدنية، وبتبادل المواد الخام الصناعية، وفروق المناخ والفصول والتسهيلات التي تقدمها منطقة لأخرى من أجل هجرة المواشي الفصلية، ولابد من الإسارة إلى أن المنطقتين تربطها طرق وخطوط حديديه متازة.
- لا جدال في وجود روابط قوية من المصالح الاقتصادية بين أربتريا وأنيوبيا، هذه الروابط لا تعتمد فقط على حاجة أثيوبيا إلى استعال الموانى الأريتربة لتجارتها الخارجية والأرباح التي تعود إلى أريتريا من تجارة النقل، وإنما تعتمد أيضا على أسواقها التي تتبادل مختلف السلم.
- إن أريتريا ككل الأقطار التي كانت تحت النظام الاستعاري تفتقر إلى توازن ميزانها التجاري، فهي تصدر ما معدله ٢٠٠٠ر ٢٠٠٠ جنيد، وتستورد أكتر من ٢٠٠٠ر ٣٠٠٠ جنيد. وعلينا أن نتذكر أن هذه الأرقام تنطبق على الفترة الحالية غير العادية.

_ أوضحت غرفة التجارة الأريترية أن العجز في الميزان التجاري أصغر مما يبدو، على اعتبار أنه توجد عائدات هامة غير مرئية لم تؤخذ بعين الاعتبار.

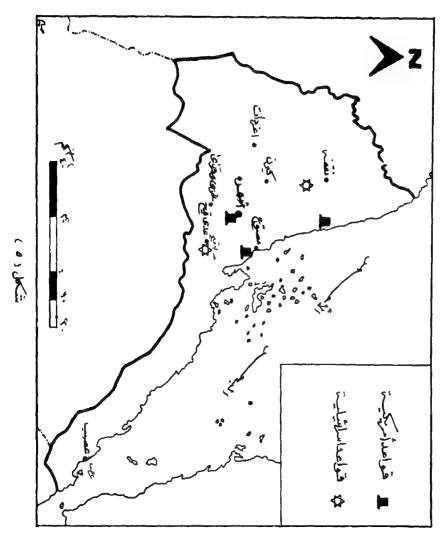
_ لذلك توصى الجمعية العامة بما يلى:

- ـ إن أريتريا في حدودها الراهنة سوف تكون دولة مستقلة ذات سيادة.
- تعقد اتفاقيات اقتصادبة بين أريتريا وأنيوبيا، يكون الغرض الأول منها تسهيل التجارة ونقل البضائع، بقصد اتحاد اقتصادى دائم.
- إقامة مناطق حرة في ميناءى مصوع وعصب لتسهيل تبادل البضائع، وحركة تسيير السفن، والاستفادة من الظروف الخاصة للمناءين وموقعها الجغرافي الاستراتيجي.
- بغية تقوية التاسك الداخلي في القطر، نوصي بأن ترسل الأمم المتحدة بعثة اختصاصية
 من مختلف الوكالات المتخصصة، لكي تقوم بالدراسات المناسبة لتطوير القطر على
 أساس تقنى.
- ـ تدرس منظمة التربية والنفافة والعلوم التابعة للأمم المتحدة إمكانية إقامة جامعة فى أسمرة، لا بقتصر نفعها على أريتريا، بل يعم الأقطار المجاورة التي لا تمتلك مراكز للتعليم العالي.

وبعد فإذا صح أن نكرر أو نؤكد على حقيقتين هامتين وردتا في مذكرة بعتة الأمم المتحدة، فإننا نقول: إن كل الإحصاءات التي أعطتها الإدارة البريطانية لبعثة الأمم المتحدة كانت وبسكل مؤكد مغايرة للحقيقة، وتميل فعلا إلى إظهار أريتريا كإقليم لا يحمل مقومات الدولة، من أجل ترجيح حل يفضى بانضهامها إلى أثيوبيا.

٢ ـ الموقف الدولي ومستقبل أريتريا:

لو بدأنا بالموقف الأمريكي من المسكلة الأريترية نجد أن هذا الموقف قد انخذ سكلا عدائيا منذ البداية ضد استقلال أريتريا. فقد عملت الولايات المتحدة كل ما في وسعها على إنجاح مشروع الاتحاد الفيدرالي الذي كانت قد تقدمت به للأمم المتحدة، في مقابل تقديم تسهيلات عسكرية للجيش الأمريكي في أريتريا حسب ما وعد به هيلاسيلاسي، وفعلا عقدت المعاهدة الأولى بين الولايات المتحدة وأثيوبيا في ١٩٥١/١١٧٧م، وتلاها في العام التالي عقد



القواعدا الأمريكيية والإسرائيلية فأديتريا

المعاهدة البانية في ١٩٥٢/٥/٢٢م، وتتضمن استعمال المنشآت الدفاعية في أبيوبيا، ومنسح الجيس الأمريكي تسهيلات عسكرية واسعة (٣٧).

وفى عام ١٩٥٣م قامت الولايات المتحدة بإنساء فاعدة بحرية لها في مصوع، كما قامت بإنساء قاعده كانيوستينسن للاتصالات العسكرية قرب أسمرا، شكل (٥).

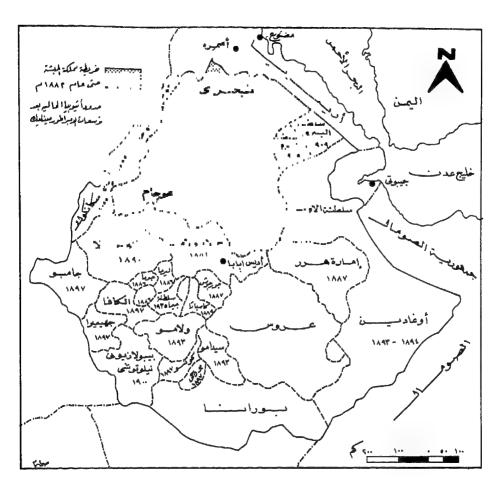
وفي عام ١٩٦٠م فدمت الولايات المتحدة ١٥٠ مليون دولار كمعونة عسكرية لأبيوبيا، تلتها معونات عسكرية واقتصادية كبيرة، أهمها تزويد أبيوبيا بزواري حربية (١٩٧٣م) تستخدم خصيصا ضد زوارق التوار البخارية في البحر الأحمر. كيف يمكن تفسير هذا الموقف؟ هذا ما سنعود إليه بعد استعراض الموافف الأخرى.

تجلى موهف الانحاد السوفييتي بسكل واضح خلال منافسات الأمم المتحدة لمسكله أريتريا في الأربعينات وبدايه الخمسينات، وقد سبقت الإنسارة خلال البحت إلى المسروع الذي تقدم به. كما تفدمت بولونيا تساندها الدول النبيوعية بمسروع ممامل نفضى بمنح أريتريا الاستقلال التام. وقد أعرب مندوب الاتحاد السوفييتي في الأمم المتحدة (٢٨) عن إعجابه بالنبعب الأنيوبي لمقاومته عدوان دولة استعارية (٢٩)، إلا أنه قال:

«إنه لا يمكن أن تكون هناك دولة حرة إذا كانت تربد استعباد دولة أخرى. وأعلن أن الاقتراح السوفييتي ينساق مع أغراض الأمم المتحدة التي يجب أن تعمل على تحرير السعوب المغلوبة على أمرها، بدلا من أن تعمل لخدمة مصالح الدول الاستعاربة».

كما تجسد الموقف السوفييتي بسكل واضح ومؤيد بعد ذلك للنورة الأريترية، وخاصة عندما نشأ ضمن البورة الأريترية حزبا السعب والعمل الماركسيان ضمن جبهة التحرير الأريترية في الستينات وبداية السبعينات. وبوقوع الانقلاب العسكري ضد هيلاسيلاسي، وتسكيل مجلس عسكري لتولي الحكم في أبيوبيا، ومن بم وصول منجستو ماربام إلى رأس الحكم، تغير الموقف السوفيتي سيئا فسيئا، حتى انعكس تماما بعد أن أعلن منجستو بأنه تقدمي ماركسي.

أما سياسة أثيوبيا فيبدوأنها جبلت على العدوان ، فمنذ عهد إبكونو أملاك (أول من بدأ حربا شعواء ضد ممالك الطراز الإسلامي) إلى هيلاسيلاسي الذي ذبح السعب الأريتري،



شکل (۲)

مرورا بمينليك الذي استغل بصناعة الموت، ووسع مملكته على حساب ممالك الغالا والصومال والدناكل وجومو والولامو، شكل (٦) لم تترك هذه السياسة سبيلا للتوسع إلا اتبعته، يحدوها الأمل إلى إعادة مجد مملكة أكسوم التاريخية على حساب حريات السعوب، حتى ولو كانت هذه المملكة لا قبل حاليا الأمهرية الأبيوبية.

يهمنا هنا أن نوضح الأسباب الحقيقية لتغير سياسة بعض الدول من المسألة الأريترية ومن مسائل كل السعوب المغلوبة على أمرها.

وبداية بالنظام الأبيوبي نقول: إن الإمبراطور هيلاسيلاسي، وقبل أن يوقع على صك الاتحاد الفيدرالي مع أريتريا، أعلن في خطابه ١٩٥٠م ما نصه: «إنني لا أستطيع أن أعيس وراء قوة عربية مسلمة تحرمني من البحر الأجمر، أو تساوم بموقعها الممتاز على سواطئه من أجل ربط صلاتها بالمسلمين في بلادي». معنى هذا أن هيلاسيلاسي كان ينوي مسبقا إلغاء الاتحاد الفيدرالي، لأن الإقرار بالاستقلال الذاتي لأريتريا كان في نظره يسكل دافعا للقوميات الأخرى المضطهدة في الإمبراطورية الأبيوبية كي تطالب بحقوق محانلة.

وقد جاءت انتصارات الثورة الأريترية التي أجهدت حكم هيلاسيلاسي الفاسد (الذي يقوم على الحق الإلهي) بالعسكريين إلى السلطة في أبيوبيا. وبدلا من حل القضية سلميا كا بدا في أول الأمر، طلب المجلس العسكري المزيد من الأسلحة من الولايات المتحدة، وهنا وبيغ كانت أمريكا تماطل فقط في تقديم السلاح للضغط على أبيوبيا لتقديم بعض التنازلات، فاجأ المجلس العسكري العالم بطلب الأسلحة من المعسكر السيوعي. ووجد منجستو ماريام في تجارته بسعارات الاستراكية والتقدمية سلاحا بجانيا وفعالا للقضاء على المعارضة الداخلية في بلاده، وكسب عطف الاتحاد السوفييتي الذي بادر فورا إلى شحن ما يحتاجه منجستو من أسلحة وعتاد حربي، ليفمع به كل الثورات الداخلية في أنيوبيا والنورة الأريترية أيضا.

وهكذا فإن منجستو هو المستفيد الوحيد في النهاية، أولا من السياسة الأمريكية تجاه الثورة الأريترية، بحجة أن هذه النورة يقوم بها مسلمون، ولا يمكن للولايات المتحدة أن تدعمها لتضرب أنيوبيا قلعة المسيحية في إفريقيا، ونانيا من السياسة السوفيتية التي رأت وبناء على تقديراتها الخاصة أن الفرصة مناسبة لإقامة علاقات جيدة مع النظام الأنيوبي، وطرد الوجود الأمريكي من أتيوبيا. ولكن هل يمكن للاتحاد السوفييتي أن يدعم نظاما عسكريا

دكتاتوريا على حساب مصلحة الشعب؟ أم أن الانحاد السوفييتي مقتنع تماما بمارسكية منجستو؟ وإذا كان الاحتال الأخير بعيدا، فكيف نوفق بين الموقف السابق للاتحاد السوفييتي من قضية أريتريا في الأمم المتحدة ١٩٥٠م والموقف الحالي الذي تخلى به عن التورة الأربتربة، على الرغم من وجود الأحزاب الماركسية ضمن جبهة التحرير؟ ويبدو أن الجواب الحقيقي يكمن في أن الاتحاد السوفييتي قد باع مبادئه في سبيل توسيع نفوذه في قارة إفر بهيا نظرا لعوامل عديدة، أهمها:

- (١) فقدان الاتحاد السوفييتي لقواعده الرئيسيه في مصر منذ ١٩٧٢ م .
- (٢) إن الاتحاد السوفييتي وجد في أنبوبيا لقمة سائغة وجاهزة لإقامة علاقات وطيدة معها، بينا كان عليه الانتظارطويلا لإفامة علاقات مع الدولة المنتظرة في أريتريا في حال نجاح تورتها، حتى ولو كانت ماركسية.
- (٣) إن الاتحاد السوفييتي بتدخله في أنيوبيا وعدن يحاول أن يطوق المملكة العربية السعودية التي تعتبر البلد الوحيد الذي يقف ومازال حجر عترة في سبيل نشر إيديولوجيته ونفوذه في المنطقة.
- (٤) يمكننا التكهن بأن ساسة الوفاق الأمريكي السوفييتي قد قسموا العالم إلى مناطق نفوذ فيا بينها، بحيث تسيطر روسيا على إفريقيا وجنوب سرقي آسيا، بينا تسيطر الولايات المتحدة على أمريكا اللاتينية والعالم العربي، وإلا فكيف نستطيع تفسير سياسة غض النظر التي تتبعها كل دولة من دول الوفاق تجاه الأخرى عند تدخلها وبسط نفوذها على كنبر من دول العالم؟!!

ويتبين لنا بعد هذا أن كل ما يدعيه الاتحاد السوفييتي أو ما تدعيه الماركسية من مناصرة السعوب المغلوبة على أمرها إن هي إلا أكذوبة افترتها الماركسية ومن يأخذون بها للسيطرة على السعوب باسم الأممية والدعوات الأخرى. وكم كنا نرجو أن يعي قادة الثورة في أريتريا، ومن يدعون أنفسهم بالتقدميين العرب، هذا الدرس الجديد.

أما الدول العربية فيمكننا القول بأنها فعلا أضاعت استقلال أريتريا، فمنذ مناقشة قرار الاتحاد الفيدرالي في الأمم المتحدة صوت مصر في عهد فاروق جانب اتحاد أريتريا بأتيوبيا، وأقنعت بذلك عددا آخر من الدول العربية. وفي ١٩٥٦م عندما سافر وفد أريتري إلى الأمم

المتحدة لعرض خرق أبيوبيا لمقررات الاتحاد، قام المندوب السوداني، وأخذ على عانقه بحت المخالفات الأتيوبية مع الوفد، وتنبيه حكومته إلى هذه المخالفات. وكانت النتيجة أن حل الوفد الأربترى في سجون أتيوبيا لمدة عنس سنين.

وبعد إلغاء الاتحاد الفيدرالي من طرف أنيوبيا سافر وفد أريتري إلى سوريا، وطلب من حكومتها إنارة الموضوع أمام الأمم المتحدة، وبعد أن استجابت الحكومة السورية لذلك، فوجئت بمندوب مصر (في عهد عبدالناصر ١٩٦٣م) والسودان في الأمم المتحدة يعترضان على تقديم أى مذكرة للأمم المتحدة، وأقنعوا المندوب السوري بذلك حرصا على العلاقات العربية ـ الحبشية ـ الإفريقية.

صحيح أن بعض الدول العربية في الستينات ومعظم الدول العربية في السبعينات قد اقتنعت بشرعية النورة الأريترية، إلا أنه لازال هناك الكثير مما يجبب أن تفوم به هذه الحكومات. ليس فقط من أجل الشعب الأريتري المسلم، ولكن من أجل الوقوف في وجه النفوذ السوفييتي الماركسي التوسعى الذى أسفر عن هويته في أنيوبيا، والذي يخشى من هيمنته بعد أن وضع قدمه في اليمن الجنوبي أيضا.

وهنا تجدر الإشارة إلى الموقف السلبي لليمن الجنوبي الذي اتخذته تجاه النورة الأربترية (منذ تغلغل النفوذ السوفييتي في أبيوبيا) بعد أن كانت تحتضن الثورة وتغذيها. وتعليل هذا التغير في سياسة عدن واضح تماما، ويتمثل في خضوع كل الماركسيين لسياسة موسكو الأم، حتى ولو كان هذا الحضوع يصل إلى حد مقاتلة أبناء العمومة في أريتريا، مدعين بتقدمية منجستو ماريام الذي سيعطيهم كل حقوقهم ضمن إطار حكم ذاتي علماني داخل حدود أثيوبيا.

لقد تطلعت أريتريا إلى العالم العربي والإسلامي فعلا كما توقع هيلاسيلاسي، ودفعت ثمن هذا التطلع استقلالها ودمجها مع أثيربيا، لأن هذا التطلع فعلا ليس في صالح أثيوبيا ولا في صالح إسرائيل صنيعة أمريكا، ويضر حاليا بنفوذ الاتحاد السوفييتي.

لقد لجأ حكام أثيوبيا لسياسة حجب الدعم عن الثورة الأريترية، ففي إفريقيا يثيرون النعرات التي اتبعها الاستعاريون طويلا، ويوهمون الأفارقة بالغزو العربسي المزعوم، كما

يرفعون الشعارات الاشتراكية لكسب عطف الدول الاشتراكية في العالم، ويهددون الدول الغربية والولايات المتحدة والصهيونية بأن استقلال أريتريا سيحولها إلى دولة عربية، وسيصبح البحر الأحر بحيرة عربية، وعلى هذه الدول أن تقوم بدورها في ضرب الثورة الأريترية.

وتواجه القضية الأريترية حاليا معارضة قوية من الدول لكبرى، وخاصة الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة، وتحاول هذه الدول التأثير على مصادر الدعم العربي الثورية والمحافظة، عن طريق الوفود العديدة التي وصلت إلى العواصم العربية من الاتحاد السوفييتي ويوغسلافيا وتسيكوسلوفاكيا وكوبا والولايات المتحدة، تطالب بوقف الدعم العسكري لأريتريا ومساعدة أثيوبيا لحل المشكلة الأريترية على أساس اتحاد فيدرالي.

٣ ـ توصيات :

بناء على ما تقدّم فإننا نرى أن على الثورة الأريترية والدول العربية أن تقوما بدور فعال في مجالات عديدة، لمواجهة الدعاية والعدوان الأبيوبيين.

أ ـ دور الدول العربية :

ينبغي على الدول العربية أن تسارع فورا في تبني القضية الأريترية ومساندتها في المجالات التالية:

- * مواجهة الدعاية الأنيوبية سلميا : ويتمثل ذلك بتبني الدفاع عن السعب الأريتري والنورة الأريترية أمام الرأي العام الإفريقي والعالمي بصورة مكمفة. فالمشكلة الأريترية لاتزال في نظر الرأي العام الإفريفي وكثير من دول العالم مشكلة داخلية أبيوبية، وبالتالي فهي تدخل في نطاق قضايا الانفصال التي لا تجد ترحيبا من قبل إفريقيا والعالم، على الرغم من أن ذلك يتنافى وحقيقة المشكلة الأريترية التي نشأت بالأصل من قرار دولي خاطئ، وقرار أثيوبي ظالم.
- إنارة القضية الأريترية أمام الأمم المتحدة ومطالبتها بالتدخل، استنادا إلى بيان المستشارين القضائيين للأمم المتحدة الواردة في التقرير النهائي لمندوب الأمم المتحدة الفقرة ٢٠١، والتي تنص على ما يلى:

«من البين أن المهمة التي أنيطن بالجمعية العامة للأمم المتحدة بموجب معاهدة الصلح المعقودة مع إيطاليا، تعتبر منتهية متى دخل الميتاق الفيدرالي والدستور الأريتري حيز التنفيذ» ومع ذلك، فإن هذا لا معني عدم حق الأمم المتحدة بإعادة النظر في القضية الأريترية. إن الميناق الفيدرالي والدستور الأريتري قائبان على مبادئ قرار الأمم المتحدة، وإن هذه الوتيقة الدولية تظل محتفظة بقوتها القانونية الملزمة. وانطلاقا من هذا، فإنه إذا اقتضت الضرورة تعدبل أو تفسير الميناف الفيدرالي، فإن الجمعية العامة للأمم المتحدة التي أصدرت تلك الوثيقة الدولية تظل السلطة الوحيدة المخولة اتخاذ تعديل أو تفسير. وبالمثل، فإنه إذا نقض القرار الفيدرالي، فإن القضية الأريترية يمكن عندئذ أن تصبح من اختصاص الجمعية العامة للأمم المتحدة.

معنى هذا أن القضية الأريترية قضية عادلة ورابحة إذا أنيرت في الأمم المتحدة، وخاصة أن أنيوبيا قد ألغت الاتحاد الفيدرالي من جانب واحد، كما ارتكبت مخالفات فانونية عديدة أبناء تطبيقه، كما سبق أن أسرنا.

* يجب على الدول العربية أن تقدم المزيد من العون العسكري للنورة الأريترية، وبتسكل خاص لقوات التحرير الشعبية الوطنية الاتجاه، وقوات سلطان عفر الإسلامية الاتجاه. كما يطلب من بعض الدول العربية الداعمة لفصيلي المجلس الثوري والجبهة السعبية أن تمارس ضغطا مكنفا على هذين الفصيلين من أجل توحيد قواتهما العسكرية مع قوات التحرير الشعبية وقوات عفر في مواجهة الاحتلال الأنيوبي المدعم بالقوات الكوبية والخبراء السوفييت. وإلا فإن الزبن ليس لصالح استقلال أريتريا في ظل الانقسام الراهن والظروف الدولية الحالية.

ب _ دور الثورة الأريترية:

وهنا لابد من الاعتراف بأن أخطاء الماضي (٤٠) انعكست على الوضع الحالي للنورة الأريتربة، لذا فإن أي عمل جدي لتوحيد فصائل الثورة الأريترية، ومن نم إحراز النصر والاستقلال، لابد وأن يعالج هذه الأخطاء، ويطرح شعار الاستقلال الوطني لأريتريا أولا وقبل كل الإيدبولوجيات. فقد أنبت الواقع العملي أن الإيديولوجيات المختلفة التي تبنتها الثورة الأريترية، وأيضا شقيقتها الثورة الفلسطينية، قد بددت جهود النورتين، وزادتها

انقساما وضعفا. أما الأمر الثاني فيتمثل بوضع منهج المستقبل يكون مقبولا لدى الجميع، وآخذا بالاعتبار معالجة النقاط الحساسة التي يمكن أن تعود بالانقسام مرة أخرى إلى فئات الشعب. وهذه النقاط تتمثل في الاعتراف بواقع التكوين السكاني المتعدد الأديان والثقافات واللهجات. فالتعصب للغة مثلا سبب الكثير من المشاكل والانقسامات، وسواء أكان هذا التعصب إلى اللغة العربية أم اللغة التجرينية. وأيضا ثمة مشكلة عويصة تتمثل في مقاليد الحكم والسلطة في المستقبل، وهي مشكلة قائمة من الآن، وتجب معالجتها ووضع الحلول لها، حتى لا تفسح المجال في المستقبل لتجدد الصراع والانقسام.

إن كل هذه القضايا لا تحل بالمكلام وحده، وعلى الأريتريين أنفسهم أن يتركوا حساسيات الماضي والتعصب الحاضر بكل أشكاله الطائفي والثقافي والقبلي والإقليمي، ويضعوا الحلول المناسبة لواقعهم قبل فوات الأوان وضياع سبعة عشر عاما من الكفاح.

000

الحواشي

- (١) حسب تقدير السلطات البريطانية، والمعروف أنها تميل إلى ترجيح كفة المسبحيين من أجل تمرير مشروع ضمهم إلى أثيوبها.
- لا يوجد إحصاء رسمي للسكان، وقد قدرتهم الإدارة البريطانية بطريقة التعداد الإداري حسب وحدة القرية والأسرة بـ ٠٠٠٦٦٠٠٠ في عام ١٩٤٩م.
- (٣) أحصيت المصانع بناء على عدد العمال، حيث اعتبرت كل ورشة إنتاجية مصنعا إذا زاد عمالها عن ١٠ أفراد.
- (٤) أقوام كانت تسكن أريتريا عند قدير القبائل السامية من اليمن، ويعتقد بأنهم نزحوا من جموب الجزيرة العربية منذ عشرة آلاف عام.
 - (٥) سبي ، عثبان صالح ، تاريخ أريتريا ، ص ٣٤ ، بيروت ١٩٧٧م.
 - (٦) امتدت هده المالك على ساحل البحر الأريترى والصومالي.
- ٧) نتج شعب الأمهرا عن تزاوج شعب أكسوم مع قبائل الأقو الوتنية في الجنوب بعد انحسار نفوذ أكسوم واقتصارها على إقليم تجراي تحت ضربات قبائل البجة. وخلال ثلاثة قرون نشر الأكسوميون لفتهم (جعز) وديانتهم بين قبائل الأقو، وطوروا لفة مشتركة سميت بالأمهرا.
 - (A) انظر البحث ص (۲).
 - (٩) وهي باضع (مصوع) ودهلك وزيلع وسواكن .
- (١٠) رينيه باسيه ، النفوش الكتابية في جزيرة دهلك، ص ٤٣ ـ ٤٤، ترجمة ونشر البعثة الخارجية لجبهة التحرير
 الأريترية، دمشق ١٩٧٧م.
 - (١١) تقع هذه السلطنة ضمن مديرية دنقاليا على السحر الأحمر.
 - (۱۲) رینید باسید ، مرجع سبق ذکره ص ٤٦ .
 - (١٣) حاكم الحبشة بين ١٦٣٢ _ ١٦٦٧ م .
- (14) Ullendorff: The Ethiopians, P. 59.
 - (١٥) يطلق عليهم الأحباش أدال ، نسبة إلى سلطنتهم عدل في العصور الوسطى .
 - (١٦) تنازل الباب العالى لإسهاعيل عن ميناءي زيلع وبربرة في المصومال عام ١٨٧٥ م .
- (١٧) وثائق الخارجية الإيطالية حول احتلال أريتريا، وزارة الخارجية الإيطالية، الجزء الثانسي ص ٢٣٣، دمشسق ١٩٧٨م.
 - (١٨) قتل في معركة المتمة على أيدي المهديين في ٢٩ مارس ١٨٨٩ م .
 - (١٩) مع العلم أن كل سكان الشواطئ الأربترية مسلمون، بالإضافة إلى أقليات كبيرة تعيش في الهضبة.
- (٢٠) وثائق الأمم المتحدة حول أريتريا ، التقرير النهائي لمندوب الأمم المتحدة في أريتريا ١٩٥٢م، ص ٤٩٤ ـ ٤٩٦ بغداد ١٩٧٧م.

by lift Combine - (no stamps are applied by registered version

- (٢١) يقصد بنفس الأحرف الأمهرية ،
- (٢٢) وثائق الأمم المتحدة حول أريتريا ، مرجع سبق ذكره ص ١٧٦ .
 - (٢٣) انظر البحث ص (٥).
 - (٢٤) انظر البحث ص ٤٤).
 - (٢٥) انظر البحت ص (٥).
 - (٢٦) انظر البحث ص (٧) .
- (٢٧) وبائق الأمم المتحدة حول أريتريا ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٥٠ .
 - (٢٨) وتائق الأمم المتحدة حول أريتريا ، ص ١٩٩ ـ ٢٠٢ .
 - (٢٩) انظر البحث من ص ٨ ١٢.
 - (٣٠) يسكل المسيحيون في مدينة أسمرا ٧٥٪ من السكان.
 - (٣١) خوفا على قاعده إنيوستيسن للاستخبارات من الدمار.
- (٣٢) المقصود هما بانحسار دور المسلمين هو انحسار دور الشباب المسلم، لأن معظم العيادات رفعت السعارات الاستراكية والماركسية، وهي محسوبة على المسلمين.
- (٣٣) سأ أخيرا ضمن صفوف المجلس النوري حزب ماركسي الاتجاه، يسمى بحزب العمل الأريتري (بدأ في النمو منذ الستنات).
- (٣٤) تدعو قوات التحرير السعبية إلى النزاوج النقاني العربي ـ التجريني في أريتريا، بينا يرفض تنظيم آسياس أفورتي هذا الاتجاه، ويدعو إلى تجزئه أريتريا.
 - (٣٥) تخفف أنيوبيا الضغط على المناطق التي تسيطر عليها الجبهة السعبيه.
- (۳۳) وبائق الأمم المتحدة حول أريتريا ۱۹۶۸ ـ ۱۹۶۲م، الففرات: ۲۲۰، ۲۲۰، ۲۲۳، ۲۲۳، ۲۳۳، ۳۳۵، ۳۳۵، ۲۳۵، ۲۳۷ ، ۲۲۷، ۲۲۸، ۲۲۸، ۲۲۸، ۲۲۷، بغــداد ۱۹۷۷ هـ/۲۹۷ هـ/۱۹۷۷م.
- (٣٧) تنص المادة (٢) من المعاهدة على: «أن الحكومة الإمبراطورية الأنبوبية تمنح الولايات المتحده حنى ممارسة جميع الحقوق والصلاحيات والسلطات الضرورية لإنشاء وإدارة وتسيير المنشآت الغايات العسكرية، ولا يدخل في هذه الحقوق حتى أو سلطة أو صلاحية تحويل هذه المنشآت أو جزء منها نحت تصرف دولة أو حكومة أو قوة عسكرية بالثة».
- (٣٨) كان ذلك أنناء مناقشة المشاريع المقدمة بسأن مستقبل أريتريا (١٩٥٠م) في معرض رده على المندوب البريطاني
 الذى نادى بعدم استقلال أريتريا.
 - (٣٩) يقصد حرب الحبسة مع إيطاليا .
- (٤٠) نمثل في المعاملة الحسنة من عبل القيادات المسلمة لأبناء وطنهم من المسيحيين غير مبالين بالحساسيات القديمة التي نشأت في الأربعينات. كما أن عيام القياده العامة (وبدافع إعليمي طائفي) ببعض الإعدامات ضد أبناء الهضبة المسيحية مما دفع آسياس أفورقي إلى الانفصال بتنظيم ظاهره ماركسي ببها جوهره طائفي.

المصادر العربية:

- ـ أدولف روسي : أريتريا اليوم (روما ١٨٩٤م) ترجمة البعه الخارجية لجبهة النحرير الأريترية.
- _ وبائق الأمم المتحده حول أريتريا: (تفرير اللجمة الرباعية ١٩٤٨م _ تقرر بعمة الأمم المتحدة في أريتريا ١٩٥٠م _ التقرير النهائي لمندوب الأمم المتحدة ١٩٥٢م) ترجمة جبهة التحرير الأربرية، بغداد ١٩٧٧م.
- ـ وبائق الخارجيه الإبطالية حول أريتريا : ترجمه البعة الخارجية لجبهة التحرير الأربتربه، دمسق ١٩٧٧م.
- _ جبهة التحرير الأريترية: جهودنا من أجل الوحدة، (وبائق صادرة عن قوات التحرير السعبية)، مكتب الإعلام.
 - _ نعوم سفير : تاريخ السودان القديم والحدبت وجغرافيته، الجزء الناك، القاهرة ١٩٠٣م.
 - _ عمان صالح سبي : تاريخ أريتريا ، دمسق ١٩٧٧ م .
 - ـ فرديناندو مارتيني : أريتريا في أفريقيا الإيطالية ، ترجمة جبهة التحرير الأريترية، بيروت ١٩٧٦م.
 - ـ سيد أحمد خليفة : عارنا في أريتريا ، بيروت ١٩٧٤ م .
- _ رينيه باسيه : النقوش الكتابية في جزيرة دهلك ، ترجمة البعثة الخارجية لجبهة التحرير الأريترية، دمشقى العمر.
- _ محمد سيد محمد : العلاقات بين السودان والحبسة في أواخر القرن التاسع عشر _ مجلة جامعة الملك عبد سيد محمد : العربة ١٩٧٥م.

المصادر الأجنبية :

- -Abul-Haggag, Y.A Contribution to the physiography of Northern Ethiopia, London, 1961.
- Shoff, W. H.: Periplus of the Erythrean Sea, New York, 1912.
- -Ulendorff, E.: The Ethiopians-Introduction to people and country, London 1955.



onverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مشكلة مسلمى الفلبين منــذ الاحتلال الاسبانى حتى الوقت الحاضر

دکتور / معمد شتا



المقدمية:

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله محمد بن عبدالله المبعوث رحمة للعالمين. وبعـد.

فإن مشكلة المسلمين الذين يعيشون في الفلبين اليوم لا ترجع إلى هذا القرن الذي نعيش فيه بعد أن حصلت الفلبين على استقلالها، وإنما ترجع إلى خسة قرون سابقة، عندما طرق الاستعهار الأسباني أرض الفلبين، فاستعمر أجزاء منها، ونشر المسيحية فيها، وحاول أن يبسط سلطاته وسيادته ودينه على الجزر والأراضي التي يقيم فيها المسلمون، فبدأ الصراع بينه وبين المسلمين، واستمر طيلة وجود الاستعهار الأسباني الذي استطاع أن ينشر المسيحية في الأماكن التي احتلها، ونجح في أن يجعل الفلبينيين المسيحيين يرنون روح العداوة والحقد التي يكنها الاستعهار الأسباني للمسلمين الذين تمسكوا بدينهم، ودافعوا عن أرضهم ووطنهم، ولم يعتنقوا الاستعهار الأسبان المسيحي، بل ظلوا يقاتلون الأسبان أثناء استعهارهم للفلبين، تم استمر القتال دين الأسبان المسيحي، بل ظلوا يقاتلون الأسبان أثناء استعهارهم الفلبين، تم استمر القتال فترة وجود الأمريكان، وإن كان قد هدأ فترة سادها الحذر، تم اشتد الصراع بعد الاستقلال إلى أن وصل إلى الوضع الحالي الذي يعاني منه المسلمون اليوم من أجل الاحتفاظ بدينهم وبأرضهم وقيمهم.

ومن هنا نرى أن مشكلة المسلمين في الفلبين إنما هي بقية من بقايا الاستعمار الأسباني في الفلبين، وذيل من ذيوله التي خلفها بعد أن رحل عنها. وحل هذه القضية أو المشكلة إنما هو حل لقضية استعمارية قد طال عليها الزمن حتى بعد رحيل الاستعمار الأسباني بثها نين عاما.

وسوف تكون دراستنا لهذه المشكلة في إطار الحديث عن موقع الفلبين وأهم جزرها - السكان وديانتهم - علاقات العرب بالفلبين - دخول الإسلام إلى الفلبين - وصول الأسبان إلى الفلبين وبداية مقاومة المسلمين لهم - تتابع حملات الأسبان لاحتلال الفلبين - أسباب الحرب بين الأسبان وبين المسلمين - تمكن الأسبان من القضاء على المسلمين في شهال الفلبين - محاولتهم القضاء على المسلمين في الجنوب - صعود المسلمين في القتال ضد

الأسبان _ محاولة المسلمين الاستعانة بقوى أجنبية أخرى ضد الأسبان _ المعاهدات ببن المسلمين وبين الأسبان _ هزيمة الأسبان أمام الأمريكان _ موقف الأمريكيين من المسلمين في الفلبين _ ثم تطور المشكلة بعد الاستقلال.

المشكلة بعد الاستقلال.

١ ـ موقع الفلبين وأهم جزرها :

تقع الفلبين في جنوب شرفي آسيا بين خطي عرض ٥°، ١٨° سهال خط الاستواء، وبين خطي طول ١٢٠°، ١٢٧° شرقي خط جرينتش، وتظهر الفلبين كأرخبيل يمتد في جنوب شرقي قارة آسيا. وأول جزيرة فيها من الشهال هي جزيرة (بامي) Yami التي تبعد عن فرموزا ٧٨ ميلا، وأخر جزيرة فيها من الجنوب هي جزيرة (سالوج) Saluog التي تبعد عن برنيو ٣٤ ميلا. ومجموع جزر الفلبين ٢٠٠٠ جزيرة بشكل تقريبي لمنلك متساوى الساقين، طوله من الشهال إلى الجنوب ١١٥٢ ميلا، ومن الشرق إلى الغرب ١٨٨ ميلا، وعدد الجزر التي لها أسهاء ٢٧٨٢ جزيرة، والباقي من الجزر ليس لها أسهاء بعد.

وأكبر الجزرهي جزيرة (لوزون) التي فيها عاصمة الفلبين (مانيلا) ومساحتها ٤٠٨١٤ ميلا مربعا، وتليها جزيرة (منداناو) ومساحتها ٣٦٩٠٦ ميلا مربعا، والتالنة جزيرة (سمر) ومساحتها ٥١٢٤ ميلا مربعا.

ومن الجزر الكبيرة جزيرة (نجرو) ومساحتها ٤٩٠٣ ميلا مربعا، وجزبرة (بـلاون) ومساحتها ٤٥٠٠ ميلا مربعا، وجزيرة (باناي) ومساحتها ٤٤٤٨ ميلا مربعا، وجزيرة (مندور) ومساحتها ٣٧٩٤ ميلا مربعا، وجزيرة (ليبات) ومساحتها ٢٧٩٩ ميلا مربعا.

ويجموع مساحة الفلبين ١١٥٦٠٠ ميلا مربعا، وهذه المساحة تعادل مساحة إيطاليا، كما تعادل مساحة اليابان، وحوالى نلئي مساحة أسبانيا.

٢ _ السكان وديانتهم :

يتكون السكان في الفلبين من أجناس مختلفة من الزنوج والملاما والأندونيسيين والهنود والصينيين والميابانيين والعرب والأوربيين والأمريكان.

وفد فدر الأستاذ H.otley Beyer أستاذ السلالات ـ نسبة الدم الذي يجري في عروق الفلبينيين بما يأتى:

الزنوج	% \.
أندونيسيا	٪۳٠
الملاب	½·
الصينيين	% \ •
الهنسود	% 0
الأوربيين والأمريكان	% ٣
العرب	% Y

وقد بلغ تعداد السكان في سنة ١٩٣٩م (٣٠٣ر٠٠٠ر١٦) مليون نسمة، وفي سنة ١٩٤٨م (١٦٠٠ر١٩٢) مليون نسمة (١٩٤٨م) مليون نسمة (١٩٤

وفى سنة ١٩٦٠م بلغ تعداد السكان (١٩٨٥ر٢٧، ٢٧٧) مليون نسمة. وفى سنة ١٩٧٠م بلغ تعداد السكان (٢٠٠٠ر٣٥/ ٣٧) مليون نسمة ^(٢).

ويوزع السكان حسب معتقداتهم في الإحصاء الأخير سنة ١٩٧٠م كالآتي:

النسبة المثوية	العدد الكلي	الطوائف الدينية
%Y0	۲۷٫۸٦۸٫۵۰۰	الكانوليك
% \ Y	۹۳۰ر۸۵۵ر٤	المسلمون
% Y	とて・ア・イ・	الأجليبابان
٤ر٤ ٪	۲۵۹ر۱۳۲ر۱	الوننيسون
// /	۸۷،۵۷۰	البروتستانت
٣٠٠ ٪	٤٧٤ر ١١١	البوذيسون
۲٫۰ ٪	۲۲۳ر۲۶	الشينتـو
١ر٠ ٪	۸۵۱٫۷۳	طوائف أخسرى
(۲)%۱۰۰	۲۷٫۱۵۸٫۰۰۰	المجموع

75-150 1100

٣ _ علاقات العرب القديمة بالفلبين:

لقد أقام العرب علاقات مع الشرق الأقصى خلال الحكم السبئي في جنوب الجزيرة العربية، حينا كانت سفن العرب التجارية تمخر عباب بحر الملايا ذاهبة إلى الصين في القرن الأول الميلادي، وفي القرن التالث كان للعرب جالية تجارية تقيم في كانتون Canton، وفي القرن التالت كان للعرب جالية تجارية تقيم في كانتون ويقول القرن التاسع الميلادي زارت سفن العرب Kedah في شبه الجنزيرة الملايوية. ويقول القرن التاسع الميلادي زارت سفن العرب السبئين وصلوا بتجارتهم إلى الصين، وزاروا أماكن مختلفة في الفلين منل بلاوان، براجوا، منداناو، وكالامينتن، بسايا، مندورو، ولوزون (1).

٤ _ وصول الإسلام إلى الفلبين:

يذكر مؤلف التاريخ السياسي والثقافي للفلبين أن المسلمين الذين وصلوا إلى جنوب شرق آسيا، وحملوا الدين الإسلامي معهم، كانوا من سلالة السيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم، تم يبين أنه بمصاهرة الأسر الوطنية الحاكمة وبالحيل السياسية استطاعوا أن يستولوا على حكم الملايو ويوحدوا حكومتها في حكومة واحدة، وأخذوا ينشرون العقيدة الإسلامية بمهمة ونشاط ملحوظين. حتى إذا كانت سنة ١٢٧٦م وجدنا الإسلام قد أصل جذوره في «ملقا» Malacca، هذه المدينة التي صارت قلعة للمسلمين، وعاصمة فيا بعد لامبراطورية «ماجاباهت الهندية».

نم يستمر في حديثه فيقول: ولكن كتب المؤرخين المسلمين في الفلبين المسلمين في الفلبين عدور أمين الله المنتصر في «ملقا» وصل إلى ساحل سولو أحد جزر الفلبين الجنوبية في سنة ١٣٨٠م، وبدأ ينشر الدين الإسلامي في الفلبين. وبعد عدة أعوام وفي سنة ١٣٩٠م قاد «راجابجندا» أمير منانكا بن سومطرة Mononkaben Sumatra جيشا من المسلمين فتح به «سولو» واستطاع بسهولة أن يستولي عليها، لأن جنوده كانوا يستعملون البنادق التي كانت تستعمل لأول مرة في الفلبين.

وفي سنة ١٤٥٠ م وصل إلى سولو أبوبكر المسلم القائد من Palembong Sumatra وتزوج بنت «راجابجندا»، بعد وفاة راجابجندا تولى أبوبكر الحكم، وأقام سلطنة سولو، وأعلن نفسه سلطانا عليها. وقد شكل السلطنة على نظام السلطنة العربية معطيا لنفسه كل

اختصاصات الخليفة، وكان نظام حكمه مستمدا من القرآن الكريم والتعاليم الإسلامية، وبذلك استطاع أن ينشر ببن المواطنين عادات وتقاليد جديدة مستمدة من آداب الإسلام وتعاليمه. وقد توفي أبوبكر سنة ١٤٨٠م بعد أن حكم بلاسين عاما حكما ناجحا، سعد المحكومون في ظلم بتعاليم الإسلام السمحة.

أما جزيرة (منداناو) باني الجزر الكبيرة في الفلبين والتي يوجد فيها الآن أربع محافظات يقطنها المسلمون فقد وصل الإسلام إليها عن طريق النبريف المسلم كابنسون Kabungsuwon قائد Gohor. ففي سنة ١٤٧٥م استطاع كابنسون مع الجنود (السمل) الذين يسكنون في جزيرة قريبة من منداناوأن ينزل إلى شاطئ محافظة (كوتاباتو)، وأن ينتصر على القبائل المستوطنة هناك التي كانت قد استعدت لحربه. وقد بدأت القبائل الأصلية تعتنق الدين الإسلامي بعد انتصاره عليهم، كما تزوج الشريف كابنسون أميرة من أهل البلاد تسمى Putritunina وصار الأمير كابنسون أول سلطان مسلم في منداناو.

بينا يذكر الأستاذ نجيب صليبي في كتابه «تاريخ سولو» ما ينفي استخدام القوة في دخول الإسلام إلى الفلبين، وأن انتشار التعاليم الإسلامية واعتناق السكان الأصليين لها فد سبق قيام الحكم الإسلامي، فيقول (٥): «وقد أئر في الفترة من سنة ١٣٨٠م إلى سنة ١٤٥٠م _ أي في الدعوة إلى الإسلام _ رجلان مشهوران، هما مخدوم وراجابجندا. ومخدوم كان قاضيا عربيا وأستاذ وصل إلى «ملقا» في منتصف القرن الرابع عشر الميلادي، حيث استطاع أن يجعل سلطان «ملقا» محمد شاه يعتنق الإسلام، ويقيم تعاليمه في أنحاء مملكة ملقا، واستمر تأنير مخدوم مسرقا إلى أن وصل سولو ومندانا وفي سنة ١٣٨٠ هـ ، حيث زار جزر الأرخبيل، وجعل كنيرا من الناس يعتنقون الإسلام في كتير من الأماكن. وتدعى جزيرة «سيبوتو» أن بها قبره، ولكن الأماكن التي كان نجاحه فيها باهرا هي «بونسا»، حيث تمكن بمساعدة رؤساء القرى الذين اتبعوه أن يقيم بها مسجدا.

وقد نجح مخدوم في الوعظ والتبسير بالدين الجديد بين الناس الذين اشتهروا بالاستقلال في آرائهم، والعناد في ممارسة دينهم وعقائدهم وعاداتهم، كما هو معروف ومشهور عن أهل سولو، وهد ألقى نجاحه في التبسير بالإسلام في تلك البقاع ضوءا جدبدا على تاريخ الإسلام في الفلبين، حيث غير الرأي السائد بأن الإسلام دخل الفلبين بالسيف، كما كان لتعاليمه تأئير

كبير على أهل سولو الذين مصعب التأمير عليهم لتمسكهم بحريتهم وسجاعتهم المنقطعة النظير، ولقد لقيت تعاليم الإسلام في أهل سولو تربة صالحة لها.

ويستمر مؤلف «تاريخ سولو» فيقول: إنه بعد عهد مخدوم هناك قدم إلى سولو أمير من ماننكابن " يسمى راجابجندا " " ، وفال: إنه وصل إلى سمونجا وباسيلان قبل وصوله إلى سولو، وإنه تابع الأصول السالية التي تفود من (برنيو) إلى (كاجيان سولو)، (وبانوتارن)، سمونجا). وعندما وصل إلى بونسا خرج أهل سولو ليقاتلوه كما هو متوقع عادة، ولكن سلسلة النسب تستمر لتوضح أنه كان مسلما، لذلك كفوا عن القتال ودعوه ليقيم معهم، كما أكرموا استقباله. وقد كان راجابجندا مصحوبا بوزرائه، ولاسك أنه قدم إلى بونسا ليقيم وبحكم، وكان مجيئه نوعا من الغارات الطبيعية التي وضح نجاحها. كما ذكرت (ترسيلا) Trsila مندانا وأن الشريف من الغارات الطبيعية التي وضح نجاحها. كما ذكرت (ترسيلا) الله سولو. وبذلك اتفق من الغررخون الوطنيون في سولو ومندانا على أن إقامة الحكم الإسلامي في سولو على يد «راجابجندا» وفي مندانا وعلى يد الشريف «كابنسون» كان بطريق سلمي، ولم يستخدم السيف أو القهر والقوه».

هذا ما يذكره مؤلف «تاريخ سولو» الأستاذ نجيب صليبي وما بذكره مؤلف التاريخ السياسي والثقافي للفلبين عن دخول الإسلام إلى الفلبين. بينا يذكر الدكنور فيصر أديب مخول في كتابه القيم عن «الإسلام في الشرق الأقصى» عدة نظريات عن دخول الإسلام إلى الفلبين، منها: النظرية التجارية لانتسار الإسلام (ص 73-73)، والنظرية التبنيرية (ص 77-70)، ثم دور الحركة الصوفية في انتشار الإسلام (ص 70-70)، والنظرية السياسية مع ذكر أنر العامل الاقتصادي فيها (ص 70-70)، نم يتحدث عن النظرية العفائدية والنظرية الصليبية (ص 70-70).

وهو محق عندما يقول في نهاية بحنه الجاد عن دخول الإسلام إلى الفلبين: إن كل نظرية بمفردها غير كاملة إلا أنها تكمل بعضها بعضا^(٧).

ومن هنا نرى أن عمل التجار المسلمين والمبسرين والدعاة ـ كما هو نابت على القبر الموجود في جبل داتو القريب من سولو والذي توفى صاحبه سنة ٧١٠ هـ الموافق ١٣١٠م فد

سبق إفامة الحكم الإسلامي، ومهد له الطريق منذ مطلع الفرن الرابع عسر أو فبل ذلك إلى حين وصول راجابجندا سنة ١٣٨٠م، حيت وجد سعبا مسلما في حاجة إلى فائد، فكان هو الفائد المنتظر الذي أفام حكما إسلاميا دون أن تراف فيه دماء، وإنما هو إفامة لحكم إسلامي بين فوم مسلمين.

ومن سولو ومنداناو انتسر نور الإسلام، وعمت نعاليمه بين البسابا وغيرها من جزر الفلبير. الفلبير، كما تأصل في جزر مندور وباتنجس، وعامت إمارات وممالك في وسط وسهال الفلبير. ففي سنه ١٥٧١م كانت مانيلا عاصمة الفلبين الآن يوجد فيها مملكة إسلامية نحت فيادة راجا سلهان _ ملك فلبيني مسلم _ كها كانت في لوزون عند نهر Pasing River Tondo مملكة إسلامية أخرى تحت حكم الملك المسلم (٨).

٥ _ وصول الأسبان إلى الفلبين وبداية مقاومة المسلمين لهم :

لقد بدأ وصول الأسبان إلى الفلبين في ١٧ مارس ١٥٢١م حين وضع (ماجلان) فدمه على الحل أول أرض في الفلبين، وكان ذلك في جزبرة غير مسكونة جنوب جزيرة سمر تسمى Homomhon وقد حضر إلى الجزيرة بعض الفلبينيين، فأعطاهم ماجلان بعض الهدايا، وأعطاه الفلبينيون بعض الأطعمة، وفي ٢٥ مارس أبحر ماجلان نحو الجنوب الغربي، فوصل إلى جزيرة لياساوا في بعض الأطعمة، وفي ٢٥ مارس أبحر ماجلان نحو الجنوب الغربي، فوصل إلى جزيرة لياساوا في ١٨ مارس، حيث وجد مملكة تحت حكم راجا Kolombo، واستطاع ماجلان أن يتحادث مع الملك بواسطة عبدله مترجم اسمه Enrigue من الملايا، وقد أعلن كلاها صداقته للآخر، وفي نفس اليوم أعلنا اتفاقا دمويا بينها، وهذا أول اتفاق فلبيني أسباني في التاريخ.

وبهذه المناسبة أقام الأب Pedro de Valderroma حفلة على ساطى عزبرة موسول حضرها ملك Kolombo وماجلان ورجاله لكي يعلنوا هذه الحادنة التاريخية، وهي وصول الأوربيين إلى الفلبين، وقد زرع ماجلان شجرا على الجبل وأقام صليبا وانحنى له، وكذلك فعل الملك، وقد ساعد جنود الأسبان رجال الملك في حصاد أرزه، وبعد ذلك صاحب الملك الحملة إلى جزيرة سيبو، وفي ٧ أبريل ١٩٥١م وصل ماجلان إلى شاطى جزيرة سيبو، واستعد لحوض معركة حربية، فأطلق مدافعه التي سببت ذعرا وخوفا شديدا للناس، وأرسل ابنه مع

المترجم Enrigue يقول لملك سيبو الذي كان رئيسا لمانية فبائل (٢٠٠٠) مقاتل بالرماح: إن سيده فائد لأكبر ملك في الدنيا، وأنه حضر لكي يكتسف Mulucha ويريد أن يزوره لما سمعه عند من سيرة طيبة، وليستري طعاما من التجار. فأظهر الملك رغبته في استقباله، ولكن بسرط أن يدفع ماجلان الضريمة التي تدفعها سفن التجار الذين يدخلون الميناء، وبعض هذه السفن لدول أجنبية مل سيام.

ولكن ماجلان رفض أن بدفع الضريبة، وتدخل (راجاكولامبو) ونصح ملك سيبو، وبين له الرغبة الطيبة للأسبان، فتنازل الملك عن طلب الضريبة، وترك ماجلان ينزل إلى ساطئ «سيبو» وفي ذلك اليوم احتفل أهل سيبو وماجلان ببداية الصداقة بينها، وكانت سيبو في ذلك الوقت مدينة اقتصادية لها صلات تجاربه مع الجزر الأخرى ومع شرق الهند وسيام والصين، كما كان أهلها يرتدون الملابس والحلي ولهم منازل ويحكمهم قانون، ولهم صناعة وتجارة وميزان وقاس، ويستخدمون كبيرا من آلات الموسيقي والطرب مما بدل على تقدمهم الحضاري...

وقد بذل ماجلان جهدا كبرا لكي بنشر المسيحية بينهم، وبين لهم مزاياها، وبسرعة اعتنق ملك سيبو وأتباعه المسيحية، وتنصر في ١٤ أبريل سنة ١٥٢١ حوالي خسائة شخص من أهل سيبو، وكان من بينهم الملك وأسرته وكذلك راجا Kalambo. وقد أقيم صليب كبير على التساطئ، فبلغ عدد المتنصرين بإنمائة سخص من رجال ونساء. وبعد عدة أيام طلب ماجلان من أهل سيبو أن يحرفوا أصنامهم كها وعدوا عندما تنصروا، ولكنهم رفضوا ذلك لأنهم مازالوا يقدمون القرابين لأجل أن يشفي الصنم أخا الملك الذي يعد الرجل الشجاع الحكيم في الجزيرة والذي كان فد شعر بمرض خطير منذ أربعة أبام. ولكي يحمي ماجلان عقيدة المسيحيين الجدد ذهب إلى الرجل المريض ونصره وأسرته وعالجه، وبعد خمسة أيام من العلاج بنفي الرجل المريض، ففقد الناس بقتهم في الأصنام وأشعلوا فيها النار.

لابولابو يقاوم الأسبان ويتحداهم :

وبوحي من النجاح الأولى الذي لقيه ماجلان في سيبو أمر كل القبائل في سيبو والجزر المجاورة أن يعترفوا بملك سيبو Homaban كملك لهم، ويقبلوا يده علامة على الطاعة، ولكن حاكما فلبينيا مسلما شجاعا وهو لابولابو ملك Macten وهي جزيرة صغيرة بجوار سيبو - رفض

بإباء أن يفعل ذلك، وهاوم الأسبان، فأرسل ماجلان رجاله، وأحرهوا القرى هناك، ولكن ذلك لم يخف لابولابو أو محمله على التسليم والخضوع. وفي ٢٦ أبريل سنة ١٥٢١م جاء ابن الملك Zula وهو ملك آخر في جزيرة Macten إلى سيبو بهدابا وبرسالة يطلب فيها المساعدة ضد لابولابو، فوعده ماجلان بالمساعدة. وفي فجر يوم ٢٧ أبربل سنة ١٥٢١م هاجم ماجلان جزيرة (مكتن) بقوة مكونة من ستين فارسا أسبانيا في نلات سفن وألف مهاتل من حلفائه من أهل سيبو نفلهم في ملائين سفينة محلية، وأحب ماجلان أن يظهر سجاعة جنوده لملك وأهل سيبو، فقال لهم: امكنوا في سفنكم وانظروا كيف يحارب الأوربيون. وقبل أن ببدأ الحرب أرسل رسالة إلى لابولابو ليعطيه فرصة أخيرة للسلام، وطلب منه الاعتراف بسيادة الأسبان ودفع الجزية، فأجاب لابولابو بجرأة: إنه لا يخضع لأي ملك، ولا يدفع الجزية لأي قوه. وإذا كان العدو بملك رماحا فنحن نملك رماحا أبضا وشعلا ناربة.

وفد أخذ ماجلان من رجاله تسعة وأربعين رجلا، وترك أحد عسر رجلا يحرسون السفن. وعندما وصل الغزاة إلى الساطئ رأوا لابولابو مع جنوده منتظرون عدوهم وفد اصطفوا ثلاثة صفوف، فأطلق جنود ماجلان نيرانهم أولا، ولكن بنادقهم لم تظهر تأثيرا في أهل (مكتن) الذين هبوا مسرعين ليحموا حربتهم ووطنهم، وصاحوا صيحة الحرب، وأشرعوا رماحهم وسهامهم النارية.

مـوت ماجـلان :

وقد أمر ماجلان بعض رجاله بحرق بيوت أهل (مكتن) ليخيفهم فيذعنوا له، ولكن ذلك أتى بنتيجة عكسية، لأنهم عندما رأوا منازلهم تحرق ضاعفوا نسجاعتهم، وهاجموا المغيرين بجرأة وبسالة أدت إلى رجحان كفتهم فلما رأى ماجلان أن النجاح ليس في صفه أمر رجالسه بالانسحاب، وأحس بالهزيمة عندما استد الهجوم من كل جانب، فوقف ماجلان على الشاطئ، وحارب بشجاعة ليحمي رجاله في عملية الانسحاب إلى السفن، ولكن سها مسموما جرحه في فخذه اليمنى، وطارت قبعته من على رأسه، وجاءت حربة فأصابته في وجهه، فحاول أن يأخذ سيفه فعجز عن ذلك لأن حربة أخرى جرحته في ذراعه اليمنى، وجاء رجل من مكتن وقطع رجله اليسرى فسقط على الأرض، وانقض عليه آخر وقتله بحربته وسيفه. وبدذلك قتل

(ماجلان) كها قتل معه مهانية من الأسبان وأربعة من أهل سيبو، وكانت خسائر أهل مكتن خمسة عسر رجلا.

لابولابو هازم ماجلان :

وظهر يوم المعركة أرسل ملك سيبو إلى أهل مكتن رسالة عارضا عليهم أي ممن لكي يسلموا إليه جسد ماجلان، فأجاب أهل مكتن أنهم سوف لا يسلمون إليه ماجلان ولو دفع كل نمين في العالم، ولكنهم سوف يبقون جسده للذكرى، وحتى الآن لا أحد يعرف أين جسد ماجلان، وإن كان بوجد الآن متحف لذكرى مقتل ماجلان قريبا من المكان الذي قتل فيه. وقريبا من هذا المنحف بوجد متحف آخر في قرية Opon Mactan محمل ذكرى لابولابو البطل الشجاع المسلم هازم ماجلان.

إن انتصار لابولابو في مكتن كان صدمه وكارنة للأوربيين، فهذا أول نجاح للدفاع عن استقلال الفلبين ضد الاستعمار الغربي، وأول نصر سجلته قوة المفاومة الفلبينية المسلمة على قوى الغرب بفضل لابولابو أول بطل يسطع في التاريخ الملايوي، ويهزم ماجلان هازم البحار.

وبعد موت ماجلان اختار رجاله اننين خلفا له. أما ملك سيبو وسكانها ففد فقدوا نقتهم في السجاعة النادرة التي كانوا يرونها للرجل الأبيض، وحتى الأسبان أنفسهم المذين يفاخرون بشجاعتهم قد تخلوا عن هذا الفخر الكاذب.

٦ _ تتابع حملات الأسبان لاحتلال الفلبين:

بعد موت ماجلان سنة ١٥٢١م آنر الأسبان الانسحاب والعودة إلى بلادهم مكللين بذل الهزيمة والحزي، ولكنهم حاولوا العودة لاحتلال الفلبين عدة مرات في سنة ١٥٢٥م وفي سنة ١٥٢٧م وفي سنة ١٥٢٧م وفي سنة ١٥٤٠م وفي سنة ١٥٤٠م ولكنهم لم يتمكنوا من ذلك إلى أن وصل القائد الأسباني «ليجزبي كانونا» في مارس ١٥٦٥م على رأس الحملة الحربية الرابعة، وكانت مجهزة بالمدافع المحمولة على عجلات، واستطاع أن يخضع ملكي جزيرة بهول Gala, Katuon، ويوضح لها أنه ليس كالبرتغاليين، وأنه إنما جاء قاصدا السلام ولا يبغي سلبا أو نهبا أو إفسادا في الأرض. وبذلك نجح في خداعها، وتمكن من أن يعلن معاهدة صداقة معها.

هزيمة سيبو وإقامة الأسبان فيها:

وقد أراد القائد الأسباني Legazpi أن يتخير مكانا صالحا لإمامة مستعمرة تكون مقرا مأمونا للحملة الأسبانية، فأرسل بعنة استكسافية إلى جزيرة سيبو، وبعد دراسة الأوضاع فيها عادت البعنة وأعلنت صلاحية المكان ليكون مقرا للحملة، لتوفر الطعام فيها ولما يتمتع به من ميناء طبيعي.

فتحركت الحملة من جزيرة بهول قاصدة سيبو، فوصلتها في ٢٧ أبريل سنة ١٥٦٥م، حيث كان أهل سيبو بقيادة ملكهم _ Topas ابن الملك Homaban الذي كان ملكا أنناء حملة ماجلان _ قد اجتمعوا على الساطئ في ملابس الحرب ليقاوموا الغزاة البيض. وقد ذهب الأب Urdoneta تحت علم الهدنة والسلام إلى الشاطئ ليتفاوض مع الملك Topas، ولكن الملك رفض أي محادثة، وأصر على الدفاع عن وطنه ضد الغزاة. فنزل جنود الأسبان إلى الشاطئ، واستبكوا في معركة حامية مع أهل سيبو، تغلب الأسبان عليهم فيها، فانسحب أهل سيبو إلى الجبل تاركين مملكتهم وبيوتهم تأكلها النار.

وفي ٤ يونية سنة ١٥٦٥م استطاع القائد الأسباني أن يعقد معاهدة صداقة مع أهل سيبو اعترفوا له فيها بسيادة أسبانيا عليهم، وبدفع ضرببة للأسبان مقابل حمايتهم من أعدائهم، وبإقامة علاقة تجارية بينهم وبين أسبانيا.

وبذلك تفرغ القائد الأسباني لبناء مستعمرة أسبانية في سيبو لتكون حصنا منيعا للأسبان، كما حفر بئرا تزودهم بالماء النقي، وأقام كنيسة للقسس، وبيوتا للجنود الأسبان وسمى هذه المدينة (المدينة المقدسة)، وتسمى هذه الكنيسة التي بناها كنيسة أغسطين، وقد قامت بعد ذلك حروب طاحنة بين الأسبان وبين المسلمين في الفلبين استمرت عدة قرون.

٧ ـ أسباب الحرب بين الأسبان وبين المسلمين (المورو) :

إن الحرب الطاحنة التي وقعت بين الأسبان وبين مسلمي الفلبين تعد من الحروب البشعة الشنيعة، ومما أدى إلى شناعتها أنها كانت حربا دينية استعارية بين الهلال والصليب كها يقولون. حتى إن الأسبان حملوامسيحيي الفلبين على قتال إخوانهم مسلمي الفلبين، كها كانت

كل هوى الأسبان هناك معدة لفتال المسلمين الذين صمدوا يجاربون في منداناو وسولو أكثر من للانة فرون، والمسلمون يجاولون خلال هذه الحروب أن يجموا أنفسهم، ويحققوا الحرية لدينهم وبقافتهم من أن يعتدي عليها الأسبان، أو يتمكنوا من استعمار بلادهم، فهي حرب صليبية وتعتبر امتدادا للحرب التي سنها الأسبان المسيحيون على المسلمين في أسبانيا (الأندلس) حتى أخرجوهم منها.

وقد أطلق الأسبان على المسلمين في الفلبين كلمة مورو Moro بعنى المسلمين من الكلمة اللاتينية Mourus، ويطلقها الأسبان قديما على المسلمين في أسبانيا وشال إفريقيا. وأخيرا أطلفوها على المسلمين في الفلبين، والمورو أو المسلمون هم الذين يسكنون جنوب الفلبين، ويقسمون إلى:

- (١) ماجداناو: الذبن بسكنون كوتاباتو.
- (٢) سهال: الذبن يسكنون على ساطئ سمونجا والجزر القريبة سهال سمونجا وتاوي تاوي.
 - (٣) مرناو: الذين يسكنون حول بحيرة لاناو.
 - (٤) سانجل: (Sangils) الذين مسكنون خليج داباو.
 - (٥) يكنن : (Yakans) الذين بسكنون باسيلان .
 - (٦) هلوانو: (Tausugs) الذين بسكنون سولو.
 - ويمكن أن نرجع أسباب الحرب بين الأسبان وبين المسلمين إلى ما يأتي:
- الخصومة التي براها المسيحيون بين المسيحية وبين الإسلام، ومن هنا اتصلت الحرب واستمرت عندما حضر الأسبان بصليبهم إلى سكان الفلبين الذين لا بدبنون بالصليب.
- ٢ ـ دفاع المسلمين عن أرضهم عندما جاءت حملات الأسبان إليها ليحموا أرضهم
 ويحافظوا على حريتهم المحبوبة لهم، ولذلك دافعوا بدون خوف إلى الآن عنها.
- ٣ ـ حب مسلمي الفلبين للمغامرات الجريئة وممارسة الحرب منذ فجر التاريخ، وهم يحبون الحرب بحما عن المجد خلف أفق البحار(١٠٠).
 - ولاسك أن في ذلك مبالغة في حبهم للحرب ..

ولعل مما يوضح ذلك ويضيف إليه أسبابا أخرى ذلك الكتاب الذى أرسله الحاكم الأسباني للفلبين (دكتور فرانسيسكودي ساندي) إلى قائد الحملة الأولى على سولو الضابط

(استيبان رود ريجوزفيجورا) سنة ١٥٧٨م، ويقول فيه: «إنك ستتوجه بهذه الحملة إلى برنيو وسولو لتتمكن من إخضاع الناس ورئيسهم في سولو لطاعة الملك _ أي ملك أسبانيا _ وعليك أن تساومهم في مقدار الضرائب التي بدفعونها على أن بكون المدفوع باللؤلؤ ممل ما يؤدون هذه الضرائب لملك برنيو _ كها عليهم أن بقصر وا التجارة علينا ولا يبيعوا أو يبتاعوا من غيرنا. وتجارنا سيذهبون إليهم بما يحتاجون من التجارة الخارجية، وعليهم أن ببينوا ما يحتاجون إليه منها.

فإذا لم يطيعوا أوامرك فعافبهم ، وبين لهم أن واجبهم هو زراعة الأرض وإظهار ما تنتجه، كما تأمرهم بألا يسمحوا لوعاظ المسلمين بتعليمهم لأن الدين المحمدي شر ومزيف، والمسيحية فقط هي الدبن الصحيح، وعليك أن تبين لهم أن غرضنا هو تنصيرهم.

ولذلك عليهم أن يسمحو لنا بالتبسير بالدين المسيحي. وعليك أن تقبض على العلماء المسلمين وتحضرهم إلي، وأن تحرق المساجد والمدارس التي يعلم فيها العلماء، وأن تحرم بناءها تاننا.

كها تأمرهم بألا يخرجوا من جزيرتهم للتجارة، وأن تقبض على سفنهم وتصادر ما تحمل من يجارة وذخيرة.

وأنذرهم إذا لم يتعاونوا معنا من الآن فإنك ستقضي عليهم. فإن فروا إلى الجبال فعليك بحرق منازلهم وتقطيع سجرهم.

ومن هنا ندرك أن الحاكم ساندي يريد:

- ١ ـ أن يكون أهل سولو تابعين للأسبان وتحت وصابتهم .
 - ٢ ـ أن يحصل منهم ضرببة بدفعونها باللؤلؤ.
 - ٣ ـ أن تكون تجارة سولو محتكرة للأسبان.
 - ٤ ـ أن يعاقب سلطان سولو لأنه عاون سلطان برنيو.
- ٥ ـ أن يستولي على الآلات الحربية التي لدى المسلمين وعلى سفن النقل ماعدا سفن
 الصيد.
 - ٦ أن يصير أهل سولو مسالمين مزارعين للأرض .

٧ _ أن يتنصلوا من العقيده الإسلامية وأن بصيروا مسيحيين.

وقد وجه الملك وفيليب الناني ملك أسبانيا إلى الحاكم الأسباني للفلبين خطابا يوضح فيه مقصد الأسبان من هذه الحرب، ويوضح هدف الأسبان منها، ويقول فيه: «لقد سمحنا لك بأن تستعبد المسلمين، وأن تستولي على ممتلكاتهم وتصادرها، وبمكنك أن تجعلهم عبيدا لكم، خاصة إذا أرادوا أن يبشروا بدينهم المحمدي (الإسلامي)، أو يحاربوك أو بحاربوا الهنبود رعابانا».. وقد أجابه الحاكم بخطاب يطلب فيه المدد لأجل القضاء على الدين المحمدي الإسلامي (١١).

ومن هنا يتضح لنا أن الحرب التي سنها الأسبان على المسلمين في الفليين كانت حربا صليبية يبغون بها القضاء على الإسلام هناك، نم استعار البلاد واستغلال ترواتها ونهب خيراتها. وقد شجع الأسبان على مواصلة الحرب ما خدعوا به أنفسهم من اتصافهم بالشجاعة، كما غرهم انتصارهم السربع على سكان البسايا ولوزون في النبهال الذبن لم يكونوا على درجة كبيرة من النظام بخلاف المسلمين الذين كانوا بقطنون الجنوب في سولو ومنداناو ليدافعوا عن دينهم وعن حريتهم الوطنية التي لا يجدون أغلى منها، ويبذلون في سبيلها دماءهم وسترخصون أرواحهم حفاظا عليها ودفاعا عنها، وأن يقدموا في سبيل ذلك كل ما يملكون...

بدايسة الحسرب:

بعد أن استقر الأسبان في سيبو بدأوا يوسوعون نفوذهم الاستعاري المسيحي فيها، فقامت معركة في سنة ١٥٦٩م قريبا من سيبو بين الأسبان وبين المسلمين من هولو وبرنيو، كما قامت معركة أخرى في ١٥٧٠م بين الأسبان وحلفائهم من البسايا وبين المسلمين في جزيرة مندورو، وقد تمكن الأسبان في هذه المعركة من التغلب على المسلمين وحرق قراهم والاستيلاء على كثير من متاعهم وحليهم وذهبهم.

٨ _ القضاء على المملكة الإِسلامية في مانيلا بجزيرة لوزون :

لقد سُبجع هذا الانتصار القائد الأسبائي ليجزبي على أن يستمر في توسيع نفوذه نحو

الشهال في جزيرة لوزون حيث تفع مملكة مانيلا الإسلامية ومملكة تندو الإسلامية، وهما بعدان من أقوى المهالك الإسلامية في النسال، وكان يحكم الأولى الملك «راجاسلهان»، كما كان يحكم النانية عم راجاسلهان الملك «راجالاكان دولا».

وقد وجه القائد الأسباني إلى هاتين المملكتين حملة من ستائة جندي من البسايا الفلبينيين ومائة وعسرين جنديا من جنود الأسبان، حيث توجهت من جزيرة بناي إلى مانيلا في مالوسنة ١٥٧٠م.

وكيا هي عادة الاستعبار في خداعه ومكره نزل قائد الحملة جايتي Gaiti إلى الساطئ لكي يتفاوض مع الملك راجاسليان وعمه، زاعيا لهما أنه جاء لصداقتها، وبدأوا في عقد اتفاقية بينهم، غير أن راجاسليان رفض أن تتم الاتفاقية عندما تبين له أن الصدافة مع الأسبان تعني دفع الضريبة والعبودية لأسبانيا.

ولذلك مار الملك راجاسليان معلنا أنه سيقاتل بدلا من أن بدفع الضريبة وبقبل الحماية الأسبانية.

وفد استعلت نار الحرب عندما أطلق القائد الأسباني نيران مدافعه على سفينة لكي بدعوها إليه، فظن الملك راجاسليان أن المملكة قد احترقت فبدأت الحرب بسراسة ووحسية، ولكن تغلب الأسبان المجهزون بأسلحتهم ومعهم جنود البسايا على جنود راجاسليان، واضطر راجاسليان إلى الانسحاب تاركا منازله تشتعل فيها النار بعد أن استشهد من رجاله مائة سعيد وأسر نهانون منهم بعض الصينيين واليابانيين، كها غنم الأسبان حلى راجاسليان النسهيرة وبعض المدافع والسفن الحربية، ولكن رئيس الحملة لم يستقر في مانيلا طويلا خوفا من هبوب المواصف مع احتال رجوع راجاسليان لكي يسترد مملكته، فرجع إلى جزيرة بناي فخورا بهذا الانتصار العظيم والغنيمة الثمينة.

انتقال القيادة الأسبانية من سيبو إلى مانيلا:

سر القائد العام للحملة الأسبانية بالانتصار على راجاسليان، ولذلك قرر نقل مقر القيادة من سيبو إلى مانيلا. وفي أبريل سنة ١٥٧١م تحركت الحملة النانية بقيادة القائد العام (ليجزبي) مبحرة من جزيرة بناي بأسطول مكون من سبع عشرة سفينة عليها مثنان ونهانون جنديا أسبانيا وعدة مئات من جنود البسايا بالإضافة إلى فوات الحملة السابقة، واتجهت كل هذه القوة إلى خليج مانيلا حيث قابل (لاكان دولا) _ حاكم مملكة تندو وعم راجاسليان _ الحاكم العام الأسباني في سفينة سراعية ورحب به، فقابله الحاكم الأسباني بلطف، ووعده أنه سوف يعفو عن راجاسليان لمقاومته للقائد الأسباني في العام السابق. ولكن سخصا خائنا يدعى «ديهندول» ذهب إلى القائد الأسباني وأخبره أن راجاسليان يستعد للحرب. فايجه ليجزبي إلى مانيلا وعندما ظهرت السفن الأسبانية قرب مملكة راجاسليان حرق راجاسليان الحصن، وانسحب عابرا نهر باسج إلى مملكة تندو، وبذلك نزل ليجزبي إلى مانيلا وتولى الحكم فيها.

محاولة راجاسلهان استرجاع ملكه:

لم يتنازل راجاسليان عن مملكته سلميا وبدون قتال، بل قاتل إلى آخر قطرة من دمه بكل شجاعة وبسالة، وقدم روحه في سبيل وطنه، وآر الموت الشريف على الحياة الذليلة حياة العبودية والتبعية. فبينا كان الهائد العام الأسباني مشغولا بإعادة بناء مانيلا والعمل على استقرار حكمه فيها جمع راجاسليان المحاربين من رجاله في القوارب عند خليج بجوار قرية قريبة من مانيلا تسمى Novatas، واستعان بحكام الأفاليم، فلبى نداء، للحرب دفاعا عن حرية الوطن داتو (ماكابب) حاكم (هاجانوي) وداتو (برانجايس) حاكم (بمبنجا).

وفي يونية سنة ١٥٧١م زحف راجاسليان بقواته البحرية إلى الشاطئ السيالي لخليج مانيلا، وتقابل مع القائد الأسباني في اقبال بنكوساي، حيث دارت رحى الحرب الضروس في هذا النهر، وقاتل الأسبان بأسلحتهم الحديئة يعاونهم حلفاؤهم من البسايا حتى كسبوا المعركة، وسقط راجاسليان شهيدا في ميدان الشرف دفاعا عن حرية وطنه، كما استشهد معه بلائمائة جندي وأسر الباقى من رجاله بعد المعركة، وكان من الأسرى ابنه وابنا أخت الملك لاكان دولا..

وباستنسهاد راجاسليان بطل مانيلا المسلم وهزيمته في الموقعة في يونية سنة ١٥٧١م أعلن سقوط المملكة الإسلامية في مانيلا، وفقدت مانيلا حريتها، وصارت المقر الرئيسي للاستعمار.

الأسباني، حيث بنى الأسبان فيها كنيسة للقسس وقصرا للحاكم الأسباني ومائة وخمسين منزلا للمستعمرين الأسبان، كما أقيم حصن راجاسليان مانيا، وهكذا أقيمت مدبنة أسبانية على حطام المملكة الإسلامية في مانيلا.

وبنهاية هذه الحرب لم بقم للمسلمين قائمة بعد ذلك في أكبر جزيرة في شهال الفلبين وهي جزيره لوزون.

١ _ محاولة الأسبان القضاء على المسلمين في جنوب الفلبين :

استطاع الأسبان أن بفضوا على المسلمين في سهال الفلبين، ويزيلوا منها المملكة الإسلامية. وبعد سبع سنوات من قضائهم على المسلمين في لوزون واستقرارهم في مانيلا راودهم الأمل في أن بقضوا على سلطان المسلمين في جنوب الفلبين كها قضوا عليه في سهال البلاد، وبذلك يتحفق لهم امتداد استعارهم إلى جميع جزر الفلبين، ونختفى الرابة الإسلامية منها، ولا يرتفع فيها إلا الرابة المسيحية، ولذلك تتابعت حملات الأسبان بضراوة وعنف على المسلمين في الجنوب.

ولكن المسلمين قابلوا هذه الحملات بإيمان تابت وقلب غيور على حماية بلادهم ودبنهم وجميع مقدساتهم، واستمرت الحرب الضروس أكنر من نلانة قرون مملوءة بالدماء والأسلاء لإرضاء نزعات دبنية مسيحية حاقدة على الإسلام والمسلمين وموغلة في التعصب للقضاء على المسلمين وطمس التعاليم الإسلامية.

وقد تتابعت الحملات الأسبانية المجهزة بالأسلحة الحديبة التي وجهوها نحو المسلمين في الجنوب، حيب اعتصم المسلمون بدينهم وتمسكوا بعقيدتهم، وكتبوا بدمائهم الطاهرة الزكية أعظم وأجل صفحات مضيئة في التاريخ الفلبيني، والتي تشهد بحبهم للحرية واستمساكهم بها وإيثارهم المون على أن تستعمر بلادهم أو يعتدى على عقيدتهم الصحيحة في صدق الدين الإسلامي الحنيف الذي يدينون به.

تتابع الحملات على الجنوب وموقف المسلمين :

أ _ ففي سنة ١٥٧٨م أرسل القائد الأسباني العام حملة أسبانية تحت فيادة الضابط

(استيبان دي فيجورا) لتهاجم مدينة هولو، فوصلت إليها في يونية سنة ١٥٧٨م، وتولى السلطان (محمد حليم بنحيرن) سلطان سولو قيادة المسلمين للدفاع عن المدينة بحياسة ونسجاعة، ومع أن الأسبان استطاعوا أن يستولوا على جزء من المدينة إلا أنهم فسلوا في الاستيلاء عليها غاما نظرا لما قام به المسلمون من مقاومة عنيدة، وأقسم السلطان على الانتهام من الغزاة فأعلن حربا ساملة ضد الأسبان الذين آسروا الانسحاب من هولو.

ب _ وفي سنة ١٥٩٦م حصل الضابط (دي فيجورا) من الحاكم الأسباني العام على حق مطلق لاسنعار جزيرة (منداناو)، وأن يكون الحاكم الأسباني عليها، ومن نم اتجه من جزيرة (إيلوابلو) في فبراير ١٥٩٦م بحملة حربية كبيرة مكونة من ألف وخمسائة جندي فلبيني ومائتين وأربعة عسر جنديا أسبانيا واننن من القسس قاصدا جزيرة (منداناو)، واستطاع أن ينزل الحملة في Riogrande في كوتاباتو، ومن هناك سار إلى Buhayen حيت دارت بين الحملة وبين المسلمين معارك حامية ومناقسات مرة متتالية، فاد المسلمين فيها داتو (Silanga)، واستطاع (Ubal) أخو القائد المسلم أن يقتل قائد الحملة الأسبانية في إحدى هذه المناوسات. ولكن الحملة الأسبانية عززت بقوة أخرى من مانيلا لنتابع مند وعها الاستعاري في منداناو،

غير أن المسلمين استطاعوا مع حلفائهم أن يقذفوا بالأسبان في البحر، واضطر القائد الأسباني (ronguillo) أن يحرق الاستحكامات والحصون التي أقامها الأسبان قريبا من كوتاباتو، وانسحب إلى (Caldra) قريبا من سمونجا حيت بنى حصنا فيها، وكان باء هذا الحصن نتيجة الحملة الأولى لاستعار منداناو وبعد خيبة أملهم في أن يحتلوا مدينة (كوتاباتو).

جـ _ تحرك المسلمين للثأر من الأسبان المعتدين :

أبار غزو الأسبان للأرض الإسلامية في كوتاباتو هياج المسلمين في منداناو وسولو، وحرك عداوتهم وحقدهم، وأشعل نار غيظهم ضد المعتدين، فأعلنوا الحرب والجهاد الديني ضد الأسبان، ووضعوا خطة لتخريب كل المدن والفرى الأسبانية المسيحية في جزيرة لوزون وبسايا. وقد تحدت المؤرخون الأسبان بتعصب شديد بعيد عن العدالة والنزاهة عن هذه الحروب بين المسلمين وبين الأسبان.

ففى سهر يوليه سنة ١٥٩٩م جهز ابنان من أمراء المسلمين Silanga Saleh حمله مكونة من نلاثة آلاف مسلم، أقلعت بهم خمسون سفينة للانتقام من الأسبان في النسال، حيت تمكنوا من سلب ونهب فرى السواطئ في جزر (بناي) و (نجروس) و (سيبو)، وأناروا الرعب في تلك الأماكن، وأحرفوا المنازل والكنائس، وأسروا الرجال والنساء والأطفال، وفتلوا كبيرا من أهلها بقسوة وعنف، وانتهكوا حرمتها جزاء وفاقا لاعتداء الأسبان على بلادهم.

نم قاموا بحملة أخرى سنة ١٦٠٠م عدتها سبعون سفينة وأربعة آلاف معاتل للانتقام من الأسبان، ولكن لم يحالفهم النجاح في تلك الحملة مل ما حالفهم في الحملة الأولى.

د ـ وقد أبارت أخبار تحرك المسلمين بغاراتهم على الجزر السابقة للبأر من الأسبان حفيظة الأسبان وخاصة الحاكم الأسباني العام في مانيلا، فأخذ يرسل الحملة تلو الأخرى للهجوم على أراضي المسلمين في الجنوب، وكانت أولى هذه الحملات بقيادة فائد محنك هو Juan Cablinato وبقوة تعدادها مئتا جندي أسباني وأعداد كتيرة من جنود الفلبين المسيحيين، وقد توجهت تلك الحملة إلى هولو في فبراير سنة ١٦٠٢م، وحاولت أن تحتل المدينة، وضربت حولها الحصار تلاته أشهر، ولكن المسلمين صمدوا لتلك الحمله، مما اضطر القائد الأسباني إلى فك الحصار والعودة من حيت أتى.

وقد تتابعت الحملات الأسبانية بعد ذلك على هولو بغية الانتصار على المسلمين فيها وحملهم على اعتناق المسيحية، وقد بلغ عدد تلك الحملات من سنة ١٥٧٨م إلى سنة ١٨٧٦م أكتر من ست عشرة حملة، كلها كانت تبوء بالفسل سوى الحملة الأخيرة التي تمكنت من احتلال هولو. كها وجه الأسبان حملات أخرى إلى منداناو. وقد ساعد الأسبان في قيامهم بتلك الحملات استيلاؤهم على مدينة سمونجا وجعلها مركزا استراتيجيا لهم، فسهل لهم الإغارة منه على المسلمين في هولو ومنداناو.

ومن الحملات التي استطاع الأسبان أن ينتصروا فيها على المسلمين ويحققوا بعض النصر الحملة التي توجهت مرة إلى منداناو ومرة إلى هولو بقيادة القائد الأسباني.

كركسورا وقسدرات:

في سنة ١٦٣٧م أسند إلى العائد الأسباني كركورا القيام بحملة على المسلمين في لاناو، وفي وسط تقديس الفسس وصلوات المسيحيين في مانيلا ترك قائد الحملة الساطى بأسطول مجهز تام الاستعداد للقتال، وتوجه إلى منداناو حيت استراح فترة قصيرة في سمونجا، نم توجه إلى (لاميتن) الحصن الحصين للمسلمين الذي يقع فريبا من بحيرة لاناو، فتصدى له المسلمون تحت قيادة القائد المسلم الشجاع (قدرات)، وبعد معركة عنيفة أضطر (فدرات) إلى التراجع إلى حصن إليهان Ilhan، فتقدم كركورا بجنوده إليه، ورغم قتال وتضحيات المسلمين الأشاوس من الرجال والنساء والأطفال وعظم الخسارة لكل من الفريفين، ومع دفاع المسلمين بسجاعة عن موقعهم دفاع الأسود الضاربة التي اغتيل عربنها، واستسهاد كنير من المسلمين بسجاعة من أجل إيانهم ووطنهم رغم كل ذلك فقد دارت الدائرة على المسلمين، وعندما ظهرت هزية المسلمين استطاع القائد المسلم قدرات بذراعه المصابة برصاص العدو أن يجد طريقه وسط جنود الأسبان ويهرب. أما زوجته الشجاعة فقد حضنت ابنها بقوة، ودفعت بنفسها وسط جنود الأسبان، تم قذفت بنفسها من ساهق الجبل وأفلتت من الأسر.

حملة كركورا على هولو:

وفي نفس العام أي سنة ١٦٣٧م رجع كركورا القائد الأسباني إلى سمونجا حيث أعد حملة أخرى كبيرة مكونة من بهانين سفينة عليها ألف جندي فلبيني وستائة من جنود الأسبان، حيت هاجم هولو في مطلع عام ١٦٣٨م، وتصدى له السلطان (بنجسو) Bungsu مع حلفائه باسيلان وماكاسر (Macassar) بقوة مكونة من أربعة آلاف مقاتل من المسلمين.

و بعد ثلاثة أشهر كاملة من الحرب الضروس والمسلمون يحمون مدينتهم بنجاح ويدافعون عن وطنهم ويقدمون الشهداء من أبنائهم، وبعد قتال دموي سرس سقطت مدينة هولو في أبريل سنة ١٦٣٨م في أيدي الأسبان. ولكن السلطان استطاع أن ينجو من المعركة ويهرب من الأسبان، أما السلطانة فقد أخذت أسيرة وتسمى Tuan Baloca، وقد خسر المسلمون في هذه المعارك مئات الشهداء والأسرى.

وقد حاول قائد الحملة تتبع السلطان والأمراء في سولو وجزر الأرخبيل ولكن أهل سولو حاولوا أن يغير وا على جزر البسايا انتفاما من الأسبان.

١٠ _ محاولة المسلمين الاستعانة بهولندا ضد الأسبان :

حاول المسلمون في هولو الاستعانة بهولندا ضد الأسبان استغلالا للعداء بين هولندا وأسبانيا، فذهب بعض علياء المسلمين ومعهم راجامردا سيكالا وارت السلطنة في سولو للاستعانة بهولندا التي كانت تحتل جاوا آنذاك، وطلبوا مساعدة هولندا لهم في طرد الأسبان. وفي سنة ١٦٤٦م ظهرت سفن هولندا أمام هولو وسمونجا، فقرر الأسبان الانسحاب من هولو بعد أن عقدوا معاهدة مع أهل سولو لإقامة سلام دائم بين أهل سولو والأسبان. وبأن بساعد كل منها الآخر ضد العدو الأجنبي. وفيها اعترف الحاكم الأسباني بسلطة سلطان سولو من جزيرة تاوي تاوى إلى توتب، وأن تصل سلطة أسبانيا إلى تابول وسياسي، وذلك في معابل جلاء الأسبان عن هولو. وكدليل على الرضا وعد سلطان سولو أن يرسل كل عام إلى سمونجا ثلاث سفن من الأرز، وأن يسمح لفسس الجزويت بأن يأتوا إلى هولو وكذلك تبادل الأسرى والمجرمين، ولكن هذه المعاهدة لم تستمر طويلا، وعادت الحرب نانيا بين المسلمين وبين الأسبان بشراسة وعنف...

١١ _ المعاهدات بين المسلمين وبين الأسبان :

عندما عجز الأسبان عن كبت قوى المسلمين وهزيتهم بدأت القوة الأسبانية تتفاوض مع المسلمين، وقد عقدت عدة معاهدات بينها وبين المسلمين، منها اتفاقية سنة ١٧٢٥م، وبقتضاها أصبحت التجارة حرة ببن المسلمين وبين الأسبان، وتعهد المسلمون بإطلاق سراح الأسرى المسيحيين..

وفي سنة ١٧٣٧م وقع السلطان علم الدين الأول سلطان سولو مع الحاكم الأسباني العام اتفافا مكونا من خمس مواد، يقضى بما بأتى:

١ _ إقامة سلام دائم بين الدولتين، وكل مخالفة أو ظلم أو تعد من القوتين يسوى سلميا.

- ٢ ــ أن يقدم كل منها للآخر العون ضد أي عدوان أجنبي، والدول الأوربية مستناة من
 هذا النبرط.
 - ٣ _ حرية التجارة بين الدولتين للتجار الذبن محملون جواز سفر من الدولة.
 - ٤ _ أن تكون كل دولة مسئولة عن هتك السلام بين الدولتين بأحد رعاياها.
- تبادل الأسرى بين الدولتين وإعادة تمائيل الكنائس وزخارفها التي استولى عليها أهل
 سول.

وهناك معاهدات أخرى أبرمت بين المسلمين وبين أسبانيا في سنة ١٧٤٦م، ١٨٠٥م، ١٨٣٦م، ١٨٥١م، ١٨٨١م.

وفي اتفاق سنة ١٧٤٦م حضر رسول خاص من مانيلا إلى السلطان علم الدين يحمل رسالة من الملك فيليب الخامس ملك أسبانيا، يرجو فيها أن يسمح للقسس بأن يأتوا إلى هولو وبعظوا بالمسيحية لأهل سولو، وقد أقام السلطان لرسول الملك حفلة تكريم واستعراضا للجيش. وفي مجلس استساري بين السلطان والداتوات وافقوا على أن يعظ الفسس في هولو، بل ذهب السلطان إلى أبعد من ذلك بأن سمح للأسبان بأن نعيموا كنيسة في هولو.

وفي مقابل ذلك على أسبانيا أن تساعد السلطان في إقامة اسطول بحري بمبلغ ستة آلاف بيزو، وتمده بانني عشر مدفعا عيار ١٣٣ رطلا، وكمية من المسامير والحديد، وقد حضر القسس الجزوبت إلى هولو تنفيذا لهذه الاتفافية.

ومع رضا السلطان عن هذا الوضع إلا أن الناس قابلوا ذلك باستياء عظيم، وتكون حزب معارض بقيادة الداتو (بانتيلان) الذي قاد حملات منظمة ضد الأسبان أحدنت خرابا في كل مكان، واستطاع أن يدخل الرعب والفزع في كل القرى المسيحية في مندانا وبسايا ولوزون حتى في شوارع مانيلا نفسها، حيث نزل المسلمون إلى ساطى مانيلا تحت سمع وبصر السفن الحربية الأسبانية، واستطاعوا أن يردوا على الحملات المسعورة التي قادها الأسبان على المسلمين في الجنوب.

وفي سنة ١٨٤٨م بنى حاكم الفلبين الأسباني نلاث سفن بخارية وسفينتين استكسافيتين ونلاث سفن نقل للجنود، وفد بنت إنجلترا هذه السفن لحاكم الفلبين وهي سفن بخارية تسبر أسرع من السفن الشراعية التي يستعملها المسلمون. كان ظهورهذه السفن في المحيط الهادي بداية لنهاية سيادة المسلمين على البحار، إذ بهذه السفن وبقوة كبيرة من الجنود هاجم الأسبان المسلمين في هولو، ودمروا استحكاماتهم واستولوا عليها، فاضطر سلطان هولو والأمراء أن بعقدوا معاهدة مع الأسبان في سنة ١٨٥١م، اتفق فيها على سيادة الأسبان على هولو، وأن يرفع السلطان العلم الأسباني عليها، وألا يعقد اتفاقا مع أية دولة أخرى. وفي مقابل ذلك يقدم الأسبان للسلطان وللأمراء معاسا ينفقون منه، وأن يسمحوا للمسلمين بمزاولة شعائرهم الدينية، وبضمنوا للسلطان أن يرت أبناؤه عرض هولو.

ومع ذلك فإن هذه المعاهدة لم تنه الحرب بين الأسبان وبين المسلمين، إذ بمجرد جفاف حبر هذه المعاهدة عاود المسلمون حربهم ضد الأسبان بعد أن أسسوا بيت الحرب ولموا نسعنهم تحت قيادة الأمراء وهزموا الأسبان.

عاود الأسبان الكرة على المسلمين في سنة ١٨٧٦م، حيث هاجموا هولو بقوة كبيرة مكونة من تسعة آلاف جندي أسباني وفلبيني بسفن بخارية حربية مجهزة بمدافعها.

وقد دافع المسلمون عن مدينة هولو دفاع الأبطال، ولكنهم منوا بمذبحة فظيعة من الأسبان. وفي هذه المرة سقطت مدينة هولو سقوطا تاما، واستولى عليها الأسبان، فنقل المسلمون السلطة إلى (ماينبون) في جانب سولو الآخر ووقع السلطان معاهدة سلام مع الأسبان سنة ١٨٧٨م، ولكن ذلك لم يمنع المسلمين الأحرار من أن ينغصوا على الأسبان حياتهم، ويجعلوا إقامتهم في هولو جحيا لا يطاق، ففي سنة ١٨٨٨م ذبح المسلمون كثيرا من جنود الأسبان في سوارع هولو، وقد قدر الذين قتلوا من الجنود المسيحيين بأيدي المسلمين من سنة ١٨٩٩م إلى سنة ١٨٩٩م بئلاتهائة جندى مسيحي.

أما في منداناو فقد جرد الأسبان حملة عليها في سنة ١٨٨٦م تمكنت من تخربب بعض استحكامات المسلمين وبيوتهم، ولكنهم فسلوا في احتلال أرض المسلمين، فعاود الأسبان الكرة سنة ١٨٩٩م، حين استطاعوا أن بستولوا على كوتاباتو، ولكن بعد وقت قصير تمكن المسلمون من طردهم منها، وأرغموهم على الرجوع إلى سمونجا. فجرد الأسبان حملة أخرى سنة ١٨٩٥م ضد المسلمينين في لاناو، ولكنها عادت بالفشل.

١٢ _ هزيمة الأسبان أمام أمريكا:

أخيرا قامت الحرب بين أمريكا (الولابات المتحدة الأمريكية) والأسبان ١٧٩٨م، حيث كان الأسبان والمسلمون يوتون في الغابات لما اتصف به الأسبان من اعتداء وتعصب، ولما آمن به المسلمون من دفاع عن أرضهم ووطنهم وحفاظا على دينهم وعفيدتهم. وبعد أكثر من نلابة قرون من الغارات المحمومة والحملات المتكررة فسل الأسبان في أن بحتلوا أرض المسلمين في الجنوب، أو بتمكنوا من ننصبر المسلمين الشجعان.

وفي مايو سنة ١٨٩٩م احتل الجيس الأمريكي هولو تم سمونجا من مدن المسلمين، وعاد الجنود الأسبان من ميدان القتال إلى أسبانيا بخفي حنين يجملون الخيبة والفسل.

١٣ _ موقف أمريكا في الفلبين من المسلمين :

بعد آن انتصرت أمربكا على الأسبان في سهال الفلبين دفعت أمريكا إلى أسبانيا مائتي مليون دولار لتحل محلها في الفلبين، وتحرر بذلك عقد أبرم في باريس في ١٠ ديسمبر سنة ماميكا موقد قاوم المسلمون الغزاة الجدد من أمريكا بدون هوادة، وقدموا الشهداء من أبنائهم وأمرائهم في السنين المتتالية، فقد تقابل المسلمون مع قوى الاحتلال الأمريكي في موقعة قريبة من هولو سنة ١٩٠٦م، حيث استسهد من المسلمين أكتر من ستائة تسهيد من الرجال والنساء والأطفال. وكانت الموقعة النانية قريبة من هولو أيضا في سنة ١٩١٣م، وقدم فيها المسلمون كثيرا من الشهداء، ونبت خلال هذه المعركة تفوق الأسلحة الأمريكية على أسلحة المسلمين. وغيرت أمريكا بعد هذه الموقعة من سياستها، فاختارت حكاما من المدنيين لتهدئة شعور وغيرت أمريكا بعد هذه الموقعة من سياستها، فاختارت حكاما من المدنيين لتهدئة شعور المسلمين، واستطاع (Mr.frank. W. Carpenter) أول محافظ أمريكي لجزيرة سولو ومنداناو وسولو يظهر الصداقة لسلطان المسلمين، ويكون سنة ١٩١٤م وزارة خاصة بشئون منداناو وسولو للإشراف على المناطق الإسلامية السبع، وهي: سولو، لاناو، كوتاباتو، سمونجا، داباو، اغوسن، بوكيدنن، وجعل مقر الوزارة في دنسلان بنطقة لاناو.

واستطاع هذا المحافظ (فرانك كربنتر) أن يعقد معاهدة مع السلطان جمال الكرام سلطان سولو في سنة ١٩٦٥م، تنازل فيها السلطان عن سلطاته الدنيوية (أي السياسية)، واعترف

فيها بالنفوذ الأمريكي في بلاده، مقابل إعطائه معانبا سنويا، م الاعتراف به كقائد روحي لمسلمي الفلبين.

وبذلك أقل نجم سلاطين المسلمين، نم حلت الوزارة الخاصة بسئون مندانا وسولـو، وضمت إلى مكتب سئون القبائل غير المسيحية سنة ١٩٢٠م.

لقد استطاع (فرانك كربنتر) بحسن إدارته وحكمته ونقدبره لنسخصية المسلمبن أن يحقق في سنين قليلة مالم تستطيع سيوف الأسبان أو مدافع الأمرىكيين تحقيقه من نشر السلام والطاعة في أرض المسلمين.

وفي النلابينات من الفرن العشربن وافقت أمريكا على استقلال الفلبين تدريجيا بإعطاء السكان في الفلبين مدة عشر سنوات كفترة انتقال فبل منحهم الحرية الكاملة مع الإبغاء على المصالح الأمريكية.

واختير أول رئيس للبلاد من العناصر الوطنية المسيحية، وكان يتمتع بكل الصلاحيات، فألغى مكتب شئون غير المسيحيين الذي كان يتبع سلطة حكومة الولابات في الفلبين، وأصبح يتبع وزارة الداخلية الفلبينية. وبذلك صار المسلمون في جنوب الفلبين فلبينيين دون أن يدروا من أمرهم نسيئا.

فامت مظاهرات بين المسلمين ضد هذا الإجراء، وأيدهم بعض السُيوخ الأمريكيين في منع ضم منداناو وسولو ـ ذاب الصبغة الإسلامية ـ إلى الفلبين، ولكن لم يتم ذلك.

استمر الوضع على ذلك إلى أن قامت الحرب العالمية النانية، واحتل اليابانيون الفلبين، وهب المسلمون يكافحون الغزاة الجدد، وأعلنوا عصياتهم على الحكومة العميلة، وزج بكثير من المسلمين في السجون ومعكسرات الاعتقال التي أفامها اليابانيون، لأن المسلمين وقفوا ضد الاحتلال الياباني وضد الإبادة الجماعية التي نفذها اليابانيون ضد المسلمين.

وعندما هنم اليابانيون وقامت الحكومة الوطنية الكاتوليكية في الفلبين رفع المسلمون لواء العصيان ضدها وضد العصابات المسيحية التي ظلت تمارس أعمالها الإرهابية حيال الأقليات الإسلامية في بعض الجزر. ومما أبار المسلمين وأساء اليهم فيام الحكومة الفلبينية بتهجير العدبد من المسيحيين إلى المناطق الإسلامية، مما يؤدي إلى جعل المسلمين أقلية في بلادهم.

١٤ ـ تطور المشكلة بعد الاستقلال:

بعد استفلال الفلبين جعلت إداره سنون المسلمين في يد رئيس الدولة الفلبيني اعتبارا من سنة ١٩٥٠م، وكان كانوليكيا متعصبا، فأخذ يعمل على تفتيت الفوى الإسلامية وحرمانها من الحقوق التي نتناسب مع تعدادها بالنسبة لمجموع سكان الفلبين.

كان ذلك من الأسباب التي أدت إلى تأخر المسلمين لعدم قيام الدولة بأية مشر وعات إصلاحية تؤدي إلى تقدم المسلمين، كما أدى هذا الوضع إلى ضياع كثير من أراضيهم. ففي عام ١٩٠٨م كان المسلمون يسيطرون على ٩٢٪ من مجموع مساحة منداناو، ولكنهم الآن نتيجة لسياسة القهر والاضطهاد وإخراج المسلمين من أراضيهم ومنحها للمهاجرين المسيحيين فقد صارت مساحة الأرض التي يعترف بها للمسلمين لا تزيد على ٣٥٪ وإن كانوا يضعون أيديهم فعلا على نحو 7٥٪ من مجموع مساحة الأراضي كلها(١٢).

والمسلمون لا يتركون أرضهم ويرحلون عنها إلا بعد أن يقدموا كنبرا من أبطالهم سهداء في مفاومة السيحيين الذين يريدون اغتصاب أرضهم، وقد تكونت جماعات مسيحية لاضطهاد المسلمين وجملهم على ترك أرضهم مبل جماعة (إيلاجا) المسيحية، وهي تنظيم سري، هدفه الاستيلاء على الأرض التي يملكها المسلمون. وقد درب أفراد هذه الجهاعة على حرب العصابات، ووجد كنير من المدافع الرشاسة في حوزتها، وهذه الجهاعة تعد من أخطر الجهاعات الكانوليكية تعصبا ضد المسلمين، حيب يعملون على إبادة المسلمين والاستيلاء على أرضهم. وتحت ضغط قوتهم المنفوقة على المسلمين في العدد والسلاح يترك المسلمون أرضهم لينضموا إلى معسكرات اللاجئين المسلمين الذبن بدأ يتكابر عددهم من خمسين ألفا إلى قرابة ربع المليون معسكرات اللاجئين المسلمين الذبن بدأ يتكابر عددهم من خمسين ألفا إلى قرابة ربع المليون

وقد كسف النواب المسلمون عن وجود تواطؤ بين حكومة ماركوس الفلبينية الحالية وبين تلك العصابة، وساقوا الأدلة الآتية على صحة ما يقولون:

- ١ ـ إن قوات إبلاجاس أبدن مرسحي الرئيس ماركوس في الانتخابات التي جرف في نوفمبر سنه ١٩٧١م.
- ٢ ـ عدم تصدي فوات الأمن والجيس الحكومية لفوات إللاجاس عفب اعتداء اتها في
 كوتاباتو ولاناو على المسلمين.
- ٣ ــ لم نحرر الحكومة أي قضية ضد أفراد إبلاجاس الذين فبض عليهم متلبسين بجرائم
 الفتل ضد المسلمين.
- ٤ _ اعترف أحد قواد جماعة إيلاجاس أمام لجنه المحفيق التابعة لمجلس السيوخ الفلبيني في مارس سنة ١٩٧١م بأنهم بتلفون تدريبات عكسرية، وبسلمون معونات ومؤن من الحكومة.
- اعترف الجنرال (كاسترو) قائد السرطة في الفلبين أن هناك خمسه وبلابين ألف رجل
 من عصابات إبلاجاس المسلحه في مناطق المسلمين بجزيرة مينداناو.
- ٦ جاء في تفرير عن القوات المسلحة سنة ١٩٧١م أنها وافعت على صرف مبلغ (واحد وسبعين مليون بيزو) لأعمال الاستخبارات في منطقة منداناو، وقد اتهم المسلمون الحكومة بأن هذه الأموال إنما أعطيت نقدا (لإبلاجاش)، وقد اعترف وزبر الدفاع اعترافا غبر مباشر بتلك المهمة في مارس سنة ١٩٧٢م، وذكرت جريدة (مانيلا كرونيكل) تلك الحقيقة دون تحفظ أو مداراة.
- ٧ أببت قاضي منطقة بولان (جوان الهيبري) أن قائد جيس برتبة (رائد) هو الذي يقود جماعة (إيلاجاس) من (لاناودل سور) النسالية، كما أن منظمة (جينا) وهي الجناح العسكري السري لكافة الجمعيات الكانوليكية الشرعية العلنية تتلقى معونات وإسهامات من الكنيسة الكانوليكية بطربقة مباسرة وغير مباسرة، ولديها إمكانيات كبيرة، وعندها أكتر من مخزن للسلاح وميدان للتدريب على القتال النظامي والشعبي (١٣).

ولقد قدم المسلمون كنيرا من الشهداء والجرحى في سبيل محافظتهم على أرضهم التي تحاول جماعة إيلاجاس الاستيلاء عليها، وبلغ عدد خسائر المسلمين فبا بين ديسمبر سنة ١٩٦٧م حتى فيرابر سنة ١٩٧٧م حسب تقارير الشرطة والصحف الفلبينية كالآتي:

أ _ القتلــى ١٨٤٥ شهيدا

ب ـ الجرحـى	٤٢٠ جريما .
جـ _ البيوت المحترفة	۲۵۲۱ منسؤلا .
د _ عدد المساجد المحترقة	۱۱ مسجداً .
هـ ـ البلدان المهجورة	۱۱ قریة تبلخ مساحتهما ۵۰۰٬۰۰۰ هکتمار
. مر بع (۱٤) . مر بع	

وقد اتهمن منظمة تحربر مورو الوطنية في عربضتها المرفوعة إلى لجنة حقوق الإنسان الدولية حكومة ماركوس بارتكاب جريمة القتل الجهاعي ضد المسلمين، إذ فتلت وجرحت حوالي المائة ألف، وشردت مالا يقل عن نصف المليون، واغتصبت ما يزيد على المليون هكتار من أراضي المسلمين، وحرقت البيوت والمساجد والمدارس، وخرب من الممتلكات الإسلامية ما قيمته مليار دولار أمريكي.

كها جاء في الكتاب الأبيض الذي قدمه المسلمون إلى ماركوس في سنة ١٩٧٥م أن عدد المذابح والحوادث الدامية في جنوب الفلبين قد بلغ ٤١٧ حادثة في الفترة ما بين ١٩٦٩م إلى أول سنة ١٩٦٧م، وهذا غير مثاث الحوادث التي لم تسجل ولم تطل يد القانون المتسببين في هذه الحوادث (١٥٥).

وقد ذكر النائب (دبين كانوي) عضو المعارضة الوحيد عن جزيرة متداناو «أن عدد ضحايا القتال بلغ خمسين ألف نسمة خلال سن سنوات، من بينهم ألف نسمة في العام الماضي وحده» (١٦).

المطالبة باستقلال الجزر الإسلامية :

كاد الرد العملي على هذا الاضطهاد والاستيلاء على أراضي المسلمين هو فيام جماعة تطالب بانفصال المسلمين عن الفلبين ليكونوا دولة إسلامية في جزر المسلمين في الجنوب، وقد ظهر هذا الاتجاه في أواخر سنة ١٩٦٧م، وظهر التكوين العسكري لهذه الحركة في أواخر سنة ١٩٦٩م.

وزعيم هذه الحركة الاستقلالية الإسلامية نسيخ ذو حذق سياسي ودراية عسكرية، اكتسبها

خلال مقاومته لليابانيين وخلال عمله السياسي كحاكم لمحافظة كوتابانو، وهو الداتو أتج متالم الذي يرى أن حل هذه المسكلة هو الاستفلال بالحزر التي بسكل المسلمون فيها أكنرنة عددية أو تفوقا في ملكية الأراضي.

وهذان الشرطان يتحففان في جزر مينداناو وأرخبيل سولو بصورة ظاهره لا محاراة فيها.

وقد أرسل ذلك الزعيم ببرهيات ورسائل إلى الأمم المتحدة وإلى الرئيس الفلبيني (ماركوس) بعلنه فيها أنه يعتبر المسلمين مستقلين ومنفصلين عن حكومة مانيلا التي ترسل اليهم عصابات كابوليكية لقتل الأبرياء من النساء والأطفال، ونحاول اغنصاب الأرض من أصحابها المسلمين لكي تسلمها لمن تهجرهم إليها من الكابوليكيين لتجعلهم أغلبية سكانية فيها.

ولأن المسلمين لا يقبلون أي ممن مها كان غاليا لبيع أرضهم فالوسيله الوحيدة للاستيلاء عليها هو اغتصابها بغارات جماعية مسلحة في ظل رعابة السلطه وبندبير ومخطيط منها.

والمسلمون يقاومونهم حسب طاقتهم ، ولكنهم في حاجه إلى مساعده كل القوى المتحرره في العالم وخاصة القوى الإسلامية.

وبجوار هذه الحركة التي يتزعمها (داتو اتج متالم) وجدن جبهة نحرىر بنجسامورو، أي جبهه تحرير أمة المسلمين، وينضوي تحتها كبر من الهيئات والمنظات، ويرأسها مجلس موره يقوده زعيم باسم حركي هو عمر أوفاف.

ولهذه الجهاعه جناح عسكري مقاتل، وتدرب سبابها على حرب العصابات لحهاية أنفسهم وجماية المسلمين. وقد أدى ظهور هذه القوى المقاتلة إلى تجمع صفوف الجهاعات والطوائف الإسلامية وخاصة بعد التحرك العربي الذي أرسل وفدا لتقصي الحقائق في الفلبين سنة ١٩٧١م، فتكونت الإدارة الحدينة، وتضم هذه الإدارة الجمعيات والمنظان والهيئان التالية:

١ - جمعية أنصار الإسلام: وبرأسها مندوب المؤتمر الدستوري (أحمد دموكاو ألنتو)، وهو عضو سابق في مجلس السيوخ الفلبيني.

- ٢ ـ اتحاد القوى والجمعيات الإسلامية بالفليين برئاسة النائب البرلماني رسيد لقمان، وكانت تسمى من قبل جمعية السبيبة الإسلاميه، وكانت مجلة دعوة الإسلام لسان حالها.
 - ٣ _ نقابة المحامين المسلمين برئاسة عضو السيوح (مامتال تامانو).
 - ٤ _ الجمعية الإسلاميه بالفلبين برئاسة النائب البرلماني (ساليباد ابىداتون).
 - ٥ _ مجلس التنسيق الوطني للسنون الإسلامية برئاسة (مكافانتويحيي عباس) الابن.
 - 7 _ المجلس الوطني للسباب المسلم برئاسه (مكافانتون عباس) الأبن .
 - ٧ _ انحاد السبان والطلبة المسلمين برئاسة فاروق سريف.
 - ٨ ـ الامحاد الفيدرالي للجمعيات الإسلامية بالفلبين برئاسة السيدة الحاجه زويدا تامايو.
 - ٩ صحيفة دعوة الإسلام: رئيس التحرير (عبدالرشاد آساني).
 - ١٠ ـ المجلس الأعلى للسنون الإسلامية برئاسة النائب البرلماني (محمد علي ديمابورو).

كما توجد جمعية إقامة الإسلام، ومهمتها نسر النقافة والتعليم الإسلامي في المناطق الإسلامية، ولها نساط ملحوظ في ذلك (١٧٠).

وقد عرضت مسكلة المسلمين في الفلبين على مؤمرات وزراء خارجية الدول الإسلامية ابتداء من مؤتمر كوالالمبور الذي انعفد في عام ١٩٧٤م إلى المؤمر التاسع الذي عقد في داكار سنة ١٩٧٨م.

وقد انتدب المؤتمر لجنة وزارية رباعية مكونه من وزراء خارجية المملكة العربية السعودية وليبيا والصومال والسنغال لنقصي الحفائق في الفلبين، وبعد مساع عديدة نحت إسراف لجنة مؤتمر وزراء الخارجية للدولة الإسلامية دارب مفاوضات بين وفد من حكومة جمهورية الفلبين ووفد جبهة تحرير مورو، أسفرت في النهاية عن انفاى طرابلس سنة ١٩٧٦م. ومن بين ما تضمنه هذا الاتفافي ما يأتي:

- منح الحكم الذاتي الداخلي للمسلمين في جنوب الفلبين في إطار احترام السياده الوطنية
 لجمهورية الفلبين ووحدة أراضيها على أن يشمل ذلك ملامة عشر إقلها.
 - ٢ _ إقامة محاكم شرعية إسلامية للمسلمين، وإشراكهم في المحكمة العليا للبلاد.
 - ٣ ـ نعليم المسلمين في نظام تعليمي خاص بهم .
- ٤ _ إعلان وقف إطلاق النار، والعفو العام عن المجاهدين المسلمين، وإطلاق سراح المعتقلين

السياسيين، وعودة اللاجئين إلى ديارهم، وضان حربة الانتقال وحرية التجمع.

- قيام نظام مالي خاص بالمسلمين مع تمنيلهم في الحكومة المركزبة، وقيام حكومة انتقالية
 للحكم الذاتي، ومجالس تسريعية وتنفيذية، وقوات أمن داخلي إفليمية.
- ٦ ـ تكوين لجنة خاصة لمراقبة اتفاق وفف إطلاق النار مكونة من ممتلين لجبهة نحرير المورو،
 ومنظمة المؤتمر الإسلامي، وحكومة الفلبين (١٨).

ونتيجه لهذا الاتفاق أعلن عن وفف إطلاق النار احتراما للاتفاقيه، ونزولا على رغبة العالم الإسلامي.

إلا أن الخلافات بدأت تظهر اعتبارا من شهر فبراير سنة ١٩٧٧م حين اجتمع اللجنة المشتركة المكلفة بحل المسائل العملية المترتبة على اتفاق طرابلس، فقد تحولت حكومة الفلبين عند نقطتين أساسيتين في اتفاق طرابلس، تتعلقان بالأقاليم التي كان مقرراً أن يمارس فيها الحكم الذاتى الداخلى، وإدخال إجراء دستورى غير مقرر ألا وهو الاستفتاء.

وقد أبدت اللجنة الوزارية الرباعيه والأمانة العامة في اجتاع مسترك تحفظانها حيال هذا التغيير في موقف حكومة الفلين، كما لفتا نظرها إلى هذا التغيير، وأعربا عن استعدادها للمساعدة على إيجاد حل للمسكلة.

وقد كلف المؤنمر الإسلامي النامن لوزراء الخارجية للدول الإسلامية ــ بعد اطلاعه على الوضع في مجموعه ــ اللجنة الوزارية الرباعية بأن تواصل وساطتها بين الطرفين تطبيقا للقرارات التي سبق انخاذها في المؤمرات السابقة لوزراء الخارجية للدول الإسلامية.

وقد وجهت اللجنة رسالة إلى حكومة الفلبين في ١٣ يونية سنة ١٩٦٦م، ذكرت فيها «أنه ينبغى التوصل إلى التفاهم والتعايش السلمي بين كل الأطراف والأديان والعناصر الشقيقة لسعب واحد». وأجابها وزير خارجية الفلبين «بأن بلاده لن تدخر وسعا من أجل التوصل إلى حل سلمي وعادل للمسكلة».

غير أن هذه الرسائل لم تحل المسكلة ، واستؤنفت عمليات العنف والإبادة والتدمير بين الجانبين في جنوب الفلبين، واستمر الوضع في التدهور، مما أدى إلى قتل العشرات من الضباط

والجنود الفلبينيين، وقيام الحكومة بعمليات جوية وبرية وبحرية ضد المسلمين في الجنوب، قتل فيها كنير من المسلمين ودمرت منازلهم وشردوا من ديارهم وقراهم.

ونتيجة لذلك اجتمعت اللجنة الوزارية الرباعية في الخامس من نوفمبر سنة ١٩٧٧م، ووجهت إلى الرئيس ماركوس وإلى رئيس جبهة تحرير مورو. دعتها فيه إلى وقف كافسة العمليات العسكرية والعودة إلى مائدة المفاوضات.

كما كتبت إلى حكومات ماليزيا وأندونيسيا وتايلاند تطالبهم ببذل مساعيهم الحميدة في هذا الاتجاه، كما أهابت بمجلس الأمن ولجنة حقوق الإنسان والدول الإسلامية بالتدخيل لإيقاف المجازر الوحشية وانتهاكات حقوق الإنسان، وبينت أن استثناف الحرب سيهدد الأمن والاستقرار الدولين.

وقد دعا الرئيس ماركوس السيد/ نور مسواري رئيس جبهة تحرير مورو إلى النوجه إلى الفلبين للتفاوض معه، وأجابه السيد نور مسواري بأنه مستعد لاستئناف المفاوضات في دولة محايدة، وتحت رعاية منظمة المؤتمر الإسلامي، وفي إطار احترام اتفاق طرابلس.

غير أن تجدد العنف في جنوب الفلبين جعل الرئيس ماركوس يعلن عن طريق سفيره في جده أنه يتشكك في جدية وإخلاص جبهة مورو تجاه الحكم الذاتي الداخلي للمسلمين في الفلبين، وأنه يعلم ـ وفقا للوثائق التي تم الاستيلاء عليها ـ أن السيد نورمسواري يعمل من أجل الانفصال. ولكن رئيس جبهة تحرير مورو نفى هذا الاتهام.

وفي ١٨ فبراير ١٩٧٨م اجتمعت اللجنة الوزارية لمدة ثلاثة أيام، وأجرت بحثا مستفيضا للوضع، واستمعت إلى السيد نورمسواري، واتخذت مجموعة من الإجراءات لم يذكر عنها تقرير داكار شيئا.

وفي ٥ مارس ١٩٧٨م بعث الأمين العام لمؤتر وزراء الخارجية برسالة إلى الرئيس ماركوس، دعاه فيها مرة أخرى وباسم اللجنة الرباعية إلى إيقاف كافة العمليات العسكرية ضد المسلمين في جنوب الفلبين، وقد أعرب السيد نورمسواري لرئيس دولة الفلبين عن استعداداته الطيبة.

وفي أول أبريل ١٩٧٨م بعت الرئيس ماركوس برد إلى أمين عام منظمة تحرير مورو وضمن رسالته مؤاخذاته ضد رئيس جبهة تحرير مورو، وأعرب عن حسن نوايا حكومته، غير أنه أشار إلى الاختلاف الدائر في صفوف الجبهة، وذكر أن الأمين العام للمجلس الأعلى للسئون الإسلامية في مصر قد قدم له هاشم سلامه على أنه الزعيم الجديد، وأخيرا ذكر الرئيس ماركوس «أن الحيطة تتطلب منه أن يتابع التطورات» (١١).

وقد ألقى الرئيس ماركوس خطابا في ١٩٧٨/٩/٢١م «وعد فيه بتخصيص منطقة تتمتع بنسبه حكم ذاتي ٥/٥ مليون من سكان الأفاليم الجنوبية في مينداناو وسولو وتاوي تاوي وباسيلان، وأضاف قائلا: لا داعى للقلق بنسأن الموقف في جنوبي الأرخبيل، اللهم إلا إذا تلقى الثوار أعضاء الجبهة الوطنية للتحرير - مورو - مساعدات من الخارج (٢٠٠).

وهي وعود كما رأينا سبق تكرارها دون أن يكون لها أنر واقعي يقر الأمن والسلام، ويطمئن المسلمين على دمائهم وأرواحهم وأرضهم.

الانشقاق في جبهة تحرير مورو:

إن السفاق والاختلاف في جبهات المطالبين بحقهم هو الداء الوبيل الذي يؤدي إلى ضعف تلك الجبهات ونخاذلها، ويقف حاجزا سميكا دون الوصول إلى أهدافها وتحقيق مطالبها، وللأسف قد حدت ذلك في جبهة تحرير مورو.

فقد ظهرت حركة منشقة ادعت عزل رئيس جبهة تحرير مورو، وضاعفت هذه الحركة من التصالاتها بالسفارات في جده وبالأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامي.

وفد ذكرت هذه الحركة المنشقة بعض الأسباب لعزل رئيس جبهة تحرير مورو السيد نورمسواري منها:

- ١ ـ أن القيادة تحت رئاسة السيد نورمسواري تتنافى مع التوجيهات الإسلامية في تحركاتها وأساليبها وأهدافها، ونحت نحو الماركسية الماوية.
- ٢ ـ أن القيادة نحن رئيس الجبهة السيد نورمسواري لم تقم على أساس المشارورة والقيادة
 الجهاعية المستجيبة، بل قامت على مبدأ ديكتاتوري فردي وانعزالي خفي وغامض، مما

أدى إلى سوء تدبير جميع سنون الجبهة، وخاصة فها يخص الشنون الإدارية والاستراتيجية والمالية.

" - نتج عن قيادة السيد نورمسواري المحوطة بالسرية الكثير من الاضطراب والتسكك وخيبة الأمل بين الأعضاء والمجاهدين في الميادين، وأدى ذلك إلى كثير من الخسائر في صفوف المقاتلين، وأدى ذلك إلى التفتت والتفرق والاختلاف بين المسلمين وخاصة المجاهدين، فضعفت قوتهم المعنوية، مما أدى ببعضهم إلى الاستسلام والتوفف عن عملية الجهاد، بالإضافة إلى التفرق بين المنظات والمؤسسات الإسلامية.

ولذلك فقد أسندت هذه الحركة المنسقة قيادة الجبهة إلى السيد سلامة هاسم عضو اللجنة المركزية لجبهة تحرير مورو الوطنية ورئيس سنون خارجيتها اعتبارا من ١٣ محرم سنة ١٣٨ هـ، وقد وزعت منشورات عليها توقيع ٧٦ شخصا من المؤيدين لهذا الانشقاق (٢١).

ولاشك أن هذا الانشقاق يعطي للحكومة الفلبينية فرصة ذهبية لتقف من مطالب المسلمين موقف التسويف، تم المعارضة لهذه المطالب حتى تتمكن من القضاء عليهم، خاصة والمسلمون يمكنونها من ذلك بإشاعة الفرقة والاختلاف بين صفوفهم.

ومن هنا نرى أن المسئولية الكبرى لحل هذه القضية يقع على كاهل المسلمبن في الفلبين أولا، وذلك بتوحيد صفوفهم، ووأد أي نزاع أو شقاق يقوم بينهم حتى يصير وا صفا واحدا يقف في وجه المعتدين عليهم، ويحقق لهم قول الله تعالى:

كها تقع مسئولية كبرى على الدول الإسلامية وخاصة المجاورة للفلبين (أندونيسيا وماليزيا) بإظهار التضامن مع المسلمين في الفلبين، ولو أدى ذلك إلى فرض عقوبات اقتصادية وسياسية ضد حكومة الفلبين نظرا لماطلتها في تحقيق اتفاق طرابلس وتحديها لقرارات مؤترات وزراء الخارجية للدول الإسلامية.

ثم على الدول الإسلامية تعضيد قضية المسلمين في الفلبين عند عرضها في مجلس الأمن ولجنة حقوق الإنسان وهيئة غوث اللاجنين الدولية.

وعليها تقديم المساعدات المادية والمعنوية للمسلمين في الفلبين حتى يتمكنوا من مواصلة جهادهم وحصولهم على حقهم في المحافظة على أرواحهم وعقيدتهم وأرضهم.

ولي في النهاية أن أقول: إن المسلمين إذا طالبوا بالاستقلال التام والعودة إلى وضعهم السابق الذي كانوا عليه خلال الاحبلال الأسباني فإن لهم سندا قانونيا هو هذه المعاهدات المتعددة التي وقعت بينهم وبين الأسبان، حيث تظهر شخصيتهم الاعتبارية كدولة مستقلة لها كيانها الخاص.

ثم إنهم أتناء الاحتلال الأمريكي كان لهم وضعهم الخاص الذي يكفل لهم المحافظة على أرضهم وعلى دينهم وعلى خصائصهم الحضارية المترتبة على اعتناقهم لدينهم الإسلامي الذي لا يفصل بين الدين والدنيا، والذي يوجه الحياة الإنسانية في كل مظاهرها الفردية والاجتاعية.

ومع ذلك فإن الدين الإسلامي لا يمنع أن يعيش أتباعه مع أصحاب الأدبان الأخرى، ولكن بسُرطأن تحفظ لهم حقوقهم ويعيشوا مع غيرهم على قدم المساواة في الحقوق والواجبات.

أما أن يهجر المسيحيون من الشهال إلى الجنوب لكي يكونوا أكثرية بين المسلمين، ثم تعطى لهم أراضي المسلمين، ويطرد المسلمون منها، ويصلبوا وتحرق ديارهم وتهدم مساجدهم ومدارسهم، فإذا ثار المسلمون للحفاظ على كرامتهم والاحتفاظ بحقوقهم وأرضهم قالت الحكومة الفلبينية عنهم: إنهم عصابات، وإنهم سفاكون... وإنهم... وإنهم... فذلك مالا يرضاه إنسان.

وإذا كان هذا هو ما حدث بعد الاستقلال بالنسبة للمسلمين فإنني أقول: إن ذلك ليس استقلالا، وإنما هو استعار آخر من ساكني الشهال لساكني الجنوب، أو من المسيحيين للمسلمين بعد أن عجز الأسبان عن احتلال أراضي المسلمين في الجنوب، وبعد أن اعترف الأمريكان أثناء احتلالهم للفلبين بالشخصية المتميزة للمسلمين، وحافظوا لهم على أرضهم وعلى دينهم وعلى مقومات حياتهم المادية والمعنوية.

ولاشك أن الأمر للمسلمين ساكني الجنوب الفلبيني في حرية الاختيار للوضع الــذي يرضونه من الاستقلال التام أو الاندماج بوضع خاص.

إلا أن الضمير الإنساني والأخوة الإسلامية تحتم على من يهتم بالمشاكل الإنسانية، ويحرص على الأخوة الإسلامية أن يكون عونا دائها للحق والعدل الذي يطمئن الإنسان على حاضره وعلى مستقبله حتى تسير الحياة سيرا طبيعيا آمنا ومستقرا.

000

الحواشىسى

- Philippin. Political and cultural History, Volume 2. by Gregorio. F. Zaide : انظر (١)
 - (٢) انظر: عذراء ماليزيا (الفلبين) للدكتور مصطفى مؤمن الطبعة الأولى سنة ١٩٧٢ صـ ٤٠
 - (٣) المرجع السابق ص ٤١ .
 - (٤) انظر: Philippin. op. Cit. p. 41
 - The History of Sulu by Nageeb. m. Saleeby pay 42, 43 manile 1963. إنظر (٥)
 - ما ننكابن : منطقة غنية ومتقدمة في وسط سومطرة، وقدم منها كثير من الأسر الملايوية .
 - وأجا: اللقب العادى لملوك الملايا.
 - (٦) موجز النظرية أن انتشار الإسلام جاء كرد فعل لقدوم المسيحيين إلى تلك المنطقة.
- (٧) انظر: كتاب الإسلام في السرق الأقصى وصوله وانتشاره وواقعه: تأليف دكتور فيصر أديب مخول، تعريب دكتور نبيل صبحي، دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
- (A) ملاحظة: أثناء إقامتي في الغلبين مبعوثا للأزهر لنشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية في الفترة من ٦٢ ١٩٦٥م زرت في شهر فبراير ١٩٦٥م بصحبة الحاج عبدالعزيز عمر مؤسس كلية مسلمي الفلبين في هولو قبر المبشر الاسلامي عنديم أمين الله في قمة جبل (أغد) (ومعناه الجبل التابع) ويرتفع حوالي ٢٠٠٠ قدم عن سطح البحر وهو قريب من مدينة هولو ومازال هناك إلى الآن خادم يعتني بقبره ويوقد عليه البخور كها يضع الناس عليه دائم قها أبيض وحول القبر كثير من القبور الأخرى التي يقولون عنها إنها لاتباعه يضع الناس عليه دائم قهاشا أبيض وحول القبر كثير من القبور الأخرى التي يقولون عنها إنها لاتباعه ولا توجد كتابه على هذه القبور. أما في جبل (دائو) الذي يجاور الجبل السابق ويرتفع حوالي ١٨٠٠ فدم فيوجد قبر كتب عليه باللغة العربية «من مات غريبا مات شهيدا هذا قبر الشهيد تمهار وأنه تونى في شهر رجب المعظم ٧١٠ هـ أي منذ سبعة قرون»..
- وهذا يدل على أن الإسلام قد وصل إلى الغلبين وانتشر هناك قبل قيام المملكة الإسلامية في سولو على يد راجابجند وأبوبكر من بعده..
 - (٩) عذراء ماليزيا الفلبين ، دكتور مصطفى مؤمن ، ص ١١ .
 - (۱۰) انظر: . Philipin. op. cit. p. 306
 - History of Sulu by najeeb . .. Saleeby pp. 49-54. (\\)
 - (١٢) عذراء ماليزيا (الفلبين) د. مصطفى مؤمن ، ص ٤٢ .
 - (١٣) أنظر عذراء ماليزيا (الفلبين) ، دكتور مصطفى مؤمن ، ص ٥٦ ، ٥٧ .
 - (١٤) انظر المرجع السابق ، ص ٦٥ .
- (١٥) نقلا عن مجلة الدعوة الهندية، العدد الثامن عشر ، السنة الثانية ٢١ ربيع الأول سنة ١٣٩٨ هـ مارس سنة ١٩٧٨م.

onverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- (١٦) صحيفة الجزيرة الصادرة بي المملكة العربية السعودية في ١٣٩٨/١٠/٢٥ هـ ـ ١٩٧٨/٩/٢٢م.
 - (١٧) انظر عذراء ماليزيا (الغلبين)، د. مصطفى مؤمن ، ص ٧١، ٧٢ .
 - (۱۸) انظر
- (أ) تعرير عن قضية المسلمين في جنوب الفلبين مقدم إلى المؤتمر التاسع لوزراء خارجية الدول الإسلامية المنعقد في داكار سنة ١٩٧٨م..
 - (ب) مقال النضال الإسلامي في الفلبين، مجلة الدعوة الهدية، العدد الثامن عشر، مارس سنة ١٩٧٨م.
- (١٩) انظر: التقرير المقدم عن قضية المسلمين في جنوب الفلبين إلى المؤقر التاسع لوزراء خارجية الدول الإسلامية المنعقد في داكار، أبريل سنة ١٩٧٨م.
 - (٢٠) صحيفة الجزيرة التي تصدر في المملكة العربية السعودية العدد ٢٢٧٢ في ٢٢٧٨م.
 - (٢١) انظر: منسُورات جبهه تحرير مورو الوطنيه، اللجنة المركزية، وثيقة تولية الرئاسة.

000

المصادر

- الإسمالام في السرق الأقصى : وصوله وانتشاره وواقعه. للدكتور قيصر أديب
 خسول، تعريب الدكتور نبيل صبحمي، دار
 العربية للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت .
- ٢ ـ حاضر العالم الإسلامي: تأليف لونسروب ستسودارد الأمسريكي، ترجمة عجاج نويهض، وفيه فصسول وتعليقات للأمير شكيب أرسلان، جد ١، ٢، دار الفكر، بسيروت، الطبعة الرسلان، جد ١، ٢، دار الفكر، بسيروت، الطبعة الرابعة، سنة ١٩٧٣م.
- ٤ ـ المسلمون في جزر الفلبيسن: جهادهم ومطالبهم، للدكتمور رءوف شلبسي، الناشر
 مكتبة الأزهر، الطبعة الأولى، سنة ١٩٧٦م.
- ٥ ـ تاريخ الإسلام في الغلبين : للشيخ أحمد بشمير أحمد، مؤسس جمعية إقامة الإسلام بدينة مراوي فلبين، مطبعة المدني بالقاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٩٦٤م.
- ٦ فــي جــزر الفلبيـن : دراســات ومشاهــدات وذكريات للدكتــور عبدالرحمن حسين، بحث لم يطبع بعد.
- ٧ ـ رحلة ابسن بطوطسة : المساة «تحفة النظسار في غرائسب الأمصسار وعجائب الأسفسان»، المكتبسة التجسارية الكبسرى بمصر، سنة ١٩٦٧م .
- ٨ _ مجلة الأزهر سنة ١٩٦٦م ١٩٦٦م جموعة مقالات تحت عنسوان: «عائسد من الفلبين»
 للباحث الدكتور محمد محمد شتازيتون
 - ٩ _ صحيفة الأهرام القاهرية.
 - ١٠ ـ صحيفة الجيزيرة السعودية .

١١ _ مجلة الدعوة الهندية : مقال عن الفلبين يتضمن الخطاب المذى ألقاه الأستاذ يحيى عباس في أول ندوة إسلامية أقامها معهد شئون الأقليات المسلمة بجامعة الملك عبدالعسزيز بجسدة في ٢٥ شوال سنسة ١٣٩٧ هـ ، ترجمة السيد/ جميل إسهاعيل يحيى (نشرة معهد شئون الأقليات المسلمة).

١٢ ـ التقرير المقدم إلى المؤقر التاسع لوزراء خارجية الدول الإسلامية في دكار سنة ١٩٧٨م. ١٣ _ نشرات جبهة تحرير مورو الوطنية اللجنة المركزية.

العدد الثامن عسر

1 - Moro Problens.

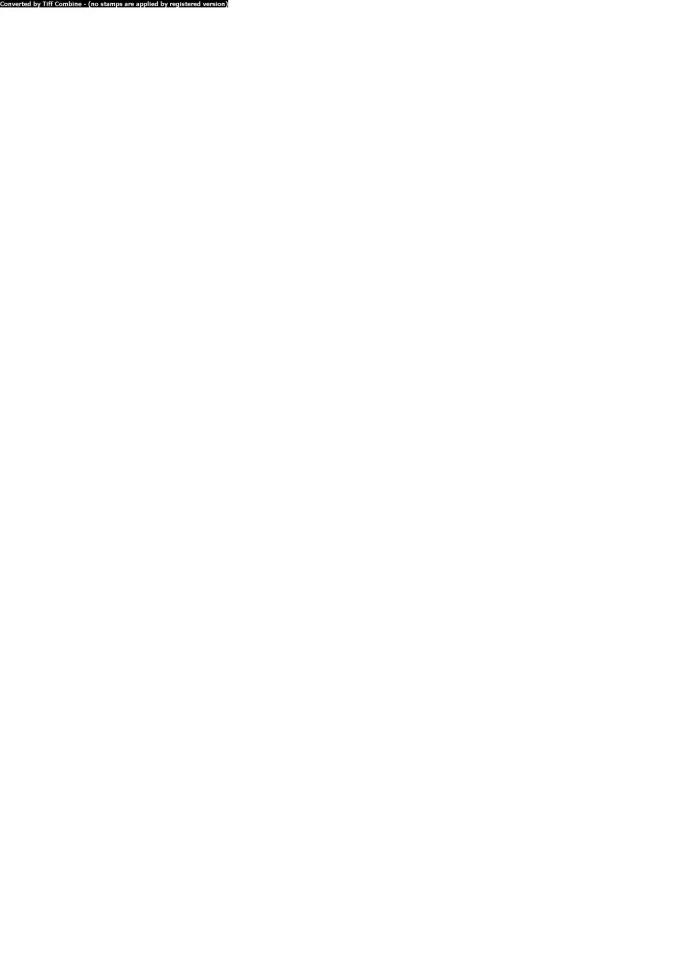
تقرير لجنة البرلمان الخاصة بمشاكل المورو (المسلمين في الفلبين) المقدم إلى برلمان الفلبين سنة ١٩٥٤م برئاسة السناتور أحمد ألنتو

- 2 Philippin Political and Cultural History, Volumes, By Gregoria. F. Zaide.
- 3 The History of Sulu by Nageeb Saleeby manila 1963.



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)







KINGDOM OF SAUDI ARABIA

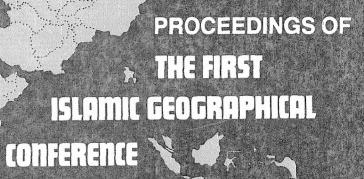
MINISTRY OF HIGHER EDUCATION

IMAM MUHAMMAD IBN SAUD ISLAMIC UNIVERSITY





RESEARCH CENTRE





VOLUME IV

Published Under The Supervision of The Department of Culture and Publications

1404 AH - 1984 AD